

الجليل الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي

لأبي الفرج
المعافى بن كزّاء النهرّواني الجبّري
٢٠٣ - ٣٩٠ هـ

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد ربيعي الطويل

الجزء الأول

عالم الكتب



بيروت - المزرعة ، نهاية الإيمان - الطباق الأول - ص ١١-٨٧٢٣
تلفون: ٢٠٦١٦٦-٣١٥١٤٢-٣١٣٨٥٩-برقيا ، نابعلبي - لكهن، ٢٢٩٠ ALAMKO



الجليل الصالح الكافي
والأخير الناصح الثاني

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمدار

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الدراسة

وتتناول :

- المعالي بن زكريا : حياته وأدبه .
- كتب أدب السمر حتى القرن الرابع الهجري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه ، محمد النبي الأمين ، ورضي الله عن آله وصحبه أجمعين . وبعد ، فإن بحثنا هذا يتحدث عن القاضي المعافى بن زكريا النهرواني ، وعن كتاب له في الأدب هو « الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي » .

أما المعافى فهو أحد علماء القرن الرابع الهجري ، وقد عاش معظم هذا القرن ، اذ ولد في أوله سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٣٩٠ .

وقد تلقى العلم على أكابر علماء عصره ، وأتقن فنوناً كثيرة وألف فيها ، من ذلك التفسير والقراءات والحديث والفقه والفرائض والنحو والصرف والبلاغة وغيرها ، لكنه لم يشتهر بين معاصريه الا بأنه الجريري ، وذلك نسبة إلى أبي جعفر بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهورين ، والذي كان أيضاً صاحب مذهب فقهي خاص نصب المعافى نفسه للدفاع عنه وألف فيه الكتب الطوال حتى عرف بهذه النسبة واشتهر بها .

والحق أن الرجل لم يكن فقيهاً جريئاً فحسب بل كان أيضاً ذا قدم
راسخة في علوم كثيرة ، حتى ليحكى عن سعة علمه أنه حضر في دار
أحد الرؤساء فسأله ذلك الرئيس : فيم تحب أن نتذاكر ؟ فأجابه المعافى :
إن في مكتبتك عشرين ألف كتاب فمر الخادم يضرب بيده إلى أحدها
ويحضره فتذاكر فيه ، وفي هذا دليل على أنه كما وصفه أبو حيان التوحيدي
كان ذا أنسة بسائر العلوم ، ولكن ربما كان لشهرته بأنه كبير المذهب
البحريري في عصره قد غطى على جوانبه العلمية الأخرى وجعل الناس
ينصرفون عنها كما انصرفوا عن المذهب البحريري ، واندثرت كتبه ..
فلم يبق منها إلا كتابنا هذا الموسوم بالجليل الصالح الكافي والأئيس الناصح
الشافي .

ونحن نرى المعافى في مستهل كتابه الذي ألفه في عشر التسعين شيئاً
قد وهن منه العظم ونالت منه حوادث الزمان وفظالته ، يمرّ بظروف
نفسية قاسية ، ولكنه بقوة الإيمان بالله يدير لها ظهره ويقدم على تأليف هذا
الكتاب مرفهاً به عن نفسه ، وعمن كان على شاكلته من الناس وهم في
زمانه كُثُرٌ ، سائقاً لهم من أحاديث الرسول الكريم ومن أخبار أصحابه
ملأ فيه الناسي والعظة ، ومن قصص الخلفاء والولاة والقضاة ما فيه كرم
وحق وعدل ، ومن شعر الشعراء وأقوال الأدباء ما فيه جمال وطراقة ،
ولم يخلع في أثناء ذلك طيلسان المعلم فأورد ضمن قصصه فوائد كثيرة من
مختلف أنواع العلوم من تفسير وقراءات ونحو وصرف وعروض وبلاغة
وغيرها ، حتى يحقق بذلك للقارئ المتعة والفائدة معاً .

وحينما فكرت في اختيار شخصية المعافى بن زكريا النهرواني ، وتحقيق
كتابه لنيل درجة الدكتوراه ، كنت مدفوعاً بما سبق لي من محاولات في
تحقيق بعض كتب تراثنا العربي في أدب السمر الاسلامي مما يشابه في
موضوعه مع هذا الكتاب ، كذلك فإن قيمة الكتاب من حيث إنه الأثر
الباقى لعالم من علماء القرن الرابع الهجري : أزهى عصور الثقافة كانت

عاملاً آخر لا ينكر وكان من الغريب ألا يتناوله أحد بالدراسة والتحقيق حتى الآن .

إلا أنني بعد أن سرت شوطاً في العمل ، تكشف لي أنني - كما يقولون - لست أول سارٍ غرّة قمر ، فقد عرف هذا الكتاب وأدرك قيمته قبل عدد من العلماء والباحثين منهم الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة « العرب » السعودية ، الذي أشار في إحدى مقالاته فيها ^(١) إلى أنه إهم بهذا الكتاب منذ نحو أربعين عاماً وجمع لصاحبه ترجمة من مختلف المصادر ، كما إهم ببعض نسخ الكتاب واطلع عليها ، ثم يقول : إنه في إحدى زوراته للقاهرة صادف أحد العلماء المصريين ، وعرف في أثناء حديث بينهما أنه مهتم بالكتاب عازم على تحقيقه ، فكان أن أعطاه كل ما جمعه من مادة عن الكتاب ، ثم يذكر الشيخ الجاسر أن الكتاب قد تقرر نشره في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ثم اطلعت بعد ذلك على مقال كتبه في مجلة المجمع العلمي العربي ^(٢) في دمشق المستشرق الألماني الدكتور ألبرت ديريش رئيس قسم الدراسات الشرقية في جامعة فرانكفورت وقتئذ عن الكتاب ومؤلفه ، وبعد أن يشيد بهما يذكر أنه سوف يعمل على تحقيقه .

وكان عليّ بعدها أن أتقصي إلى أي حد وصلت هذه الجهود خشية أن أبذل في الكتاب جهداً يكون مكرراً أو معاداً ، فيذهب أدراج الرياح ، غير أنني تأكدت أن هذه الجهود لم تسفر عن شيء حتى الآن ، فاستعنت بالله وسرت في عملي .

(١) الجزء الحادي عشر ، السنة السابعة ، جلد الأول ١٣٩٣ هـ ، حزيران (يونيو) ١٩٧٣ م
صفحة ٨١٠ - ٨١١ .

(٢) الجزء الثالث من المجلد الثلاثين ، ١ تموز ١٩٥٥ م ، ١١ ذو القعدة ١٣٧٤ هـ ، من
صفحة ٣٨٠ إلى ٣٩٤ .

ولقد تكشف لي في أثناء العمل ما لعله أن يكون السبب في عدم ظهور الكتاب حتى الآن ، فهو كتاب ضخم حافل ضَمَّ نصوصاً من الكثرة بحيث تستلزم جهداً يساويها ضخامة في التحقيق والصحة والضبط ، والنسخة الوحيدة الكاملة للكتاب والموجودة بين أيدي الباحثين بها صفحات كثيرة رديئة ، وخطؤها من الدقة والصعوبة في بعض الأحيان بحيث لا تقدم كثيراً من المساعدة للمحقق ، ثم إن النسخ الأخرى لا تقدّم النص كاملاً ، فعمل هذا هو السبب في عدم ظهوره حتى الآن .

وعلى أي حال فلقد قبلت القيام بالعمل ، وكان علي أن أتحمّل عبء العناء في تحقيق هذا النص الذي طال به العهد ولم يصدر .

وهأنذا أقدم هذا الكتاب متضمناً قسمين :

الأول : دراسة عن المعافى بن زكريا النهرواني ، وعن أدب السمر حتى عصره .

الثاني : تحقيق كتابه .

ولقد فصّلتُ الحديث عن القسم الأول في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر المعافى .

وتناولت فيه بالذكر :

نبذة عن الحالة السياسية في عصره ، ثم الحياة العلمية في الأمة الإسلامية ، وتشجيع الحكام في دويلاتها المختلفة للعلماء ، بصفة عامة ، ثم الحديث عن بغداد موطن المؤلف بصفة خاصة وذكر أشهر العلماء الذين عاصروهم ، ومؤلفاتهم مع بيان المطبوع منها والمخطوط .

الفصل الثاني : المعافى في عصره :

ويتناول بالتفصيل :

أ - نسبه .

ب - نسبته .

ح - نشأته وشيوخه .

وعن شيوخه ذكرتُ كتبُ الراجم التي تحدثت عنه عدداً قليلاً منهم ، ولقد استطعت أن أضيف إلى ما ذكرته عدداً كبيراً نتيجة استقراي موسوعة تاريخ بغداد وذكر الخطيب البغدادي عرضاً عند ترجمته للعلماء الذين تحدث عنهم أن المعافى قد تتلمذ عليهم أو روى عنهم .

أ - ثقافته ومكانته العلمية :

ولقد أبنت في هذا عن ولعه بالمعرفة منذ نعومة أظافره ، وحرصه على التلقي عن العلماء حتى ألم بثقافة عصره ، ثم تحدثت عن مكانته العلمية العالية بين علماء هذا العصر حتى أقروا له جميعاً بالفضل ، وحتى قال أحدهم : لو أوصى أحد بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يدفع إلى المعافى !

ب - شهرته بالحريري :

ولقد بينت سبب شهرته بالحريري كما سبق ، وكشفت عن أنه هو الذي ترجم لشيخه ، واحتفظ بأسماء معتققي مذهبه الفقهي وأسماء مؤلفاتهم ، وعنه أخذهما ابن النديم وأثبتهما في الفهرست .

ج - مؤلفاته :

أما مؤلفاته فقد أوردتُ ما ذكره ابن النديم وياقوت عنها ، ولكنني استدركتُ عليهما ما ذكره المؤلف نفسه في ثنايا كتابه هذا ولم يذكره وهو عدد لا بأس به ، وإن كانت كلها للأسف عدا كتابنا هذا قد أضحت نهياً للضياع .

د - تلاميذه :

وعن تلاميذه لم أكتف بإيراد ما ذكرت كتب التراجم عنهم ، بل أضفت إليهم . كذلك ما أورده الخطيب البغدادي عَرَضاً في كتابه عنهم وهم عدد كبير .

هـ - حياته العامة والخاصة :

ولقد تحدثت في ذلك عن وظيفته الوحيدة التي نعرفها وهي توليه القضاء بباب الطاق ، ثم عن فَتْرِهِ ورقة حاله اللذين وصفهما أبو حيان التوحيدي بأبلغ وصف ، ثم عن رحلته إلى الصاحب بن عباد والتي انفرد بذكرها أبو حيان في كتابه أخلاق الوزيرين ، ولكنني أبنت أن المعافى لم يتخذ من شكاواه حرفة ، وأنها كانت كلها تحمل طابعاً عاماً نتيجة إباطه وتعفقه .

الفصل الثالث : المعافى الأديب ، ودراسة كتابه المجلس والأنيس :

أ - ولقد تحدثت في هذا الفصل بصفة عامة عن جوانب المعافى العلمية المتعددة ، والتي أتمها مؤلفه هذا في الأدب ليكمل حلقة ثقافته الموسوعية به .

ثم تحدثت عما ذكر المعافى من أن بعض تلامذته كان يكتبه عنه إملاءً في الوقت بعد الوقت ، ولم يذكر اسم أحد ، فكشفت عن هؤلاء وبينت أنهم خمسة على الأقل ، وذلك نتيجة استقرائي لتاريخ بغداد أيضاً . ودراسة النقول المروية فيه من كتاب المعافى .

أدب السمر والثقافة العامة :

ب - هذا ولقد أشار المعافى إلى بعض الكتب في أدب السمر مما يشبه كتابه ، وكان لا بد لي من وقفة عند تلك الكتب ما ذكر المؤلف منها وما لم يذكر ، فتحدثت عن نشأة ذلك الأدب وتطوره ، وأول تدوين حدث له ، وأشهر المؤلفين فيه وذكر مؤلفاتهم التي طبعت والتي ما تزال مخطوطة ، ثم

عن أهمية ذلك الأدب عند قارئيه وكيف أنه كان يسد حاجة ملحة لدى فريق من الناس لا يقبل على المتعة ولا اللهو الحرام .

منهجه في تأليف الكتاب ونقده للمبرد والصولي :

ح - ثم تحدثت عن منهجه في تأليف كتابه من واقع ما ذكره في مقدمته ، مبيناً الطريقة التي اختارها من تقسيم كتابه إلى مجالات يذكر فيها من كل شيء من العلوم طرفاً بحسب ما يحضر في الحال ، وحرصه في كل ما يشتهه على ذكر سند روايته له ، وبينت ما تختلف فيه هذه الطريقة مع طرق أخرى .

ولقد نقد المعافى كتاب الكامل للمبرد لأنه لم يلتزم مثله بذكر سند رواياته في كتابه ، وكنت في جانب المعافى في نقده هذا ، أما نقده للصولي فلم أقف معه فيه ، إذ يبدو في نقده له شيء من التحامل والقسوة ، وسنا نفهم كيف لا تعجبه مؤلفات الصولي ثم نراه ينقل عنه في كتابه هنا عدداً كبيراً جداً من الأخبار .

السند وقيمته في الكتاب :

ولقد أدانا نقد المعافى للمبرد في عدم ذكره لأسانيدَه إلى بحث في السند وقيمته ، فبينت آراء العلماء فيه ، من كان يحبذُه ومن كان يستهجنه ، وقد رجحت ما ارتآه المعافى من إثبات سند رواياته ، فالسند وإن كان شيئاً يمل منه القارئ العادي ويضيق به ، إلا أنه عظم القيمة بالنسبة للدارسين ، فبوساطته يمكن معرفة مصادر الأخبار وتقييمها والتعرف على أصحابها ، ومن المعروف أن دراسة السند قد لقيت عناية كبيرة من علماء الحديث ، ولكنهم لم تحفظَ بمثلها في دراسة أسانيد التاريخ والأدب واللغة وغيرها ، ولقد حاولنا الاستفادة من الأسانيد التي أوردها المعافى هنا في كتابه ، وبناء على ذلك فقد قسمنا مادة الكتاب إلى قسمين :

الأول : مادة رواها المؤلف عن شيوخه :

ومعنا في ذلك — رغم العنتِ والمشقة — بجمع المادة التي رواها عن كل شيخ من شيوخه ثم أوردناها — بعد التعريف به — مرتبة حسب العصور ، ولقد كشفت لنا هذه الطريقة عن نتائج هامة ، منها على سبيل المثال أن ما رواه عن الصولي يحتوي على أخبار كثيرة من الأجزاء الضائعة من كتابه الأوراق ويتضمن أخبار السفاح والمنصور والمهدي والمهدي والرشيد والأمين والمأمون .

وأن ما رواه عن ابن الأنباري وهو شيء كثير جداً من الأخبار الأدبية وبخاصة ما يتعلق منها بأخبار الخلفاء الأمويين ولولاهم لا يوجد في ما بقي من كتب ابن الأنباري التي بين أيدينا .

وأن ما رواه عن ابن دريد من أخبار مسجوعة عن ملوك اليمن الأقدمين وغيرهم يمكن أن يعد من الأحاديث الخمسين التي يقال إنها أصل المقامات التي نسج البديع الحمداني على منوالها وأشار إليها الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني ، ولقد أشرت بهذه المناسبة إلى تهمة الاختلاق التي حاول الدكتور زكي مبارك إلصاقها بابن دريد ، وفندت أدلته التي ساقها في هذا الشأن .

على أن الكشف الحقيقي يبدو فيما ساقه المعافي من أخبار عن عدد كبير من العلماء الذين عتوا بأدب السمر وكانت لهم مؤلفات فيه ، ولم يعن أحد بذكرهم وهم عدد كبير ، كالحسين بن القاسم الكوكبي الذي ألف كتاباً كبيراً في الأخبار لم تبق منه إلا تسع ورقات ، وما نقله عنه المعافي هنا من أخبار يعد أكبر مجموعة له وهي لا توجد في أي مصدر آخر مسندة إليه ، وكافي بكر محمد بن الحسن المقرئ صاحب التصانيف في التفسير والقرارات وكان له اهتمام بالأدب ، فألف فيه كتاب الحمقى والحماقة وهو كتاب مفقود ، وقد نقل عنه المعافي بن زكريا كثيراً من أخبار القضاة مما

يرجح أن الرجل كان له كتاب آخر في هذه الأخبار لم تذكر كتب التراجم عنه شيئاً .

ثم أبو بكر محمد بن مزيد الخزاعي ، المعروف بابن أبي الأزهر مستملي أبي العباس المبرد ، وكان هو الآخر مهتماً بالأدب ، وبقي من كتبه كتاب أخبار «عقلاء المجانين» ، إلا أن المعافى روى عنه كثيراً من أخبار الخلفاء والولاة والأدباء وغيرهم .

وما يقال عن هؤلاء يقال عن عدد آخر كبير من العلماء حفظ لنا المعافى اهتمامهم بالأدب وإسهامهم فيه ، وقد أوردناهم في بحثنا هذا وترجمنا لهم وذكرنا المادة التي رواها عنهم في كتابه .

المادة التي أودعها هو من عنده :

وهي تشمل العلوم اللسانية من نحو ولغة وتصحيح لأخطاء العامة ونقد وبلاغة وعروض ، ويلاحظ على ما أورده المعافى منها أنها ما تمس الحاجة إليه لدى جمهرة المتأدين ، ولكنه مع ذلك احتفظ لنا بالكثير من مسائل الخلاف النحوية بين الكوفيين والبصريين كما احتفظ لنا بآراء العلماء في المواد اللسانية الأخرى ، مما يجعل كتابه وثيقة مهمة تكشف عن الحياة الأدبية في القرن الرابع الهجري وتعد سجلاً للكثير من الآراء وقد قمنا ببحث تلك الآراء وتحريجها والتعليق عليها ، ولكن الأمر لا يزال محتاجاً إلى دراسة خاصة موسعة تكشف عن مدى اتفاقها أو افتراقها عن ما ورد منها في الكتب الخاصة بتلك العلوم .

وفيما عدا ذلك ، أورد المعافى عدداً قليلاً من مسائل الفقه والقراءات والحديث على سبيل الطرافة والإمتاع ، وكل مسائله الخاصة بالعلوم اللسانية أو الدينية تظهر بجلاء ما كان يتمتع به العلماء في القرن الرابع الهجري من شمول في المعرفة وموسوعية في الثقافة ، وأن ما بقي من كتبه جدير بأن توجه إليه عناية أكثر في البحث عنه ونشره .

اسلوب الكتاب وأهم مميزاتة :

ثم تحدثت بعد ذلك عن أسلوب المعافى في كتابه ، فيما يرويه عن شيوخه من أخبار ، وفيما يورده هو من تعليقات وبيّنت أنه في كلتا الحالتين أسلوب جزل رصين يلجأ إلى السجع أحياناً ولكنه لا يغرق فيه ، أما من ناحية مادته فهو يفتقر إلى الوحدة الموضوعية فيها شأن عدد كبير من الكتب التي ألّفت في فنه . وقد عقدت موازنة سريعة بينه وبين عدد من هذه الكتب كاملي القالي وكامل المبرد والبصائر واللخائر لأبي حيان ، وبيّنت ما يمتاز كتابنا عنهما .

النقول التي نقلت عنه :

على أنه ما يدل على أصالة كتاب المعافى وأهميته اعتناء العلماء به ونقلهم عنه ، وقد تكشف لي مثلاً أن السراج الوراق قد نقل في كتابه « مصارع العشاق » كل ما أورده المعافى في كتابه من قصص العشق ، وهي شيء كثير ، كما أن الخطيب البغدادي نقل عن المعافى في مائة وثمانية وعشرين موضعاً في كتابه تاريخ بغداد ، وذلك غير النقول التي نقلها عنه في كتبه الأخرى مثل « تقييد العلم » و « الكفاية » و « الفقيه والمتفقه » ، وفعل مثل ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق ، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ، وابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق ، والأبشيهي في المستطرف ، والكتب المتقدمة تنقل عنه بالعزّو إليه غالباً ، أما المتأخرة فلا تعزو إليه ولكن يدل على نقلها أن النص المنقول يكون هو كما ورد عن المعافى .

وفي هذا ما يدل على تأثيره في ثقافتنا العربية واعتبارها له منهلاً لا غنى عنه في إمدادها بالأخبار عن تلك الفترة المتقدمة .

تحقيق الكتاب :

وأخيراً كان تحقيق الكتاب ، ولقد بدأت العمل فيه يجمع كل ما

استطعت جمعه من نُسخه ، وفحصتها فحصاً دقيقاً لمعرفة قيمتها العلمية ،
ولقد جمعت لذلك ست نسخ مخطوطة من الكتاب ، من بينها نسخة
واحدة كاملة ، وهي لحسن الحظ أقدم النسخ وأصحها ، إذ كتبت سنة
٦٢٩هـ ثم قوبلت على أصلين مخطوطين من قِبَل عالم جليل هو العلامة ابن
القُوطي قِيم المكتبة المستنصرية ، كما قُرئت وصحّحت في مجالس ضمت
عددًا من العلماء من بينهم ابن القوطي على الشيخ الثقة المسند أبي الفرج
عبد الرحمن بن عبد اللطيف المقرئ البزاز بسنده إلى المؤلف .

إلا أن هذه النسخة قد شابهها بعضُ العيوب بفعل الزمن فانطلمست
بعض ألفاظها ، فضلاً عن أن ناسخها قد كتبها بخط بالغ الدقة جعل من
قراءتها ضرباً من مجاهدة النفس ومغالبة الصبر ، ولقد جعلت هذه النسخة
أماً بالرغم من ذلك ، وقمت بمقابلتها على النسخ الأخرى لإيضاح ما خفى بيانه ،
وقراءة ما عَسُرَت قراءته ، وأبنت عن ذلك في الهوامش .

أما التحقيق ، فقد بذلت فيه غاية الجهد ، وقمت في ذلك بتخريج
الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، والتعريف بالأعلام
الواردة في الأخبار ، ووضع عناوين لما ثم التعليق عليها بما فيه زيادة لإيضاح
أو إكمال نقص أو تصحيح وهم ، كما قمت بتخريج المسائل النحوية
واللغوية والصرفية والبلاغية وغيرها من مظانها بما فيه زيادة إفادة للقارئ ،
وتفتيق له وحث على القراءة . كل ذلك بما لا يخرج عن دائرة النص أو
يجاوز طبيعته .

هذا وإنني أدعو الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه بمنه وفضله ، وما
توفيقي إلا بالله هو حسي ونعم الوكيل .

الفصل الأول

عصر المعافي

الحالة السياسية — الحالة العلمية عموماً وفي بغداد خصوصاً — أشهر العلماء ومؤلفاتهم .

نبذة عن الحالة السياسية :

عاش المعافي بن زكريا النهرواني حياته كلها في القرن الرابع الهجري فهو قد ولد مع مطلع عام ٣٠٣ أو ٣٠٥ هـ ، وبقي فيه نحو سبعة أو خمسة وثمانين عاماً حتى سنة ٣٩٠ هـ ^(١) .

وفي هذا القرن بدأ الضعف يدب في جسد الخلافة العباسية في بغداد منذ أن ازداد نفوذ الأتراك في عهد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) حتى وصل بهم الأمر إلى حد قتل هذه الخليفة وتولية ابنه المنتصر ، ولم تظفر الدولة

(١) في هذه الفترة تولي الخلافة القتيبر (٢٩٥ - ٣٢٠) ، والقاهر (٣٢٠ - ٣٢٢) وقراني (٣٢٢ - ٣٢٩) ، والعتي (٣٢٩ - ٣٣٣) ، والمستكني (٣٣٣ - ٣٣٨) ، والطبع (٣٣٨ - ٣٦٣) ، والطائع (٣٦٣ - ٣٨١) والقادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢) .

بعد ذلك بالاستقرار بسبب عسف أولئك الأتراك ، وتوليبتهم من شاءوا من الخلفاء وعزلهم من شاءوا^(١) ، حتى إنه في خلال مائة عام منذ تولية المتوكل حتى دخول بني بويه بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، تولى الخلافة أربعة عشر خليفة غير واحد تولى الخلافة يوماً وليلة هو عبد الله بن المعتز^(٢) ، ولم يكن لهم جميعاً إلا اسمها .

وفي عهد القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) استطاع الخلفاء العباسيون التأكيد فقط على نفوذهم الديني وتقوية صلتهم بالرعية ، وقد عرف القادر بالله بالورع والديانة وحسن الاعتقاد ، حتى إنه ألف كتاباً في العقائد على مذهب أهل السنة وكان يقرأ كل جمعة في جامع المهدي ببغداد محاولاً بذلك استعادة هيبة الخلافة ، لكن النفوذ الفعلي ظل بيد الأمراء البويهيين الذين عرف بعضهم بالعدل والقيام على تدبير المملكة كعضد الدولة بن بويه (المتوفى ٣٧٢) فقد طهر السبل من اللصوص وأمر بعمارة منازل بغداد وأسواقها ، وكان يحب العلم والعلماء ، ويجري الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاة والشعراء وغيرهم من العلماء ، وعرف معظمهم وبخاصة من تولى بعده بالظلم والعسف والحصول على المال من أي طريق ، الأمر الذي جعل نفوس الناس تفيض بالحسرة والأسى ، وبخاصة الأدباء والعلماء الذين قاسوا لفرط حساسيتهم أكثر من غيرهم ، كما نراه فيما سجله أبوحيان التوحيدي في كتبه من شكاوى ، وكما نراه في بعض ما سجله المعافي في كتابه هنا من أنات .

(١) تاريخ الإسلام للسيامي لحسن إبراهيم حسن ٦/٣ ، ومقدمة كتاب أبي الفتح البستي ، حياته وشعره .

(٢) جدول تلمس الخلفاء العباسيين بالمرجع السابق ٣/٣ .

الحالة العلمية في الدولة

الاسلامية بصفة عامة ، وفي بغداد بصفة خاصة

بالرغم من تفكك الدولة وسوء الأحوال السياسية في العالم الإسلامي في ذلك العصر ، وبالرغم من سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية كذلك فلقد كان هناك رقي وازدهار في الحياة العقلية والفكرية .

وذلك لأن الحياة العقلية التي أرسى العلماء قواعدها في القرنين الثاني والثالث لم يحل دون إتمام بنائها وتعليته شامحاً تفرق الخلافة العباسية إلى دويلات ذات حواجز سياسية برغم عدم إنكارنا لتأثير تلك الحواجز إلى حد ما ، وذلك لأن تلك الدويلات التي استقلت عن الخلافة أخذت تشبه بها في تشجيع العلماء والأدباء واجتذابهم إلى حواضرها بالعطايا والهبات ، وبعد أن كانت بغداد وحدها مركزاً أصبحت هناك مراكز متعددة في كل دولة إسلامية ، ومن أهمها :

١ - الدولة البويهية وحواضرها الثلاث في شيراز والري أو أصبهان وبغداد ولقد كانت هذه الدولة حريصة على أن يكون وزراؤها من كبار الأدباء فَوَزَّرَها ابنُ العميد والصاحب بن عباد والوزير المهلبى وابن سعدان ممن كانت مجالسهم كعبةً للعلماء والأدباء في شتى البقاع .

٢ - الدولة السامانية في بخارى : وكانت بخارى توصف بأنها مثابة المجد ، وكعبة الملك ، وجميع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء السدر^(١) ، ويذكر الثعالبي في البتمة عدداً من أفاضل غربائها من العلماء والأدباء الذين كانوا يعيشون في رحاب السامانيين .

٣ - طبرستان ، وكان فيها بقايا الأسرة الزيارية التي قضى عليها البويهيون ومن أشهر ملوكها في ذلك الوقت شمس المعالي قابوس بن وشمكير (٣٦٦ - ٤٠٣ هـ) الذي كان هو نفسه عالماً أديباً جمعت أقواله ورسائله في الكتاب المعروف باسم كمال البلاغة^(٢) .

٤ - خوارزم ، التي كانت تحكمها الأسرة المعروفة باسم « مأمون » ومن أعرق ملوكها مأمون الثاني بن مأمون (٣٩٠ - ٤٠٧ هـ) ، وكان يعيش في رحابه جماعة من أعظم العلماء في ذلك العصر كابن سينا وأبي سهل المسيحي وأبي الريحان^(٣) البيروني وغيرهم .

٥ - حلب والجزيرة الفراتية ، وكان يحكمها بنو حمدان وكان أعظمهم سيف الدولة بن حمدان ، الذي عاش في كنفه مجموعة من ألمع أدباء ذلك العصر وشعرائه ، منهم ابن خالويه وأبو الطيب اللغوي والخلديان ، ومن الشعراء أبو الطيب المتنبي والسري الرفاء وأبو بكر الصنوبري وغيرهم .

٦ - مصر ، وكانت تحت حكم الأخشيديين ثم الفاطميين ، ومن علمائها في القرن الرابع أبو جعفر النحاس ، وابن ولاد ، وعلي بن الحسين

(١) أنظر بتيمة الدر ٩٥/٤ .

(٢) تاريخ الأدب العربي في إيران ١١٩/١ .

(٣) المصدر السابق ١١٨/١ .

(٤) التاريخ البيهقي ٣٧٥/١ .

الرؤاسي كراع النمل ، وأبو إسحاق النجيري ، ومن الشعراء ابن طباطبا العلوي ، وابن هانيء الأندلسي ، وابن وكيع التنيسي ، وأبو الحسن التهامي .

الحالة العلمية في بغداد وأشهر العلماء فيها :

أما بغداد فبالرغم مما وصل إليه حال الخلفاء فيها، فإنها مع ذلك لم تفقد مكانتها العلمية أمام العواصم الأخرى التي حاولت أن تزاخمها على هذه المكانة ، فنحن نراها في القرن الرابع ما تزال تزخر بالعلماء الأعلام ، الذين لم يكن أحدهم يعلم بأن ينال من الخليفة عشر ما كان يمنحه المهديُّ أو الرشيد لعالم كالأصمعي أو شاعر كأبي العتاهية ، مدبرين أمر معيشتهم بما كان يحصل عليه بعضهم من وظائف القضاء أو التدريس أو من الاشتغال بحرفة نسخ الكتب وغالباً ما كان معظمهم يعيش في فقر ولا يحصل من عيشه إلا على الكفاف^(١) .

• • •

هل يعني ذلك أنه لا تأثير لتشجيع السلطة في إنتاج العلماء؟ الواقع أنه لا يمكن إنكار هذا التأثير ، فلا بد للمرء من أن يرى صدى عمله منعكساً على الآخرين بصورة من صور التشجيع ، ولما لم يكن هذا التشجيع موجوداً ، فلا بد إذن أن يكون هناك من الأسباب والعوامل ما جعل الحالة العلمية مزدهرة برغم كل العوائق والمثبطات .

ويمكننا أن نقول إنه من بين هذه الأسباب قوة الدفع العلمية طوال القرنين الثاني والثالث ، فقد كانت قوة جارقة دفعت تيار الحضارة في القرن الثاني بكل مجالاتها الروحية والعلمية والمادية دفعاً ، سواء ساعدته السلطة أم لم تساعد .

(١) انظر الفصل الأول من كتاب أبي الفتح البستي ، حياته وشعره .

يضاف إلى ذلك أن العقيدة الدينية كانت راسخة قوية في نفوس العلماء، الأمر الذي جعلهم يعدّون خدمة العلم ضرورة محتمة يرجون ثوابها من الله سبحانه وتعالى، ويستصغرون دونه أي جزء آخر، ولعل خير مثال على ذلك - والأمثلة لا تحصى - أن أبا عبد الله الحسن بن حميد البغدادي الحنيلي (٤٠١ هـ) كان يقوم بالتدريس ثم ينسخ بيده وريقات من أجره على ذلك، وقد ناظر أبا حامد الأسفرائيني في وجوب الصيام ليلة الغمام في دار القادر بالله، بحيث يسمع الخليفة الكلام، فخرجت الجائزة السنية له من أمير المؤمنين، ولكنه ردّها مع حاجته الماسّة إلى بعضها فضلاً عن جميعها، تعفّفاً وتزهداً^(١).

• • •

وكان في بغداد في القرن الرابع عدد جم من العلماء في كل فن وإذا كان ابن قتيبة قد قال : « من أراد أن يكون عالماً فيلقصِد إلى فنٍّ واحد من العلم، ومن أراد أن يكون أديباً فليأخذ من كل فنٍّ بطرف » فإن ذلك لا يصدق على علماء القرن الرابع الذين كان معظمهم يجيد الفنون كلها ولا يقتصر على طرف منها، ويستطيع القارئ أن يدرك ذلك دون التذكير به فيما سوف نذكر من علماء بغداد وعلومهم التي اشتهروا بها :

فمن علماء التفسير الإمام المجتهد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٦ هـ) صاحب التفسير الشهير « جامع البيان عن تفسير آي القرآن ».

وأبو زيد البلخي أحمد بن سهل (٣٢٢ هـ) وكان فاضلاً في علوم كثيرة يسلك طريق الفلاسفة، وله من كتب التفسير : « نظم القرآن »،

(١) طبقات الخبابة ٣٥٩ .

و « غريب القرآن » ^(١) وكتاب في تفسير سورة الفاتحة .

وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٥ هـ) الذي صنف تفسيراً للقرآن بلغ من قيمته أن سئل الصاحب بن عباد يوماً لم لا يصنف تفسيراً للقرآن ! فقال : وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً ^(٢) ؟

ومن المحدثين يبرز كل من : أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥ هـ) صاحب كتاب « السنن » .

والحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن محمد (٤٠٤ هـ) صاحب « المستدرک على الصحيحين » وهما قد ألفا كتابيهما لاعتقادهما أن كثيراً من الحديث الصحيح قد فات جامعيه الأولين ^(٣) .

والحسين بن عبد الرحمن بن خلاد الراهزمي (٣٦٠ هـ) صاحب « المحدث الفاصل بين الراوي والواعي » ^(٤) في علم دراية الحديث .

وأبو بشر محمد بن أحمد الدولابي (٣٢٠ هـ) صاحب كتاب « الكنى والأسماء » ^(٥) .

والقاضي أبو عبد الله الحسن بن إسماعيل المحاملي الصَّبَّي (٣٣٠ هـ) صاحب « الأمل في الحديث » ^(٦) .

وكان من برز في التاريخ : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، صاحب كتاب « أخبار الأمم والملوك » ، والمعروف بتاريخ الطبري .

(١) الفهرست ١٣٨ ، ومعجم الأدباء ١٤٨/١ .

(٢) طبقات المفسرين للسيوطي ٣٨ .

(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٣٣٩/١ .

(٤) طبع هذا الكتاب بتحقيق محمد عجاج الخطيب في دمشق سنة ١٩٧٠ .

(٥) نشر في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٢٢ هـ .

(٦) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٧٣ حديث .

وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي (٣٣٥ هـ) صاحب كتاب
«الأوراق في أخبار بني العباس وأشعارهم»^(١).

وأبو بكر بن محمد بن خلف بن حيّان بن صدقة الملقب بوكيع (نحو
٣٣٠ هـ) وله كتاب «أخبار القضاة» طبع.

وأبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي (٣٥٦ هـ)
صاحب «الأغاني» و«مقاتل الطالبين»^(٢).

وابن النديم محمد بن إسحاق صاحب «الفهرست» الذي بدأه سنة
٣٧٧ هـ.

وفي الفقه، برز في فقه الحنفية: أبو الحسن عبد الله بن الحسن الكرخي
(٣٤٠ هـ) رأس الحنفية في زمانه، وله رسالة في الأصول^(٣).

وأبو الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي (٤٢٨ هـ) صاحب
مختصر القدوري الشهير الذي لا يزال يدرس عند الحنفية إلى الآن^(٤).

ومن فقهاء الشافعية: أبو الحسن أحمد بن محمد بن القطان (٣٥٩ هـ)
وكان أشهر فقهاء بغداد، وله كتاب «الأحكام» لسياق آيات النبي عليه
السلام^(٥).

وأبو بكر محمد بن أحمد بن إسماعيل الشاشي القفال (٣٦٥ هـ)، وله
كتاب «الأصول»^(٦).

-
- (١) نشرت منه بنفس القطع وسياقي الحديث عنه مفصلاً فيما بعد .
(٢) نشره الأستاذ سيد صفير بمكتبة الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م .
(٣) نشرت بالقاهرة مع كتاب «تأسيس النظر للديوبسي» .
(٤) انظر تاريخ بغداد ٣٧٧/٤ ، الجوهر المنصية ٩٣/١ وقد طبع الكتاب في يومية ولكنهم
واستأبوا في السنوات : ١٣٠٣ هـ ، ١٨٧٦ م ، ١٣٠٩ هـ .
(٥) لم يطبع هذا الكتاب ويوجد مخطوطاً في مكتبة راغب باستانبول برقم ٩٧١ تفسير .
(٦) طبع في لكتنو ١٢٧٨ هـ ، وفي دلهي ١٣٠٣ هـ .

ومن فقهاء الحنابلة : عبد الله بن محمد بن حمدان العكبري المعروف
بأبن بطة (٣٨٧ هـ) وله كتاب « الإبانة عن أصول الديانة »^(١) .

ومن النحاة ، من مدرسة البصرة : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن
سهل الزجاج (٣١٦ هـ) وله من الكتب : « إعراب القرآن وتبيين معانيه »
و « سر النحو »^(٢) .

وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧ هـ) ، وله كتاب
« الجمل في النحو »^(٣) .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، وكان من العلماء الشعراء (٣٢١ هـ) ،
وله من الكتب « الجوهرة في اللغة » ، و « المجتني » وهو^(٤) يشتمل على
أقوال الرسول ﷺ وخلفائه إلى الحسن بن علي .

وأبو بكر محمد بن السري بن السراج اللغوي البغدادي (٣٦٦ هـ) وله
كتاب « الأصول في النحو »^(٥) .

وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه القسوي (٣٤٧ هـ) ، وله
« الهداية في النحو »^(٦) .

وأبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (٣٦٨ هـ) وله

(١) انظر طبقات الحنابلة ٣٤٦ ، ويوجد الكتاب مخطوطاً في مكتبة رامبور بالهند .
(٢) يعد الكتاب الأول رسالة دكتوراه في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وطبع الثاني باسم
« ما ينصرف وما لا ينصرف » بتحقيق هدى قراءة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بالقاهرة .

(٣) نشر بتحقيق محمد بن شنب بالجزائر سنة ١٩٢٧ .

(٤) طبعت الجوهرة في ثلاثة أجزاء بالهند سنة ١٣٤٥ هـ ، ونشر المجتني في حيدر آباد
١٣٤٢ هـ .

(٥) طبع عام ١٩٧٥ في النجف بتحقيق « عبد الحسين الفتلي » .

(٦) طبع في طهران سنة ١٢٩٨ .

- « شرح كتاب سيويه » و « طبقات ^(١) النحويين البصريين » ^(٢) .
- وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ) وله : « النكت في مجاز القرآن » ، و « توجيه اعراب أبيات ملفزة الاعراب » ^(٣) .
- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وهو حافظ متقن اللغة والحديث والتفسير (٣٢٨ هـ) ، وبقي من كتبه « الأضداد » و « شرح المفضليات » و « الإيضاح في الوقف والابتداء » ^(٤) .
- وأبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز غلام ثعلب ، ومن كتبه « المداخل والزادات » ^(٥) ، وكتاب « العشرات » .
- وأبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان المهلب الأزدی الملقب نفظويه (٣٢٣ هـ) وله من الكتب : كتاب المصادر وكتاب القوافي وغيرهما ^(٦) .
- وأبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه (٣٧٠ هـ) ، ومن كتبه كتاب « ليس في كلام العرب » ^(٧) .
- وأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٨١ هـ) صاحب « الأضداد » و « الإبدال » ^(٨) .
-
- (١) يطبع هذا الكتاب الآن في مطبعة دار الكتب المصرية بتحقيق لفيق من الأساتذة .
- (٢) نشر في الجزائر بتحقيق كركر سنة ١٩٣٥ .
- (٣) نشر الكتاب الأول في دهل سنة ١٩٣٤ ، ونشر الثاني في دمشق سنة ١٩٥٧ .
- (٤) نشر الأضداد في الكويت ١٩٦٠ ، وشرح المفضليات في ليدن ١٩١٢ ، والأخير في دمشق ١٩٧٢ .
- (٥) نشره الميمني بعنوان « المداخلات » .
- (٦) بنية الوعاة ١٨٧ ، وانظر نقطويه النحوي ودوره في الكتابة والتاريخ ١٢ .
- (٧) نشره الشنيطي في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ ، ثم نشر بعد ذلك ضمن كتاب الطرف البهية ١٢٣٠ .
- (٨) نشرهما عز الدين التنوخي في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٦٤ .

وأبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) صاحب «الخصائص» و«سر صناعة الاعراب»^(١).

ومن الأدباء والنقاد :

أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (٣٢٤ هـ) وكان تلميذ المبرد وتعلب ، كاتباً يمثل الأديب الأتيق ، ومن كتبه «الموشى في الظرف والظرفاء»^(٢).

وأبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤ هـ) ومن كتبه «الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء» ، و«معجم الشعراء»^(٣).

وأبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي البغدادي (٣٨٨ هـ) ومن كتبه «الرسالة الحاتمية» ، و«حلية المحاضرة في صناعة الشعر»^(٤).

وأبو علي الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٣٨٢ هـ) ومن كتبه «المصون في الأدب»^(٥) و«شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف»^(٦).

(١) نشر الأول بتحقيق محمد علي النجار بالقاهرة ١٩٥٢ ، ونشر الثاني بتحقيق مصطفى السقا وآخرين سنة ١٩٤٨ .

(٢) نشر مرتين في القاهرة وببيروت .

(٣) طبعا أكثر من مرة .

(٤) طبعت الرسالة الحاتمية وهي في ذكر سرققات المتنبي وساقط شعره ، مع ذكر حكم أرسطو التي استخدمها المتنبي - طبعت عدة مرات ، أما حلية المحاضرة فكانت موضوعاً لرسالة دكتوراه للأستاذ محمد الكتفاني قدمت إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة منذ خمس سنوات ، وقد طبعت مؤخراً بالمغرب .

(٥) طبع في الكويت بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، سنة ١٩٦٢ .

(٦) طبع في القاهرة بتحقيق الأستاذ عبد العزيز أحمد .

وأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٣٩٥ هـ) ، ومن كتبه « الصناعتين » وديوان المعاني وغيرهما .

هؤلاء هم العلماء الذين عاصرهم المعافى بن زكريا ، ويلاحظ أنهم جميعاً من أعلام العلماء الذين أثروا الثقافة العربية ، وما زالت كتبهم من العيون الثرة التي ينهل منها الباحثون والعلماء حتى يومنا هذا .

• • •

الفصل الثاني

المعافي في عصره ^(١)

نسبه :

هو أبو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد النهرواني
الجزيري ، كان أبوه زكريا بن يحيى يعرف بابن طرارة ، من العلماء ،
حدث عن أحمد بن علي البرهاري وأحمد بن يحيى الحلواني وعبد بن عثمان
ابن أبي شيبه وأحمد بن محمد بن منصور الحاسب .

أما مولده فقد كان يوم الخميس لسبع خلون من رجب سنة ٣٠٥ هـ ،
وقيل : سنة ٣٠٣ هـ .

(١) ترجم له في تاريخ بغداد ٢٣٠/١٣ ، ٢٣١ ، تذكرة الحفاظ ٢٠٣/٢ ، ٢٠٤ ، الأنساب
الورقة ١٢٩ ، إنباء الرواة ٢٩٦/٣ ، بنية الوعاة ٢٩٣/٢ ، ٢٩٤ ، البداية والنهاية
٢٢٨/١١ ، تاريخ ابن الأثير ٣٠٧/٧ ، غاية النهاية ٣٠٢/٢ ، الفهرست لابن النديم
٢٣٦ ، عيون التواريخ وفيات (٣٩٠) ، معجم الأدباء ١٥٠/١٩ - ١٥٤ ، المنتظم
لابن الجوزي ٢١٣/٧ ، ٢١٤ ، النجوم الزاهرة ٢٠١/٤ ، ٢٠٢ ، الأعلام لزركلي
١٦٩/٨ ، معجم المؤلفين لكحالة ٣١٢/١٢ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣١٨/٣
من الترجمة العربية .

نَسَبُهُ :

ينتسب المعافي إلى النهر و ان ، وهي كورة واسعة بين بغداد و واسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد ، وفيها عدة بلاد متوسطة منها اسكاف و جرجرايا و الصافية و دير قني و غير ذلك ، يسقيها نهر النهر و ان ، وهو نهر عظيم كان ينحدر موازياً لنهر دجلة ، و قد اندرس منذ أمد بعيد ، ولا يزال أثره يدل على عظمته ، و المسافر القاصد إيران من بغداد يعبره عند اقترابه من بقوبة .

و يذكر ياقوت أن النهر و ان كانت بلاداً عامرة بالخيرات ، كان عليها عام ٣٢٦ هـ لديوان خراج السلطان ألف ألف ومائتا ألف دينار ، ولكنها منذ أيام السلاجقة — أي في القرن الخامس الهجري خربت مدينتها و قرأها و ذلك بسبب اختلاف السلاطين و قتال بعضهم بعضاً ، و كان كل من ملك لا يحتفل بالعمارة بل كان قصده أن يحوصل و يطير ^(١) .

وينسب إلى النهر و ان جماعة من أهل العلم و الأدب ، منهم أبو أيوب أحمد بن عبد الصمد النهر و اني كان محدثاً ثقة يروى عن إسماعيل بن قيس و عن يحيى الأنصاري ، و أبو الحسين أحمد بن عمر بن روح النهر و اني تلميذ القاضي أبي الفرج المعافي ، و كان فاضلاً صدوقاً دينياً حسن المذاكرة مليح المحاضرة ، و أبو داود سليمان بن توبة بن زياد النهر و اني ^(٢) ، و محمد ابن جعفر بن سليمان بن نوح النهر و اني ^(٣) . و أبو حكيم إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين بن حماد بن إبراهيم النهر و اني البغدادي الفقيه الحنيلي و هو شيخ صالح نزل باب الأزج و له هناك مدرسة منسوبة إليه ، و كان حسن المعرفة بالفقه و المناظرة و تخرج به جماعة و انتفعوا به لخيره و صلاحه .

(١) معجم البلدان ٨٤٩/٤ - ٨٥١ .

(٢) ، (٣) الأنساب الورقة ١٢٩ .

ثمة نهروان أخرى غير نهروان العراق ، هي نهروان الغرب ذكرها القاضي أبو الفرج على سبيل التعجب من وجودها في قصة غريبة حدثت له فهو يقول : « حججت سنة فكننت بمنى أيام التشريق فسمعت منادياً ينادي « يا أبا الفرج ، فقلت في نفسي : لعله يريدني ، ثم قلت : في الناس خلق كثير ممن يكى أبا الفرج فلعله يريد غيري ، فلم أجبه ، فلما رأى أن أحداً لا يجيبه ، نادى : يا أبا الفرج المعافى ، فهممت أن أجيبه ، ثم قلت : يتفق من يكون اسمه المعافى وكنيته أبا الفرج ، فلم أجبه ، فرجع ونادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، فقلت : لم يبق شك في مناداته إياي ، إذ ذكر اسمي وكنيتي واسم أبي وما أنسب إليه ، فقلت له : هأنذا ما تريد ؟ فقال : ومن أنت ؟ فقلت : أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، قال : فلعلك من نهروان الشرق ؟ قلت نعم ، قال : نحن نريد نهروان الغرب ، فعجبت من اتفاق الاسم والكنية واسم الأب وما أنسب إليه ! وعلمت أن بالمغرب موضعاً يعرف بالنهروان غير نهروان العراق ^(١) .

نشأته وشيوخه :

إن نشأة المعافى بن زكريا في كنف والد من المشتغلين بالعلم كان له أثره في توجيهه إلى طلب العلم والحرص عليه وتبنيه ، وهي السمة البارزة في حياته ونشأته ، فالمتتبع لحياة المعافى العلمية يدّش لهذا العدد الجم من العلماء الذين تتلمذ عليهم أو أخذ عنهم .

وكانت بغداد في القرن الرابع مليئة بالمكتبات العامة ودكاكين الوراقين وفي الوقت الذي كان فيه بعض العلماء لا يجد غضاضة في أن يأخذ علمه من الكتب كأبي الفرج الأصبهاني مثلاً ^(٢) ، كان المعافى بن زكريا ينصب في

(١) معجم البلدان ٤ / ٨٥٠ .

(٢) تاريخ بغداد ١١ / ٣٩٩ .

ملاقاة العلماء والأخذ عنهم شفاهاً .

ولقد بدأ المعافي حياته العلمية مبكراً ، فنحن نراه في كتابه الذي بين أيدينا يسجل تواريخ مروياته للحديث ، وأول تاريخ مسجل هو عام ٣١٤ هـ^(١) أي أنه بدأ يحضر مجالس الحديث وهو في التاسعة أو الحادية عشرة من عمره ، وظل مواظباً على أخذ العلم دؤباً في تسجيله طيلة حياته ، حتى إننا نراه يأخذ عن أقرانه ونظرائه من العلماء كما سرى في ثبت من روى عنهم .

ويمكننا أن نقسم العلماء الذين روى عنهم المعافي إلى ثلاثة أقسام :

الأول : من ذكرتهم كتب التراجم في أثناء ترجمتها له .

الثاني : علماء بغداد أو الوافدين عليها الذين ترجم لهم الخطيب البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » وذكر من روى عنهم ومن بينهم المعافي .

الثالث : العلماء الذين روى عنهم المعافي في كتابه هذا الذين بين أيدينا ولم يرد في القسمين السابقين .

هذا وسوف نتحدث هنا عن القسمين الأولين ، ونرجى الحديث عن القسم الثالث إلى حين التحدث عن مصادر الكتاب لكي نتحدث عن طبيعة المادة التي أخذها المعافي عن كل عالم وضمنها كتابه .

أما القسم الأول فنذكر المراجع أنه أخذ عن :

١ - إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي المهلبي ، أبي عبد الله المعروف بنفطويه^(٢) ، وسمع من :

(١) المجلس والأنيس الورقة ١٣٢ .

(٢) كان عالماً بالعربية والفتنة والحديث ، حافظاً للسير وأيام الناس والتواريخ وصنف كتباً كثيرة ، توفي سنة ٢٢٣ هـ ، انظر ترجمته في معجم الأدباء ٣٠٧/١ ، تاريخ بغداد ١٥٩/٦ ، ابن التميمي ٨١ .

- ٢ - أبي القاسم البغوي ^(١) .
- ٣ - وأبي حامد محمد بن هارون الحضرمي ^(٢) .
- ٤ - وأبي بكر بن أبي داود ^(٣) .
- ٥ - وأبي سعيد العدوي ^(٤) .
- ٦ - ويحيى بن صاعد ^(٥) .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي ، كان محدث العراق في عصره ، عمر العمر الطويل حتى رحل الناس إليه ، وكتب عنه الأجداد والأحفاد والآباء والأولاد ، وكان ثقة مكثرًا ، صنف. المعجم الكبير الصحابة ، توفي سنة ٣١٧ هـ ، انظر الأنساب ٨٦ .

(٢) المعروف بالبرائي ، محدث ثقة ، سمع من محمد بن علي الجهضمي والوليد بن شجاع السكوني وأبا مسلم الواقدي وغيرهم ، روى عنه محمد بن إسماعيل الوراق وأبو بكر بن شاذان وأبو الحسن الدارقطني ، ولد سنة ٢٢٥ هـ ، وتوفي عام ٣٢١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣٥٨/٣ .

(٣) هو أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، من أهل العلم والفقه والإفتاء ، وكان فهمًا من كبار الحفاظ ، توفي عن ست وثمانين سنة عام ٣١٦ هـ ، تاريخ بغداد ٤٦٤/٩ ، ميزان الاعتدال ٤٣٣/٢ .

(٤) هو الحسن بن زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر أبو سعيد العدوي البصري . سكن بغداد وحدث بها عن جملة من الشيوخ ، وروى عنه الدارقطني ، ولكنه عرف بوضعه للحديث ، ولد سنة ٢١٠ هـ ، وعمر حتى سنة ٣١٩ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٢١٢/٦ .

(٥) هو يحيى بن محمد بن صاعد ، أبو محمد ، مول أبي جعفر المنصور ، ولد سنة ٢٢٨ هـ ، ورحل في طلب الحديث إلى البلاد وكتب وحفظ ، سمع أحمد بن منيع ، وبن تبار ، ومحمد ابن المنهجي ، والبخاري وخلقًا كثيرًا ، وروى عنه البيهقي والجوابي وابن المنذر والدارقطني ، وكان ثقة مأمونًا من كبار حفاظ الحديث ، توفي سنة ٣١٧ هـ ، تذكرة الحفاظ ٧٧٦/٢ ، طبقات الحفاظ ٣٢٥ .

٧ - وأبي عبد الله المحاملي ^(١) .

وقرأ على :

٨ - ابن شنبوذ ^(٢) .

٩ - وأبي مزاحم الخاقاني ^(٣) .

١٠ - وأبي عيسى بكار ^(٤) .

وهؤلاء هم جملة الشيوخ الذين ذكرتهم مصادر ترجمته .

أما القسم الثاني من شيوخه الذين روى عنهم فهم الذين ذكرهم الخطيب البغدادي في تاريخه ، وهم جملة وافرة من العلماء ، وسوف نذكرهم هنا وإلى جانب كل منهم مكان وروده في تاريخ بغداد ، وهم :

(١) نسبة إلى المحاملي التي يحل فيها الناس على الجبال إلى مكة ، وهو بيت كبير في بغداد لجباة من أهل العلم والحديث ، منهم أبو عبد الله الحسين بن إسحاق المحاملي ، كان فاضلاً صدوقاً ديناً ثقة ، ولي قضاء الكوفة ، وكان يحضر مجلس إجلاله عشرة آلاف رجل ، توفي سنة ٣٢٠ ، انظر تاريخ بغداد ١٩/٨ ، تذكرة الحفاظ ٨٢٤/٣ ، طبقات الحفاظ ٢٤٣ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ ، الإمام أبو الحسن البغدادي ، شيخ الإفرام بالعراق ، أحد من جال في البلاد في طلب القراءات ، مع الثقة والخير والصلاح والعلم ، أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم الحريبي ، وقرأ على أبي إسحاق والفضل أبي غنم وغيرهم ، وكان يقرأ بالشواذ ، وضربه الوزير ابن مقله لذلك واستتابه ، توفي سنة ٣٢٧ هـ ، انظر غاية النهاية ٥٦/٢ .

(٣) هو موسى بن عبيد الله بن يحيى بن شاذان ، أبو مزاحم الخاقاني البغدادي ، إمام مقريه مجود محدث أصيل ثقة ، أخذ القراءة عرضاً عن الحسن بن عبد الوهاب ومحمد بن الفرج ، كلاهما عن الدوري عن الكسائي ، وهو أول من صنف في التجويد ، توفي سنة ٣٢٤ هـ ، غاية النهاية ٣٥/٢ .

(٤) بكار بن أحمد بن بكار ، أبو عيسى البغدادي ، مقري ثقة مشهور ، قرأ على الحسن بن الحسن الصوائف وأحمد بن يعقوب وابن مجاهد ، وقرأ عليه جمع كبير من الشيوخ ، غاية النهاية ١٧٧/١ .

- ١ — محمد بن أحمد بن أسد الحافظ المعروف بابن البستيان (٢٧٩/١) .
- ٢ — محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الله ، أبو جعفر الهروي . (٢٥٥/١) .
- ٣ — محمد بن جعفر بن مسكويه ، أبو العباس الرازي . (١٣٧/٢) .
- ٤ — محمد بن جعفر بن سليمان بن نوح النهرواني . (١٣٨/٢) .
- ٥ — محمد بن حماد بن بغداد الصيدلاني (٢٨٧/٢) .
- ٦ — محمد بن عمر بن حفص السدوسي (٢٤/٣) .
- ٧ — محمد بن عمر بن حفص بن الحكم ، أبو بكر الثغري ويعرف بالقبلي (٢٤/٣) .
- ٨ — محمد بن الفتح القلاسي (١٦٧/٣) .
- ٩ — محمد بن محمد بن يزيد المقرئ النهرواني (٣١٦/٣) .
- ١٠ — محمد بن يحيى بن هارون ، أبو جعفر الإسكافي (٤٢٦/٣) .
- ١١ — أحمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي . (٦٢/٤) .
- ١٢ — أحمد بن جعفر المهندس النيسابوري (٧٠/٤) .
- ١٣ — أحمد بن الحسن بن منصور السامح (٨٩/٤) .
- ١٤ — أحمد بن الحسن بن أحمد بن الخليل النيسابوري (٦٠/٤) .
- ١٥ — أحمد بن عبد الله بن حمدويه ، أبو عبد الله النهرواني (٢٣٢/٤) .
- ١٦ — أحمد بن عبد الجبار بن إسحاق بن قيس ، أبو بكر الصوفي (٢٦٥/٤) .
- ١٧ — أحمد بن محمد بن أحمد بن رامين الخراساني (٣٦٤/٤) .
- ١٨ — أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرجال الصالح (٣٨٥/٤) .
- ١٩ — أحمد بن محمد بن عصام الترمذي (٧٦/٥) .
- ٢٠ — أحمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن ، أبو ذر الأزدي المعروف بابن الباغندي . (٨٦/٥) .

- ٢١- أحمد بن محمد بن يونس بن مسعدة بن خباب - وقيل / جناب -
أبو العباس القزاري الأصبهاني . (١٢٣/٥) .
- ٢٢- أحمد بن موسى بن إسحاق بن موسى ، أبو عبد الله الأنصاري
(١٤٤/٥) .
- ٢٣- أحمد بن محمد بن هاشم ، أبو العباس الكناني الكوفي ، يعرف بالفينيدي
وبالطريقي . (١٩٩/٥) .
- ٢٤- أحمد بن سليمان بن محمد ، أبو جعفر الباهلي . (٣٠٣/٥) .
- ٢٥- إبراهيم بن دارم بن أحمد بن الحسين بن عبد الله بن المغيرة بن
عبيد الله أبو إسحاق الدارمي ، ويعرف بنهشل النهشلي (٧٢/٦) .
- ٢٦- إبراهيم بن أحمد بن عبد الله ، أبو إسحاق الرازي ، قاضي قزوین
(١٠/٦) .
- ٢٧- إبراهيم بن سليمان بن حمويه الدهان ، أبو إسحاق المروزي .
(٨٨/٦) .
- ٢٨- إبراهيم بن الفضل بن حيان الحلواني ، قاضي سر من رأى
(١٤٠/٦) .
- ٢٩- إسحاق بن موسى ، أبو عيسى الرملي (٣٩٥/٦) .
- ٣٠- جعفر بن محمد بن عبدويه ، أبو عبد الله المعروف بالبرائي. (٢٢٠/٧) .
- ٣١- الحسن بن سعيد البزدوي (٣٢٦/٧) .
- ٣٢- الحسن بن علي بن عبيد ، أبو محمد الخلال المعروف بابن الكوسج
(٣٨٦/٧) .
- ٣٣- سهل بن أحمد بن الفضل ، أبو حميد المعروف بالمكني (١٢٠/٩) .
- ٣٤- طلحة بن محمد بن أبي إسرائيل ، أبو محمد الجوهري (٣٤٩/٩) .
- ٣٥- عبد الله بن محمد بن إسحاق ، أبو القاسم المعروف بمحاضر رأسه .
(١٢٤/١٠) .

٣٦- عبد الرحمن بن عثمان الشهوري ، أبو الحسن (٢٩٠/١٠) .

٣٧- عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله ، أبو القاسم الأزدي النحوي . (٣٥٨/١٠) .

٣٨- علي بن سليمان بن الفضل ، أبو الحسن الأخفش النحوي ، سمع أبي العباس ثعلباً والمبرد وفضلاً اليزيدي ، وأبا العيْناء الضريّر وروى عنه علي بن هارون القرميسيني ، وأبو عبيد الله المرزباني والمعافي بن زكريا ، توفي عام ٣١٥ هـ . (٤٣٣/١٢) .

٣٩- الفضل بن محمد بن الحسين ، أبو عيسى الحُرّامي ، حدث عن الفتح ابن شخرف وأبي قلابة الرقاشي وروى عنه المعافي . (٣٨٧/١٢) .

٤٠- الفضل بن عبد الله بن مرزوق ، أبو الربيع النهرواني ، حدث عن إسماعيل بن إسحاق القاضي ، وروى عنه المعافي . (٣٧٨/١٢) .

ويلاحظ على هذه القائمة الطويلة التي استخلصناها من استقراؤنا لتاريخ بغداد أنها تضمنت عدداً كبيراً من العلماء وهي تبين إلى أي حد بلغ حرص المعافي على ملاقة العلماء والجهد الذي بذله في ذلك .

كما يلاحظ أن كثرة من هؤلاء العلماء كانوا ممن وفدوا على بغداد من مختلف الحواضر الإسلامية فبعضهم كان من نيسابور وبعضهم من قزوین وبعضهم من الرّي أو مرو أو خراسان ، وذلك كما يتضح من نسبتهم ، ولعل حرصه على ملاقاتهم أنه لم تؤثر له رحلة إلى تلك البلدان لطلب العلم كما كان يفعل الكثير من علماء عصره ، وكل ما ذكره هو عن تنقلاته لم يتعد حدود العراق وبلدانه مثل : النهروان ، بغداد ، سر من رأى ، البصرة ، ثم مكة والمدينة وهو في رحلة الحج .

نعم ثمة إشارة تفيد أنه ذهب إلى الرّي وافداً على الصاحب بن عباد ولكن لم تكن هذه الرحلة لطلب العلم ، كما سوف نبين فيما بعد .

ثقافته ومكانته العلمية :

لا جدال في أن رجلاً مجتهداً يلقي كل هذا القدر من الشيوخ لا بد أن يصبح ذا ثقافة واسعة ، وبكفي أن نعلم أن ما ذكره الخطيب البغدادي من شيوخه يمثل بالدرجة الأولى علماء الحديث فقط ، وهو أيضاً لم يذكرهم كلهم بل ذكر ما عثر عليه منهم في مراجعته ، بدليل أن المعافي صدر كل مجلس من مجالسه المائة بحديث رواه عن أحد شيوخه ، وبعض هؤلاء لم يرد فيما ذكره الخطيب من شيوخ ، فإذا كان هؤلاء هم شيوخه في الحديث فقط فكيف كان يبلغ عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم القنون الأخرى .

ثمة قصة يذكرها أحمد بن عمر بن روح النهرواني أحد تلامذة المعافي تدل على غزارة علم أستاذه إذ يقول : « إن المعافي حضر في دار بعض الرؤساء وكان هناك جماعة من أهل العلم ، فقالوا : في أي نوع من العلم نتذكر ؟ فقال المعافي للرئيس صاحب الدار : إن خزانة جمعت أنواع العلوم وأصناف الأدب ، فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها يضرب بيده إلى أي كتاب منها فيحمله إليك ، ثم تفتحه فتتظر في أي علم هو فتتذكر ونتجاري فيه » .

ثم يقول أحمد بن عمر بن روح : وهذا يدل على أن المعافي كان له أنسة بسائر العلوم ^(١) .

ويتفق كذلك كل من عاصره على وصفه بأسمى درجات العلم والفضل ، يقول عنه تلميذه أبو حيان التوحيدي : « كان غزير العلم ، واسع الأدب ، مشهور الفضل ، عارفاً بصنوف العلوم ولا سيما علم الأثر والأخبار ، وسير العرب وأيامها » ^(٢) .

(١) معجم الأدباء ١٩/١٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

ويصفه ابن النديم بقوله : « أوحده عصره في مذهب أبي جعفر الطبري وحفظ كتبه ، ومع ذلك متفنن في علوم كثيرة مضطلع بها ، مشار إليه فيها ، في نهاية الذكاء وحسن الحفظ ، وسرعة الخاطر في الجوابات »^(١) . وكان أبو محمد البائي^(٢) يقول : « إذا حضر المعافي فقد حضرت العلوم كلها » ، وكان يقول « لو أن رجلاً أوصى بثلاث ماله لأعلم الناس لوجب أن يدفع إلى المعافي »^(٣) .

ويقول الخطيب البغدادي : « سألت البرقاني^(٤) عنه - أي عن المعافي - فقال : « كان أعلم الناس وكان ثقة »^(٥) .

ولقد كان المعافي يتمتع بين علماء عصره بمكانة كبيرة واحترام عظيم ، ونتيجة لهذا فقد كان يتحدث حين يتحدث عالم جليل إلى بغداد أن يستدعي علماءها من ذوي الفضل للاحتفاء بالضيف وتكريمه والاستماع إليه ، وكان المعافي من بين هؤلاء الذين يستندعون في هذه المناسبات ، ويذكر القاضي أبو الطيب الطبري قصة في هذا الصدد ، فيقول : « إن أبا سعد الإسماعيلي^(٦) ورد بغداد حاجاً سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فلم يقض له

(١) الفهرست ٣٢٨ .

(٢) هو عبد الله بن محمد البخاري البائي نسبة إلى بان قرية من قرى غوارزم ، وفي تاريخ بغداد « البائي » تحريف ، وكان البائي فقيهاً على مذهب الشافعي ، وله معرفة بالنحو والأدب ، مع عارضة وفصاحة ، حاضر البهية يقول الشعر المطبوع من غير كلفة ، توفي عام ٣٩٨ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٠/١٣٩ ، إنباء الرواة ٢/١٣٢ .

(٣) معجم الأدباء ١٥٢/١٩ ، ونزهة الألباء ٣٣٠ .

(٤) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب النوارزمي الشافعي البرقاني شيخ بغداد ، وكان كما يقول الخطيب ، ثقة ثباتاً ورعاً ، لم نر في شيوعنا أثبت منه ، عارفاً بالفقه كثير الحديث ، صنف وخرج على الصحيحين ، توفي عام ٤٢٥ هـ ، تاريخ بغداد ٤/٢٧٣ .

(٥) تاريخ بغداد ١٣/٢٣٠ .

(٦) هو إسماعيل بن أحمد أبو سعد الجرجاني المعروف بالإسماعيلي ، ورد بغداد غير مرة وآخر مرة كانت في حياة أبي الحسن الفارقي، حدث عن أبيه أبي بكر الإسماعيلي =

الخروج ، فأقام سنة حتى حج من قابل ، وحدث ببغداد وعقد له الفقهاء مجلسين ، تولى أحدهما أبو حامد الاسفراييني وتولى الآخر أبو محمد الباني ، فبعث الباني إلى القاضي أبي الفرج المعافى بن زكريا وبابنه أبي الفضل يسأله حضور المجلس ، وكتب إليه بهذين البيتين :

إذا أكرم القاضي الجليلُ وليهُ وصاحبهُ ألفاه للشكر موضعاً
ولي حاجة يأتي بُنيّ بذكرها ويسألهُ فيها التطولُ أجمعاً
فأجابه القاضي أبو الفرج :

دعا الشيخُ مطوعاً سمياً لأمره يوانيه باعاً حيث يرسم إصبعاً
وهأنذا غادٍ في غدٍ نحو داره أبادرُ ما قد حدهُ لي مسرعاً
على أنه يجب القول أنه إذا كان هناك من يعرف للمعافى قدره ومكانته ، فلا بد أن يكون هناك من ينفس عليه هذه المكانة ويحسده عليها ، ولهذا نراه في بعض شعره يقول :

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه إذا لم ترض لي ما وهب ^(١)

شهرته بالجزيري :

اشتهر القاضي أبو الفرج بهذه النسبة اشتهاً كبيراً حتى صارت علماً عليه وسمة بارزة من سمات جوانبه العلمية وهي الفقه .

== وعن أبي العباس الأصم النيسابوري ، ومحمد بن أحمد بن حفص النيسابوري ، ومحمد بن علي بن دحيم الكوفي ، وكان ثقة فاضلاً فقيهاً على مذهب الشافعي ، وكان سخيّاً جواداً ، مفنلاً في ولده وأهل بيته على أهل العلم والرياسة في بغداد ، توفي سنة ٣٩٦ هـ ؛ انظر تاريخ بغداد ٣٠٩/٦ ، ٣١٠ .

(١) معجم الأدباء ١٥٣/١٩ .

ذلك لأن هذه النسبة هي نسبة إلى أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر والمؤرخ الأشهر الذي كان بالإضافة إلى ذلك ذا مذهب فقهي اجتهد في استنباطه وإقامته ، واتبع مذهبه هذا عدد من علماء عصره وبعد عصره ، ويذكر بروكلمان أن مذهب أبي جعفر وجد من ينصره في القرن الرابع الهجري في شخص القاضي المعافى بن زكريا ^(١) ، فقد ناصره وحامى عنه وألف كتباً كثيرة في شرحه حتى اشتهر بهذه النسبة المشار إليها ، وكان يفخر بها ويعتدّ الإمام الطبري بشيخه الكبير الذي يكنّ له الكثير من التقدير والإجلال .

ولكن هل كان الطبريّ شيخه المباشر ، الواقع لا ، إذ أننا نعلم أن المعافى ولد عام ٣٠٣ أو ٣٠٥ والإمام الطبري توفي سنة ٣١٠ هـ ، فلا يمكن أن يكون قد سمع من شيخه شيئاً وهو في سن الخامسة أو السابعة ، ومع ذلك فإننا نراه يعتنق مذهبه ويصحب المرجع الأول فيه في عصره .

ولقد احتفظ لنا المعافى بترجمة لشيخه ، كما احتفظ لنا بأسماء من اتبعوا مذهبه ، ونقل ذلك ابن النديم في الفهرست ، فهو يروى قول المعافى عن الطبري « هو علامة وقته وإمام عصره ، قرأ الفقه على الإمام داود الظاهري ، وأخذ فقه الشافعي عن الربيع بن سليمان بمصر والحسن بن محمد الزعفراني ببغداد ، وفقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى وبني الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد وابن أبي وهب ، وأخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري ، وأدرك الأسانيد العالية بمصر والشام والعراق والبصرة والري ، وكان متفتناً في جميع العلوم » ^(٢) .

ولقد ألّف الطبري في فقهه كتباً ، منها : كتاب اللطيف في الفقه ، والخفيف ، والشروط الكبير ، والشروط الصغير ، وأدب القاضي ،

(١) تاريخ الأدب العربي ٣/ ٣١٨ .

(٢) الفهرست ٢٤٨ .

وكتب : الطهارة ، والصلاة ، والزكاة وغيرها .

وتبع الطبري وتفقه على مذهبه عدد من العلماء ذكرهم المعافى ،
ومنهم :

علي بن عبد العزيز الدولابي ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي
الثلج الكاتب ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور
المنجم المتكلم ، وأبو الحسن الدقيقي الحلواني الطبري ، وأبو الحسين بن
يونس المتكلم ، وأبو بكر أحمد بن كامل بن شجرة ، وأبو إسحاق إبراهيم
ابن حبيب السقطي الطبري ، وأبو مسلم الكجي ، ينتمي إلى أبي جعفر في
الفقه ، وهو في سنه .

ولكل واحد من هؤلاء مؤلفات في فقه أبي جعفر ، ذكرها المعافى
بالتفصيل ونقلها عنه ابن النديم في الفهرست .

إلا أن هؤلاء جميعاً لم يشتهر أحد منهم بانتمائه إلى مذهب ابن جرير
كشهرة القاضي أبي الفرج المعافى ، ولا ندري السبب في ذلك : هل كان
والده جريري المذهب فاقضى أثره ؟ أو أن المعافى وقد وصل إلى ما وصل
إليه في العلم رأى في هذا المذهب ما يرجحه عنه فاختاره على غيره ،
أو هو شدة الإخلاص لهذا المذهب ، والدعوة إليه ومحاولة نشره .

وللأسف لا نملك الإجابة البينة عن ذلك فنحن لا نعرف شيئاً عن مذهب
والده ، كما أننا لا نملك المراجع التي يمكن أن نجيبنا عن التساؤل الثاني إذ
أن كل ما كتب عن المذهب الجريري سواء صدر عن صاحب المذهب نفسه
أو أحد تلامذته ضاع مع ما ضاع من تراثنا الاسلامي ، وربما كان السبب في
ضياعها هو اندثار المذهب نفسه مع ما اندثر من المذاهب الفقهية الأخرى
التي كانت من الكثرة بحيث يذكر الإمام الطبري نفسه أنها بلغت في عصره
نحواً من خمسمائة مذهب ، فلم يبق أحد يحفظ كتب المذهب أو انتساخها
جيلاً بعد جيل .

وهكذا ضاع هذا المذهب جملة ولم يبق منه إلا تفاصيلٌ قليلة قد يعثر عليها الباحث بعد التتبع في التفسير الكبير للقرآن الذي ألفه الإمام الطبري ، والمسمى « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » .

مؤلفاته :

كان القاضي أبو الفرج مكثرًا من التأليف في الفنون العلمية الكثيرة التي كان يجيدها من تفسير وقراءات وحديث وفقه بالإضافة إلى علوم العربية والأدب .

ولقد ذكرت كتب التراجم عدداً من مؤلفاته معتمدة على ما ذكره ابن النديم منها ، والواقع أن ابن النديم ذكر له عشرين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة ، ولكن ذلك ليس كل ما ألفه المعافى من كتب ، فابن النديم يروي عن المعافى قوله له : « إن له نيفاً وخمسين رسالة » (١) .

ونحن نعتقد أن تلك الرسائل شيء غير الكتب التي ألفها ، ونعتقد أن المعافى كان يعني ذلك أيضاً فهو لا يمكن أن يعدّ كتابه الضخم في تفسير القرآن والذي يتكون من ست مجلدات (٢) رسالة ، كما لا يمكن أن تعدّ نحن كتابه هذا الذي بين أيدينا رسالة ، وعلى ذلك فقد كان للمعافى نيف وخمسون رسالة غير كتبه الكبيرة الأخرى .

ولقد سجل ابن النديم عشرين مؤلفاً للمعافى كما ذكرنا ، وأورد المعافى عدة مؤلفات له خلال كتابه الذين ندرسه استخلصناها منه ، وها نحن أولاء نورد ههما كما يلي :

(١) الفهرست ٣٤٨ .

(٢) انظر طبقات المفسرين للداودي ٣٢٤ .

(أ) الكتب التي ذكرها ابن النديم :

- ١ - كتاب التحرير والمقرر في أصول الفقه .
- ٢ - كتاب الحدود والعقود في أصول الفقه أيضاً .
- ٣ - كتاب المرشد في الفقه .
- ٤ - شرح كتاب المرشد .
- ٥ - كتاب المحاضر والسجلات .
- ٦ - شرح كتاب الخفيف للطبري .
- ٧ - كتاب الشافي في مسح الرجلين .
- ٨ - كتاب الشروط .
- ٩ - أجوبة الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني .
- ١٠ - الرد على الكوفي في مسائل .
- ١١ - الرد على أبي يعقوب البلخي في اقراض الإمام .
- ١٢ - كتاب الرد على داود بن علي .
- ١٣ - رسالة إلى العنبري القاضي في مسائل الوصايا .
- ١٤ - كتاب في تأويل القرآن ^(١) .
- ١٥ - الرسالة في واو عمرو .
- ١٦ - القراءات .
- ١٧ - المحاورة في العربية .
- ١٨ - شرح كتاب الجرمي .
- ١٩ - رسالة عمرو .
- ٢٠ - الجليس والأنيس .

(١) الفهرست ٣٢٩ .

(٢) اسمه « البيان الموجز في علم القرآن المعجز » كما يذكره المؤلف مراراً

ب - الكتب التي ذكرها المؤلف لنفسه في كتابه هذا :

- ١ - كتاب في علل القراءات وبيان وجوها (١) .
 - ٢ - أخبار قس بن ساعدة وأقاصيصه (٢) .
 - ٣ - سيرة الوليد بن يزيد وأخباره وشعره (٣) .
 - ٥ - رسالة في الرد على الصولي في تحفظه للإمام الطبري في همز كلمة التناوش ، وتتضمن بيان خطأ الصولي وتصحيحه وتعاطيه ما لا يحسنه في مواضع من تأليفه (٤) .
 - ٦ - رسالة في التلية ، وهي تحوي تفسير معانيها ، وما اتفق عليه واختلف فيه منها من جهة النحو والإعراب وأبواب الفقه ، وسببها وعبارتها في الحج والعمرة (٥) .
 - ٧ - رسالة في بيان رجحان ما في القرآن من البلاغة على الشعر (٦) .
- ثم هو يشير بعد ذلك إلى كتب له ولا يسميها ، كتوله :
- وشرح ذلك مبسوط في كتبنا في النحو وعلوم القرآن ، أو يقول :
- كما ذكرنا ذلك في كتبنا المؤلفة في علل التأويل والتلاوة ، وكتبنا المؤلفة في

(١) ليس هذا هو الكتاب الذي ذكره ابن النديم باسم القراءات ، فالمؤلف يذكر هذا ثم يذكر بعده هذا ، ونص عبارته : « وفي كتابنا في القراءات ، وفي كتابنا في عللها وتفصيل وجوها ، انظر الجليس والأليس ورقة ٣٤ .

(٢) الجليس ورقة ٦٣ .

(٣) الجليس ورقة ٦٣ .

(٤) وهو يذكره بقوله : وقد كنت سمعت سيرته وأخباره وشعره ورددت على ما فيه من إلحاد وثسق بأشعار أخرى قصدت بها وجه الله تعالى ، انظر الجليس ورقة ١٠٩ .

(٥) الجليس والأليس ورقة ١١٢ .

(٦) المصدر نفسه ورقة ١١٣ .

(٧) المصدر نفسه ورقة ١١٦ .

(٨) المصدر نفسه ورقة ١٣٤ .

حروف القرآن وتأويله^(١) ، ولا ندري إن كان يعني بها الكتب السالفة أم كان يعني غيرها ، فقد ضاعت كل هذه الذخيرة مع ما ضاع من ذخائر تراثنا الإسلامي ، ولم يبق من مؤلفات القاضي المعافى إلا كتابه الذي بين أيدينا ، والذي كان القدر به رحيماً فأبعده عن أيدي العيب والضياح ، وكفل له من ينسخه ويحفظه جيلاً بعد جيل ، حتى نتاح لنا فرصة لإلقاء نظرة على إنتاج ذلك العالم المجتهد .

تلامذته : -

لقد اتضح من الصورة التي حاولنا توضيحها للقاضي المعافى أنه رجل منقطع إلى العلم بكلية ، يبذل جهده في تلقي العلم والسعي إلى العلماء والأخذ عنهم سواء كانوا من علماء بلده أم من الوافدين عليها دون كلل ، كما كان يبذل جهده في تسجيل ما أخذه وما تهديه إليه قريحته من فنون العلم في مؤلفات كثيرة عددنا ما استطعنا العثور عليه منها في الصفحات السالفة ، كذلك لم يؤثر عن القاضي المعافى حدة في الطبع ولا سوء في الخلق ، ونتيجة لهذه المكالمة العلمية الممتازة التي عرف بها ، وخلق السمعة الذي اشتهر به ، أن كثُر تلاميذه والقارئون عليه والرواة عنه ، وهؤلاء ذكرت بعضهم كتب التراجم التي ترجمت له ، وبعضهم الآخر ذكره الخطيب البغدادي عرضاً أثناء ترجمته لهم في تاريخ بغداد - كما هو الحال في شيوخه .

أما من ذكرتهم كتب التراجم فهم :

من قرعوا عليه :

(١) انظر مثلاً ورقة ٧٤ ب .

١ - عبد الوهاب بن علي الملجمي ^(١) .

٢ - محمد بن عمر النهاوندي ^(٢) .

٣ - أحمد بن مسرور ^(٣) .

٤ - أبو العلاء الواسطي ^(٤) .

وروى عنه جماعة منهم :

١ - القاضي أبو الطيب الطبري ^(٥) .

٢ - أبو القاسم الأزهرى ^(٦) .

(١) انظر طبقات المفسرين ٣٢٤/٢ ، تذكرة الحفاظ ١٠١٠/٣ ، وهو عبد الوهاب بن علي ابن الحسن أبو ثعلب الملجمي المؤدب ، مقرأ عارف إمام معروف زاهد أخذ القراءات عن الماعاني بن زكريا ، وقرأ عليه ثابت بن بشار وأبو طاهر بن سوار ، وقسال عنه الخطيب ، هو الإمام الحافظ الثقة الزاهد ، قرأت عليه سنة ٤٣٥ هـ ، انظر غاية النهاية ٤٧٩/١ .

(٢) ذكره في غاية النهاية ٢١٧/٢ بقوله : أخذ القراءة عنه عرضاً الحسن بن سعيد الطوسي . (٣) أحمد بن مسرور بن عبد الوهاب ، أبو نصر الخباز البغدادي ، شيخ جليل مشهور ، قرأ على منصور بن محمد بن منصور صاحب ابن مجاهد ، وعلى بن أحمد الحماصي ، وعلى بن إسماعيل القطان ، وإبراهيم بن أحمد الطبري والماعاني بن زكريا ، له كتاب المفيد في القراءات ، توفي سنة ٤٤٢ هـ ، غاية النهاية ١٣٧/١ .

(٤) هو محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب ، أبو العلاء الواسطي القاسي ، نزيل بغداد ، إمام محقق وأستاذ متقن ، متبحر في القراءات ، صنف وجمع وتفتن ، وولي قضاء الحريم الظاهري ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالعراق ، ولد سنة ٣٤٩ وتوفي سنة ٤٣١ هـ ، غاية النهاية ١٩٩/٣ .

(٥) هو عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن طاهر القاسي الشافعي أحد الأعلام ، روى عن أبي أحمد الطبري وجماعة ، وتلقه بنيسابور على أبي الحسن المارجمي وسكن بغداد وعمر مائة وستين ، وكان عارفاً بالأصول والفروع محققاً صحيح المذهب ، توفي سنة ٤٥٠ هـ ، شذرات الذهب ٢٨٤/٣ .

(٦) هو عبيد الله بن أحمد بن عثمان البغدادي الصيرفي ، الحافظ ، كتب الكثير ، روى الحديث وروى عن القطيعي وطبقته ، توفي سنة ٤٣٥ هـ ، عن ثمانين عاماً ، شذرات الذهب ٢٥٥/٣ .

٣ - أحمد بن علي الثوري ^(١) .

وأما من ذكرهم الخطيب البغدادي ، فنحن نورد لهم هنا مع شيء من التعريف الذي ذكره الخطيب بهم ، وذكر مكان ورودهم في تاريخ بغداد ، وهم :

١ - أحمد بن عمر بن روح بن علي ، أبو الحسين النهرواني ، سمع أبا حفص بن الزيات والحسين بن محمد بن عبيد العسكري ، والحسن بن جعفر الخرقى ، وأبا الحسن النازيةطلي ، قال عنه الخطيب : كتبت عنه بالنهروان وببغداد ، وكان صدوقاً حسن المذاكرة مليح المحاضرة ، توفي عام ٤٤٥ هـ (بغداد ٢٩٦/٤) .

٢ - محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن بن علي بن بكران ، أبو علي الجازري ، من أهل النهروان ، سكن بغداد ، وذكره الخطيب بقوله : كتبت عنه ، وكان صدوقاً ، توفي عام ٤٥٣ هـ ، (بغداد ٢٥٥/٢) .

٣ - أحمد بن سليمان بن علي بن عمران ، أبو بكر المقرئ الواسطي ، قدم بغداد في حياته فسمع من علي بن عمر العسكري وأبي الحسن الدارقطني وأبي طاهر المخلص ، وسكن بغداد وحدث بها ، وكان صدوقاً ، توفي عام ٤٣٢ هـ ، (بغداد ١٨٠/٤) .

٤ - محمد بن محمد بن علي بن عبد الله ، أبو الحسين الشروطي ، حدث عن جملة من الشيوخ ، منهم أبي القاسم بن حبابة ، وعيسى بن علي الوزير ، والمعافى ، ومسكنه بالجانب الشرقي ناحية الرصافة . ثم انتقل بأخرة فسكن الكوفة ، توفي عام ٤٤٥ هـ ، (بغداد ٢٣٨/٣) .

(١) هو أبو الحسين الثوري أحمد بن علي البغدادي المحتسب ، روى عن ابن لؤلؤ وطبقته ، وكان ثقة صاحب حديث ، توفي سنة ٤٤٣ هـ ، شذرات الذهب ٢٦٨/٣ .

٥ - أحمد بن محمد بن أحمد بن علي ، أبو منصور الصيرفي ، المعروف بابن الرسي ، سمع أبا عمر بن حيويه وأبا الحسن الدارقطني ، وعلي بن عمر الحرابي ، والمعافي ، قال الخطيب : كتبت عنه وكان سماعه صحيحاً ، (بغداد ٣٧٩/٤) .

٦ - أحمد بن علي بن الحسين بن محمد بن موسى ، أبو الحسين المحتسب ، المعروف بابن التوزي ، سمع أبا الحسين بن لؤلؤ الوراق ، ومحمد بن المظفر ، وأبا بكر بن شاذان ، وأبا الفضل الزهري ، وأبا حفص بن شاهين ، والمعافي ، قال الخطيب : وكان صدوقاً كثير الكتاب مديماً لحضور المجالس والسماع معنا ، ولد سنة ٣٩٤ هـ ، وتوفي ٤٤٢ هـ ، (بغداد ٣٢٤/٤) .

٧ - أبو حنيفة عبد الوهاب بن علي بن الحسن المؤدب ، من أهل الجانب الشرقي . كان يسكن بدير أم حكيم ، وحدث عن المعافي ، وكان صدوقاً ، أحد حفاظ القرآن ، عارفاً بالقراءات ، عالماً بالفرائض ، حافظاً لظاهر فقه الشافعي ، ولد سنة ٣٩٣ وتوفي ٤٣٩ هـ (بغداد ٣٣/١١) .

٨ - علي بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل ، أبو الحسن البزاز البلدي ، سمع المعافي بن زكريا البصري ، وقال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقاً ينزل درب سليم ، ولد في بغداد سنة ٣٧٣ وتوفي سنة ٤٤٧ هـ ، (بغداد ١٠٢/١٢) .

٩ - علي بن عمر بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحسن البرمكي ، سمع أبا القاسم بن حنيفة ، ويوسف بن عمر القواس ، ومحمد بن عبد الله ابن أخي ميمي ، والمعافي بن زكريا ، وأبا محمد بن الحارس ، قال الخطيب : كتبت عنه ، وكان ثقة يتفقه ، ولد سنة ٣٧٣ ، وتوفي ٤٥٠ هـ ، (بغداد ٤٣/١٢) .

١٠- علي بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر ، أبو الفرج النهرواني ، خطيب الجامع بها ، سمع أبا اسحاق المزكي ، وأحمد بن نصر اللداعي ، والمعافي بن زكريا الجريدي ، سمعت منه بالنهروان في رحلتي إلى نيسابور ، وذلك سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وكان لا بأس به ، توفي سنة ٤٢٥ هـ (بغداد ٣٩٠/١١) .

١١- علي بن عمر بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحسن البرمكي ، وهو أخو إبراهيم وأحمد ، وكان الأصغر ، سمع أبا القاسم بن حبابة ويوسف ابن عمر القواس ، وعبد الله بن أخي ميمي ، والمعافي بن زكريا ، وأبا محمد بن الجراي الكاتب ، وأبا الحسين بن سمعون ، كتبت عنه وكان ثقة ، ولد سنة ٣٧٣ وتوفي سنة ٤٥٠ هـ (بغداد ٤٣/١٢ ، ٤٤) .

١٢- الشريف الرضي ، وقد ذكر أنه أخذ عنه القراءة برواية ابن كثير ، ولم يأخذ عليه فناً آخر غير القراءات ^(١) .

القضاء بباب الطاق :

بصرف النظر عن التدريس للطلبة الذي كان يقوم به المعافي ، والذي لا يمكن أن يعدّ وظيفة ثابتة تدرّ على صاحبها شيئاً ، أو أن يعدّ وظيفة على الإطلاق ، فإن المعافي لم يتول من الوظائف العامة إلا منصب القضاء بباب الطاق .

وباب الطاق عملة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي ، كان بها طاق أسماء ، بين الرصافة ونهر الميلى ، منسوب إلى أسماء بنت المنصور وكان طاقاً عظيماً في دارها التي صارت لعلّي بن جهشيار صاحب الموفق الناصر لدين الله أقطعه

(١) الشريف الرضي ، حياته ودراسة شعره ، ٢٧٣ .

إياها الموفق ، وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء أيام الرشيد ^(١) .

ولقد تولى المعافى هذا المنصب نيابة عن القاضي أبي بكر بن صير ، الذي لم نوفق في العثور على ترجمة له ، كما أننا لم نستطع تبعاً لذلك أن نعرف متى تولى المعافى القضاء نيابة عنه ، ولا كم بقي في منصبه ؟ وكل ما نعرفه أنه منذ أن تولى هذا المنصب لزمه لقب (القاضي) حتى آخر عمره .

حياته الخاصة :

لا نكاد نعرف من أمر حياة القاضي أبو الفرج الخاصة إلا اللعم ، ففيمما يتعلق بأسرته فنحن نعرف منها شخصين اثنين : أباه زكريا بن يحيى المعروف بابن طرارة الذي كان يشتغل بالعلم وسوف نتحدث عن جانبته العلمي هذا فيما بعد ، ولكن ما يهمنا هنا أنه على الأغلب كان من مستوري الحال فلم يُورث ابنه مالا ولا متاعاً ، وتدل النصوص التي نقلها ابنه عنه أنه كان يميل إلى الزهد والتصوف عقيدة وعملاً .

أما الفرد الثاني من أسرته فهي ابنة له ماتت صغيرة فبكاه ^(٢) ، وما عدا هذه المعلومات الضئيلة عن أسرته ثمة معلومات ضئيلة أخرى عن حياته المعيشية الضيقة احتفظ لنا بها أبو حيان التوحيدي الذي كان هو الآخر يشكو مرّة الشكوى من قسوة الحياة وعنتها به ، حتى اشتهر أمره بذلك شهرة مستفيضة .

ويذكر أبو حيان قصة تفيد أن المعافى قصد الرّي منتجعاً حضرة الصاحب بن عباد ، ويبدو أن ذلك كان بعد أن بلغ درجة من العلم تؤهله

(١) مسجم البلدان : ٢٧٥/١ ، ٣٦٠/٢ .

(٢) أنظر المجلس والأنيس ورقة ١٧٥ ب .

إلى الورد على ذلك الوزير الخطير ، فلمله أن يحظى عنده بمرتبة كريمة أو منصب رفيع ، ولكنه لم ينل شيئاً مما كان يتمنى ، بل إنه على العكس من ذلك تماماً وجد معاملة وحشية تتنافى مع الانسانية فضلاً عن كرامة العلم ، وهي قصة — إن صححت وفي ذلك شك — تدل على ما كان يلقاه العلماء على أبواب الملوك والولاة في ذلك العصر من مهانة ، ومن صعوبة في الوصول إليهم ، وأن من كان يصل إلى الخطوة عندهم هم قلة قليلة كان يسعدها الحظ أحياناً بأن تصل إلى رضا منهم لا يكاد يدوم ، ونعود إلى ما أورده التوحيدى عما حدث للمعافى من الصاحب ، فهو يقول :

« كان ابن عباد ^(١) شديد السفه عجيب المناقضة ، سريع التحول من هيئة إلى هيئة ، مستقبلاً للأحرار بكل فرية وفاحشة ، كان يقول للإنسان الذي قد قدم عليه من أهل العلم : تقدم يا أخي ! وتكلم واستأنس ، واقترح ، وانبسط ، ولا ترع ، واحسبني في جوف مرقعة ، ولا يهولك هذا الخشم والخدم ، وهذه العاشية والحاشية ، وهذه المرتبة والمسغبة : وهذا الطاق والرواق ، وهذه المجالس والطنافس ، فإن سلطان العلم فوق سلطان الولاية ، وشرف العلم أعلى من شرف المال فليفرخ روعك ، وليتعم بالك ، وقل ما شئت ، وانصر ما أردت ، فلست نجد عندنا إلا الإنصاف والإسعاف ، والإتحاف والإطراف ، والمقاربة والمواهة ، والمؤانسة والمقايسة .

وعلى هذا التنزيل ، ومن كان يحفظ ما يهذي به في هذا وغيره ؟

حتى إذا استقى ما عند ذلك الإنسان بهذه الزخارف والحيل ، وسال الرجل معه في حدوثه على مذهب الثقة ، وركب في مناظرته وردعه ، وحاجته وراجعه ، وضاجعه وشاكعه ، ووضع يده على النكتة الفاصلة

(١) الخبر التالي في أخلاق الوزيرين ١١١ - ١١٢ .

والأمر القاطع ، تنمر له ، وتنغر عليه ، واستحصد غضباً ، وتلظى لهباً ، وقال بعد وثبتين أو ثلاث : يا غلام ! خذ بيد هذا الكلب إلى الحبس ، وضعه فيه بعد أن تصبّ على كاهله وظهره وجنبه خمس مائة عصا ، فإنه معاند ضد ، يحتاج إلى أن يشدّ بالقد ، ساقط هابط ، كاب نباح ، متعجرف وقاح ، أعجبه صبري ، وغره حلمي ، ولقد أخلف ظني ، وعدت على نفسي منه بالتوبيخ ، وما خلق الله العصا باطلاً ، ولا ترك خلقه هاملاً .

فيقام ذلك البائس على هذه الحال التي نسمع ، على أن مسومك دون مشاهدتك لو شاهدت ، ومن لم يحضر ذلك المجلس لم ير منظراً رقيقاً ولا رجلاً رقيقاً ، قد عامل بها وصفت الجري غلام بن طرارة والجامدي الشاعر الوارد عليه من البصرة ، وأبا زيد الكلابي وغيرهم .

ولا شك أن نفس المعافي ذهبت حشرات بعد أن حدث له ما حدث ، ولعله في هذا المقام قال أبياته تلك يندم بها على تلك الرحلة :

أفتبس الضياء من الضباب وألتمس الشراب من السراب
أريد من الزمان النذل بدلاً وأريا من جنى سلع وصاب
أرجى أن ألقى لاشتياقي سراة الناس في زمن الكلاب^(١)

إلا أنه لم يُشر قط في كتابه هذا إلى تلك الرحلة ، ولا يتحدث بكلمة عن الوزير ابن عباد . وكأنه بذلك يريد أن يسدل ستار النسيان على ذكرى مؤلة ما كان يجب لها أن تتردد وتنتشر .

* * *

وربما تحسنت حال أبي القرع المعافي في أثناء توليه منصب القضاء ، ولكن يبدو أن ذلك كان لفترة قصيرة من حياته . فتحن نراه في شيخوخته

(١) مقدمة المجلس والأنيس .

يشكو مرّة الشكوى مما آلت إليه حاله ، موجهاً اللوم إلى انقلاب الأمور وفساد الزمان ، فيقول في مقدمة كتابه : « وقد تجشمت إملاء هذا الكتاب على ما خلفت ورأيت من طول السنين ، حصلت فيه من عشر التسعين ، مع ترادف الهموم وتكاثف الغموم ، ومشاهدة ما لا أزال مرتعصاً به ، ومتمعضاً منه لفساد الزمان وانتكاسه ، وعجيب تقليه وانعكاسه ، واختلاله وارتنكاسه ، ورفع الطغام الرضعاء ، فقد أحل الأرزال محل الأفاضل ، وأعطى السفية الآخرق حظ النبیه العاقل ، وصرف نصيب العالم إلى الجاهل ، وصير الناقص مكان الوافر الكامل ، والراجع الفاضل ، وقدم على العلم المبرز الفضل الخامل .

ثم يقول : « فليما وصفنا جئنا إلى الصبر ، واستصحينا الحمول ، رجاء لإنعام الله بالإعانة والنصر » ^(١) .

وهكذا لم يجد أبو الفرج المعافي بدءاً من أن ينكمش على نفسه صابراً بحسباً ، ويبدو أنه كان يعمل في فترات من حياته بالنسخ شأن كثير من العلماء الأجلاء في ذلك العصر ، وهي حرفة مرهقة كان أبو حيان التوحيدي يصفها بأنها « مهنة فيها ذهاب العمر والبصر » فجدواها قليل وعائلتها تافه ، وهو يعبر عن حالته التعبة بهذه الأبيات :

يا غنة الله كُفِّي	إن لم تكُفِّي فخفِّي
قد آن أن ترَحْميننا	من طُول هذا التَشْقِي
طلبتُ حظاً لنفسي	فقل لي قد تَوُفِّي
فلا علمي تجدي	ولا صناعة كُفِّي

ويحفظ أبو حيان التوحيدي بصورة مؤثرة لحال شيخه إذ يقول : « رأيته في جامع الرصافة وقد نام مستدير الشمس في يومٍ شاتٍ وبه من آثار

(١) مقدمة المجلس والأنيس .

الفقر والبؤس أمر عظيم ، مع غزارة علمه ، واتساع أدبه ، وفضله المشهور
فقلت له : صبراً أيها الشيخ فإنك بمراى من الله وسمع ، فقال : ما لا بد
منه في الدنيا فليس منه بد ٥ (١) .

على أننا مع ذلك نلاحظ أن المعافى كان أبى النفس ، وشكاواه التي
أوردناها من قبل كانت تحمل طابعاً عاماً يعبر به عما يشكو منه جل العلماء
في عصره ، وأبياته التي كان يسوقها في هذا المعنى أقرب إلى حديث النفس
منها إلى رفع الصوت لطلب العون .

ولذا فإن الصورة التي أنجمل بها المؤرخون حال المعافى بن زكريا
العامية ، كانت تتلخص في أنه « كان قليل الشيء متعففاً » (٢) .

• • •

(١) انظر معجم الأدياء ١٥٤/١٩ .

(٢) معجم الأدياء : ١٥٧/١٩ .

الفصل الثالث

المعافي الأدب

ودراسة كتابه

جوانب المعافي المتعددة ، واهتمامه بالأدب :

لقد قامت شهرة المعافي بن ذكرها على أنه من كبار الفقهاء في عصره وهو يعد المرجع الأول في فقه ابن جرير الطبري ، وله باع في علوم القرآن من قراءات وتفسير ، وكذلك في العلوم اللسانية من نحو وصرف ولغة ، وله في كل ذلك مؤلفات أوردنا ذكرها ، ولا شك أنه كان من علماء الحديث الثقات ، فبذلك وصفه البرقاني حين سأله عنه الخطيب البغدادي كما ذكرنا ، ونحن وإن كنا لم نر في مؤلفاته ما هو خاص بالحديث . فإن ما أورده الخطيب البغدادي من شيوخه الكثر فيه دليل على ذلك ، فربما كانت كتبه الخاصة بالحديث من بين الكتب البعيدة التي ألفها ولم يشر إليها من ترجموا له ، أو ربما اكتفى المعافي باستخدام المادة الحديثية الهائلة التي حصلها فيما ألفه من كتب في الفقه والتفسير والقراءات وغيرها ، واذن فقد ألف فيه بطريقة تطبيقية على الأقل إن لم يكن قد ألف فيه بطريقة الجمع والتبويب المعروفة .

تبقى من دائرة العلوم التي كان يميدها المعافي فن الأدب ، ولقد

رأى - وهو في سن عالية - أن يكمل هذه الدائرة ، فألف كتابه هذا « الجليس الصالح الكافي والأئيس الناصح الشافي » ، والذي يختصر اسمه الطويل هذا إلى : « الجليس والأئيس » .

• • •

ولقد أتت فكرة تأليف هذا الكتاب للمعافي في فترة ما من حياته كان فيها فريسة لظروف نفسية سيئة ، احتاج فيها إلى من يخفف عنه شيئاً من لأوائها فلم يتفق له أن يظفر بما يأمل ، فخطرت له فكرة تأليف كتاب يخفف به عن نفسه ، وعمن يقع فريسة لمثل ما وقع فيه من هموم الحياة وأحزانها ، وهو يقول في ذلك : « اكتنفتي هموم وأحزان ، ولوعات وأشجان ، وفنون شتى من حوادث الزمان ، وما قد فشا في الناس من النظم والتحاسد ، والتقاطع والتباعد ، وأن ما هو أولى بهم من الأئس للمجانسة ، قد فارقه إلى الاستيحاش للمنافسة ، وحصلت على الاستثناس بالوحدة والخلوة ، ثم تطلعت إلى جليس طمعا في أنس وسلوة ، فأعوزني ذو لب عاقل ، واتفق لي كل غبي جاهل ، فلاح لي أن أنشئ كتاباً أضمنه أنواعاً من الجلد الذي يستفاد ويعتمد عليه ، ومن الهزل في أثنائه ما يسر استماعه ويستراح إليه ^(١) .

هل قام المعافي بتأليف كتابه هذا عندما خطرت بباله فكرته ؟ الواقع لا ، فثمة أمور قاهرة من أمور الزمان حالت بينه وبين ذلك ، وهو يقول في هذا : « ثم إن طوارق الزمان وموانعه ، وأحداثه وفجائعه ، وعواقبه وقواطعه ، وأهواله وفضائحه ، حالت بيني وبين ما آثرته ، ونفسي على هذا متعلقة به ومؤثرة له ومنازعة إليه إلى حيث انتهينا » ^(٢) ...

كم من الوقت مضى بين طرود فكرة الكتاب على باله وبين البدء فيه ؟ لا ندري ، وكل ما نعرفه أنه وهو في عشر التسعين بدأ بتنفيذ فكرة

(١) انظر مقدمة الجليس والأئيس .

(٢) المرجع السابق .

الكتاب الذي تخيله ، وأن الذي ساعده على ذلك كما يقول هو : « أن بعض أصحابنا يكتبه غني املاء في الوقت بعد الوقت » ^(١) .

ولم يذكر لنا المعافي من هو صاحبه هذا أو أصحابه الذين يكتبون عنه في الوقت بعد الوقت ، والواقع أنه لم يكن واحداً كما يدل عليه ظاهر لفظه ، بل كانوا خمسة ، وقد استطعنا أن نستنتج هذا من كتاب « تاريخ بغداد » أيضاً .

ذلك أن الخطيب البغدادي نقل نصوصاً كثيرة مما ورد في كتاب المعافي رواية عن شيوخه الذين هم في الوقت نفسه تلامذة المعافي ، وقد قمنا بإحصائهم لنعرف روايات الكتاب المتعددة ، وقد ظهر لنا أنها خمس روايات عن خمسة من تلامذة المعافي ، هم :

- ١ - أحمد بن عمر بن روح النهرواني .
- ٢ - القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري .
- ٣ - أبو علي محمد بن الحسين الجازري .
- ٤ - أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الأزهرى .
- ٥ - أبو حنيفة عبد الوهاب بن علي الملجمي المؤدب .

وبعد أن يشير المعافي إلى إملائه الكتاب تلك الإشارة العابرة التي أوضحناها ، فإنه يشير كذلك بصفة عامة إلى موضوع الكتاب وما قرر أن يضمه إياه بقوله : « فلاح لي أن أنشئ كتاباً أضمه أنواعاً من الجدل الذي يستفاد ويعتمد عليه ، ومن الهزل في أثنائه ما يسر استماعه ويستراح إليه ، فإن اختلاف الأنواع يسهل النظر فيها ، وينشط الوقوف عليها ، ويوفر الاستمتاع بها ، وأن أضمه علوماً غزيرة وآداباً كثيرة » ...

ثم يقول في موضع آخر من مقدمته : « ... وأودعته كثيراً من فنون العلوم والآداب ، على غير حصر بفصول وأبواب ، وضمته كثيراً من محاسن الكلام وجواهره ، وملحه ونوادره ، وذكرت فيه أصولاً من

(١) المرجع السابق .

العلم ، اتبعتها شرح ما يشعب منها ويتصل بها بحسب ما يحضر في الحال ،
مما يؤمن معه الملال »

والملاحظ أن تلك الكلمات التي عبر بها المعافي عن موضوع كتابه ،
تعد كلمات تقليدية نراها تقريباً في كل الكتب التي ألفت في هذا الفن منذ
عهد الجاحظ مروراً بآبن قتيبة في عيون الأخبار إلى أبي حيان التوحيدي في
البصائر والذخائر إلى أبي علي القالي في أماليه .

ومع ذلك فلا شك أن كل كتاب من هذه الكتب يعكس ثقافة صاحبه
ومزاجه الشخصي الأمر الذي يجعل لكل منها طابعاً خاصاً به ، على حدّ
قول ابن حزم في كامل المبرد وأمالي القالي : « كتاب نوادر أبي علي مبار
لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً
وخصراً ، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً .. »^(١) أي أنهما وإن اتفقا
موضوعاً فإن لكل منهما ميزة خاصة ، ويمكننا القول بشأن كتاب المعافي
أنه جمع مميزات الكتابين السالفين ومميزات أخرى سوف نعرض لها
بالتفصيل فيما يلي من هذه الدراسة .

ثم يتطرق المعافي في مقدمته إلى الحديث عن الكتب التي تشبه كتابه في
موضوعاتها ، والتي يمكن أن نطلق عليها اسم « كتب أدب السمر والثقافة
العامة » ، فيشير إلى أسماء عدد منها بما ألف في عصره أو قبل زمانه بقليل ،
ويعني بتبيين منهج أصحابها في مؤلفاتهم ، ثم يقصد إلى كتابين منهما
بالذات ، هما « الكامل » لأبي العباس المبرد ، و « الأنواع » لأبي بكر
الصولي ، فينقدهما نقداً قاسياً مبيّناً أن كتابه أحقّ منهما بالكمال في ميدان
التأليف في هذا الفن .

وقبل أن نستمر مع في حديثه ، يهمنّا أن نفصل ما أجمل المؤلف
بشأن الكتب المؤلفة في هذا الفن وأن نتحدث بإيجاز عن نشأته وتطوره حتى
وصل إلى عصر المؤلف .

(١) انظر مقدمة أمالي القالي ع .

أدب السمر وكتب الثقافة العامة

أما عن نشأته فإن الإنسان من قديم يهفو بطبيعته إلى سماع القصص والأسمار ، ويشغف بما يصل إلى أذنيه من أخبار ، فهي تبعث في نفسه المتعة وتثير فيها شتى الأحاسيس من إعجاب بالبطولة والسمو والأريحية وبغض للجن والدناءة والخسة .

وفي الجاهلية لم يكن الشاعر وحده هو الذي تهفو إلى سماعه الآذان وترنو إليه الأعين ، بل كان القاص أيضاً يقوم مقاماً مهماً إلى جانب الشعر في سمر الليل ، بين مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة ، وفي مجالس أهل القرى والحضر .

وكان القصص يستمدون قصصهم تارة من الأساطير ، والخرافات السائدة المتنقلة بين الأمم ، وتارة أخرى من الأخبار والأحداث الخرافية والتاريخية الماثورة عن العرب أنفسهم وعمن جاورهم ^(١) .

(١) انظر كثيراً من هذا القصص في كتاب مجمع الأمثال للميداني ، وكتاب المعرئين والوصايا لأبي حاتم السجستاني ، وكتاب الأغاني للأصفهاني من قصة المنخل الشكري والمتجردة زوج النعمان وغيرها من القصص .

وفي صدر الدعوة إلى الإسلام كان النبي ﷺ حينما يعظ قومه بقراءة ما نزل من القرآن الكريم خاصاً بالأمم السالفة ، وما حدث فيهم من عيبر كي يستميلهم إلى الإسلام ، كان أحد كفار قريش وهو النضر بن الحارث وكان طبيباً ورحالة إلى فارس والحيرة كثيراً ما يعارض النبي ﷺ بحكاية أفاصيص من أساطير بطولة القرس وقصة رسم واسفنديار (١) .

وكانت أيام العرب وغاراتهم في الجاهلية ، كما كانت « الأمثال » وما وراءها من قصص وطرائف تستهوي الأفتدة وتستميل القلوب ، ويبدو أنه كانت هناك مجاميع مدونة لهذه الأمثال ، فإن بشر بن أبي خازم الأسدي كان يقول :

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار (٢)

• • •

وفي عهد الخلفاء الراشدين طغّت حروب الردة وأخبار الفتح الإسلامية والأحداث الجلية التي وقعت في عهد عثمان وبين علي ومعاوية على كل ما عداها من أخبار وأسمار ، وإن لم يخل الأمر من بعض القصاص كما نعرف من أمر تميم الداري واستدائه أمير المؤمنين عمر في أن يذكر الناس من مسجد الرسول فإذا نزل له ، وكان يعتمد في قصصه على الحكايات عن الأمم السالفة وعلى بعض الأساطير ، ولا يتقيد فيها بالصدق بقدر ما يهدف إلى التأثير على النفوس ترغيباً أو ترهيباً .

وقد كثر القصاص بعد ذلك واشتهر منهم اثنان ، هما وهب بن منبه وهو فارسي وكعب الأبحار وهو يهودي من اليمن ، وقد أكثر القصاص من الكذب حتى اضطر أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه إلى طردهم من

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٢٠١/١ .

(٢) ديوانه : ٧٨ .

المسجد ، ولم يستثن منهم إلا الحسن البصري الذي كان قصاصاً يعتمد على التذكير بالآخرة ويستخرج ذلك من أحاديث الرسول وما حوله من أحداث .

وعندما استقرت الأمور في عهد معاوية فإن قصصاً آخر قد نبج من البيئة المترفة من أبناء المهاجرين والأنصار الذين أغدق عليهم معاوية الأموال كي يبعدهم عن أمور السياسة ، فكان أن انصرف اهتمامهم في سمرهم إلى قصص الحب والغرام ، وساعد على هذا عدد من شعراء الغزل كعمربن أبي ربيعة والعرجي وكثير عزة وجميل بثينة وغيرهم ، فتداولت قصص الحب العذري التي دون الكثير منها فيما بعد في كتاب « الأغاني » والزهرة ومصابيح العشاق وغيرها .

وفي العصر الأموي أيضاً انتشرت بكثرة قصص أيام العرب وقائعها نظراً لما أثاره منها جرير والفرزدق في نقائضهما ، وأخذت كل قبيلة تستثير ذاكرة شيوخها لقصص ما يعرفونه عن وقائع القبيلة ومفاخرها الغابرة .

وفي آخر هذا العصر حدث أول تدوين لنوع خاص من أدب السمر ، فقد قام عبد الله بن المقفع المتوفى (١٤٢ هـ) بترجمة كتاب « كلبلة ودمنة » - من الفارسية إلى العربية ، وقد لقي الكتاب رواجاً وسعة انتشار دعاه إلى ترجمة كتب أخرى ، وتأليف عدد آخر (١) .

* * *

(١) ترجم ابن المقفع بالإضافة إلى كلبلة ودمنة الكتب التالية : سير ملوك المعجم (خدای نامه) ، وكتاب الأكين نامه (آئین نامه) وهو نوع من الكتب المختصرة في نظام الدولة ، وكتاب التاج وكتاب مزدك ، كما صنف عدة كتب منها : الأدب الكبير والأدب الصغير ورسالة الصمابة وحكم ابن المقفع ، وكل هذه الكتب نشرت ، انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٩٦٣ - ١٠٠ .

ثم تأتى اسم أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) الذي امتاز بتنوع ثقافته وكثرة مصنفاته ، وأنتجت قريحته دائرة معارف عامة في الأدب وعلم الكلام والتاريخ والجغرافية وغيرها من ألوان الثقافة السائدة في عصره . وخلف لنا من خلال كتابه البهلاء مجموعة من الحكايات التي تمتاز بالواقعية والسخرية ، وتحفل بالمتعة والنقد والجمال .

وكما اشتهر في هذا القرن عدد آخر من المؤلفين الذين صنفوا في أدب السمر ، منهم أبو بكر بن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) ، الذي ألف كتباً كثيرة في العلم والزهد والرفائق ، وألف في أدب السمر كتابه « الفرج بعد الشدة »^(١) .

وفي أحوال الحمقى والمنفلين وأقوالهم وأفعالهم ، صنف أبو العبيد الإخباري (أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي) المتوفى (٢٨٣ هـ) أول كتاب في ذلك .

وفي القرن الرابع اعتنى بعض المحدثين بجمع النوادر والحكايات ، ومن هؤلاء أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣١٠ هـ) الذي ألف كتاب « المجالسة وجواهر العلم »^(٢) ، وهو يشتمل على أحاديث وقصص ومقامات في ٤٧ باباً .

كما اعتنى بعضهم بتصنيف كتب في مدح الشيء وذمه ، ومن هؤلاء إبراهيم بن محمد البيهقي ، وكان من أصحاب عبد الله بن المعتز ، وقد صنف البيهقي في خلافة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) كتابه المحاسن

(١) طبع هذا الكتاب في الهند مرتين ، وطبع في القاهرة دون تاريخ ، انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٢٩/٣ .

(٢) لم يطبع هذا الكتاب بعد ، وتوجد نسخة المخطوطة في القاهرة وباريس والظاهرية ، المرجع السابق ١٣٥/٣ .

والمساوي^(١) ، كما ينسب كتاب للجاحظ في هذا الغرض نفسه .

* * *

واعنى بعضهم بجمع أشعار المحبين ووصف أحوالهم ، ومن هؤلاء : أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني الظاهري (ت ٢٦٧هـ) ، وهو ابن الإمام داود بن علي مؤسس المذهب الظاهري في الفقه ، وقد ألف كتابه « الزهرة »^(٢) وهو اختيارات شعرية تربطها نصوص مثورة وعناوين مسجوعة موزعة على مائة باب ، خصصت الخمسون الأولى منها للحب العذري العفيف ، وفي كل باب منها مائة بيت من الشعر أريد بها تصوير جميع نماذج الشعر التي قيلت في هذا الغرض .

كما صنف أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي السامري (ت ٣٢٥ هـ) كتاب « اعتلال القلوب في أحاديث المحبة والمحبين »^(٣) .

* * *

وكانت أخبار عقلاء المجانين وطرقتهم مما يسامر به ، فألف فيها كل من أبو بكر محمد بن مزيد النحوي الاخباري المعروف بابن أبي الأزهر (ت ٣٢٥ هـ) ، والحسن بن محمد بن الحسين بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦ هـ) كتاباً ، ويتضمن كلاهما نواذر وأشعاراً وأخباراً عن الحمقى والمجانين من المذكور والإناث^(٤) .

(١) طبع أكثر من مرة .

(٢) نشر القسم الأول منه بتحقيق نيكول وإبراهيم طوقان في شيكاغو ١٩٣٢ م ، وطبع القسم الثاني سنة ١٩٧٨ في بغداد .

(٣) يوجد مخطوطاً في القاهرة ثاني برقم ١٦/٣ ، ويوجد الجزء الثاني في جوتا ٦٢٧ ، انظر بروكلمان ١٣٨/٣ .

(٤) كلا الكتابين يسمى عقلاء المجانين ، ويوجد كتاب ابن أبي الأزهر مخطوطاً في مكتبة الاسكوريال ثاني ٤٨٢ ، وطبع كتاب النيسابوري في القاهرة ، انظر المرجع السابق .

ويجب أن نذكر هنا واحداً من أكبر من كتبوا في أدب السمر وهو القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي (٣٢٩ - ٣٨٤ هـ) .

وله من الكتب : كتاب « الفرج بعد الشدة » ^(١) ، وهو مجموعة من الأخبار والنوادر على مثال كتاب ابن أبي الدنيا السالف الذكر ، ويعد من أحسن الكتب في أدب السمر فهو يعرض لنا صوراً مما كان يلقاه الناس من المشقة والمعاناة حتى يخيم اليأس على النفوس ثم يأتي الفرج أو روح العدل الذي يأخذ بيد المظلومين إلى الخاتمة السعيدة ، ثم كتاب « المستجاد من فعلات الأجواد » ^(٢) ، ثم كتابه المهم الذي بدأه عام ٣٦٠ وأتمه بعد عشرين عاماً ، وهو كتاب « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » ^(٣) ، وقد ضمنه أخباراً وقصصاً رواها مشافهة واشترط فيها ألا يكون قد تضمنها كتاب قبله .

• • •

وثمة كتابان تجدر الإشارة إليهما ، وأولهما هو كتاب المكافأة لأحمد بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن الداية أحد كتاب الدولة الطولونية بمصر ، ويتضمن إحدى وسبعين قصة تنوزع إلى ثلاثة أقسام :

الأول في إحدى وثلاثين قصة تدور حول غرض واحد هو حسن الصنيع بالمكافأة على الجميل بالجميل .

والثاني : في إحدى وعشرين قصة تدور حول مكافأة القبيح بالقبيح ، وفيه تحذير من سوء العاقبة والمجازاة بالشر .

والثالث ويشتمل على تسع عشرة قصة ، ويدور حول من وقع في شرك

(١) طبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

(٢) طبع في دمشق بتحقيق محمد كرد علي سنة ١٩٤٦ م .

(٣) طبعت منه حتى هذه السنة ثمانية أجزاء بتحقيق وجمع عبود الشاذلي المحامي في بيروت .

ثم خُص منه ، وكان عرضة لضياع ماله أو فقدان نفسه ، فرد إليه ماله ووهبت له نفسه .

وثاني الكتابين هو كتاب الديارات لأبي الحسن علي بن محمد الشاشي (ت ٣٨٨ هـ) ، ويعرض فيه للأدب الموجودة بمصر والشام والعراق لا باعتبارها أماكن للعبادة والتبتل ، بل منازل للذة والمتعة ، تغشاها الطبقة العليا وتستمتع بما فيها من قيان وغللمان ورقص وشراب .

وهو يصور بعبارة جزلة حياة عليا القوم في أيامه وما يتصل بهم من أمور الطعام واللباس وأسلوب العيش .

* * *

على أننا نحب أن نقول إن هذه الكتب التي أسلفنا ذكرها لم تكن وحدها المتضمنة لأدب السمر وإن كانت قد ألفت خصيصاً فيه ، بل كانت هناك كتب كثيرة أخرى تتضمن مادة غزيرة من أدب السمر ، ومنها كتب في التفسير والحديث واللغة والمجاميع الشعرية ودواوين الشعراء وكتب التاريخ والجغرافيا والرحلات ، فقد كان علماء هذه الفنون يلجئون إلى سوق بعض القصص الطريف للتخفيف من جفاف المادة التي تتضمنها كتبهم ، وعلى سبيل المثال فإن كتب التفسير كانت تتضمن فضلاً عن القصص التي كانت السبب في نزول الآيات - بعض الإسرائيليات وبعض القصص عن الصحابة وتأثير الآيات الكريمة في نفوسهم .

والأحاديث الشريفة نفسها كانت مادة للسمر أحياناً وذلك بجمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد في كتاب ، كما فعل أبو بكر بن سهل الأنراطي في كتابه : « مكارم الأخلاق ومعاليها »^(١) ، و « مساوىء

(١) نشر بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

الأخلاق ومنمومها»^(١) ، وكما فعل الخطيب البغدادي في كتابه «الخلاص»^(٢) و «التطفيل»^(٣) ، فمادة هذه الكتب حديثة بالدرجة الأولى، وإن كانت قد اختيرت موضوعاتها لتبث المتعة والتسلية أو العظة والتأسي في النفوس .

• • •

أما اللغة فقد كانت أخرج إلى تطرية جفاف مادتها بمثل هذا القصص أكثر من أي مادة أخرى ، فلجأ علماؤها إلى قصص أعراب البادية ينهلون من معينها ، ويعلمون تلاميذهم ألفاظ اللغة الواردة خلال هذه القصص ، ونحن نرى ذلك واضحاً في كتب أبي زيد الأنصاري والأصمعي وثلعب والمبرد وابن الأثيري وابن دريد وغيرهم .

وكذلك التاريخ — برغم أنه بطبيعته مادة سمرية تستهوي النفوس أحداثه ووقائعه — فإن المؤرخين عنوا إلى جانب الأحداث التاريخية الصرفة بتسجيل بعض الأقاصيص الهامشية الغربية التي تتصل بتلك الأحداث من قريب أو بعيد ، وذلك لإشباع حاجة النفوس المتطلعة دوماً إلى المزيد من الغرائب والطرائف .

ونحب أن نذكر أنه كان على العلماء في القرن الرابع على الخصوص أن يحيطوا بمختلف المعارف والفنون ، فإن من كان منهم ينتجع حضرة الملوك والسلاطين ويجلس في مجالسهم مع غيره من العلماء كان عليه أن يشارك بعلمه في القضايا العلمية التي تعرض ، وأن يكون حاضر البديهة فيجيب في بعض الأحيان عن أسئلة غير متوقعة ، وأن يكون مع ذلك عارفاً

(١) يوجد مخطوطاً في الاسكوريال ثاني ٧٨٣/٢ .

(٢) نشر في بغداد سنة ١٩٦٨ م .

(٣) نشر في دمشق سنة ١٣٤٦ هـ .

بعض الطرائف والملح التي تناسب المقام ، فإن اجتمع فيه كل ذلك فحري أن يظفر بمكانة لدى الأمير وأن ينال من عطاياه ، وقديماً قال الأصمعي : « وَصَلْتُ بِالْغَرِيبِ وَنَلْتُ بِالْمَلْحِ » .

وفيما عدا ذلك فإن هذه الملح بما تتضمنه من أخبار وحكايات وأشعار كانت تُلطف مجالسهم الخاصة وتروح عن نفوسهم ونفوس تلاميذهم ، كما كانت تشيع حاجة نفسية واجتماعية عند طائفة من الناس لا تقبل على اللهو الحرام ، ولا ترغب في تسلية أو متعة تخالف الشرع .

ونتيجة لهذا فقد كثر التأليف في هذا النوع من الكتب ، وظهر في القرن الرابع نوع آخر منه يتناسب مع الثقافة الواسعة التي امتاز بها هذا القرن ، فهو يجمع بين المتعة والتسلية وبين الثقافة والمعرفة . كما نرى في أمالي القاضي والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والقصوص لصاعد البغدادي ، « والجليس الصالح الكافي » للمعافى بن زكريا النهرواني ، وغير ذلك من الكتب .

منهج المعافى في تأليف الكتاب :

قبل أن يبين المعافى منهجه في تأليف كتابه ، قام بذكر بعض الكتب المماثلة لكتابه ومنهج أصحابها في التأليف ، ثم ذكر خطته التي ارتضاها بعد ذلك ، فيقول : « وقد صنف - في نحو هذا الكتاب - جماعة من أهل العلم والأدب كتباً على أنحاء مختلفة ، فمنهم من جعل جملة كتابه جامعة لكتب مكتبة ، ومنهم من جعله أبواباً مبروبة وأفرد أبوابه بفصول مميزة ، ومعان خاصة غير ممتزجة ، وسى بعض هؤلاء ما ألفه : « الجواهر » وبعضهم « زاد المسافر » ، وبعضهم « الزهرة » ، وبعضهم « أنس الوحدة » في أشباه هذه السمات عدة ^(١)

(١) مقدمة الجليس والأنيس .

ثم يقول : « وصنف قوم كتاباً في هذا الباب تشتمل على فقر من الآداب والقوائد ، مثورة غير مبنية ، ومخلوطة غير مقيدة ، بفصول متميزة ولا أبواب متخيرة » (١) ...

وهو قد اختار الطريقة الأخيرة لتأليف كتابه ، فهو يقول : « وأودعته كثيراً من فنون العلوم والآداب ، على غير حصر بفصول وأبواب » .

وهذه الطريقة بطبيعة الحال لا تستلزم ضم المثلل من الأخبار إلى مثيله ، بحيث يجمع ما قيل في الشجاعة مثلاً من أخبار وأشعار وأمثال كلها تحت باب واحد يسمى باب الشجاعة ، لا ، بل تنثال الأخبار التي ترد على ذكرة المؤلف دون ما رابط يجمع بينها فيسجلها في كتابه ، أو يلقبها إلى سامعيه ويكتبها تلامذته .

غاية ما في الأمر أن المعافى سعى كل مجموعة مناسبة من تلك الأخبار من حيث المقدار مجلساً ، وهو يكفي عادة لسمر ليلة واحدة .

وقد قسم الكتاب إلى مائة مجلس ، التزم أن يبدأ كل منها بحديث نبوي شريف ، يفسره بعد إيراذه بما يبين فيه مدلوله والعبرة التي تؤخذ منه .

ثم يأتي بعد ذلك بشئ الأخبار والطرائف التاريخية والأدبية ، وهذه الأخيرة في الأغلب الأعم - حتى ليظن أن ذلك مقصود قصداً تشتمل على بعض القضايا النحوية أو البلاغية أو الألفاظ اللغوية التي يستطرد منها إلى شرحها وبيان آراء العلماء فيها ، ورأيه هو فيها إن كانت له وجهة نظر خاصة .

وهو في كل ذلك لا ينسى أن يستشهد بالشعر ، وليس لديه شعراء مفضلون ، فهو يستشهد بشعر الجاهليين والإسلاميين والأمويين والعباسيين ، ولكنه قلما ينسب هذا الشعر إلى قائله ، بل يكتب في هذا بالعبارة التقليدية (قال الشاعر) ، إلا ما كان من شعر الأعشى الذي كان

على ما يبدو يحفظ ديوانه ولهذا فقد كان ينسبه .

ثم يختتم المؤلف المجلس عادة بحكاية طريقة لا يعلق عليها كعادته ، أو ببنتين من الشعر الحكيم لا يتدخل فيهما بالتفسير ، ويكون المقصود من ذلك التخفيف من جفاف المناقشات اللغوية أو غيرها التي جرت خلال المجلس .

نقد المؤلف لكتاب الكامل :

ثمة شيء آخر مهم جداً يلفت نظر القارئ لأول وهلة في كتاب المعاني ، وهو حرص المؤلف على ذكر السند في كل ما يروي في كتابه من أخبار مهما صغر الخبر الذي يسوقه ، وهو يفخر بما التزمه من ذلك على كتاب الكامل لأبي العباس المبرد^(١) الذي لم يلتزم بشيء من ذلك فيما أورده في كتابه من أخبار ، والمعاني يقول في ذلك : « وعمل أبو العباس محمد بن يزيد التحوي كتابه الذي سماه « الكامل » وضمنه أخباراً وقصصاً لا إسناد لكثير منها ، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفتحها ما يأتي مثله به لسة علمه وقوة فهمه ولطيف فكرته ، وصفاً قريحته ، ومن جلى النحو والإعراب وغوامضها ما يقل وجود من يسد فيه مسده ،

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبرد ، شيخ أهل النحو والعربية وإليه انتهى علمها في عصره ، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر ، إلا أنه كان قليل الإسناد في أخباره ، وفي ذلك يقول نبطويه : ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس بن الفرات .

من مؤلفات المبرد : الفاضل والمقتضب والكامل ، وهو من أعظم كتب الأدب في العربية ، وفيه يقول ابن خلدون : « سمعنا من شيوعنا في مجالس التعلم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهي : كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي الفاي ، وما سوى هذه الأربعة فتح ما وفروع منها » ، توفي المبرد عام ٢٨٥ هـ ، انظر ترجمته في أخبار النحويين البصريين ٩٦ - ١٠٨ ، بغية الوعاة ١/٢٦٥ ، طبقات القراء ٢/٢٨٠ ، مراتب النحويين ٨٣ ، طبقات ابن قاضي شهبة الوعاة ٦٣ - ٦٥ .

إلا أن كتابه هذا مقصر عما وسمه به ، واختاره من ترجمته ، وغير لائق به ما آثره من تسميته ، فحظه بهذا عن منزلة لولا ما صنعه — كانت حاصلة له ، فسبحان الله ما أبين انتقاء هذا الكتاب عن نسبه ، وأشد منافاته للقبه » .

وينقد الصولي في كتابين له :

وعلى حين ينتقد المبرد لعدم إسناده أخباره ، وتسميته مع ذلك كتابه بالكامل وهو محق في نقده هذا ، ينتقد الصولي في كتابيه « الأنواع » ، وال نوادر وهما كتابان لم يصلإ إلينا ، أما الأنواع فهو ينتقه من ناحية أن الصولي جعله أبواباً مبنية إلا أنها غير مستوفاة ، أما الثاني فهو لم ينتقه بل نقل فقد أخذ الشعراء له ، وهو يقول في ذلك : « وأنشأ الصولي كتاباً سماه الأنواع ، مبنوياً أبواباً شئ غير مستوفاة ، وأثنى فيه بأشياء مستحسنة على ما ضم إليه من أمور مستهجنة ، وصنف أيضاً كتاباً سماه « النوادر » وهجاه بعض الشعراء بما كرهت حكايته »

ولقد كان المعافى قاسياً على الصولي ، وقد يرجع هذا إلى أن الصولي كان مقرباً إلى الخلفاء حظيأ عندهم ، فقد نادم ثلاثة منهم كما نعرف ، وكان مؤدباً لأحدهم وهو الراضي ، وربما كانت لمواهبه الأخرى في المنادمة واللعب بالشطرنج دُخِلَ في حظوته عند الخلفاء ، أما علمه فربما كان لا يفرق غيره فيه ، ومن هنا فقد كان بنفس عليه بعضهم مكانته التي وصل إليها ، وما يقدق عليه من منح ، في الوقت الذي لا يظفرون هم من ذلك بطائل ، ولكنه بالتأكيد لا يستحق هذا النقد القاسي فقد كان الرجل مجتهداً ومخلصاً في تأليف كتبه كما نراه في كتابيه الأوراق وأخبار أبي تمام .

وعلى أي حال فقد راعى المعافى ألا يقع فيما وقع فيه المبرد من عدم ذكر السند ، وهذا واضح ، ولا ما وقع فيه الصولي من جعل كتابه أبواباً وعدم

استيفاء موضوعاتها ، وهذا أمر يصعب الحكم فيه ، فليس أمامنا كتاب الأنواع حتى نحكم له أو عليه ، وكتاب المعافى الذي بين أيدينا ليس موباً أبواباً حتى نرى هل هي مستوفاة أو غير مستوفاة ، ولكن رغم ذلك فإنه يمكننا القول أن المعافى استفرغ جهده في بناء كتابه ، وأن القارئ يستطيع أن يرى فيه كل ما يمكن وضعه في مثل هذه الكتب من ثقافة ومعرفة تسليه وتفييده .

ويقول المعافى في ذلك : « ... ومن وقف على ما أتيت به من هذا ، علم أن كتابنا أحق بأن يوصف بالكمال والاستيفاء ، والتمام والاستقصاء ، وصدق وسمه بالجليس والأنيس ، فإن الكتاب إذا حوى ما وصفنا من الحكمة وأنواع الفائدة ، كان لمقتنيه والناظر فيه بمنزلة جليس كامل ، وأنيس فاضل ، وصاحب أمين عاقل » .

• • •

دراسة الكتاب

السند وقيمه في الكتاب :

رأينا فيما سبق كيف أن المعافي كان حريصاً على أن يروي أخباره كلها مسندة إلى قائلها ، وكيف أنه تقد المبرد في كتابه الكامل لعدم ذكره الأسانيد بين يدي كل خير يرويهِ .

وهذا يجرنا إلى التساؤل عن قيمة هذا الذي فعله المعافي في كتابه ، وعن الفائدة التي يمكن أن تستفاد من ذكره للأسانيد وحرصه عليها .

والواقع أن السند كانت له قيمة كبيرة لدى أصحاب الحديث ، فهم بوساطته كانوا يكتشفون زيف الحديث المروى عن رسول الله ﷺ أو صحته ، وقد نشأ من ذلك عام واسع هو علم الرجال وجرحهم أو تعديلهم ، وهم في ذلك كلمات مأثورة تدل على شدة اهتمامهم به ، كقولهم : « الإسناد قيد الحديث » ، وقولهم : « الحديث يغير إسناده كالجمل بلا زمام أو خطام »^(١) ، وقول عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين ، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء »^(٢) .

(١) محاضرات الأدباء : ١٥/١ .

(٢) الإلحاح إلى معرفة أصول الرواية وتقيد السماع : ١٩٤ .

ونتيجة لهذا الاهتمام بالأسانيد ، لم يقتصر إثباته على مادة الحديث النبوي وحدها بل تعداها إلى غيرها من المواد كالتاريخ والأنساب والأخبار واللغة وغيرها ، ويتضح هذا جلياً في كتب العلماء المتقدمين من أمثال ابن إسحاق والطبري وأبي العباس ثعلب وغيرهم ، ولم يكن هذا أمراً يتكلفونه فمعظمهم كانوا من رواة الحديث ، وقد درجوا على إسناده فيما روه منه .

على أن بعض العلماء أخذوا يتخففون فيه فيما يروونه، ويروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال — وقد سأله رجل عن إسناده حديث ، « وما تصنع به ؟ وقد نالتك عظمة وقامت عليك حجته »^(١) .

ويروى أن رجلاً قال لرجل : كتبت حديثاً بغير إسناده؟ فقال : إني أريده للعمل لا للتسوق والتجمل^(٢) .

فإذا كان العلماء قد بدءوا يتخففون منه في الحديث النبوي ، فإن تخففهم منه في غيره من العلوم كان أبين وأوضح لإحساسهم بأن أهميته بالنسبة لها ثانوية لا ترقى إلى مستوى أهميته في الحديث الذي تترتب عليه الأحكام ويقضي به بين الناس .

ولهذا ليس غريباً أن نرى عالماً كبيراً كالبرد يتركه في كتابه الكامل وهو في معظمه كتاب نحو وأدب وأخبار ، وكأنه يتفق مع ذلك الرجل الذي سئل عن إسناده شعر ، فقال : والله ما تركت الحديث إلا "بغضاً للإسناد ، وأنت تسألني في الأشعار"^(٣) .

وحقاً ، ربما كان الإسناد شيئاً بغضاً لدى معظم القارئ ، الذين لا يرون فيه إلا شيئاً مكرراً ، وإلا أسماء لا مدلول لها لديهم ، ولكنه عند

(١) ، (٢) عاضرات الأدباء ١٥/١ .

(٣) المرجع السابق .

العلماء له كل الدلالة ، فقد كانوا — كما أسلفنا — يكتشفون به زيف الحديث من صميمه ، وليس ذلك مقصوداً على علم الحديث فقط بل كذلك الأخبار التاريخية والأنساب واللغة وغيرها .

كما أن هذه الأسانيد بالغة الأهمية لدى الدارسين لكتب التراث العربي فهي تكشف لهم عن شيوخ المؤلف للكتاب ، وعن المادة التي استقها من كل منهم وهل كانت هذه المادة مدونة في كتاب له ؟ وما هو هذا الكتاب ؟ أي أنها في حقيقة الأمر تعد كشفاً عن مراجع المؤلف ومصادره التي اعتمد عليها في تأليف كتابه ، فهي كالمراجع التي يدونها المؤلف المعاصر في هوامشه ، ويشتها في آخر كتابه إلا أنها مدونة بطريقة أخرى تتفق وطريقة عصره .

ولا جدال في أن طريقة إثبات السند تعد بهذه المثابة طريقة علمية سليمة تماماً ، تعطي كل ذي حق حقه ، فهي تكشف عن المادة التي استقها المؤلف من غيره ، كما أنها في الوقت نفسه تكشف عن جهده هو في المواد التي أضافها من عنده ولم يستمدّها من أحد .

وعلى هذا فإن كتاب المعافي الذي بين أيدينا بأسانيده التي قد تبعث الملل في نفس القارئ العادي ، تعدّ من الوجهة العلمية أحق من كتاب المبرد باسم الكامل ، وذلك بصرف النظر عما يمكن أن يقال من أن المبرد كان ثقة فلا يحتاج إلى إثبات سند ما يرويه ، وذلك لأن هناك فرقاً بين من يسوق لك مادة لا تدري إن كان له فضل تأليفها أو لغيره ، وبين من تدفعه الأمانة إلى إثبات أن هذا الجهد ليس جهده وحده بل شاركه فيه علماء آخرون .

ولقد أتاحت لنا طريقته هذه أن نقوم بدراسة مواد الكتاب ، وسوف نتحدث بمشيئة الله — فيما يلي — عن أمرين :

الأول : المواد التي أسندها المعافي إلى شيوخه .

الثاني : المواد التي أضافها من عنده ، ولم يسندها .

المواد التي أسندها المعافي إلى شيوخه :

إن المواد التي أسندها المعافي بن زكريا إلى شيوخه في كتابه هذا شديدة التنوع ، فهي تتناول أول ما تتناول الأحاديث النبوية الشريفة التي يبدأ بها مجالسه ، وهي تبلغ مائة حديث بعدد المجالس التي تضمنها الكتاب . هذا غير ما يرد منها أثناء المجالس .

وبطبيعة الحال ، كان هناك نحو مائة راو لهذه الأحاديث من شيوخ المعافي ، وهم نحو مائة لأنه قلما كان يورد حديثين لراو واحد ، ولقد ذكرنا عدداً منهم ضمن شيوخ المعافي فيما سبق .

ويوضح لنا من طبيعة هذه الأحاديث أنها من أحاديث الفضائل التي تمحّض على خلال المروءة وخصال الخير ، في مجتمع كان الكثير من أفراده يعانون من قسوة الحياة ، ويردون في مهاوي الفقر ، ولقد قمنا بضيئطها ونحريئها من أمهات كتب الحديث ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً مما يراه القارئ مثبناً في هوامش التحقيق .

وثمة ملاحظة جديرة بالنظر هنا ، وهي أن المعافي كان يثبت في روايته للأحاديث النبوية تاريخ سماعه للحديث فيقول مثلاً : حدثنا أحمد بن إسحاق بن بهلول إملاء في يوم الاثنين لحمس ليل يقين من شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة قال ... الخ . وهذه التواريخ التي أثبتتها تمتد من سنة ٣١٤ إلى ٣٢٩ هـ ، وقد استنتج من هذا الدكتور ألبرت ديريش أن المؤلف استمد مادة كتابه مما حفظه أو تعلمه وهو صغير بين سن التاسعة وسن الرابعة والعشرين وهو استنتاج خاطئ من وجوه منها :

١ - أن النضج العلمي الذي يلمسه القارئ في مختلف المواد التي أوردها المؤلف لا يمكن أن يكون من استيعاب شاب في مثل هذه السن أو فهمه .

٢ — أن المعافى وهو يملئ كتابه وهو في عشر التسعين لا يمكن أن يكون قد استبعد من ذاكرته كل ما عرفه في ذلك العمر الطويل واقتصر على ما عرفه حتى سن الرابعة والعشرين فحسب ، وكأن كل ما تعلمه أو سمعه بعد ذلك لا شيء فيه يستحق الإثبات .

٣ — أن الكتاب يحتوي على حادثة وقعت في عهد القادر بالله ^(١) ، وهذا الخليفة تولى من سنة ٣٨١ إلى ٤٢٢ هـ الأمر الذي يثبت خطأ ما زعمه ديريش ويؤكد أنه لم يطلع إلا اطلاعاً سطحياً على أول كل مجلس في الكتاب وهو ما ورد فيه تاريخ رواية الحديث ، ولم يتعمق في داخل الكتاب ، وإلا لما زعم هذا الزعم .

وعن غير الحديث فإن المادة الرئيسية التي نقلها المعافى عن شيوخه مادة في معظمها تاريخية أدبية ، أي أنها مادة أدبية ذات إطار تاريخي قصصي ، وليست مادة مجردة كالوصف أو الحكمة مثلاً ، وهي مع ذلك لا تتعرض للوقائع التاريخية أو الأحداث السياسية فإذا ما وردت بعض الأخبار عن خليفة ما فلا بد أن يكون ذلك الخبر متعلقاً بطريقة حدثت بينه وبين أحد الأدباء أو قصيدة مدحه بها بعض الشعراء أو فائدة ذكرها في مجلسه بعض العلماء .

ثم تأتي بعد ذلك مجالس العلماء ومطارحات الأدباء ومسائل الفقهاء ونوادر القضاة ، وما كان يقع في مجالسهم من طرائف أو مفارقات .

ثم أحوال الزهاد والصوفية ومجاهداتهم الروحية وما قالوه من كلمات مأثورة أو أشعار .

ثم قصص العشاق وأحوالهم ومصارعهم .

(١) انظر المجلس الثامن والثلاثين من الكتاب .

كما تنال قصص الحمقى والمغفلين ، وأخبار عقلاء المجانين جانباً من الكتاب .

وهذه المادة الغريزة التي ضمنها المعافي كتابه ، كانت مدونة في كتب مؤلفيها ، ولكن المعافي لم يأخذ من هذه الكتب بل سمعها سماعاً من مؤلفيها ، ولم يشر قط إلى كتبهم التي ضمنوها تلك المواد .

وسوف نقوم فيما يلي بذكر هؤلاء الشيوخ والتعريف بهم ، ثم المادة التي أخذها عنهم المؤلف محاولين معرفة مصدرها من بين مؤلفاتهم :

أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥ هـ) :

ولد ببغداد ونشأ بها ، وكان إخبارياً أديباً ، كاتباً نديماً للخلفاء ، قال عنه الخطيب البغدادي : « كان أحد العلماء بفنون الآداب حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء ، وكان واسع الرواية حسن الحفظ للآداب حاذقاً بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها ، ونادم عدة من الخلفاء ، وصنع أخبارهم وسيرهم وجمع أشعارهم ، وذون أخبار من تقدم ومن تأخر من الشعراء والوزراء والكتاب والرؤساء »^(١) .

وقد صنف الصولي كتباً كثيرة ، عد له ابن النديم وياقوت^(٢) نحو ثلاثين مصنفاً منها ، معظمها في جمع دواوين الشعراء المحدثين وأخبارهم ، وبعضها في التاريخ والأخبار ، وأهم هذه الكتب كتابه : « الأوراق في أخبار آل العباس وأشعارهم » ، ومعظمه مفقود ، وقد وصل إلينا منه القسم الأخير ، وطبع بعنوان « أخبار الراضي والمتقي »^(٣) وينتهي إلى سنة

(١) تاريخ بغداد ٤٢٧/٣ - ٤٣١ .

(٢) الفهرست ١٥٠ ، ١٥١ ، ومعجم الأدياء ١٣١/٣ ، ٣٢٠/٥ .

(٣) نشره هوارث دن ، لندن ١٩٣٥ .

سنة ٣٣٣ هـ ، حيث ينتهي آخر ما سطره من هذا الكتاب ، كما وصل إلينا منه كتاب « أخبار الشعراء »^(١) ، وكتاب « أشعار أولاد الخلفاء »^(٢) ، كما وصلت إلينا منه أقسام أخرى متنوعة ، تتعلق بأخبار إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة وأشعارهما وأخبار ابن المعتز وأخبار الحلاج وأخبار أبان اللاحقي ، ومنه قطعة في لينتغراد تتعلق بعصر المعتمد . وقطعة أخرى تتناول خلافة كل من المعتضد والمكثفي والمقتدر ، كما توجد منه قطعة في مكتبة الأزهر تحت رقم ٧٠٨٣ أدب تقع في ١٨٦ ورقة تبدأ من خلال سنة ٢٩٥ هـ إلى خلال سنة ٣١٨ هـ^(٣) .

وله غير ذلك من الكتب : كتاب أخبار الوزراء ، وأخبار القرامطة . وأخبار ابن هرمة ، وأخبار أبي تمام ، وأخبار أبي عمرو بن العلاء ، وأخبار إسحاق الموصلي ، وأخبار السيد الحميري الشاعر ، وأدب الكاتب . وكتاب الأنواع ، وكتاب العبادلة ، وكتاب الفرر ، وكتاب الورقة وغيرها^(٤) .

ولقد روى المعافي عن الصولي في كتابه هنا عدداً من النصوص التاريخية والأدبية يبلغ الأربعين ، وهي تروي أخباراً عن الخلفاء والولاة والوزراء والأدباء والشعراء وغيرهم من العصرين الأموي والعباسي .

ويتضح من تلك النصوص أنها مروية من كتبه ، فقد عرف عن الصولي أنه لم يمل شيئاً من حفظه قط حتى هجاه بعض الشعراء بذلك^(٥) ، ومن المقطوع به أن الأخبار التي رواها عن الخلفاء هي من كتاب « الأوراق

(١) نشره أيضاً هوارث دن ، لندن ١٩٣٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أنظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٥٢/٣ ، ٥٣ .

(٤) الفهرست ١٥١ ، معجم الأدباء ١١١/١٩ - ١١٣ .

(٥) أنظر معجم الأدباء ٣٠٨/١٨ .

في أخبار آل العباس وأشعارهم » ، وهي تبدأ هنا بأخبار السفاح حتى المعتز أي أنها من القطعة التي لم تصل إلينا من الكتاب .

أما الأخبار الأخرى عن الشعراء والأدباء ، فلم نعر على شيء منها في كتابه المطبوع باسم « أخبار الشعراء » الذي أشرنا إليه آنفاً ، والواقع أن ذلك الكتاب كان من حقه أن يسمى بأخبار الشعراء المحدثين لأنه يتضمن أخبار أولئك الذين عاصروهم الصولي منهم ، ولم يورد المعافي من أخبارهم شيئاً ، أما بقية الأخبار فهي من كتبه المفقودة التي يصعب القطع بنسبة الأخبار إليها .

ولنا تعقيب صغير بعد هذه الروايات الكثيرة التي رواها عن الصولي يجعلنا نتساءل : فيم اذن كان نقده للصولي وعدم إعجابه بمؤلفاته وهو يروى أو ينقل عنه تلك القول ! أليس من المؤكد أن أخبار الصولي على درجة كبيرة من الأهمية والصحة بحيث لا يجد المؤلف مفرأ من النقل عنه ؟ اللهم نعم ، وإلا لكان قد أضرب عن ذكر شيء من مروياته في كتابه هذا ، إلا أن يكون المؤلف قد قصد بنقده آنفاً أن ينقد طريقة تأليفه لكتبه ، وهو شيء لا أهمية له في جانب حرصه على جمع مادته وصحتها .

أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)^(١) :

كان من أعلم الناس وأفضلهم في النحو والأدب وأكثرهم حفظاً للغة ، أخذ عن أبي العباس ثعلب ، وكان ثقة صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة حسن الطريقة ، وألف كتباً كثيرة في النحو وعلوم القرآن ، والحديث ، واللغة ، والنحو ، والأدب ، منها : كتاب الأضداد^(٢) ، والزاهر في معاني كلمات الناس ، والألفات ، وشرح المفصليات^(٣) ، وشرح

(١) ترجمته في تاريخ بغداد ١٨١/٣ - ١٨٦ ، الفهرست ٧٥ ، معجم الأدباء ١٨/٣٠٦ -

٣١٣ ، بنية الوعاة ١/٢٢٢ - ٢٢٤ ، نزهة الألباء ٣٦٤ .

(٢) نشر ثلاث مرات ، آخرها بتحقيق حمد أبو الفضل إبراهيم في الكويت سنة ١٩٦١ .

(٣) نشره لايل في لندن سنة ١٩٢٤ .

المعلقات^(١) ، والألمالي^(٢) ، والأمثال .

وقد روى عنه المعافى كثيراً من أخبار الشعراء في الجاهلية والإسلام ، ثم أخبار الشعراء مع الخلفاء والولاة وذكر بعض أشعارهم ، وما قيل في نقدها ، وكذلك أخبار الشعراء والنحاة واللغويين ، وتخلل بعضها الشعر ، كما تتناول قصص المروءة والكرم ، في مختلف العصور حتى عصره ، ويبلغ عدد الأخبار التي رواها عنه أكثر من خمسين خبراً .

ويلاحظ على النصوص التي رواها المعافى عن ابن الأثيري أنها حوت قصصاً كثيرة عن بني أمية بعكس الصولي الذي أكثر من أخبار بني العباس ، وذلك لأن ابن الأثيري كانت معظم أخباره مستقاة من الكتب ، أما الصولي فقد كان مختصاً بعدد من الخلفاء العباسيين ونادم ثلاثة منهم كما ذكرنا ، ولهذا فقد اهتم بتسجيل ما سمعه أو شاهده بنفسه من أخبارهم .

كما يلاحظ أن فيها شيئاً من الترتيب في المعلومات والصنعة في التأليف كما في خبر الغضبان بن القبيعري مع الحجاج ، وقد أشرنا إلى ذلك في تحقيقنا لهذا الخبر في الكتاب .

وكذلك فإن فيها شيئاً من الإغراب كما في قصة سوار والأعمى وخبر مقتل عمرو ذي الكلب الهللي .

أما المصدر الذي حوى هذه المعلومات من بين كتب ابن الأثيري ، فيحتمل أنه كتابه الألمالي المفقود ، ذلك لأنه ليس من بين كتب ابن الأثيري المطبوعة ما يحتوي على مثل هذه الطرائف ، فكلها في موضوعات

(١) لم يطبع هذا الشرح ، وتوجد منه أكثر من نسخة مخطوطة في امتابول ، انظر بروكلمان ٦٩/١ .

(٢) يذكر الأستاذ الزركلي أنه رأى قطعة من هذا الكتاب كانت محفوظة في المدرسة النظامية ، انظر الأعلام ٢٢٧/٧ .

محددة من النحو أو اللغة أو الشروح كما يتضح من عناوينها التي سبق أن أشرنا إليها .

يبقى بعد ذلك أن نذكر أن المعافى قد سجل حقيقة مشتهرة لدى العلماء عن ابن الأنباري ^(١) ، وهي أنه كان رغم موهبته النادرة وذاكرته الواعية في الحفظ كان ينسى أحياناً ما يحفظ ، ولم يفت المعافى أن يصحح له ما بعض ما وقع فيه من سهو في أحد أخباره ، فهو يروى عنه أنه قال ^(٢) :

إن هناك حروفاً فسرت في الحديث بما لا يعرف إلا فيه ومنها : « من اطلع في صير باب ففقت عينه فهي هدر » ، ومنها « أن سالم بن عبدالله رأى رجلاً معه صير فذاق منه ، وقال : كيف تبيعه » ، فالصير الأول : للشق ، والثاني : الصحناء ^(٣) الخ .

ويقول القاضي تعقيباً على ذلك : جعل أبو بكر بن الأنباري الصير مما لا يعرف تفسيره إلا في الحديث الذي جاء تفسيره فيه ، فذكر هذا أبو بكر على سعة حفظه وإتقانه وضبطه ، وكان يذهب عليه في الوقت بعد الوقت أشياء ظاهرة معلومة وينكرها مع اشتهاها ، على أننا لم نر فيمن يشار إليه بحفظ الآداب والروايات أحسن منه حفظاً ، ولكنه بشّر يجري عليه من السهو والنسيان ما لا يعرى عن مثله الإنسان ، والصير معروف مشهور ، فأما الصير الذي في حديث الاطلاع ففسر بأنه الشق فقد أصاب مفسره المعنى أوقاربه ، وأما الصحناء فتسميتها صيراً مما يعرفه أهل العلم ، وقد ذكره قوم من أهل الفقه وغيرهم وأصل الصير الذي بدأنا ذكره عندي الحد ، وقد جاء في الشعر بما يشهد بهذا ويدل عليه ، قال زهير :

وقد كنت من سلمى ستين ثمانيا
على صير أبر ما يُعبر وما يحلو

(١) انظر نزعة الألباء ٢٧٤ .

(٢) انظر الجليس والأليس ورقة ٢٤٨ أ .

(٣) الصحناء أو الصحناء بكسر الصاد وفتحها : إدام يتخذ من صغار السلك الملح .

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) :

من أئمة اللغة والأدب ، مع شاعرية فريدة ، وكانوا يقولون عنه : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء ، ولد بالبصرة في خلافة المعتصم سنة ٢٢٣هـ ، وأقام بعمان اثني عشر عاماً ثم عاد إلى بغداد ، وطلب علم النحو ، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي .

ثم رحل إلى نواحي فارس فقلده آل ميكال ديوان فارس ، ومدحهم بقصيدته المقصورة ، ثم عاد إلى بغداد واتصل بالخليفة المقتدر فأجرى عليه خمسين ديناراً شهرياً .

وكان ابن دريد من أكابر علماء العربية ، مقدماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم ، أخذ عنه أبو سعيد السيرافي ، وأبو عبيد الله المرزباني ^(١) .

وله من الكتب : الجمهرة في اللغة ، والاشتقاق ، والمجتني ، والملاحن ، والأنواء ، والوشاح ، وكلها مطبوعة عدا الأخير ^(٢) .

ومن الكتب المفقودة : الأمالي ، وزوار العرب ، والخيل الكبير ، والخيل الصغير ، والمقتنى وغير ذلك ^(٣) .

ولقد اشتهر ابن دريد بقصصه الضاربة في بطون القدم من أمثال أخبار ملوك الغرب الأقدمين من اليمن ورؤساء قبائلهم ، كما اهتم بما روى عن الأعراب من الحكمة والشعر .

وقد روى عنه المعافي كثيراً من هذه الأخبار التاريخية والأدبية .

(١) انظر ترجمته في المحمدين من الشعراء ١٣٠ ، وإنباء الرواة ٩٢/٣ - ١٠٠ ، ونبذة الوعاة ٧٦/١ - ٨١ ، وتاريخ بغداد ١٩٥/٢ - ١٩٧ . وطبقات المفسرين ١١٨/٢ ، ومعجم الأدباء ١٢٧/١٨ - ١٤٣ ، نزهة الألباء ٣٥٦ .

ويلاحظ على هذه الأخبار كما ذكرنا من قبل أن جزءاً منها عن ملوك اليمن الأقدمين الذين لم يحفظ لهم التاريخ شيئاً من أخبارهم ، وكان ابن دريد من أصل يمني ، وربما كان يريد أن يعلي من شأن هؤلاء بما أسبغ عليهم من بطولة وبما أنطقهم به من حكمة ، كما أنه من الملاحظ أن جزءاً كبيراً منها يتعلق بالعصر الأموي وبخاصة أخبار الحجاج بن يوسف الذي كانت شخصيته بما عرف عنها من قسوة وعنف مثاراً للكثير من الحكايات ، .

أما المصدر الذي نقل عنه هذه الأخبار من كتب ابن دريد، ورواها عنه المعافي فمن الصعب تحديده ، إذ لم ترد في شيء من كتبه التي بين أيدينا إذ أن معظمها في اللغة والأنساب وهذا ما لم يهتم به المعافي في كتابه هنا ، ولقد عثرت على خبرين فحسب من أخبار الحجاج في مخطوطة صغيرة مبهمة المؤلف تسمى « أخبار أبي بكر بن دريد »^(١) واضح فيها أنها جزء من كتاب كبير ، وربما كانت الأخبار الباقية منها أو من كتبه المفقودة وبخاصة كتاب الأمالي ، وربما كانت من الأخبار التي لم يضمنها كتبه .

ويميل الدكتور زكي مبارك إلى القول بأن ابن دريد كان يضع هذه الأخبار وبخاصة ما كان يتعلق منها بأخبار ملوك اليمن ومشايخ قبائلها الأقدمين ، وأنه لم يكن يملئها من حفظه ولم يكن يضمنها شيئاً من كتبه ، وينقل لتأكيد رأيه ما ذكره ياقوت نقلاً عن خط "أبي علي المحسن التنوخي أنه سأل القاضي أبا سعيد السيرافي رحمه الله عن الأخبار التي يرويها عن ابن دريد ، وكنت أقرؤها عليه أكان يملئها من حفظه ؟ فقال : لا ، كانت تجمع من كتبه وغيرها ثم تقرأ عليه . وسألت أبا عبد الله محمد بن عمران المرزباني رحمه الله عن ذلك ، فقال : لم يكن يملئها من كتاب ولا حفظ ، ولكن كان يكتبها ثم يخرجها إلينا بخطه فإذا كتبناها خرق ما كانت فيه^(٢) .

(١) توجد نسخة منها مصورة بالميكروفيلم ، تحت رقم ٧ أدب في معهد المخطوطات .

(٢) النشر الفني في القرن الرابع ٣٠٤/٢ .

كما يستند في توهينه على روايته عن ابن الكلبي في كثير من أخباره ، ونحن نخالف الدكتور زكي مبارك فيما ذهب إليه ، فليس فيما ذكره كل من السيرافي والمرزباني دليل على أن ابن دريد كان يضع أخباره أو يحتلقها ، فسواء أملى هذه الأخبار من حفظه أم أملاها من ورقات معه ثم خرقها فليس يعني ذلك أنه اختلقها ، كما أن روايته عن ابن الكلبي ليست دليلاً على وضعه ، فابن الكلبي برغم ما اتهم به البعض من ضعف في أحاديثه ليس ضعيفاً كما يرى هذا البعض ، فقد كان الرجل محققاً ثبتاً وكان يحاول أن يعتمد في كتاباته التاريخية على النقوش الموجودة في الآثار القديمة . كما أثبت البحث الحديث صحة كثير من رواياته ^(١) .

أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي (ت ٣٢٧ هـ) :

وصفه الخطيب البغدادي بقوله : كان صاحب أخبار وآداب ، وما علمت من حاله إلاّ خيراً ^(٢) .

وقد ألف الكوكبي كتاباً كبيراً في الأخبار لم يبق منه إلاّ قطعة صغيرة في تسع ورقات في المكتبة الظاهرية في دمشق ^(٣) .

ونحن نرى المعافى هنا ينقل عنه كثيراً من الأخبار التي تتناول الخلفاء والأمراء ورجال الدولة ، كما تتناول الأدباء والشعراء واللغويين وحكايتهم مع الخلفاء أو مع بعضهم البعض ، وقد تضمنت هذه الأخبار نماذج من الأشعار والأقوال البليغة مما يعكس اهتمام الكوكبي بصفة خاصة بالأخبار والآداب .

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/٣٠ - ٣٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٣١٦/٨ - ٣٢٢ .

(٣) انظر تاريخ التراث العربي لمزكين ٤٤٦/١ ، وقد ذكر أنها توجد في مجموع رقم ٤/١١٠ قسم ٩ .

هذا هو مجمل ما ساقه القاضي المعافي رواية عن الكوكبي ، ويتضح من الروايات أن الكوكبي كان له اهتمام كبير ومتنوع بأدب السمر ، ومن المحتمل أن تكون كل تلك القصص مضمنة في كتابه « الأخبار » الذين أشرنا إليه ، أو أن تكون له عدة كتب يتضمن كلاً منها نوعاً من القصص كأخبار الشعراء أو أخبار العشاق مثلاً ، وهذا ما لم يذكره المؤرخون ، الذين لم يوجهوا عناية خاصة إلى هذا الرجل ، ومن المؤكد أن ما نقله المعافي عنه هو أكبر مجموعة من الأخبار المروية عنه في أي مصدر أدبي أو تاريخي .

أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد المقرئ (ت ٣٥١ هـ) :

ذكره الخطيب البغدادي بقوله : « صاحب التصانيف في التفسير والقراءات ، روى عن أبي مسلم الكجي وطائفة ، وقرأ على أصحاب ابن ذكوان واليزي ، ورحل ما بين مصر وما وراء النهر ، وعاش خمسا وثمانين سنة » (١) .

وكانت للمقرئ عناية بالأدب ، حيث صنف فيه كتاب « الجمع والجماعة » .

وقد روى عنه المعافي كثيراً من الأخبار التي تتعلق بأخبار القضاة وأقوالهم وطرائفهم ، ومن المحتمل أن يكون للمقرئ كتاب في أخبارهم ، ولكن لم يذكره المؤرخون .

أبو النضر العقيلي :

أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن سعيد بن الحارث العقيلي ، قال عنه الخطيب البغدادي أنه روى عن حماد بن إسحاق الموصلي ، ومحمد بن زكريا الغلابي ، ويعقوب بن نعيم الكاتب ، ومحمد بن إسحاق بن راهويه ، ثم

(١) تاريخ بغداد ٦٤/٢ .

قال : روى عنه المعافى .

وهذه المعلومات القليلة التي ساقها الخطيب عن العقيلي مأخوذة من تتبع الخطيب للمرويات التي ساقها المعافى هنا في كتابه الجليس عن العقيلي ، وذكر العقيلي للشيوخ التي رواها عنهم لا غير ، فلم يصف الخطيب شيئاً آخر من عنده للتعريف به .

هذا وقد روى عنه المعافى عدداً لا بأس به من الأخبار التاريخية والظرائف الأدبية من عهد الخلفاء الراشدين ومن العصرين الأموي والعباسي ، وعدداً من أخبار الولاة والقضاة .

محمد بن مزيد الخراعي :

أبو بكر النحوي الإخباري ، المعروف بابن أبي الأزهر ، أخذ عن الزبير ابن بكار ، وكان كاتب أبي العباس المبرد ، واشتهر بأنه من غلاة الشيعة ، ولذا فقد قيل إنه يروي كثيراً من الأخبار المنكرة ^(١) .

ولم يبق من كتب ابن الأزهر إلا كتاب أخبار عقلاء المجانين ^(٢) .

وقد روى عنه المعافى عدداً من الأخبار الطريفة عن الخلفاء والأدباء والعلماء ، وتبدو في بعضها مسحة من التشيع .

زكريا بن يحيى النهرواني المعروف بابن طرارة :

والد المؤلف ، وقد سبق التعريف به في أسطر قليلة لا تتعدى ذكر من روى عنهم ومن رواه عنه ^(٣) ، والواقع أنه كان يمكن ألا نعرف عنه شيئاً

(١) تاريخ بغداد ١٤/٤ .

(٢) انظر تاريخ بغداد ٢٨٨/٣ ، بغية الوعاء ١٠٤ .

(٣) توجد منه نسخة في مكتبة الاسكوريال برقم ٤٨٢ .

(٤) انظر صفحة ٢٤ فيما سبق .

قط لولا معرفتنا بولده ، صاحب هذا الكتاب . وقد روى المعافى عن والده عدداً من الأخبار التي يغلب عليها الطابع التهذيبي والحض على مكارم الأخلاق ، كما أنها تتضمن بعض الأخبار الأدبية ، وها نحن نجملها هنا فيما يلي :

حديث رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بقوم خيراً أكثر فقهاءهم وقلل جهالمهم .

الرسول ﷺ يشتري سراويل من السوق ، وأدبه في الشراء ، وتعلق المؤلف على ذلك .

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشتري أعراض المسلمين من الفرزدق حين كان والياً على المدينة .

الفضيل بن عياض يقول : لو أن لي دعوة مستجابة لدعوت بها للإمام ، فلأن في صلاحه صلاح الدنيا .

أبيات من الشعر الحكيم مكتوبة على شاهد قبر .

بيتان من الشعر الحكيم في التعفف وعدم بذل الوجوه في طلب الفضل من القوت .

أبيات عليّ بن الجهم التي أولها : لعمرك ماكل التعطل ضائراً .

بيت شعر في ختام مجلس .

غار ينطبق على تسعة إخوة وما قالته أمهم من الشعر في رثائهم .

ومن الأخبار الطريفة والأدبية :

رجل شرب نبيذاً ولا يدري أطلق امرأته أم لا ، وآراء الفقهاء في ذلك .

من جود خالد بن عبد الله القسري وأدبه .

كتب رجل إلى يحيى بن خالد في حاجة فمطله إياها ، فأرسل إليه يتي
شعر فقضاها له .

خبر غريب عن وفاة ليلي الأخيلىة .

حديث الشعبي وخروجه مع ابن الأشعث ، وتخلصه من الحجاج .
خبر وضاح اليمن .

أحمد بن العباس العسكري :

حدث عن عبد الله بن الحسن الهاشمي ، وأحمد بن الهيثم بن خالد البزاز ،
وجعفر الصائغ ، وروى عنه أبو حفص عمر بن شاهين وأبو القاسم بن التلاج .
وعبد الله بن عثمان الصفار ^(١) .

وقد احتفظ لنا المعافى بعدد من الأخبار التي رواها عنه ، وهي تمتاز
بالطرافة والغرابة في بعض الأحيان ، ونحن نوجز بعضها فيما يلي :

حزن موسى عليه السلام في أن يخلفه على بني إسرائيل يوشع بن نون .
نص وصية أبي بكر رضي الله عنه بعهدته إلى عمر بن الخطاب .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرف حق خالد بن الوليد ويعلمه في
وفد من بني مخزوم .

محمد بن الحنفية يقف على قبر أخيه الحسن بن علي ويرثيه .

أبو الدرداء رضي الله عنه يسأل : هل قال شعراً قط ، فيقول بيتين ،
ثم يقول : ليس الشعر من شأني .

ومن العصر الأموي والعباسي :

عبد الله بن جعفر يستمع للنساء ، فيحضره معاوية فلا يرى بذلك بأساً .

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٣٠ .

هشام بن عبد الملك يعزل إبراهيم بن هشام المخزومي عن الحجاز ، ورجل في مجلسه يسري عنه فيعطيه جائزة .

الحجاج يولي اعرابياً فينكسر عليه خراجة والمحاورة التي دارت بينهما .
كان أبو العباس السفاح يعجبه السم ، وصف كامل لأحد مجالس سمره مع مجموعة من أهل اليمن .
خطبة فريدة للمنصور في يوم عرفة يصف فيها نفسه بالنسبة للرعية .
المنصور وأبو دلالة .

إسماعيل بن صالح بن علي يغري الرشيد يجعل ولاية العهد لأولاده الثلاثة الأمين ثم المأمون ثم القاسم فترسل إليه أم القاسم عشرة آلاف درهم .
كان الرشيد يحب الوحدة فإذا ركب حماره عادّ كهُ الفضل بن الربيع والأصمعي يسير قريباً منه بحيث يحاذيه ، وإسحاق الموصلي يسير على دابة قريباً من الفضل ، وكان الأصمعي لا يحادث الرشيد شيئاً إلاّ سرّاً به وأضحكه ، فحسده إسحاق وقال : أصبغ باهلي يستطيل .

عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي :

ذكره الخطيب البغدادي بقوله : حدث عن محمد بن الجهم السمری كتاب معاني القرآن . كما روى عن مسلم بن عيسى الصفسار وأبي بكر بن أبي الدنيا ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، قال : . وحدثنا عنه أبو الحسن ابن رزقويه وذكر أنه سمع منه في سنة ٣٤٤ (١) .

ولقد روى عنه المعافى جملة من الأخبار معظمها في الزهد والرقائق ، إذ أن الأزدي رواها عن أبي بكر بن أبي الدنيا صاحب المؤلفات الكثيرة فيهما ، وها نحن نورد جملاً لما فيما يأتي :

(١) تاريخ بغداد ١١٢/٦ .

خبر عن الإسكندر يمر على قرية ملكها سبعة من الملوك وبادوا ، ويجد من نسلهم واحداً يجلس في المقابر فيحاول أن يغريه بالعودة إلى الملك ولكنه يستهزي به وينصحه .

وخبر عنه وهو يفتح إحدى المدن فيعظه أحد أهلها فيستخلفه .
وخبر عنه وأحد الملوك يعظه بما رأى في الدنيا من تجارب وأعاجيب .
ثم عدد من خطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :
منها خطبة فيمن السابق اليوم وشرح غريبها .
وخطبة يعظ الناس فيها وهو مختصره .
ثم وهو يرد المظالم فلا يعجب ذلك عبد الرحمن بن الحكم لمن هشام فيلاحيه فيرد عليه بعض ولد مروان .

محمد بن مخلد بن حفص العطار :

أبو عبد الله الدوري العطار ، كان أحد أهل الفهم موثقاً به في العلم متسع الرواية ، مشهوراً بالدبابة ، موصوفاً بالأمانة ، مذكوراً بالعبادة ، سمع أبا السائب سلم بن جنادة ويعقوب الدوري والزيبر بن بكار وسلم بن الحجاج وخلقا كثيراً نحوهم ، روى عنه أبو العباس بن عقدة ومحمد بن الحسن الآجري وابن الجعابي وابن حيويه والدارقطني والمزباني ومن في طبقتهم وبعدهم ، وتوفي عن ثمانية وتسعين عاماً^(١) .

ولقد روى عنه المعافي ، واختار مما رواه عنه عدداً من الأخبار التاريخية وأخبار العلماء والقضاة وأخبار العشاق ، وتنسم هذه الأخبار بالصفة التعليمية التهذيبية ، ونحن نورد بفصل فيما يلي :

(١) تاريخ بغداد ٤٤/٢ .

خبر حلف الفضول بتمامه .

خبر مقدم وكيع بن خلف وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث علي الرشيد وعرضه القضاء ، ورفض الأولان وقبول ابن غياث وما حدث من المناقشة بينهم بعد خروجهم .

نزاهة حفص بن غياث في القضاء .

المأمون يسأل محمد بن الحسن عن علة خلق الدباب فيقول : إنه للدلة الملوك .

المأمون يختبر الشافعي في كل شيء فيجده كاملاً ، فيختبره في شرب النبيذ فيشرب عشرين رطلاً ولا يتأثر ، وشك المؤلف في ذلك .

بعض ما كان يمتاز به الشيوخ من الزهد ، إسماعيل الديلمي اشتهى حلوى فمنع نفسه من تناولها ، وكان يذكر بسبعين ألف حديث .

موكب زفاف عروس يمر بسعيد بن جبير ، فتداعبه مغنية ببتي شعر .

حديث مؤرق العابد ومرور رجلين على صومعته فأكرمهما وطالبهما بألا يفشيا له سرّاً ، فكتم أحدهما وأفشى الآخر ، وما لقيه في ذلك من جزاء .

الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي :

لم أعر له على ترجمة فيما بين يدي من مراجع .

وقد روى عنه المعافي عدداً من الأخبار معظمها عن العصر الأموي ، مما يرجح أن الكلبي كان له مؤلف عن هذا العصر ، وما نحن نورد مجملها فيما يلي :

علي رضي الله عنه يسأله أحد جنوده عن خروجهم إلى صفين وهل كان بقضاء الله ؟ وإجابته عنه .

كلمات حكيمة له رضي الله عنه .

الحسن بن علي رضي الله عنهما يكتب إلى زياد في أمر سعيد بن مرج
مولى بن حبيب بن عبد شمس فيرد رداً قبيحاً ، فيكتب إلى معاوية الذي يرسل
إلى زياد بقضاء حاجة الحسن على الفور والاعتذار إليه .

عمرو بن العاص يحنجن خراج مصر ، فيعزله معاوية ويولي الأخور
السلمي مكانه ، فيذهب إلى مصر فيسرق عمراً كتابه .

إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي (ففطويه)^(١) :

كان عالماً بالحديث والعربية ، أخذ عن أبي العباس ثعلب وأبي العباس
المبرد وسمع من محمد بن الجهم وأصحاب المدائني ، وصنف كتباً كثيرة
منها : غريب القرآن ، والرد على الجهمية ، وكتاب التاريخ ، ومسألة سبحان
وغير ذلك ، وكان ثقة ، توفي سنة ٨٣٢٣ هـ .

وقد روى عنه المعافي عدداً من الأخبار ، معظمها من الأخبار الأدبية ،
وبعضه تاريخي طريف ، وهذا هو مجمل تلك الأخبار :

فمن الأخبار التاريخية :

ما حدث في حصار عثمان بينه وبين علي[ؓ] ، ثم بينه وبين ابن عباس رضي
الله عنهم .

الحجاج بن يوسف يسأل رجلاً : أخرجني أنت ؟ ورد الرجل عليه بما
يجله يطلق سراحه .

(١) انظر ترجمته في انباه الرواة ١٧٦/١ - ١٨٢ ، وبنية الرعاة ٤٢٨/١ ، طبقات القراء
٢٥/١ ، الفلاكة والمفلوكين ٩٥ ، معجم الأدباء ٢٥٤/١ ، نزهة الألباء ٣٦٠ ، ففطويه
النحوي وآراؤه في التاريخ لأكرم العمري .

وخبر عن قتل المنصور لأبي مسلم الخراساني تفصيلاً .

ومن الأخبار الأدبية :

أبو جعفر المنصور ينصح ابنه المهدي ألا يجلس مجلساً إلا وفيه عالم يحدثه .

أبيات غزلية لإبراهيم بن المهدي ونفطويه ومحمد بن داود كلها في معنى هجر الحبيب وصدوده .

لم امتنع نصيب عن الهجاء في شعره ؟

اعتراف جرير بأفضلية الأخطل عليه في إحدى القصائد .

ابن أبي ربيعة يذهب إلى بثينة بدلاً من جميل فتصده .

عمارة بن عقيل يستمع إلى إحدى قصائد جده جرير في مهاجمة الفرزدق فيطرب ويقول : أكله كله .

عبد الباقي بن قانع :

أبو الحسين الحافظ ، طاف بالبلاد وكان يجمع الأحاديث ويملئها ، سمع من الحارث بن أبي أسامة وإبراهيم بن الهيثم البلدي وطبقتهما وصنف التصانيف وقال اللباز قطني — وكان من تلاميذه — كان يخطيء أحياناً ويصر على خطئه ، وقد وثقه جماعة ، وتوفي عن ست وثمانين سنة عام ٨٣٥^(١) ولم يبق من مؤلفاته إلا كتاب معجم الصحابة ^(٢) .

ولقد روى عنه المعافي عدداً من الأخبار المتنوعة والطرائف الأدبية ، مما يدل على أن ابن قانع كان له اهتمام بالأدب أيضاً ويحتمل أن له فيه بعض

(١) تاريخ بغداد ٨٨/١١ ، ثذرات الذهب ٨/٣ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ٢٢٤/٣ .

المصنفات التي لم تصل إلينا ، ونحن نورد فيما يلي مجملًا لما نقله عنه المعافي .
سعيد بن المسيب يقول عن عبد الملك بن مروان : لا تملثوا أعينكم
من أئمة الجور ولا من أعوانهم إلا " بإنكار قلوبكم كيلا تحبط أعمالكم
الصالحة .

آيات تمثل بها ابن الزبير منصرفه يوم الجمل .

المأمون يخرج ليلاً ليتفقد المطبخ ، وعلى غير المعتاد لم يخرج معه أحد من
الجند أو الحاشية فيلحق به نديم يسمى كلب الجنة وما دار بينهما .

محمد بن حفص الأنماطي يذكر أنه تغلى مع المأمون هو وجماعة فقدم
ثلاثون لوتاً من الطعام ، فكان يذكر مزاي كل صنف ومضاره فقال يحيى
ابن أكثم كلمة سر بها المأمون .

المأمون كان يُسَيِّر أوانيهِ بالقطن ؟ ولا يسيرها بالذهب أو الفضة
علي بن الجهم ينظم العشرة المبشرين بالجنة شعراً حين سأله المتوكل عنهم ،
وتعليق المؤلف على ذلك .

الأصمعي يفضل الطريق في البادية فيصادف أعرابية فقدت ولدها فيحفظ
ما قالت في ذلك .

يزداد بن عبد الرحمن بن يزداد المروزي :

أبو محمد الكاتب ، سمع أبا سعيد الأشج ، ومحمد بن المثني العتري
روى عنه الدارقطني وابن شاهين ويوسف القواس أنه من جملة شيوخه
الثقات (١) .

وقد روى عنه المعافي عدداً من الأخبار الطريفة نلخصها فيما يلي :

(١) انظر تاريخ بغداد ٣٥٥/١٤ .

قول الرسول صلوات الله عليه : « ما أحد من فرسان العرب كنت أحب أن أراه ما خلا عنبرة » .

شعر يزعم صاحبه أن عنبرة فقتت عينه ، ورد أحد بني عباس على ذلك ، وبعض ما ورد في عنبرة من آثار .

أتى شاعر النبي ﷺ فمدحه ، فقال : اقطعوا عني لسانه .

سئل الأعمش عن حديث فامتنع منه ، فما زالوا به حتى استخرجوه منه ، فضرب مثلاً بالقفاف الذي يسرق الدراهم بين يديه وهو يزنها .

خبر معاوية حين تلقى عمر رضي الله عنهما في موكب ثقيل في زيارته للشام .

المغيرة بن شعبة يزيد في عطاء أحد الجند ، لأن أباه كان له صديقاً .

عمر بن الحسن الشيباني (ت ٣٣٩ هـ) :

أبو الحسين المعروف بابن الأشتاني ، كان يتولى القضاء بنواحي الشام ، ثم وليه ببغداد ثلاثة أيام فحسب ، وكان رجلاً من جلة الناس ، ومن أصحاب الحديث المعدودين ، وأحد الحفاظ له ، حسن المذاكرة بالأخبار^(١) .

وقد روى عنه المعافي عدداً من الأخبار التي يغلب عليها طابع الزهد والعظة والرقائق ، وهذا يجمل لبعضها :

علي بن الحسين يقول : إني لأستحي من الله عز وجل أن أدعو لأحد من إخواني بالجنة ثم أئجل عليه بالدنيا .

كلمة حكيمة عن الزهاد وإلى أي شيء يفضى بهم الزهد .

قصة طويلة في امرأة أضرت من عدد من الناس ، وحدث أن وليت

(١) تاريخ بغداد ٢٣٦/١١ - ٢٣٩ :

الملك ، فماذا فعلت بمن أضروا بها .

وفد من الكوفة يقد على معن حين ولي أذربيجان ، وما دار بينه وبينهم ، ثم إكرامه لهم .

محمد بن أحمد الحكيكي (ت ٣٣٦ هـ) :

أبو عبد الله الكاتب ، أصله من بلخ ومثله في درب الأعراب ببغداد ، سمع زكريا بن يحيى بن أسد المرزوي ، ومحمد بن عبد النور المقرئ ، ومحمد بن إسحاق الصاغاني ، والعباس بن محمد الدوري ، وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم من هذه الطبقة ، شغل أبو بكر البرقاني عنه ، فقال : ثقة إلا أنه يروي متاكر ، قال الخطيب البغدادي : وقد اعتبرت حديثه فقلما رأيت فيه منكراً^(١) .

وقد روى عنه المصنف عدداً من الأخبار التي يغلب عليها الطابع الأدبي والشعري وما نحن نورد بعضها فيما يلي .

الفرزدق يستمع إلى أبيات للفضل بن العباس اللهي فتعجبه ويعقب عليها .

نجابة الفتح بن خاقان وهو صبي أمام المعتصم .

أبيات متفاضلة في الملاح لغدد من الشعراء .

ينشد المؤلف بعض أبيات لأبي تمام ، وخبر للمؤلف مع أحد الرؤساء بسبب هذه الأبيات .

عبد الله بن منصور الحارثي :

لم أعر له على ترجمة فيما بين يدي من مراجع .

وقد نقل القاضي رواية عنه بعض النوادر والحكايات الطريفة من عدد

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢١٢ .

بن الأدباء والشعراء والظرفاء ، نورد مجملها فيما يلي :

رؤية بن العجاج يذهب إلى النسابة البكري فيحدثه هذا عن آفة المرعوة وأعداء العلم .

صالح بن حسان يسأل الشعراء في مجلسه عن أحسن ما قيل في امرأة خفرة ، وما قيل في الثريا ، ثم يذكر لهم أحسن ما قيل فيهما .

أبو حرملة الحلاق يحفظ من الشعر ما لا يحفظه سليمان بن وهب .

ابن أبي فنن يعتذر لأبي دلف عن عدم استطاعته الخروج إلى القتال بأبيات من الشعر فيعطيه فيها خمسمائة دينار .

اسماعيل بن يونس بن أبي اليسع (ت ٣٢٣ هـ) :

أبو إسحاق السبيعي ، ذكره الخطيب البغدادي بقوله : حدث عن إسحاق ابن أبي إسرائيل ، وعمرو بن علي الفلاس ، وعباس بن يزيد البحراني ، وأبي الفضل الرباشي ، وعمر بن شبة النميري ، روى عنه أبو طاهر بن أبي هاشم المقرئ ، والقاضي أبو الحسن الجراحي ، والدارقطني ، وابن الللاج ، وكان ينزل دكان الأبناء ببغداد (١) .

ولقد روى عنه المعافي عدداً قليلاً من الأخبار مروية كلها عن الزبير ابن بكار ، وبتعلق بعصر بني أمية والزبيرين ، ومجملها كما يلي :

مصعب بن الزبير يمثّل بيتي شعر عند هزيمته ، وخبر هذه الهزيمة .

ديري يوقع ببعض الهاشميين عند الرشيد .

يزيد بن المهلب وكرمه .

(١) تاريخ بغداد ٢٩٩/٦ .

الخجاج يكتب إلى الوليد بن عبد الملك يبين فيها حجته بعسفه بآل المهلب ،
فيوافقه على رأيه .

أحمد بن كامل بن خلف الشجري (ت ٣٥٠ هـ) :

أبو بكر القاضي ، أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري ، تقلد قضاء
الكوفة من قبل أبي عمر محمد بن يوسف ، وكان من العلماء بالحكام
وعلم القرآن والنحو الشعر وأيام الناس وتواريخ أصحاب الحديث ، وله
مصنفات في أكثر ذلك ، قال منه ابن رزقويه : لم تر عينا مثله ^(١) .

ولم يبق من كتب ابن كامل إلا كتابه : أخبار القضاة الشعراء ^(٢)

ولقد كان أحمد بن كامل صديقاً للمعافي ويشترك معه في التمدب
بمذهب الجريري ، وقد روى عنه هنا عدة أخبار قليلة نورد جملاً لما فيها
يأتي :

قصة رمزية في أن العدل يعمر الممالك والخور يخرّبها ، فقد كان كسرى
يمر على خباء امرأة فطلب منها أن تسقيه فقامت فحلبت بقرتها فدرت لبناً
كثيراً فحدثته نفسه أن يفرض ضريبة على اللبن فجفف صرع البقرة .

خبر يزيد بن معاوية حين وصله قول ابن الزبير فيه : يزيد القرد ،
شارب الخمر ، فجهز عشرين ألفاً لمحاربته .

أبو العيلاء يذهب إلى أبي داود الخريبي ليحدثه ، فيختبره وحين يجده
كما ينبغي يقول له : لو حدثت أحداً لحدثتك .

أبيات لإبراهيم بن المهدي ، أولها :

(١) تاريخ بغداد ٣٥٧/٤ - ٣٥٩ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ٧٠/٣ .

أنت امرؤ متجسّن ولست بالغضببان
وما ورد في هذا المعنى من الشعر .

علي بن محمد بن الجهم (ت ٣٢٧ هـ) :

أبو طالب الكاتب ، سمع أبا موسى محمد بن المنفي ، والحسن بن عرفة ،
وعلي بن حرب ، وعباس بن عبد الله الترقفي ، وأحمد بن يحيى الرسي ،
روى عنه محمد بن المعافر ، والدارقطني ، وابن شاهين ، ويوسف القواس
وغيرهم ، وكان ثقة ^(١) .

وقد روى المعافي عنه عددًا لا بأس به من الأخبار السياسية والاجتماعية ،
نورد مجملها فيما يلي :

عمر رضي الله عنه يعزل عدي بن فضلة وهو الوالي الوحيد من عشيرته
لقوله شعراً في الشعر .

مناظرة ابن عباس للحورية وإقناعه كثيراً منهم .

أحمد بن جعفر بن موسى (جحظة البرمكي) :

الأديب الإخباري ، صاحب الغناء والألحان والنوادر ، وكان فاضلاً
صاحب فنون وأخبار وطرائف ، وكان من ظرفاء عصره ، وهو من ذرية
البرامكة ، وله الكثير من الأشعار الرائقة ، توفي سنة ٣٢٤ هـ ^(٢) .

وقد روى عنه المعافي ثلاثة أخبار ، أحدهما أدبي طريف ، والآخران
سيقا مساق العظة وهذا مجملها :

خالد الكاتب يطلب من علي بن الجهم أن يهب له بيت شعر .

(١) تاريخ بغداد ٧١/١٠ .

(٢) انظر: خدرات الذهب ٣٠١/٣ ، تاريخ بغداد ٦٥/٤ - ٦٦ .

لما مات المعتضد كفن بثوبي قوهي قيمتهما ستة عشر قيراطاً .

جرد شعيب بن عجيـف رجلاً ليضربه فبال من الخوف ، ثم دارت الأيام فبال الرجل على قبره ، وهو لا يدري .

• • •

ولـى جانب هؤلاء الشيوخ الذين روى عنهم المعافى عددًا قل أو كثر من الأخبار ، وتكلمنا عنهم تفصيلاً ، فثمة عدد كبير جداً من الشيوخ روى عنهم المعافى في كتابه هذا خبراً أو خبرين ، وكان بعضهم من مشاهير العلماء كمحمد بن الواحد الزاهد أبي عمر غلام ثعلب ، والحسين بن أحمد بن خالويه ، وهو ينعت بصديقنا ، وأبي جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلـول الأثبـاري ، والحسين بن المرزبان التـحوي ، والحسين بن إسماعيل المحاملي ، وأحمد بن جعفر بن محمد الخواص .. وغيرهم .

أما غير المشاهير فهم عدد كثير جداً يطول بنا الأمر لو ذكرناهم في هذه الصفحات .

على أنه في كل الأحوال استخلص من كل ما رواه عنهم أحسن ما سمعه منهم ، وما كان يمتاز به كل واحد في فنه من تاريخ أو أدب أو فن أو علم ، وقام بتسجيله في كتابه مما يمكن أن يراه القارئ في كل صفحة من صفحاته .

المواد التي أضافها المعافى إلى مروياته :

لم يقتصر القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا في تأليف كتابه على تلك المادة الإخبارية التي ساقها عن شيوخه والتي أشرنا إلى مجملها فيما سبق ، بل أضاف إلى تلك المادة الغزيرة جهداً آخر يتركز عليها ، وهو يتمثل في إضافات وتعليقات وتحقيقات على معظم تلك الأخبار ، وهذه الإضافات تتناول مختلف القنـون من تفسير وقرءات وحديث ومصطلح وفقه ، وذكر لأحوال اجتماعية وسياسية ، وإن امتازت أغلبيتها الساحقة بميزة غالبية هي

الاعتناء بالشرح اللغوي والإعراب والبلاغة والتقد .

وإن لدينا — كما نعلم — كتابين شهيرين في أدب السمر هما « الكامل لأبي العباس المبرد » ، « وكتاب الأمالي لأبي علي القالي » ، وهما من نفس نمط كتاب المعافي ، وإذا كان ابن حزم قد لخص مميزتهما في عبارته الشهيرة : « كتاب نوادر أبي علي ميار لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد ، وإن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخيراً ، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً » فإنه يمكننا أن نقول بعد عبارة ابن حزم إن كتاب أبي الفرج المعافي يجمع مميزتهما معاً ، فهو يجمع بين دفتيه نحواً وأخباراً ، ولغة وشعراً بما يربو عليهما معاً ، ويبدو ذلك واضحاً من حيث الكم فهو أربعة أجزاء بها مائة مجلس طوال ثم هو يبدو واضحاً كذلك من حيث الكيف إذ نرى المؤلف يفيض فيضاً في شرح مسائل كتابه والاستطراد منها إلى مسائل أخرى تتعلق بها وتفرع منها وتم بها الفائدة ، ولتر مثلاً يوضح ما نقول من بين تعليقاته على بعض الأخبار ، يقول المعافي (١) :

حدثنا محمد بن محمد بن حفص العطار ، قال : حدثنا حامد بن محمد بن الحكم بن عبد الرحمن أبو محمد ، قال : حدثنا كردان ، قال : قال لي إسماعيل الديلمي : انتهيت حلوى وأبلغت شهوتها إلى ، فخرجت من المسجد بالليل لأبول فإذا جنيتي الطريق أخاوين حلوى فتأديت : يا إسماعيل ! هذا الذي انتهيت وإن تركته خير لك ، فركته .

قال ابن عثد : وقد كتبت أنا عن كردان ، كان يكون في قنطرة بني زريق ، وقد رأيت إسماعيل الديلمي فكان ما شئت من رجل .

• التعليق على الخبر •

قال القاضي : إسماعيل الديلمي هذا من خيار المسلمين ، وحدثني بعض

(١) المجلس الثاني والسبعون ، ورقة ١٨٤ أ .

شيونخنا من أهل العلم أنه كان حافظاً للحديث كثير السماع ، وأنه كان يذكر بسبعين ألف حديث .

قال القاضي رحمه الله : أخاوين حلوى ، يقال لما يجعل عليه الطعام قبل وضعه : خوان ، فإذا جعل الطعام عليه فهو مائدة ، فإذا رفع الطعام عنه عاد إلى تسميته خواناً .

وزعم بعضهم أن المائدة إنما تسمى بهذا الاسم إذا خف ما عليها من الطعام لأنها حينئذ تميّد ، وزعم الفراء أنه بمنزلة المهدي رجع إذا كان فارغاً إلى اسمه الأول فيقال طبق ومتاع ، ومثله عنده الكأس ، تسمى كأساً إذا كان فيها الشراب ، فإذا أخذت منه رجعت إلى اسمها .

وقال بعض أهل اللغة : الخوان بالكسر : كلام العرب ، وهو خوان بالضم باللسان الفارسي ، ويروي لنا عن الفراء : الكسر والضم في الخوان من كلام العرب ، وجمعه أخاوين مثل سوار وأساوير ، ويجمع السوار أيضاً : أسورة وأساور وأساورة ، والماء في أسورة عوض من الياء في أساوير ، وذكر نحو هذا عن سيويه في زنديق وزنادقة وفرزان وفرازنة .

وقال الأخفش في قوله : ﴿فلولا ألقى عليه﴾ : أسورة — لأنه جمع السوار — وأسورة . قال : وقال بعضهم : أسورة ، فجعله جمعاً للأسورة فأراد أساوير — والله أعلم — يجعل الماء عوضاً عن الياء التي في أساوير .

قال القاضي : وقد قال الله جل ذكره : ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ ، وقال تعالى : ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ فأتى الجمع ها هنا على أساور .

وحكى ثعلب أن الفراء قال : أسورة جمع سوار ، وسوار الذي في اليد يضم ويكسر بلا ألف وجمعه أسورة ، ويجوز أن يكون أسورة جمع أسورة ، كما قيل في الأسقية أساق ، والأسوار والأسوار : الرامي ، وقد

قبل في سوار اليد أنه يجوز فيه أسوار وأسوار ، فيجوز على هذه اللغة أن تكون أساورة جمعه .

وقال الفراء في كتابه في المعاني : من قرأ أساورة جعل واحدا أسوار ، ومن قرأ أسورة فواحدا سوار ، وقد تكون الأساورة جمع أسورة ، كما يقال في جمع الأسقية : الأساقى ، وفي جمع الأكرع : الأكارع .

وقال بعض من شاهدناه من شيوخنا من النحويين في واحد أساور لغتان : ضم السين وكسرهما ، وهو على القياس ، لأن جمع فعال وفعال : أفعلة ، فأما السوار بمعنى السوار وليس بصحيح في القياس فإن كانت لغة فهي شاذة ، ولا يكون جمعه أسورة ، لأن أفعالا لا تجمع على أفعلة ، وإنما الأسوار على أفعال فارسية معربة وهواسم الفارس بالفارسية وليس اسم الرامي كما زعم الفراء ، وجمعه أساوير وأساور بلا ياء ، وأساورة بالهاء عوضاً من الياء وليست أساورة مثل أساق لأن أساق لا هاء فيها فهي مثل أساور .

قال القاضي : وهذا القول أشبه القولين عندي بالصواب .

وهكذا نرى الاستطراد من شرح ومعنى الخوان والمائدة والكأس إلى جموع التكسير ، وتحقيق القول في أسورة وأساور ، إلى القراءات في قوله تعالى : (فلولاً ألقى عليه أسورة) ، كل ذلك بطريق استقصاء الأقوال وبسطها ، ثم اختيار الوجه الأمثل فيها .

ثم نلر أيضاً هذه القطعة في نقد الشعر وتحقيقه ، وهي تتضمن رأي المؤلف في بعض علماء عصره من النقاد ، كما تبين رأيه في قضايا النقد التي يتعرض لها ، يقول :

« ونقد الشعر والتحقيق في معانيه من الصناعات التي أكثر المضطلعين بها قد علموا وقد قلوا ، وقد كان بعض من يختلف إلى الأخذ عنى والقراءة

على من أهل بعض الأطراف قد قرأ على شيئاً مما صنفه ابن السكيت ^(١) في هذا المعنى وابن قتيبة ^(٢)، وما ألف أبو الفرج قدامة الكاتب ^(٣) في نقد الشعر والكتاب المنسوب إلى أبي عثمان الأشنانداني ^(٤) وعلق عني صديقاً صالحاً من الزيادة في ذلك وشرح مستغلقه ، وإيضاح مشكله ، وتفسير مجمله ، وتلخيص مهمله ، وخطيئة من أخطأ في تأويله ، ثم غاب عني فانقطعت عن التفرغ لتتبع ما بقي منه ، فقد وقع إلينا في هذا الباب فقر حسنة عن شيخنا هذه الصناعة في زمانها ، وهما أبو العباس النحويان أحمد بن يحيى ومحمد بن يزيد ^(٥) ، وكان محمد بن يحيى الصولي يتكلم كثيراً في هذا النوع ، ويدعي فيه دعاوى يدفعه عن التقدم فيها ظهور تأخره عنها ، وتفاحش خطئه فيما يورد منها ، وقد أخرج قوماً من هذا القبيل لإعجابهم بأنفسهم وفساد خلطهم إلى تحطئة الفحول من الشعراء والجاهليين ومن بعدهم من المخضرمين ومن يليهم من الإسلاميين الذين قولهم حجة على من بعدهم

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ، كان من أكابر علماء أهل اللغة ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني والقراء وابن الأعرابي ، وأخذ عنه أبو سعيد السكري وأبو حنيفة النعمان ، له كتاب إصلاح المنطق في اللغة ، توفي سنة ٢٤٦ هـ ، ترجمته في إنباه الرواة ٨٣٦ ، مجمع الأدباء ٥٠/٢٠ .

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، العالم الكبير والأديب المتفنن صاحب التصانيف المشهورة التي منها غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وتأويل مشكل القرآن ، وأدب الكتاب وعيون الأخبار وغيرها ، توفي سنة ٢٧٦ هـ .

(٣) هو قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ، كاتب من البناء الفصحاء المتفهمين في علم المنطق والفلسفة ، كان في أيام المكتفي بالله وأسلم حل يده يضرب به المثل في البلاغة ، له من الكتب : نقد الشعر وجواهر الألفاظ والحراج وغيرها ، توفي سنة ٣٣٧ هـ ، ترجمته في فهرست ابن النديم ١٣٠ ، ومجمع الأدباء ٢٠٣/٦ - ٢٠٥ هـ والنجوم الزاهرة ٢٩٧/٣ .

(٤) هو سعيد بن هارون الأشنانداني ، نحوي لنوي ، أخذ عن أبي بكر بن دريد ، وله من التصانيف كتاب الأبيات ومعاني الشعر وغيرها ، توفي سنة ٢٨٨ هـ ، انظر ترجمته في مجمع الأدباء ٢٣٠/١١ .

(٥) يعني بهما أحمد بن يحيى ثعلب ، ومحمد بن يزيد المبرد ، وقد مرت ترجمتهما .

ومن تأخر عنهم ، فأحسن حالاته في هذا الباب أن يكون تبعاً لهم ، فمن ذلك : أن لغدة الأصفهاني ^(١) أقدم على تخطيط الطبقة الأولى كامرئ القيس وزهير والنايعة والأعشى ومن يجري مجراهم ، فخطأهم فيما أصابوا فيه يتفاهم خطئه ، وتعاطف خطئه ، وقد كنت أملت على بعض من حضرني ما تبين فيه قصور معرفته ، وضعف بصيرته ، ثم رأيت أبا حنيفة أحمد بن داود الدينوري ^(٢) قد صمد لكتاب لغدة هذا فصنفه وأورد أشياء صحيحة تبين عن إغفاله وضعف تأمله ، ومع هذا فلسنا ننكر أن يخطئ الرئيس في علمه ، والسابق في فهمه ، فلا يضع ذلك من قدره ، ولا يحطه عن مرتبته ، إذ فوق كل ذي علم عليم ، حتى ينتهي العلم إلى ربنا عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم .

وقد كان للمتوكل خادماً يعرف بعرق الأماوت قد شدا أشياء من الأدب ، وحفظ صدرها من الشعر ، إلا أنه حل بقلبه من النقص ما حل بجسمه ، فظن أنه قد اضطلع بأفانين الأدب ، واطلع على بلاغات العرب ، فأخذ في نحو ما كان لغدة أخذ فيه ، ونسب امرئ القيس إلى ذهابه في بعض شعره عن صحة ترتيب نظمه ، ووصل الشكل بشكله ، ولحاق المثل بمثله ، وحمل الفرع أصله ، وتوهم عليه هذا الباب من العيب ونعاه عليه ، وتكلف بإغفاله إصلاحه عند نقصه بخطأ أتى به من عنده ، وذكر هذا في بيتين من كلمة

(١) هو الحسن بن عبد الله ، الملقب لغدة أو لكدة الأصفهاني ، كان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ، وشاعرتها سواء ، وكانت بينهما مناقشات ، وخرج لغدة منذ صغره إلى العراق ، ثم صار أخيراً رأس علماء اللغة بأصفهان ، ترجمته في معجم الأديباء ٨١/٢ - ٨٤ ، بنية الوعاة ٢٢٢/١ .

(٢) كان مفتناً في علوم كثيرة ، منها اللغة والنحو والمنتهى والحساب والميتة ، وكان ثقة فيما يرويه ، له من الكتب : كتاب ما يلحق فيه العامة والشعر والشعراء ، وكتاب القساسة ، وكتاب الأنواء ، والرد على لغدة الأصفهاني ، والأخبار الطوال والنبات وغير ذلك ، توفي سنة ٢٨٢ هـ ، ترجمته في إنباء الرواة ٤١/١ - ٤٤ ، وبنية الوعاة ٣٠٦/١ ، والفهرست ٧٨ ، ومعجم الأديباء ٢٦/٥ - ٣٢ .

امري القيس الي أولها :

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي

والبيتان :

كأنني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخليلي كرى كرة بعد إجفال

فظن أن امرأ القيس قلب وجه الترتيب ، وعدل عن عجيبة التأليف ،
وأني بذكر الجواد في صدر البيت وقرن به بطن الكاعب ثم صدر البيت
الثاني تشبيه الخمر ، وجعل عجزه في حته الخيل على الكر ، وتوهم أن هذا
مناف غير متشاكل ، ومتخالف غير متماثل ، وأن الوجه في هذا لو تنبه
عليه هو أن يقول :

كأنني لم أركب جواداً ولم أقل لخليلي كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

قال القاضي رحمه الله : ولو تاب إلى هذا الخادم عازب لبه ، وفتح
له القفل الضابط عليه ، لتيقظ للوقوف على فساد توهمه ، ولتجلى له الخلل
فيما آثره وقدمه ، ولعلم أن ترتيب امرئ القيس في هذين البيتين من
أصح الترتيب وأحسنه ، وأوضح التأليف وأبينه ، وأنه متسق مستتب ،
ومتفق متلئب ، ولاستفاد علماً جماً لما تبينه من اطراده وتلاؤمه ، واتلافه
وتقاومه ، وأنه من أحسن حكمة الشعر ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن
من الشعر حكمة » وأنا مبين هذا بياناً كافياً ، وملخصه تلخيصاً مفيداً شافياً ،
إن شاء الله وبه التوفيق :

إن الجواد يركب لأغراض شتى ، منها المحاربة وشن الغارة وإدراك
العدو الهارب ، وفوت الثائر الطالب ، وطلب الأوتار ، وأخذ الثأر ،

والتماس المعيشة ، والرهان ، وزيارة الإخوان ، ومجاراة الأقران ، والسبق والنضال ، والتدريب بالفروسية والقتال ، والركض والرياضة ، والإسراع والمواشكة في الحاجة في لواحق هذه الأمور وتوابعها أو ما يقاربها ويضارعها كالمجازاة والمضاهاة والمباهاة ، وكانوا إذا كان لهم ذحل ^(١) يجرمون الخمر على أنفسهم حتى يثأروا ، فحيث يستحلونها ، قال امرؤ القيس .

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أسقى غير مستحقب إنما من الله ولا واغل

ومنها القصد لضروب اللهو والمتعة ، والنشاط والرتعة ، والالتذاذ باختيال الجواد وقطعه الجدد ، والركوب الذي قصده امرؤ القيس بقوله : كأني لم أركب جواداً ، إنما عني به بعض ما فيه التذاذ ومتعة ، ولهو ورتعة ، وقد أبان ذلك بقوله اللذة ، فكان من أليق ما يليه ويقرن به ما جانسه في التمتع واللهو ، إذ لم يكن ركوبه للغارة والغزو ، فلذلك قال : ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال ، ولو قال بعد قوله : كأني لم أركب جواداً للذة ما اقترحه وقاله الخادم وأشار به لكان قد أتى بجمع من القول غير متسق ، ويضرب من التأليف غير متفق ، ولم يقدم هذا الخادم على هذا الرأي القائل ، والتوهم الباطل ، إلا بعد حذفه من قول امرئ القيس ما يكشف المعنى بإثباته ، ويزداد وضوحاً بإحضاره ، وذلك قوله اللذة ، ولو لم يذكر اللذة لم يؤمن على مثل هذا الراد الشبهة ، وإن كانت من المتأمل الناظر ، والنحير الماهر ، مأمونة لوجوب حسن الظن بامرئ القيس في نظمته ، ونسبته إلى وصل بعض كلامه ببعض بحسب ما يليق به ، وكيف وقد أوضح المعنى وأومى إليه ، وأفصح به ونص عليه .

وأما قوله : ولم أسبأ الزق الروي ، فإنه قد يسبأ زق الخمر للندامى

(١) الاصل : الثار .

واللذة والارتياح والنشوة ، وقد يسأ للبيع والتجارة ، وإلهدائه إلى ذوي المروعة ، ولتحريك الطبائع بشره على ما يذكر الأصفهان ، وبهيج الحقد وطلب الوتر ، والحد في القيام بالثر ، وتجربة الجبان ، وبسط الجنان ، والسماحة في إدخال الشرف بالنفوس ، وبذل كل علق مضنة نفيس ، فأراد امرؤ القيس بما سباه من الخمر هذه المعاني له وما أراد منها ، فكان اللائق بقوله : ولم أسبأ الزق الروي أن يكون عجز بيته هذا لا ما وصفه في قوله : ولم أقل نخيلي كروي كرة بعد إسفال ، فأغفل هذا الخادم المقصوص والأبتر المقصوص ، هذا المعنى ، وأخذ من البيت الأول قوله : للذة فألحقها بالبيت الثاني فلم يتم له بها غير ما قدره ، وذهب عن فهمه ما رتبته امرؤ القيس وقرره .

وما ذكرنا من تقسيم المعاني التي وصفنا في سبأ الخمر أشهر في عرف الناس وكلام العرب من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه ، وقد قال الله : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ ، وهذا معنى بين الصحة غير مشكل على ذي بصيرة ، قال حسان بن ثابت :

نوليها الملازمة إن ألت إذا ما كان مَحَلُّكُ أو لحاءُ
ونشرها فتركنا ملوكاً وأسداً ما يُنْهِنُهَا اللِّقَاءُ

وقال الأعشى :

لعمرك إن الراح إن كنت سائلاً لمختلف عَشَائِهَا وَعَدَاتُهَا
لنا من صحاها خَبْتُ نَفْسُ كَاتِبَةٍ وذكرُ همومٍ ما تَغَيَّبُ أذَاتُهَا
وعند العشي طيبُ نفسٍ ولذة ومال كثيرٍ عنده نشواتها

وقال المُنْتَحِلُ :

ولقد شربت من المدامة بالصغير وبالكبير

فإذا انتشيت فإنني رَّبُّ الخَوَرْتِ والسَّيْرِ
وإذا صحوت فإنني رَّبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ

وهذا كثير جداً ، وقول امرئ القيس : ولم أقل لخلي كرى ، أراد لفرسان خلي ، كما قالت العرب : يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة ، أي : يا فرسان خيل الله ، وقال الله جل ثناؤه وقوله أصدق القول وأحسنه : (واسأل القرية) يعني أهلها ، وقال تعالى ذكره : (وأشربوا في قلوبهم العجل) في قول معظم أهل التأويل ، وذكر بعضهم : أنه سحل وألقى في اليم فشربه ، والقول الأول أولى بالصواب ، لأنه لا يقال فيما شرب ولحس من الماء وغيره قد أشربته في قلبي ، وإنما يقال : أشرب فلان حب فلان في قلبه وعداوته أو بغضه ، وذكرت أبياتاً غزلة لبعض المحدثين فأوردتها هنا لأنني استحسنتها ، وفي بيت منها هذا المعنى وهي :

وقد كنت أرجو في غيابك سلوة ولم أدر أن الطيف إن غبت طالبي
ووالله لا ينكا حب بمثلها وإن كان مكروهاً فراق الحباب
وأشرب قلبي حبها ومشى به تمشي حميا الكأس في رأس شارب
يدب هواها في عظامي ولحمها كما دب في المسروع سم العقارب

أقول : وربما كان الرأي الذي يسطه المؤلف هنا في تعليقه على صحة بيتي امرئ القيس ، وإبطال حجة من قال بفسادهما مسبوفاً به ، فقد أشار إليه أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين ^(١) منسوباً إلى خاله أبي أحمد الحسن بن علي العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ هـ ، كما أشار إليهما المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ حين اعترض سيف الدولة على بيتيه المعروفين :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلهم هزيمة ووجهك وضاء ونفرك باسم

(١) انظر صفحتي ١٥٠ ، ١٥١ .

فقال له : لو وضعت عجز كل منها للآخر لكان أصح وأنسب للمعنى ،
فشرح له أن عجز كل منهما مناسب لصدره تماماً واستشهد ببني امرئ
القيس ، في قصة معروفة ^(١) .

إلاّ أن بسط المؤلف لهذا الرأي وتوضيحه ، وتعليقه عليه وشرحه لغوياً
زيادة على ذلك ، لا يوجد في المراجع الماثلة التي تعرضت له ، وهكذا يمكن
أن يقال في بقية المسائل التي ساقها في مختلف العلوم ، وهو ما يمتاز به كتاب
المعاني عن الكتب الأخرى .

وهذه بعض الأمثلة الطريفة على ما طرقه من مسائل العلوم فيما يلي :

النحو :

عالج فيه مع ذكر الشواهد ما يلي :

١ - حذف حرف الاستفهام في أول الكلام أو فيما عطف به عليه ،
قال : منعه بعض محققي النحويين وأجازه بعضهم ، ثم القول في بيت عمر
ابن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحيها ؟ قلت : بهراً عدد الرمل والحصى والتراب

٢ - تسكين الياء في كلمة باريها ، من قولهم :

أعط القوس باريها

وكان حقها النصب ، وأمثلة أخرى مما ورد من ذلك .

قول الراجز في رسول الله ﷺ :

إن سم خسفاً وجهه تربداً

(١) انظر دراسات في النقد الأدبي لمحمد عبد المنعم خفاجي ، ص ١٤٨ وما بعدها .

وبيان أوجه الإعراب فيه .

٤ - إسكان عين الماضي ، وما جاء منه في الشعر .

٥ - تسكين العين في جمع المؤنث السالم .

٦ - عل ومتى تخفّض .

٧ - تحريك آخر الأمر على نية نون التوكيد .

٨ - الإظهار في موضع الإضمار وحكمته .

٩ - الخلاف بين الكوفيين والبصريين في تأويل معنى قول الشاعر :

أَعَدُّهَا بِالْكَفِّ أَنْ تَمِيلَا

وما ورد من مثل ذلك في القرآن والشعر .

١٠ - (هلم) حجازية وتميمية .

١١ الأسماء المؤنثة الثلاثية إذا كانت ساكنة الوسط مثل هند يجوز فيها الصرف وعدمه خلافاً للزجاج الذي لا يميزه إلا في ضرورة الشعر .

١٢ - المفعول له يجوز إعرابه مفعولاً ثانياً لجعل عند بعضهم ، في قوله تعالى ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حُدُودَ الْمَوْتِ﴾ .

١٣ - صرف الاسم بمعنى ، وعدم صرفه بمعنى آخر ، كقول الشاعر :

إن الثياب بآل هاشم زينة يزهو ويضعف حسنهما في المجلس

لم يصرف هاشم هنا على إرادة القبيلة ، فلو أراد الحي أو الأب لزم الصرف وإلا لم يميز عند الخليل وسيبويه وجمهور البصريين ، لأن الشاعر له أن يصرف غير المنصرف في الشعر ولا يجوز له العكس ، وتفصيل القول في ذلك .

١٤ - لغة من يقرأ المضارع على الرفع بعد أن ولا ينصبه ، والشواهد على ذلك .

١٥ - إعراب ما يلي لولا من الضمير المتصل ، ورأي الكوفيين والبصريين فيه .

١٦ - عمل الصفة المشبهة باسم الفاعل ، وتطبيق ذلك في قوله تعالى ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ ، وقوله بجل شأنه ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ .

١٧ - (نعم) ، وإعراب ما جاء منها في القرآن الكريم .

١٨ - قول ابن الزبير لإعرابي : إن وراكبها ، ردأ على قوله : لعن الله ناقة حملتني إليك ، ومعنى أن هنا ، وتطبيق هذا المعنى على قوله تعالى ﴿إن هذان لساحران﴾ وبسط القول في ذلك بسطاً وافياً .

١٩ - الفصيح فيما كان في الجسد منه واحد أن يؤتى به على لفظ الجميع في تثنيته وجمعه ، كقوله تعالى ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ ، واللغة الأخرى معروفة وهي تثنيته على لفظه ، كقول الهذلي : فتخالسا نفسيهما بعوابط ألخ .

هذه بعض قضايا النحو التي عاجلها القاضي أبو الفرج ، ويلاحظ أنها كلها مسائل حيوية ، مما يحتاج إلى معرفته المتأدب والمتعلم ، وهو يبسط القول فيها ما وسعه الجهد ، ويسوق آراء المدارس النحوية فيها دون ترجيح في غالب الأحيان ، إلا أنه مع ذلك قد يبدي رأياً خاصاً به كما فعل في مسألة التصغير الذي يقصد به التكبير أو التعظيم ، مثل قول لبيد :

دويبة تصفر منها الأنامل

فقد قيل إن دويبة هنا قصد بها تعظيمها ، وجعلها مثبتو الأضداد في اللغة من الأضداد ، ولكن المعافي له رأي آخر يقول فيه :

« ولى في هذا مذهب استخرجته بنظري وما علمت أن أحداً سبقني إليه ولا تقدمني فيه ، ولكن الله الذي يؤتي الحكمة من يشاء ينهي إليه .. »
وملخص هذا الرأي أن الصغير على صغره ، ولكنه أدى إلى عظيم من الأمر في نفعه أو ضرره ، وكل واحد من الأمرين الصغير والكبير على حقيقته في نفسه وخصوصيته في جنسه ، فالدويحية هنا صغيرة جرت أمراً كبيراً .

وبصرف النظر عن آرائه النحوية الخاصة ، أو ترجيحه لبعض الآراء التي يراها مناسبة ، فإنه قد حفظ لنا كثيراً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وترجيحه أحياناً لبعضها على ما أورده منها وخرجناه من كتب النحو في تحقيقنا للجزء الأول كما يراه القارئ في كثير من صفحاته .

اللغة

أما التعليقات والتحقيقات اللغوية فقد أكثر منها المؤلف إلى الحد الذي لا يكاد فيه خبر يخلو عن بعضها طال أم قصر ، كذلك فقد أبان في كثير من تعليقاته منها على خطأ العامة أو الخاصة في استعمال هذا التعبير أو ذاك ، وما نحن نورد أمثلة طريفة مما ذكره منها :

— يقال أهديت العروس هداً ، وهديت هداً ، وطرح الألف أكثر ، والتعليل لذلك .

— الفرق بين ختن الرجل وصهره ، وما ورد في ذلك من الآثار .

— الفارق لفظ يطلق على المرأة فحسب ، ويقال للرجل : صلفت عنده ولا يقال له فارك ، وجمع الفارك وما ورد فيه من الشعر .

— يفيء الظل : يرجع قبل الزوال ، ولا يقال له حينئذ فيء وإنما يقال له ذلك بعد الزوال لرجوعه . والفيء : ما رد له على المؤمنين من مال المشركين .

- الفرق بين المطايب والأطاييب .
- معنى السوق والفرق بينهم وبين السفلة .
- الفرق بين الشواة والسراة ، وتصحيح أبي عمرو بن العلاء كلمة شواته في بيت الأعشى :
- قالت قتيابة ماله قد جلت شيباً شواته
إلى سراته ، ثم عدوله عن ذلك .
- الفرق في المعنى بين يستأذيه ويستعديه .
- معنى الغنيمة الباردة .
- الأعضب ، وما ورد فيه من اللغة والفقہ .
- معنى الصافن والماهن ، وبعض الشواهد عليهما من القرآن والشعر .
- شرح مادة حال لغوياً .
- الفرق بين السرف والإسراف ، والشواهد على ذلك .
- شرح مادة (حرج) وتقلباً لغوياً .
- لا تريم لا تستعمل إلا منفية بمعنى ما تزال .
- الأثافي بالتشديد واحداثها أثفية بالتشديد مثل أمانة وأماني وأوقية وأواق ، وقد يقال بالتخفيف ، وقيل هو في تخفيفه وتشديده بمنزلة قراقر وقراقرير في جمع قرقور ، وهم يخففون لكثرة الاستعمال .
- أصمى أصله عنده أصمم ، فاستثقل التضعيف فقلل أصمى ومثله تمطى وتمطى أصلهما تمطط وتمطض ، والشواهد على ذلك .
- معنى الكأس وهل هو اسم للخمر أو للإناء ، والشواهد على ذلك .

- متى يقال الليلة البارحة ، ومتى يقال الماضية .
- شرح الخرفة والحلفة ، والشواهد على ذلك .
- اليفاع : المرتفع ، وقولهم : أيفع الغلام فهو يافع من نوادر أبواب العربية ، لأنه جاء على أفعل فهو فاعل ، وله أخوات منها أورق الظل فهو وارف ، وأورس الرمث فهو وارس .
- الألف والتف ومعناهما ، وما ورد فيهما من النصوص .
- حاتم الطائي ينحر ناقة أعرابية طلبت منه أن يفصدها لها ، وقوله : هذا فصلي أنه ، واللغات في فصلي وأنا .
- نعم ولا ، وما قيل فيهما من النظم والنثر ، واللغات في نعم .
- اللعن والشنب واللى ، والأفعال منها .
- معنى نزاهة طعمة ، وشرح معنى الطعمة ، وما جاء في ذلك على لسان العرب .
- كفة الحابل وكفة الميزان .
- وهي كلها أشياء صحيحة وردت في كتب اللغة ، وإن كان المعاني قد أبرزها في كتابه وأكثر من الشواهد عليها ، وحرص على إبرازها قصداً لإفادة المتعلمين والمتأدبين
- ومن إصلاح خطأ العامة :
- قولهم إمرة مطاعة بكسر المزة خطأ ، وصحتها إمرة بفتحها ، لأنها اسم مرة من أمر ، أما الإمرة فهي الإمارة .
- قولهم ينصحنى خطأ والصحيح ينصح لي .
- الطرب : استطارة تلحق المرء عند الشيء يسره أو يحزنه ، وظن

- العامة أنه يقال في الفرخ خاصة خطأ ، والشواهد على ذلك من العربية .
 — الزمرد بالبدال المهملة خطأ وصحتها الزمرد بالبدال المعجمة (١) .
 — يقولون : أظ بفلان أي جحدده حقه ، والمعروف في العربية لظ ،
 وإن كان اسم الفاعل منه ملط على غير قياس .

الصرف والعروض

- وهذه بعض المسائل التعليمية من باب الصرف والعروض التي أوردتها
 المعاني في كتابه :
 — الفرق بين الوزن الصرفي والوزن العروضي .
 — الابدال والقلب في مثل جیده وجذبہ ، وما أطيبه وما أيطبه .
 — الخششاوان : العظمان الناشزان وراء الأذنين ، الواحد خششاء ،
 وفيها لغتان احدهما هذه مثل فعلاء ، والأخرى خششاء على فعال مثل
 قسطاس وفسطاط من الصحيح ، وقوباء من المعتل ، وليس في الأسماء على
 هذا الوزن غيرهما .
 — المهابة : وزنها عند البصريين فعلة باعتبار الهاء زائدة ، وعند الكوفيين
 فعال على اعتبار الهاء أصلية ..
 — كثير من الأدباء يشدد اللام في كلمة ملاحية في قول أبي قيس بن
 الأسلت :

وقد لاح في الجو الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نورا
 وذلك خطأ ، فلة العرب القصيدة السائرة : ملاحية بتخفيف اللام ،

(١) هذا صحيح رغم غرابته ، انظر اللسان ٢٧/٥ .

يقال : عنب ملاحي ، ويقول المعافى : وأرى أن الذي أوقعهم في هذا أنهم لما رويوا هذا البيت بظهور الزحاف فيه إذا روي خففاً على الوجه الصحيح وسلامته من ذلك إذا شددوا ، ولم يعلموا جواز الزحاف واطراده وظهور استعماله وأن أكثر الشعر مزاحف وما لا زحاف فيه قليل نذر جداً ، وهذا البيت من الطويل الثاني ، والزحاف فيه ذهاب باء مفاعيلن ورده إلى مفاعيلن ، ويسمى هذا النوع من الزحاف قبضاً للذهاب خامس حروف الجزء ، ويسمى الجزء الذي لحقه هذا الزحاف مقبوضاً ، وقد تسقط نون مفاعيلن على معاينة القبض فيه ، وهو ذهاب الياء ولا يجتمعان في السقوط ، ويسمى هذا الزحاف الكف للذهاب السابع من حروف جزئه ، ويسمى الجزء مكثوفاً .

— قول الشاعر :

يا باري القوس برياً لست تحسنه أفسدت قوسك أعط القوس باريها
الرواية الشهيرة على ألسنة الخاصة والعامة « باريها » بإسكان الياء وكان حقها أن تنصب بالفتحة ، فإن رويت بالرواية الشهيرة كان البيت من البسيط الثاني ، وبيته من العروض :
قد أشهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحين سرحوب
عروضه فعلن ، وضربه فعلن ، وعروضه في مصرعه فعلن إلحاقاً له بضربه .

وإن رواه راو على أصله في تحقيق الإعراب وفتح الياء فقال باريها ، كان إذا من الضرب الأول من البسيط ، وبيته في العروض :
يا حار لا أرمين منكم بداهية لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك
وإذا روي هذا استقام إعرابه ووزنه ، واستوى عروضه وضربه .

البلاغة

كذلك أورد المعاني بعض الآراء البلاغية في كتابه ، كما سبق أن أشرنا وبعضها يعتمد على ذوقه الخاص في الشرح والبسط والتوضيح ، وها نحن نذكر بعضها فيما يلي :

— يروي المعاني أن ابن يسير المديني مر بقرية فلذا برجل يترنح من الشراب قائم يبول ، قال : فسألته عن الطريق فقال : أمامك ، ثم لحقني فقال : انزل ، فترلت فقال : ادن دونك وعليك الحانة ، فدخلت فأحضر سفرة واستل سلة فأخرج منها رغيفاً وقطعاً من لحم ، فقال : أصب ، فأصببت ، ثم سقاني خمرأ ، فإذا أبو مالك ، ثم قال لي : كيف علمك بالشعر ؟ قلت : قد رويت ، فأنشدني قصيدته :

صرمت حبالك زينب ورغوم

حتى انتهى إلى قوله :

حتى إذا أخذ الزجاج أكفنا
نفحت فأدرك ريحها المزكوم
قال : ألسنت تزعم أنك تبصر الشعر ؟ قلت : بلى ، قال : فكيف لم تشقق بطنك فضلاً عن ثوبك عند هذا البيت ؟ قال : قلت : قد فعلت عند البيت الذي سرقت هذا منه ، قال : وما هو ؟ قلت : بيت الأعشى :
من خمر عانة قد أتى لختامها
حول يفض غمامة المزكوم
قال : أنت تبصر الشعر ، فلما صرت إلى سليمان سمرت معه بهذا أول بدائي .

قال القاضي : للأعشى في هذا المعنى بيت هو أبلغ من هذا البيت في كلمة أخرى ، وهو :

من اللاتي حملن على الروايا
كريح المسك تستل الزكاما

واستلال الزكام أبلغ من فضبه ، لأن استلاله نزع وإخراجه ، وفضبه نشره وتفريقه وكسره كفض الخاتم ، وفي فضبه مع هذا لإزالته وتنحيته كما يزول الخاتم عند فضبه فيفارق ما كان حالاً فيه ولازماً له ، وفي قول الأخطل :

... فأدرك ريحها المزكوم

من البلاغة أنه إنما يقويه لإدراك المسموم لحلول الزكام به ، وغلبته إياه ، فإذا أدرك ريح الخمر التي كان الزكام حائلاً بينه وبينها عند نفحتها ، فلنما ذلك لزوال الزكام المانع الحائل بينه وبين إدراكها ، وقد تترك الرائحة بعد خفة الزكام وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته ، فمن ها هنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى .

٢ - يورد المعافي خبراً يذكر فيه أن عبد الملك سأل الشعبي عن أحكم ما قالت العرب وأوجزه ، فيورد له عدداً من الأبيات الحكيمة من بينها قول النابغة :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب
وقول الشماخ :

وكل خليل غير هاضم نفسه لوصل خليل صارم أو معارز

فيقول له عبد الملك : سحجنتك يا شعبي ، يقول الطفيل الغنوي :

ولا أخالس جاري في حليلته ولا ابن عمي غالني إذا غول
حتى يقال إذا دليت في جدث أين ابن عوف أبو قران مجول

ويعقب المعافي على ذلك بقوله : إن بيتي الطفيل اللذين أنشدتهما عبد عبد الملك وفضلهما وزعم أنه حج الشعبي بهما وإن كانا بليغين جيدي المعنى ، فالذي أنشده الشعبي من أشعار الشعراء غير مقصر عنهما ، ومن

تأمل ما وصفنا وجده على ما ذكرنا من غير أن يحتاج إلى تكلف تفسير ذلك ، وإطناب في الاحتجاج له .

فأما بيت الشماخ ، فإن معنى غير هاضم نفسه أي حامل عليها لخليله ، والهمضم التقص ، يقال : هضم فلان فلاناً حقه أي نقصه ، قال الله جل جلاله : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ ، وأما قوله : « ومعارز » فالمعارز المنقبض ، يقال : استعزز عني فلان إذا انقبض ، وألقيت البضعة على النار فعززت . وكان الشماخ سلك سبيل الثابتة في بيته الذي أنشده الشعبي في هذا الخبر ، وأصل الغرض في هذه الجملة على ما بين البيتين مما لأحدهما من الشف ومن تنقيح ألفاظ الشعر ، وفضل استغناء أجزاء أحد البيتين على أجزاء الآخر ، وأنا قائل في هذا قولاً يبين صحته ويوضح حقيقته إن شاء الله ، فأقول وبالله التوفيق :

إن جملة ألفاظ البيتين التي يجمعها على معنى واحد ، هو أن الذي يحفظ الأخوة بين الآخرين ويحرس الخلّة بين الخليين أن يلم أحدهما صاحبه على شعثه ، ويهضم له نفسه ، ومتى لم يفعل هذا لم يكن على ثقة من استبقائه ، وكان بعرض مصارمته وانقباضه عنه ومعارزته ، وبيت الثابتة في هذا الباب أفحل وأوفى وأجزل وأشفى ، وقد كشف عن العلة فيما أتى به بقوله : أي الرجال المذهب ، فأحسن العبارة عن هذا المعنى : من لك يوماً بأخيك كله ، وقد نوه ببيت الثابتة هذا رواة الشعر ونقلته ونقاده وجهابذته ، واستحسنوا تكافؤ أجزائه ، واستقلال أركانه ، واشتماله على فقر قائمة بأنفسها ، كافية كل واحدة منها وهذا من النوع المستفصح ، والفن المستعذب المستملح من أعلى صفات البلاغة ، وقد أتى القرآن منه بالكثير الذي يقل في ما أتى منه في الشعر إذا قيس إليه ، وتبين للمميزين كبير فضل ما في القرآن عليه ، فمن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت

لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴿١﴾ . ولنا في هذا الباب رسالة أبتنا فيها رجحان ما في القرآن من هذا الجنس على كثرة ما أتى عليه في الشعر على قلته ، فلم نطل كتابنا هذا بإعادته .

وفي مكان آخر يبين المؤلف رأيه في نقد الشعر ، وفي الصفات التي يجب أن يتصف بها ناقد الأدب ، فيقول :

إن هذا الأمر يختلف بحسب اختلاف الأمزجة وتركيب الأبنية ، ويلحق بما يختلف فيه شهوات الناس ولذاتهم من الأطعمة والأشربة ويؤثرونه من المراكب والملابس والمواطن والمجالس ، وكذلك تختلف أحوال الناس في اختيارهم لأوزان الشعر ، وكثير منهم بالطويل أشد إعجاباً منه بغيره ، ويذهب غيرهم إلى مثل هذا في البسيط ، وبعضهم في الكامل ، وبعضهم في الوافر وقد كان قدامة الكاتب يرى تقدم أول السريع على غيره من أنواع الشعر في بهائه وتقبل الطبايع له ، وذهب غيره إلى إثارة الخفيف وذكر أن الأملح أحسن موقعاً منها فيما سواه ، قيل : ولذلك صار محملاً من الزحاف ما لا يحتمله غيره .

ثم يبين رأيه فيما يجب أن يكون عليه ناقد الشعر فيقول :

إن نقد الشعر على التحقيق عزيز جداً ، وإن الناقد الذي يعتمد عليه في النقد ، ويرجع في صحته إليه ، لا يكون كاملاً حتى يكون مفرقاً على الصحة بين المطبوع على المنظوم المؤلف وبين النظم المتكلف والطويل المتعسف ، ويكون ناقداً غير مقصر على تأدية مسموعها وحفظ منصوبها ومسطورها ، ومضبطاً بلطف الإعراب وقياس النحو ، حافظاً للأمثال المضروبة ، مهتدياً بأعلام الفضل المنصوبة ، حاصراً لمجاري العرف والعادة ، آخذاً من كل علم وأدب يحظ وضارباً في صناعات الفكر بسهم ، ويكون نظاراً مدرها ، وقد أنس بحملة من أساليب المتفلسفين ،

وصناعة المتكلمين ، وجدال المتناظرين ، ويكون مع هذا بعيداً من الهوى والتعصب لنوع دون نوع ، وشخص دون شخص ، وبحسب تكامل هذه الخلال ، واجتماع هذه الخصال ، يتكامل لناقد الشعر نقده ، وبحسب ما يعدم منها يقل حظه ، وبقدر تمكن هذا الناقد من النقد ، يميز بفكره بين الرجحان والتساوي والتقصان ، كما يميز وازن الذهب والفضة بين الزائد والمعتدل والتناقص بالعيان ، ويتجلى المعنى لأحدهما ببصره وللاخر ببصيرته .

وهذا كلام سديد ومنطق صائب ، يدل على أن المؤلف قد تفرس بهذه الصناعة ، وكانت له نظرات قيمة فيها ، فما دام يرسم هذا الدستور الحكيم لغيره ممن يود أن يكون ناقدًا ، فلا بد أن يكون هو قد انتهجه لنفسه فيما أبداه في كتبه من آراء ونقدرات ، وللأسف فإن شيئاً من هذه الكتب لم يصل إلينا ، ولم تبق من آراء المعافى النقدية إلا تلك التي نراها في كتابه هنا ، ورغم قلتها فلنأخذها كما نرى تدل على صفاء القريحة ونفاذ الذهن .

• • •

العلوم الدينية والشرعية

لما كان القاضي المعافى بن زكريا من كبار العلماء المعينين في الأصل بالعلوم الدينية والشرعية من تفسير وقراءات وحديث وفقه ، فلا بد إذاً ألا يخلو كتابه من شيء منها ، والواقع أنه رصع كتابه ببعض تلك الآراء التي نراها بين الفينة والفينة فيه . وفيما عدا الأحاديث النبوية الشريفة التي افتتح كل مجلس من مجالسه بواحد منها — غير التي تأتي في ثنايا المجالس — فإن المادة الدينية والشرعية تعد قليلة في الكتاب ، وسوف نشير إلى بعض الأمثلة منها وطبيعتها .

الحديث النبوي

بدأ المؤلف مجالسه المائة — كما قلنا — بحديث نبوي شريف وقد يرجع ذلك إلى عمق تدينه وإيمانه ، فهو قد التزم بأن يفتتح مجالسه بالحديث النبوي تبركاً وتشرفاً به ، أو ليدل على سعة محفوظه منه ، في حين أننا لا نرى ذلك ملترماً في معظم كتب الأدب الأخرى .

أما طبيعة تلك الأحاديث النبوية الشريفة فإنها كلها من أحاديث الفضائل التي نحث على خلال المروءة وخصال البر ، والخص على الكرم والمعروف والصلّة ، وكأنه بذلك يبحث الأغنياء والموسرين في عصره على البذل والسخاء على إخوانهم من الفقراء والمعوزين ، الذين كثر عددهم في ذلك

العصر كثرة هائلة نتيجة للفن والقتال الذين سيطرا على البلاد في ذلك العصر .

وقد يلجأ أحياناً في سبيل ترقيق القلوب وحثها على عمل المعروف إلى إيراد بعض الأحاديث الضعيفة ، كحديث حميري بن عبد الله والحية التي صادفها ، فطلبت منه أن يخبثها من عدوها ، ثم لا تجد مكاناً غتاراً لاختفائها إلا في جوفه ، وحين يفعل وينقلدها من عدوها تأبى إلا أن تقتله ، فيرسل الله إليه من يخلصه منها ، ويكون ذلك المخلص بمعرفة الذي فعله تمثل في صورة إنسان ، وأهداه شراً أنزل الحية ممزقة من جوفه ، ولا شك أنها قصة مؤثرة تبعث الأرمية في النفوس ، ولكن يبعد أن يكون رسول الله ﷺ قد تحدث بها ، فقد كان أبعد الخلق عن التحدث بالخرافات أو الأساطير ﷺ ، غير أن العلماء في ذلك العصر كانوا يرون أنه لا بأس بذكر هذه الأحاديث ولا يتشددون في تمحيصها باعتبارها من أحاديث الفضائل التي لا ترتب عليها أحكاماً شرعية من أحكام العبادات أو مصالح العباد .

ولقد قام المؤلف بشرح هذه الأحاديث شرحاً بسيطاً يبين العظة التي فيه ، أو العبرة التي تؤخذ منه .

وبالإضافة إلى هذا فقد ذكر بعض المواد التي تتعلق بعلوم الحديث أو أخبار المحدثين الطريفة ، ومن ذلك :

١ - البحث عن أصل حديث مدلس^(١) ، فهو يروى خبراً عن محمد بن مخلد بن حفص العطار ، أنه قال : حدثنا أبو يحيى محمد بن سعيد بن

(١) الحديث المدلس قسمان : مدلس الإسناد ، ومدلس الشيخ ، فأما مدلس الإسناد فهو ما رواه الراوي عن لقيه ولم يسمعه منه موهماً أنه سمع منه ، وقيل : أن يروى عن سمع منه ما لم يسمعه موهماً أنه سمعه ، وأما مدلس الشيخ فهو ما سأل الراوي فيه شيخه أو كناه أو وصفه بما لا يعرف به ، وكلاهما مكروهان ، إلا أن الأول أشد كراهة من الثاني ، انظر الطراز الحديث في فن مصطلح الحديث ١٧ .

غالب العطار سنة ست وخمسين ومائتين ، قال : سمعت نصر بن حماد ، قال : كنا على باب شعبة ننذاكر ، فقلت : حدثنا إسرائيل بن يونس ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر ، قال : كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله ﷺ فحدثت ذات يوم والنبي ﷺ حوله أصحابه فسمعته يقول : « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين واستغفر الله غفر الله تعالى له ، قلت : يخ يخ ، فجلدني رجل من خلفي فإذا عمر ، فقال : الذي قال قبل أحسن ، قلت : ما قال ؟ قال : « من شهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ، قيل له : ادخل من أي أبواب الجنة شئت » .

قال : فخرج شعبة ^(١) فلطمني ثم رجعت فدخل بيته من ناحية الباب ثم خرج فقال : ما له ؟ بعدُ يبكي ؟ فقال له عبد الله بن إدريس : إنك أسأت إليه ، قال شعبة : انظر ما يحدث عن إسرائيل ، عن عبد الله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ ؟ أنا قلت لأبي إسحاق : من حدثك ؟ قال : حدثني عبد الله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي ﷺ قلت : فغضب ، ومسعر بن كدام حاضر ، فقال مسعر : أغضبني الشيخ ، قلت : ليصحيح هذا الحديث أو لأرمين بحديثه ، فقال لي مسعر : عبد الله بن عطاء بمكة ، قال شعبة : فرحلت إلى مكة لم أرد الحج أردت الحديث ، فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته ، فقال : سعد بن إبراهيم حدثني ، قال شعبة : فلقيت مالكا فقال : سعد بالمدينة لم يحج العام ، قال شعبة : فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم ، فقال : الحديث من

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم ، أبو بسطام الواسطي الحافظ العلم ، أحد أئمة الإسلام وأمر المؤمنين في الحديث ، وهو أول من فتن بالهراق عن أمر المحمدين ، وجانب الضملاء والمتركون ، وصار علماً يقتنى به ، وحبته عليه بهذه أهل العراق ، ولد سنة ٨٢ وتوفي سنة ١٦٠ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٩٣/١ ، تاريخ بغداد

عندكم زياد بن غرقا حدثني ، قال شعبة : فلما ذكر زياد بن غرقا قلت : إيش هذا ؟ الحديث بينما هو كوفي إذ صار مدنياً إذ صار بصرياً ! قال شعبة : فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن غرقا فسألته ، فقال : ليس هذا الحديث من هاتيك ، قلت : حدثني به ، قال : لا ترده ، فقلت : حدثني قال : حدثني شهر بن حوشب ، عن أبي ريحانة ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي ﷺ . فلما ذكر شهراً قلت : دمر على هذا الحديث ، لو صح لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ كان أحب إليّ من أهلي ومالي والناس أجمعين .

ويعلق القاضي على هذه القصة التي تبين جهد الأئمة الكبار في تنقية حديث الرسول الكريم من الدخيل فيه ، والتدقيق في الكشف عن صحيحه من زائفه ، بقول يشرح فيه حقيقة التذليس والمذلسين وحكم ذلك ، فيقول : والتذليس في هذا الحديث كثير ، والمذلسون من أهله كثير ، وكان شعبة ينكر التذليس ويقول فيه ما يتجاوز الحد ، مع كثرة روايته عن المذلسين ومشاهدته من كان مدلساً من أعلام أهل العلم المحدثين ، كالأعمش وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وغيرهم ، والمذلس من هؤلاء ليس بكذاب في روايته ، ولا مجروح في عدالته ، ولا مغموض في أمانته ، وأعلام الفقهاء يحتجون في الدين بنقله ، وكان الشافعي لا يرى ما يرويه المذلس حجة إلا أن يقول في روايته حدثنا أو أخبرنا أو سمعت (١) ، وقد وجدنا لشعبة مع سوء قوله في التذليس تدليساً في عدة أحاديث رواها ، وجمعنا ذلك في موضع هو أولى به .

• • •

(١) من المعروف أن المذلس لا يستعمل في المادة هذه الألفاظ ، بل يقول عبارات مبهمّة مثل : عن فلان ، أو قال فلان ، أو أن فلاناً قال كذا ، انظر الطراز الحديث ١٧ .

(كثير من علماء الحديث لا يضبط اللغة)

ثمة ملاحظة أخرى يسوقها المعافى عن أصحاب الحديث ، فهو يقول عنهم : إن كثيراً منهم لا يضبط اللغة ، وأورد لذلك مثلاً وهو ما رواه عن محمد بن نوح بن عبد الله المعروف بالهنديسابوري في حديث الغار الشهير ، من قول أحد الثلاثة الذين حجروا فيه بصخرة هبطت من الجبل فسدت باب الغار ، فدحا كل منهم بدعوة صادقة عسى الله أن يفرج عنهم ما هم فيه ، وقال أحدهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان ، وكان لي امرأة وصبوة ... الخ .

ويعلق المعافى على ذلك بقوله : روى لنا الهنديسابوري هذا الخبر ، فقال فيه الصبوة ، كأن الالفاظ اعتبر فيه لفظ الصبوة من قولهم : صبا بصبو ، والسائر في كلام العرب الصبية في جمع صبي ، وأصحاب الحديث لا يضبط كثير منهم مثل ذلك فيحمله ولا يضبطه ، ورسول الله ﷺ أفصح العرب ، وكلامه جار على أوضح الإعراب وأعلى مراتب الصواب

(وهم يضمنون بالتحديث)

وهذا شيء مشهور عن كثير من أعلام المحدثين ، فقد كانوا يضمنون

بالتحديث إلى الآخرين رهبة من الكذب في الحديث وخشية الخلط فيه ،
 فتيبوا الواحد منهم مقعده من النار ، وأمثلة تخرجهم من هذا كثيرة ،
 ولكن المعافي يروى خبراً طريفاً في ذلك ، وذلك أن أبا العباس أحمد بن
 يحيى ثعلب كان يود أن يستمع من الإمام أحمد بن حنبل ، قال : فدخلت
 عليه فرأيت رجلاً لا يحب أن يكثر عليه ، كأن النيران قد سحرت بين
 يديه ، فما زلت أرفق به ، وتوسلت بالشيبانية إليه ، فقلت : أنا من مواليك
 يا أبا عبد الله ، وذكرت له عبد الله بن الفرج قال أبو العباس : وعبد الله
 هذا من صالحى أهل البلد فقرم إلى حديثي وانسط إلي وقال : في أي شيء
 نظرت ؟ فقلت : في علم اللغة والشعر ، فقال : مررت بالبصرة وجماعة
 يكتبون عن رجل الشعر وقيل لي : هذا أبو نواس ، فتخللت الناس
 ورأني ، فلما جلست أملّ علينا :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة	ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمرؤ الله حتى تتابعبت	ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى	ويأذن في توباتنا فتتوب

ثم أطرق فعلمت أنه قد مل ، فسلمت وانصرفت ، وهكذا تخلص الإمام
 أحمد من التحديث برواية بعض أبيات الشعر .

• • •

التفسير والقراءات

كذلك فقد أورد القاضي أبو الفرج المعافى في كتابه هنا بعض المواد في علمي التفسير والقراءات ، فلقد كان عالماً كبيراً في هذين الفنين وله فيهما مؤلفات إلا أن ما أضافه من التفسير يعتبر قليلاً جداً ، ولا يكاد يبدأ في تفسير الآية الكريمة حتى يتخلص من ذلك بقوله : وشرح ذلك مستوفى في كتابنا « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » ، والغالب على طبيعة تفسيره الناحية اللغوية وإيراد القراءات المختلفة ، فمن النموذج الأول تفسيره لقوله تعالى : (الذين جعلوا القرآن عضين) ، قال فقيـل : إنه من العضـه بمعـى السـحر ، فقد وصف المشركون القرآن بأنه سحر ، وقيل : لأنهم عضوه بأن آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وقيل : بل اقتسموه بينهم استهزاء ، فقالوا : لفلان هذه السورة ولفلان هذه السورة ، فعضوه كما تعضى الشاة وكما تقسم أعضاء الجزور وتوزع بين مقتسميها ، وهذا فيما يتضمن البيان عنه بمشيئة الله وعونه كتابنا المسمى « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » .

ونأتي على ما جاء فيه عن أهل العلم وأصحاب التأويل والمفسرين ، وعن أصحاب المعاني التحويين ، ومن العضة السحر ما أنشد فيه عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال أنشدنا أحمد بن يحيى :

أعوذ بربي من النافثا ت في عقد العاضه العضه

وقال : يعني بهما الساحر ، وقال أبو موسى الحامض : العضة الذي يأتي بالأمر العظيم ثم يبهت .

أما النوع الثاني وهو ما يختلط فيه التفسير بالقراءات فكثير جداً وبخاصة في المجالس الأولى من كتابه ، فهو يبين أوجه القراءات المختلفة ناسباً كل قراءة إلى صاحبها في بعض الآيات مثل ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ ، وقوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لننبوءنهم من الجنة غرقاً﴾ ، وقوله ﴿لا يفتننكم الشيطان﴾ ، وفي كل ذلك لا ينس أن يورد في ذلك ما جاء من كلام العرب (انظر صفحات ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٤ من النص) .

وقليلاً ما شرح معاني الآيات لذهابها أو ذكر السبب في نزولها ، وذلك كما فعل في تفسيره لقوله تعالى ﴿التي أولى المؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ فقد شرح وبين ما يترتب عليها من أحكام ، كما بين من نزلت فيه الآية الكريمة : ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ .

وأما القراءات ، فقد أورد الكثير منها بأسطاً القول في بعضها ، مجملًا في بعضها الآخر ، ولكنه لا يذكر توجيه ما يأتي به من أقوال فيها ، بل يحيل على كتبه الأخرى بقوله مثلاً : ﴿وفي استقصاء هذا المعنى ، وذكر ما يتصل به لتفريق من فرق بين بعضه وبين بعض ، والاحتجاج فيما اختلف المقرئون فيه ، مواضع جمة من كتبنا في علوم القرآن .

كذلك لم يخل المؤلف كتابه من بعض مسائل الفقه والفرائض ، ولقد كان المأمول أن يعبر فيها عن مذهب الجريدي الذي كان معتقداً له ، ويعد أكبر المدافعين عنه ، فيحفظ لنا بذلك بعض آراء هذا المذهب الذي اندثر وضاعت مؤلفاته ، ولكنه في الواقع اكتفى هنا بأن يورد بعض المسائل الفقهية التي تنسم بالطرافة فحسب ، شارحاً فيها مذاهب الفقهاء من التابعين أو الأحناف أو الشافعية مكتفياً بذلك أحياناً مرجحاً لبعضها أحياناً أخرى ،

غير أنه في ترجيحه لا يذكر أن هذا هو مذهبه أو مذهب شيخه ابن جرير الطبري إلا نادراً وفيما يلي بعض أمثلة من هذه المسائل :

— إلقاء الكلام على المصلي وهل يجب على المصلي الرد أم لا ، وحكم ذلك في أول الإسلام وبعده ، وكذلك تسميت العاطس في الصلاة .

— الرجل يشرب نبيذاً ثم لا يدري أطلق امرأته أم لا ، ورأى سفيان الثوري وأبي حنيفة وشريك بن عبد الله القاضي وزفر في ذلك ، وترجيح المؤلف لرأي أبي حنيفة .

— الصيد إذا أناه راميه ثم غاب عن عينه وحكم أكله .

— اسقاط الاستبراء عن الأمة ، هو مذهب أبي يوسف ومن تقلعه ومن أشبهه من أصحابه ، ومذهب جمهور الحجازيين على أن الاستبراء باق بحاله ، أما تولية عقد نكاحها فهو لمولاهما الذي اعتقها في رأي أبي يوسف ، أما الشافعي فرأيه أنه يمكن أن يعتقد لغيره عليها ولا يعقده لنفسه بل يتولى ذلك الحاكم ، وهو رأي الطبري أيضاً ، ولكن الرأي الأول عنده هو الصواب .

— امرأة يهودية كانت قد نذرت أن توقد قنديلاً في كنيس من كنائسهم ، ثم أسلمت ، فما حكم الوفاء بهذا النذر ، وما الحكم في النذور مطلقاً لمن لم يكن مسلماً ثم أسلم .

— عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت بيعته في كتاب مختوم ، ورأى الفقهاء في البيعة أو الشهادة على كتاب مختوم .

— مما في نعم ولا من الفقه أنه إذا قال رجل لآخر : أعطني سرج بغلي هذا أو بلجام دابتي هذه ، فقال : نعم أو لا ، ولم يصله بأعطيكه ، فإن الحكم عند الطبري أن هذا إقرار منه بالسرج والبلجام ، وهو أيضاً الحكم عند أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ، واحتج بأن قوله (نعم) إنعام بالفعل

و (لا) إباء له ، وهذا عندي كما قال .

أما مسائل الفرائض ، فقد ذكر منها مسألتين ، الأولى المسألة التي تسمى بالخرقاء ، وهي واردة بالتفصيل في النص المحقق ، والأخرى مسألة أبناء الأعيان وأبناء العلات ، وتفصيلها :

إذا كان أبو الإخوة واحداً وأمههم واحدة فهم الأعيان وجاء عن النبي ﷺ أنه قال « أعيان بني الأم أولى بالميراث من بني العلات » ، وقد استدلل بهذا الحديث بعض من ذهب إلى قول ابن مسعود ومن كان على مثل قوله في ابني عم أحدهما أخ لأم أن المال كله لابن العم الذي هو أخ لأم دون الآخر ، وحمله مخالفوهم على أنه جاء في الأخ للأب والأم والأخ للأب ، ولكل فريق منهم علل يوردونها وحجج يأتون بها ، وقد رسمناها في مواضعها من كتبنا ، وذكرنا ما نختاره منها .

تسجيل بعض مظاهر المجتمع في عصره

وبالرغم من أن كتاب المعالي حرص فيه مؤلفه أن يكون ذا مادة سمرية لطيفة وحكايات مسلية ، تتخللها مواد الثقافة العامة لإفادة القارئ وتعليمه بعض ما لا يستغني عنه المثقف ، فإن مؤلفه مع ذلك لم يكن يعيش في برج عاجي بعيداً عن مشاكل المجتمع وما يعانيه من حكامه من ظلم وجشع ، وما يعيش فيه الأفراد من بؤس وفاقة ، ولهذا فنحن نراه ينتهز الفرصة عقب الأخبار المناسبة ليتحدث عما يشابه ذلك في مجتمعه من جور يقع أو ظلم فاش ، ولكنه يذكر ذلك باستحياء ومشاعر الخوف تمسك بتلابيبه ، فيبدو ما يكتبه منها كأنه جاء عفواً أو اقتضته ظروف الخبر الذي يرويهِ ومن ذلك :

أنه يروي خبراً عن أول مكس وضع في الأرض ، وذلك أيام سليمان عليه السلام فقد قيل إن عجوزاً على عهد خرجت تحمل دقيقا فهبّت الريح

فذرته ، فذهبت تشكو الريح إلى سليمان عليه السلام ، فقال : انظروا من طابت له الريح في البحر اليوم فأغرموه ثمن الدقيق .

ويعلق المؤلف على هذا الخبر بقوله : إن شريعة نبينا ﷺ ألا مكس ولا غرم على من طابت له الريح أو لم تطب ، ثم إن هذا الخبر لم يرد من طريق يجعل ثبوته عن سليمان عليه السلام قاطعاً فيؤخذ به ، وعلى فرض ثبوته فجائز أن يكون ذلك في شريعته ، وهو منسوخ في شريعتنا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ .

ثم يعلق على لفظة المكس الواردة في الخبر بقوله : « ولم يكن من الصواب عندي أن يعبر فيما أتى به هذا الخبر المكس ، إذ المكس ما يأخذه الظالمون من العشارين وغيرهم من المسلمين قسراً بغير حق ، وقد روى عن النبي ﷺ في بعض الزناة أو غيرهم أنه قال : « لقد تاب هذا توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » ؛ وفي بعض المحرمات : « من فعل هذا كان عليه من الإثم مثل ما على صاحب المكس ، وكل هذا ينيء عن عظيم إثم صاحب المكس » .

ثم ينتهي من هذا إلى ما يريده من تفشي المكس في عصره بقوله : قال الشاعر :

وفي كل أسواق العراق إساوة

وفي كل ما باع امرؤ مكسٌ درهم

• • •

وفي خبر آخر يُلَمَّحُ إلى أن العلماء في عهده حرموا من عطايا الخلفاء الجزيلة التي كانوا يتناولونها فيما مضى من الزمان ، فبعد أن يذكر أن الضر بن شميل صحح كلمة في حديث نبوي ذكره المأمون ، فأعطاه على ذلك خمسين ألف درهم ، ثم أعطاه الفضل بن سهل أربعين ألفاً أخرى إعجاباً به ،

نراه يعقب على ذلك بقوله : قد كان من مضى من العلماء وأهل الفضل من الأدياء تسهم الفاقة ، وتناهم العسرة والإضاقة ثم يصلون من الخلفاء والسادة والرؤساء بيسر ما عندهم من العلم والحكمة والآداب والمعرفة من الحظ الخطير والوفر الكثير .

ثم نراه يجار بالشكوى مما آلت إليه حاله وحال الناس في عصره ، عقب تعقيبه على هذا الحديث :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : جبريل بلحيي ، وأنا أعرف الحزن في وجهه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قلت : أجل فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فمم ذلك يا جبريل ؟ قال : فإن أمتك مفتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير ، قلت : فتنة كفر أو فتنة ضلالة ؟ قال : كل سيكون ، قلت : من أين ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله تعالى ؟ قال : بكتاب الله يضلون وأول ذلك من قبل أمرائهم وقرائهم ، يمنع الأمراء الحقوق ، ويسأل الناس حقوقهم فلا يعطونها ، فيقتلون ويفتنون ، فيتبع القراء هوى الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ، قلت : فمم يسلم من سلم منهم ، قال : بالكف والصبر ، إن أعطوا الذي لهم أخذوه ، وإن منعه تركوه .

ويعقب المؤلف على ذلك بقوله : « قد رويما ما قدم نبينا ﷺ الإخبار به وشاهدناه ، وظهروا لنا ما أنبأنا به وعائناه ، ومنعنا الذي لنا فصبرنا ، ولبت مانعنا حقنا والمستبد به اقتصر على ما أتاه ولم يتجاوز به إلى اغتصاب التالد والطريف من أموالنا بالخطب والبسف ، والتعذيب والعنف ، ولم يتخطه إلى تكليفنا ما لا تقدر عليه ، ولا نصل إليه ، فإلى الله المشتكى والملجأ ، وهو المستغاث المرتجى ، وبعدله نستجير من جور من غلبنا على أقواتنا ، فشيع بها وأجاعنا ، وحفظ بها نفسه وأضاعنا ، فإنه قاصم العناة المترفين ، وعاصم العفاة المستضعفين ، وما هو بغافل عما يعمل الظالمين ،

وقد قال موسى لقومه : ﴿استعينوا بالله واصبروا ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ اللهم إنا أصبحنا مستعينين بك فصبرنا على بلائك ، ووقفنا لشكر آلائك ، وألهمنا تقواك حتى تكون العاقبة لنا ، واستغفرك من عدوك وعدونا ، إنك رؤوف رحيم ، جواد كريم ، فأما مالمآة قراء السوء أشكاهم من أمرائهم فقد ظللنا منه في أمر عظيم ، وخطب جسيم ، وصار ممن يعزى إلى تلاوة القرآن ، ويدعى له علم شرائع الإيمان ، من ليس عنده مما ينسب إليه إلا ادعاؤه ، وقد تمحده له بجمده ، وامتحان العباد به ما يظن أنه حاصل له ، وإن كان صفرأ منه ، ومنهم من قد جعل الزخرفة معرضه الذي بدلس به نفسه ، ويهيم الجهال أن وراء ما يظهر ما يضاهي ما اغتروا به ، ومنهم من قد اتفق له بعض المترفين ، وجهلة المتعلمين ، قبول له رصباة نحوه ، واطراح الدين شامل لهذه الفرق المتقدمة المفتتن بها ، والله نسأل إدالة أوليائه وإزالة أعدائه .

وهكذا نرى بعض مظاهر الشكوى في كتابه بين الحين والحين ، ولكن أهم ما يميز شكواه أنها عامة لا يخص بها نفسه ، بل تخص الناس جميعاً ، وفي هذا ما يدل على إباء نفسه وترفعها ، رغم ما كان يقاسيه وهو العالم الجليل من خشوة العيش وشظف الحياة .

• • •

أسلوب الكتاب ومميزاته

لقد صاغ المعافى مادة كتابه هذا بأسلوب جزل رصين ، يؤثر الحرية غالباً في صياغته الفنية ، وإن كان بناء الجمل في مقدمته وتعليقاته على الأخبار التي رواها ، مطبوعة بطابع السجع والتكرار في كثير من الفقرات ، ففي التعليق على الحديث الشريف : « نعم الابل الثلاثون ، ينحر سمينها ويحمل على نجيبها » مثلاً ، يقول المؤلف :

قد نبه النبي ﷺ في هذا الخبر على أن هذا العدد قصد من المال ، وأشار بمدحه فيه إلى من نحر السمين منها وحمل على التجيب ، فدل على فضل من نحر المال لسبل المعروف ووجوه البر ، وأوماً إلى الترغيب في قرى الضيف وإنفاق أعلى الظهر ، ويث المكارم العائدة بالأجر ، وجميل الذكر ، ولم يزل الألباء يؤثرون بذلك النوال ، وإفاضة الأفضال ، تزوداً ليوم العرض ، وصيانة للعرض ، ورغبة في إحراز النحر ، وحسن القالة وجميل الذكر ، على تشعب الأمور الباعثة لهم على كريم السخاء ، وشريف العطاء ^(١) .

وبلاحظ أنه سجع قريب المأخذ سهل التداول .

هذا في تعليقاته ، أما في الأخبار التي ساقها فهي مروية غالباً بلغة أصحابها أو قريبة منها ، فما سمعه منها مرسلًا ساقه مرسلًا ، وما سمعه

(١) انظر المجلس الحادي عشر .

مسجوعاً مزدوجاً ساقه مسجوعاً مزدوجاً ، ويبدو هذا النوع الأخير في بعض ما رواه عن ابن دريد من أخبار ، إذ أن ابن دريد كان معروفاً بادخال الصنعة في أخباره ومزجها بشيء من الغريب ، حتى قيل إنه أول من وضع المقامات ^(١) ، وهذا مثال مما تبدو عليه أثر الصنعة فيما ساقه عنه من أخبار :

« حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عمي ، عن أبيه ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، قال : وفد سعد العشيرة في مائة من ولده إلى بعض ملوك حمير ، وكان سعد قد عمر مائة وخمسين سنة ، فلما دخل على الملك قال له : من هؤلاء معك يا سعد ؟ قال : عشيرتي ، قال : أنت سعد العشيرة ، فسمي سعد العشيرة ، قال له الملك : أنه قد بلغني عنك رجاحة لب ، وورصانة حلم ، وأصالة رأي ، وتصرف في الأمور ، مع ما جربت من تصرف الدهور ، فهل أنت مخبري عما أسألك عنه ؟ فقال : أيها الملك أن عقلي وقلبي مضغتان مني ، حراهما الدهر كما جرى سائر جسمي ، ولكنني أبو روية ثاقبة ، ما خلدتني منذ أيدتني ، فليقل الملك أسمع ، فإن أوفق للصواب فيمين الملك ، وإن يخطئ الجواب فيما ثلمته مني الأحقاب ، قال له : يا سعد ! ما صلاح الملك ؟ قال : أيها الملك ! معدلة شائعة ، وهيبة وازعة ، ورعية طائعة ، فإن في المعدلة حياة الأنام ، وفي الهيبة نفي الظلام ، وفي طاعة الرعية التآلف والائتنام ، قال له الملك : يا سعد ! فمن أحمد

(١) أنظر النثر الفني في القرن الرابع ٢٨١/١ - ٢٨٣ ، وينقل الدكتور زكي عن صاحب زهر الآداب أن ابن دريد وضع أدبين مقامة كانت هي التي هاجت بديع الزمان فوضع في معارضتها أربعمائة مقامة وأنه (أي الدكتور زكي مبارك) تلس هذه الأحاديث أو المقامات الأدبيين فلم يشر عليها ، وأخيراً رجح أن تكون هي ما نقله عنه القالي في أماليه من أحاديث العرب وملوك اليمن الأقبسين أقول : ويضيف ما ساقه الملقا في كتابه من أحاديث ابن دريد هنا شيئاً كثيراً إلى ما وجدته الدكتور زكي مبارك له من أحاديث في أمالي القالي ، فإن كتابنا هذا لم يكن معروفاً لدى الدكتور ولا جمهرة الباحثين في ذلك الوقت وهو أوفر من أمالي من أحاديث ابن دريد .

المملك ابالا ، وأحسنهم عند الرعية حالا ؟ قال : من كثرت في اصطناع المعروف رغبته ، ومالت إلى الأضياف رحمته ، وتحول بالمرأعة رعيته ، واعتدلت بهيبته رأفته ، قال : يا سعد ! فم تستدرك عند المملك حسن المكانة ، وتستبدل منه القضاة بالليانة ؟ قال : بالمبالغة في طاعته ، والانتهاز إلى مشيئته ، ومجانبة مسخطته ، والتقرب إليه بموافقته ^(١) .. إلخ .

ويلاحظ أن هذه الطريقة أقرب إلى الصدق وإلى طبيعة الأشياء ، وذلك بسرد الأخبار بأسلوب أصحابها الذين رواها عنهم لا بأسلوبه هو .

وهو يخالف في هذا مثلاً أبا الطيب الوشاء (ت ٨٣٢٥) في كتابه « الموشى في الظرف والظرفاء » والذي تكلف فيه أن يسوق أخباره بأسلوب أثيق يغلب عليه السجع حتى كان يسوقه هذا أحياناً إلى الإغراب في اللفظ للإتيان بالسجعة ^(٢) ، ويخالف كذلك القاضي التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة فقد فعل في تأليفه له مثل ما فعل صاحب الموشى ^(٣) .

٢ - أما من ناحية منهجه التأليفي ، فقد أوضحنا فيما سبق أن المعافى لم يلتزم بأن يكون كتابه ميوياً بأبواب أو مميزاً بفصول ، بل أملاه بحسب ما يحضر في الحال - كما يقول - وهذا أدى إلى إنعدام الوحدة الموضوعية في الكتاب ، وهي طريقة أتبعها الجاحظ وسار على نهجه فيها عدد من المؤلفين كالبرد في الكامل وأبي علي القالي في أماليه وأبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ، فكل هذه الكتب لا نجد فيها عناوين لأبواب ، بل نجد فيها أخباراً أدبية ومواد تعليمية مصفوفة بجانب بعضها البعض لا يحكمها إلا الاستطراد لأدنى مناسبة في الكلام ، وكانت حجة الجميع في ذلك هو دفع السأم عن القاريء ، وإبعاد شبح الملل وثقل الإطالة عليه ، وإن لم يوفق

(١) انظر المجلس الحادي والعشرين .

(٢) انظر الموشى ٧ .

(٣) انظر الأثر الثاني في القرن الرابع ٤٠٠/١ .

منهم إلاّ الجاحظ في ذلك لحفة روحه ورشاقة أسلوبه ، وبقيت كل الكتب ما عداه تحتاج إلى بعض الصبر في قراءتها والأناة في تتبعها .

٣ - نلاحظ أيضاً أن المعاني تغلب عليه الروح التعليمية ، فما أن يبدأ القاري القراءة في المجلس الأول حتى يجد مواد النحو واللغة والقراءات وغيرها واضحة فيه وضوحاً بيناً ، وهذا على التحقيق لم يكن هدفه الأول ، ولذا نراه يكيح جماع نفسه من الاستطراد فيها في كثير من المواقف ، مثلاً بعد أن يشرح الأقوال النحوية في (لا حول ولا قوة إلاّ بالله) ، وفي الآية الكريمة التي تشبهها من الناحية النحوية وهي ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ ، نراه يقول : وفي علة من فرق في الإعراب بين بعضها وبعض اختلاف يطول شرحه وليس هذا موضع ذكره ^(١) .

أو يقول في موضع آخر : واستقصاء الكلام في معاني هذه القراءات وتسمية القراء بها وبيان ما يختار منها يطول ، وهو مرسوم فيما ألفناه من كتبنا في القراءات وعلوم القرآن على الشرح والبيان ^(٢) ..

ومع ذلك فإننا نشك في أنه استطاع أن يكيح جماع نفسه أحياناً كما يراه القاري في كثير من المجالس .

٤ - وإذا كان المعاني قد أبان بطريقة بيّنة تماماً عن وفور علمه وسعاً إحاطته في مختلف العلوم كما أوضحنا ، فهو لم يغمط الأخبار السمرية حقها فهي أساس الكتاب . ولذا فقد أتى في كتابه بكل ما استطاع جمعه لمشاهير عصره الذين ألفوا في هذا الفن ، وبذلك أصبح كتابه يجمع بين الأمالي العلمية في مختلف الفنون وليس في النحو وحده كما يتسم به الكامل للمبرد أو اللغة وحدها كما تتسم به أمالي القالي ، وبين الأدب الطريف بما فيه من

(١) انظر المجلس الأول .

(٢) انظر المجلس العاشر .

عظات وفضائل ، وسمير ولطائف وهو يمثل بذلك أقصى تطور لمثل هذه الكتب في القرن الرابع الهجري .

هـ — ومن الجميل بعد ذلك أن الكتاب خلا من الأدب المكشوف ومن قصص الجنس ومن محاسن النساء أو الغلمان أو عيوبهن التي فشت في ذلك القرن ، مما يضيف إلى مميزاته ميزة أخرى ويجعله كتاباً للمتأدبين والمتعلمين من الطراز الأول .

الكتب التي نقلت عنه

لعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا إنه ما من كتاب لقي من عناية العلماء القدامى بالنقل عنه مثلاً لقي كتابنا هذا ، ولا جدال في أن هذا مما يضاف إلى حسنات الكتاب ، ألا يجد العلماء مصدراً أصيلاً لا يرون ما يتضمنه في غيره فيعتمدون عليه وينقلون منه ، ولقد كثر النقل عنه كثرة مستفيضة ، يكفي للدلالة عليها أن نورد ما وجدناه منها ، وربما كان ما لم نعر عليه أكثر .

فقد اهتم به الخطيب البغدادي ، ونقل عنه في موسوعته « تاريخ بغداد » في مائة وثمانية وعشرين موضعاً ، منها ثلاثة مواضع اقتبسها من الكتاب مباشرة بلفظ ذكر (تاريخ بغداد ٤٦٨/٨ ، ١٢٠/٩ ، ٣٨٣/١٢) ، وبقيتها أوردتها بواسطة خمسة من شيوخه الذين هم تلامذة المعاني ، وهم :

- ١ - أحمد بن عمر النهرواني (٥٢ نصاً) .
- ٢ - طاهر بن عبد الله الطبري (٣٧ نصاً) .
- ٣ - محمد بن الحسين الجازري (١٦ نصاً) .
- ٤ - أبو القاسم غيب الله بن أحمد الأزهرى (١١ نصاً) .
- ٥ - عبد الوهاب بن علي الملجمي المؤدب : (٥ نصوص) .

٦ - روايات مفردة (٣ نصوص) .

أما طبيعة هذه المقتطفات ، فهي تتناول أخبار الخلفاء العباسيين والوزراء والولاة والقضاة والأدباء والشعراء ، وحكايات في الكرم ، وقصص القضاة الطريفة ، وتسعة أحاديث ^(١) .

كما اقتبس منه الخطيب أيضاً في كتابه « تقييد العلم » في ستة مواضع ، وفي كتابه الكفاية صفحات ٣٧٦ - ٤٠١ ، ٤٤١ .

وفي كتابه الفقيه والمتفقه ، صفحات ٣٤/١ ، ٣٥/٢ ، ١٣٧ ، ٩٩ .

واقتبس منه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فيما يلي :

١٣/١ ، ١٩٣/١٠ - ١٩٤ ، ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ٢٧٨ .

كما اقتبس منه ابن كثير في البداية والنهاية في : ٣٠٧/٥ ، ١١٧/٧ .

٣٩/٨ ، ٤٠ ، ١٣٤/٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٦٤ ، ٧/١٠ ، ٥٩ ، ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

واقتبس منه ابن حجر في الإصابة في : ٣٢٦/٢ ، ١٧/٣ .

واقتبس منه ابن خلكان في وفيات الأعيان في : ٣٢/٢ ، ٤١ ، ٧٣ ،

٤١١/٣١٨ ، ٢٨٠/٦ ، ٣٨٢ .

أما السراج الوراق فإنه نقل كل ما ورد في كتاب المعافي من قصص العشق وأودعها في كتابه « مصارع العشاق » والواقع أن هذا الكتاب فيه من جهد المعافي أكثر مما فيه من جهد الوراق ، وإن كان الوراق قد نسب ما نقل إلى صاحبه .

كما نقل ابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق ، والأبشيهي في المستطرف كثيراً من الأخبار بحيث لا يمكن حصر ما ورد فيهما منقولاً بالنص عن كتاب المعافي ، ألا أنهما لم يشارا إلى مصدرهما كما فعل الوراق .

وفي هذه النقول ما يكفي على تبين أهمية الكتاب ، وأثره البالغ فيما تلاه من مؤلفات .

(١) انظر : موارد الخطيب في تاريخ بغداد ٥٩١ .

تحقيق الكتاب

نسخ الكتاب المخطوطة :

كانت الخطوة الأولى اللازمة لدراسة هذا الكتاب أولاً ثم لتحقيقه ثانياً هي البحث عن نسخة المخطوطة ، ولقد عثرت في الواقع على عدة نسخ للكتاب ، إلا أنني اكتشفت للوهلة الأولى أن هناك نسخة واحدة فحسب هي الكاملة أي تتضمن الكتاب كله ، وأن بقية النسخ تحتوي على بعض المجالس ، فبعضها يتضمن خمسة وعشرين مجلساً وبعضها يتضمن أربعين ، وواحدة تتضمن خمسين .

وإذن فقد كان لا مفر من أن أعتمد بصدد دراسة الكتاب كله على تلك المخطوطة الوحيدة الكاملة ، وفيما يلي بيان بوصف تلك النسخة ثم بيان بوصف بقية أخواتها .

يوجد أصل هذه النسخة في مكتبة السلطان أحمد الثالث بإستانبول ، وهي مصورة في معهد المخطوطات برقم ١٦٨ أدب ، وتقع في مائتين واثنين وخمسين ورقة من الحجم الكبير ، في كل ورقة صفحتان ، وفي الصفحة ثلاثة وعشرون سطراً ، وقد كتبت بخط نسخي حسن مضبوط بالشكل ، إلا أن الناسخ - وهو غير معروف - كتبها بخط دقيق جداً

بحيث وضع في السطر الواحد ما بين واحد وعشرين وخمسة وعشرين كلمة وفي الشعر يضع كل بيتين في سطر واحد ، وبالطبع فقد أدى هذا في كثير من الأحيان إلى صعوبة قراءتها والإمعان الشديد في بعض الكلمات حتى يمكن استيضاحها .

وقد كتبت النسخة سنة تسع وعشرين وستمائة ، وكان الفراغ منها يوم الخميس تاسع عشرين شوال من تلك السنة على حد ما كتبه الناسخ في آخرها .

وتمتاز هذه النسخة بأنها قوبلت على أصلين مخطوطين ، والذي قابلهما هو عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الشيباني السلامي ^(١) ، وهو يقول في آخر النسخة : « عارضتها بنسختي » وهي بخط الإمام الحافظ المتقن شمس الدين أبي الحجاج يوسف بن خليل الدهشقي ^(٢) ، وبالنسخة الموجودة في ضمن المدرسة المستنصرية ، وصححتها بقدر الإمكان ، والحمد لله أولاً وآخرأً » كذلك فقد قرئت هذه النسخة في محفل ضم عدداً من العلماء بينهم ابن القوطي علي الشيخ الثقة المسند كمال الدين أبي القرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد المقرئ البزاز ، وقام ابن القوطي بتسجيل هذا السماع

(١) المعروف بابن القوطي وبابن الصابوني ، كمال الدين أبو الفضل ، الأديب الكاتب الناطم المحدث المؤرخ المتكلم ، ولد في بغداد سنة ٦٤٢ هـ ، وسع بها وأخذ عن نصير الدين الطوسي علوم الأوائل ، واشتغل بالغة الأدب والتاريخ وأيام الناس كما عي بالحدث فجمع وأفاد ، وولي خزائن كتب المستنصرية حتى وفاته سنة ٧٢٣ هـ ، من تصانيفه مجمع الآداب في الألقاب ، والحوادث الجامعة في التجارب النافعة بالمائة السابعة ، ترجمته في لسان الميزان ١٠/٤ ، الدرر الكامنة ٣٦٤/٢ ، شذرات الذهب ٦٠/٦ .

(٢) محدث حلب ، ولد سنة ٥٥٥ هـ ، واشتغل بالحديث وله ثلاثون سنة ، وتخرج بالحافظ عبد النبي ، وشيوخه نحو خمسمائة نفس ، وكان حافظاً ثقة عالماً بما يقرأ عليه ، واسع الرواية متقناً ، توفي سنة ٦٥٨ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤١٠/٤ ، البر ٢٠١/٥ ، متقناً ، النجوم الزاهرة ٢٢/٧ .

ومن حضره من الناس في هوامش صفحة ٣٠ منها بخط دقيق جداً ، حاولنا قراءته ما أمكننا ، وهذا نصه :

سمع جميع كتاب الجليس والأئيس — علي الشيخ الثقة المسند كمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد المقرئ البزاز^(١) بحق إجازته عن الشيخ الثقة موفق الدين أبي حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد الدارقزي^(٢) الموقت ، عن الشيخ أبي العز أحمد بن عبيد الله بن محمد بن كادش العسكري ، عن أبي علي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الجازري^(٣) ، عن القاضي أبي الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى بن طرادا النهرواني الجريري ، بقراءة الحافظ العالم المتقن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن الأنجب^(٤) بن الحياز المقرئ — أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن أحمد الصابوني الشيباني وله الخط ، وسمع الأديب العالم قطب الدين أبو أحمد سنجر^(٥) ابن عبد الله عتيق شيخنا جمال الدين أبي محمد الحسين ابن إياز النحوي من أول الكتاب إلى آخر المجلس الرابع ، ومن أول المجلس الثاني عشر إلى آخر الخامس عشر ، ومن أول الثامن عشر إلى آخر الثاني والعشرين ، ومن أول السادس والعشرين إلى آخر السابع والعشرين ، ومن أول الحادي والثلاثين إلى آخر الثالث والثلاثين ، ومن أول السابع

(١) الملقب بالفويره تصغير قاره حسن فهمه ، ولد سنة ٥٩٩ هـ ، وكان أبوه مكبراً بجامع النضر فاشتغل ابنه بالعلم ، وأخذ الروايات عن الفخر محمد بن أبي الفرج الموصل ، وسمع منه التجريد والتيسير ، وأجاز له أبو أحمد بن مسكين صاحب الشهرزوري وغيره ، وعمر دهرآ ، توفي سنة ٦٩٧ هـ ، انظر غايه النهاية ٣٧٣/١ .

(٢) الدارقزي نسبة إلى دار القز محلة ببغداد ، وهو مسند الشاميين ، روى الكثير وكان سماعه صحيحاً على تحفيظ فيه ، توفي سنة ٦٠٧ هـ ، لسان الميزان ٣٢٩/٤ .

(٣) محدث من شيوخ ابن عساكر ، خرج وألف ، توفي سنة ٥٥٦ هـ ، لسان الميزان ٢١٨/١ .

(٤) هو تلميذ المعافي ، وقد مرت ترجمته .

والثلاثين إلى آخر الثامن والثلاثين ، ومن أول الثاني والأربعين إلى آخر الكتاب .

وسمع الإمام الفقيه العالم شمس الدين أبو عبد الله بن أبي المؤيد محمد ابن أبي النشاء محمد بن العربي الخوارزمي المحقق البغدادي المولد ، من أول المجلس الرابع العشر إلى آخر المجلس الثامن عشر ، ومن أول المجلس الخامس والأربعين إلى آخر الكتاب .

وسمع السيد كمال الدين أبو الفضل علي بن علم الدين بن أبي الفضل العراقي الحسيني من أول الكتاب إلى آخر المجلس الرابع ، وسمع معه أخوه تاج الدين أبو محمد الحسن بن ... من أول المجلس العشرين إلى آخر المجلس الثاني والعشرين ، ومن أول المجلس الحادي والثلاثين إلى آخر المجلس الثالث والثلاثين ، ومن أول المجلس الخامس والثلاثين إلى آخر المجلس الثامن والأربعين ، ومن أول المجلس الثالث والخمسين إلى آخر المجلس الخامس والخمسين ، ومن أول المجلس الثامن والخمسين إلى آخر الثالث والستين ، ومن أول المجلس السبعين إلى آخر المجلس الثالث والسبعين ، ومن أول المجلس الثمانين إلى آخر المجلس الثاني والثمانين ، ومن أول المجلس الخامس والثمانين إلى آخر المجلس التسعين ، ومن أول المجلس الثامن والتسعين إلى آخر الكتاب .

وسمع الأجل شرف الدين أبو محمد حامد بن المبارك بن حامد المنجي التاجر من أول المجلس الخامس إلى آخر المجلس السابع ، ومن أول المجلس الثالث والثلاثين إلى آخر المجلس السادس والثلاثين ، ومن أول المجلس الخامس والأربعين إلى آخر المجلس الثامن والأربعين ، ومن أول المجلس الثاني والستين إلى آخر المجلس الثالث والستين إلى آخر المجلس الثالث والستين ، ومن أول المجلس الرابع والسبعين إلى آخر المجلس السادس والسبعين .

وسمع شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن إيران شاه الصولي من أول المجلس الخامس إلى آخر المجلس السابع .

وسمع الفقيه شمس الدين محمد بن يوسف المناول ... من أول المجلس العاشر إلى آخر المجلس الخامس عشر .

وسمع السيد الأجل العالم تاج الدين أبو علي بن محمد الأبي النخعي القرشي من أول المجلس العشرين إلى آخر المجلس الثالث والعشرين .

وسمع الأستاذ علي بن محمد بن أحمد الشيرازي بن ... وأخي الحسن ومحمد بن أحمد الفقر ، وعبد الله بن نصال والنعماني الخياطون بجان الحشبة من سوق الثلاثاء ، ومنافر بن أبي الفتح الكوخي من أول المجلس الرابع والعشرين إلى آخر المجلس الخامس والعشرين .

وسمع الأمير مظفر الدين أبو الجليش سليمان بن المولى الصدر الكبير المنعم شرف الدين أبي الحسن علي بن الصدر المعظم أبي الفضائل الحسن بن محمد بن علي ، وفتياه أبو المسك صندل وأبو الدر جوهري الخنديان من أول المجلس الحادي والثلاثين إلى آخر المجلس السادس والثلاثين .

وسمع تقي الدين إدريس بن بكك البغدادي الناسخ من أول المجلس الحادي والخمسين إلى آخر المجلس الثاني والخمسين .

وسمع علي بن محمد بن أبي نصر بن وحشي البغدادي من أول المجلس الثالث والخمسين إلى آخر المجلس الخامس والخمسين ، ومن أول المجلس السابع والسبعين إلى آخر المجلس الثامن والسبعين .

وسمع بهاء الدين منصور بن المسيب بن أبي منصور الصريفي النيلي المقرئ الضرير من أول المجلس الثاني والسبعين إلى آخر المجلس الثالث والسبعين ، ومن أول المجلس الخامس والثمانين إلى آخر المجلس السادس والثمانين ، ومن أول المجلس الثاني والتسعين إلى آخر الكتاب .

وسمع الفقيه صدقة بن عبد الله بن سلطان المقرئ الضرير الحنبلي من أول المجلس السبعين إلى آخر المجلس الحادي والسبعين ، ومن أول المجلس الخامس والثمانين إلى آخر المجلس السابع والثمانين ، ومن أول المجلس التاسع والتسعين إلى آخر الكتاب .

وصحح ذلك ... في أربعين مجلساً آخرها يوم الثلاثاء عاشر جمادي الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة ، وأجاز الشيخ المسموع للجماعة جميع ما يحق له وعنه روايته بسؤال الكاتب له ، والحمد لله حق حمده ، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم تلى بعد ذلك هذه العبارة بخط المسموع : « السماع والإجازة صحيحان وكتب عبد الرحمن بن عبد اللطيف أبو محمد المدني البراز في تاريخه ، حامداً الله تعالى ومصلياً على رسوله محمد النبي وآله وسلم » .

وهكذا فقد أتيح لهذه النسخة من التصحيح والمقابلة والمعارضة ما لم يتح لغيرها ، ونحن نرى أثر هذا الجهد فيما أثبت على جوانب الصفحات من تصحيح لبعض الكلمات وضبطها ، وإعادة لبعض السطور المطموسة لتوضيحها ، ولولا دقة الخط التي تجعل من قراءتها غناءً متصلاً ، ثم ما حدث لها بفعل عوامل الزمن من تغيير للحبر الذي كتبت به بحيث أصبحت بعض صفحاتها مظلمة وظهر ذلك في التصوير ، لكانت شيئاً ثميناً ، ولما حال شيء دون تحقيق هذا الكتاب وظهوره منذ زمن طويل .

ومع ذلك فلا مفر من اعتبارها في التحقيق أمماً وأصلاً يعتمد عليه ، لأنها من ناحية النسخة الوحيدة الكاملة ، ومن ناحية أخرى تعد أقدم النسخ وأصحبها حتى الآن .

النسخة الثانية :

توجد هذه النسخة في مكتبة داماد إبراهيم باستامبول تحت رقم ٢٨٢ ،

ولها صورة في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ١٦٩ أدب ، وهي برواية القاضي أبي الغنائم محمد بن علي الزجاجي ^(١) ، كما كتب على صفحة العنوان ، وتقع في ١٥١ ورقة ذات صفحتين ، وتبدأ من أول الكتاب وتنتهي بالمجلس الحادي والأربعين ، وسقط آخر هذا المجلس .

وهي حديثة نوعاً بالنسبة الأولى ، فقد كتبت في القرن التاسع الهجري ، ولكنها على العموم نسخة جيدة مكتوبة بخط نسخي جميل ، وقد أفادت حين التحقيق في تصحيح بعض الكلمات وتوضيح ما صعبت قراءته في النسخة الأولى .

النسخة الثالثة :

وتوجد في المكتبة الحبيبية لصاحبها حبيب جنيح بجامعة عليكرة بالهند ، ولها مصورة بمعهد المخطوطات ضمن أفلام غير مفهرسة ، وقد كتبت هذه النسخة سنة ٥٩٦٢ هـ ، بخط نسخ عادي ، وتحتوي على ثلاثة وعشرين مجلساً فقط .

وتمتاز هذه النسخة بقراءة الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي لها ، وقد سجل تاريخ قراءتها في ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ هـ ، ١٩٣٤/٩/٢١ م وصحح بعض ألفاظها ، لكنه على ما يبدو لم يتم قراءتها ، إذ أنها حافلة بالأخطاء ، وقد وقع فيها بعض الخلط بالمجلس الأول إذ جعل خلاله جزء من مجلس آخر ، مما يظن معه أنه زيادة لم ترد في النسخ الأخرى ، ولكنني بعد دراسة النسخ أمكنني أن أعرف أن ذلك مجرد خلط لا غير .

النسخة الرابعة :

وتوجد في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٨٠٩٩ ، وعنها مصورة

(١) ذكره ابن العماد الحنبل في شذرات الذهب ٣/٣١٤ بقوله : روى عن علي بن عمر الحريبي وابن معروف وجماعة ، توفي في شعبان سنة ٤٦٣ هـ وله ثلاث وثمانون سنة .

بمعهد المخطوطات لم تأخذ رقماً بعد ، وهي بخط مغربي حديث ، برواية أبي العز أحمد بن عبد الله بن محمد بن كادش السلمي لإجازة عن أبي علي الجازري ، وتتضمن الخمسين مجلساً الأولى أي نصف الكتاب ، وتقع في مائتي ورقة ذات صفحتين في كل صفحة ٢٦ سطراً ، وهي نسخة جيدة ، ويبدو أنها منقولة من النسخة الأولى الكاملة ، إذ يشوبها ما فيها من عدم وضوح بعض الكلمات إلا أن أحداً لم يتناولها بالمعارضة والتصحيح كالأولى.

النسخة الخامسة :

وتوجد بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٤ أدب ، ولها مصورة بمعهد المخطوطات تحت رقم ١٧٠ أدب ، وقد كتبت سنة ١٢٩٦ هـ وتتضمن المجالس الأولى حتى المجلس الحادي والعشرين ، ولم يشر إلى الأصل الذي انتسخت منه ، ولا إلى اسم الناسخ ، وهي واضحة الخط إلا أنها كثيرة التحريف .

النسخة السادسة :

وتوجد في مكتبة خدابخش بته في الهند تحت رقم ٣٢٩٢ ، ولها مصورة في معهد المخطوطات دون رقم ، وقد كتبت في القرن السابع الهجري بخط نسخ نفيس جداً ، وتقع في ١١٢ ورقة ذات صفحتين ، في كل صفحة ١٧ سطراً ، ولكنها ناقصة الأول والآخر ، وتبدأ بأثناء المجلس الخامس والسبعين ، وتنتهي بآخر المجلس التاسع والتسعين ، وقد أفادتنا إلى حد ما في أثناء دراسة الكتاب في هذه المجالس .

عملنا في التحقيق

حينما استقر رأيي على تحقيق الجزء الأول من الكتاب ، قمت باستعراض نُسخِهِ التي أشرت إليها آنفاً ، ثم صورت النسخة الأولى وهي نسخة أحمد الثالث الكاملة على ورق ، وبدأت عملي بأن نسخت الجزء الأول بخطي توطئة لتحقيقه ، على أن أقوم بعد ذلك بمقابلته بالنسخ الأخرى الموجودة بمعهد المخطوطات ، وفعلاً قمت بعد ذلك بالمقابلة ، وتمت على أساس اعتبار هذه النسخة أصلاً لصحتها ودقتها ثم الاستعانة بالنسخين الآخرين ، نسخة داماد إبراهيم ونسخة الحبيبية حين تتعذر قراءة الأصل أو إلى صحة المکتوب فيه ، وحيث يكون ثمة اختلاف جوهري ، أقوم بإثبات ذلك في هوامش التحقيق ، ولقد رمزت للأولى بحرف « أ » وللثانية بحرف « ر » وللثالثة بحرف « هـ » . وبعد أن اطمأنت لسلامة النص تماماً قدر الجهد والطاقة ، بدأت الخطوات التالية للتحقيق فقامت بما يلي :

١ - وضع علامات الترقيم الواجبة بين الجمل والفقرات ..

٢ - وضع عناوين من عندي للقصص والأخبار وتعليقات المؤلف ، وجعلت ذلك بين قوسين لإشعاراً بأنها ليست من النص ، وقد فعلت ذلك ليسهل على القارئ معرفة بداية الخبر من نهايته وليأخذ فكرة موجزة عنه من عنوانه .

٣ - تخريج الآيات القرآنية الكريمة ، ثم تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها ، وبذلت في ذلك غاية الجهد فلم يند عني في تخريجها إلا القليل .

٤ - ضبط الأعلام التي تقوم عليها الأخبار ، وبخاصة إذا ورد اسم العلم بكنيته أو شهرته فحسب .

٥ - تخريج المسائل اللغوية والنحوية وشرحها ، وإضافة بعض ما يلزم لزيادة الإيضاح .

٦ - استعنت بعدد كبير جداً من المراجع المخطوطة والمطبوعة لتخريج الأخبار الأدبية والآيات الشعرية الواردة في النص ، ولقد كان المؤلف قليلاً ما ينسب الآيات التي يأتي بها فقمت بنسبتها إلى قائلها ، وأثبت الروايات الأخرى إن كان ثمة اختلاف عما ورد منها في النص .

٧ - قمت بتصحيح بعض أوهام المؤلف أو سهوه ، ومنها على سبيل المثال قوله :

إن حرب داحس والغبراء وقعت بشأن ناقة اليسوس ، أو قوله : إن كأس أم حكيم كان كأساً فرعونياً ، وأن الرشيد أهداه إلى ابنه الأمين ، أو قوله إن ابن أبي ليلى قصّ بعض طرائف ما حدث له وهو قاض إلى الخليفة الهادي ، وقد أبت وجه الصواب في تلك الأخبار كما هو واضح في هوامش التحقيق .

وأنا أرجح أن تلك الأوهام مجرد سهو من المؤلف ، وقع فيها بسبب السن العالية - وهي عشر التسعين - التي كان يملئ وقتها كتابه ، وهي على أي حال أوهام طفيفة وسط هذا الحشد الهائل من الأخبار والمواد العلمية الغزيرة التي ساقها ، وكفى المرء فضلاً أن تعد معانيه .

وماأنذا الآن بعد إتمامي هذا العمل أرجو أن تكون عيوبي فيه أنا الآخر
معدودة على غزارتها، وعليري أنني قد بذلت غاية الجهد وما قصرت،
وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو حسي ونعم الوكيل .

محمد مرسى الخولي
وكيل معهد المخطوطات العربية
رقم ١ شارع شهاب - الدقي - الجيزة .

نماذج من المخطوط

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

كتاب الخطين والأقلام

كتاب
الجلس الصالح الكافي
والأئمة الناجح الشافعي والمذنب

[illegible]

احمد

قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَنَا لَكَ
 وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَنَا لَكَ
 وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَنَا لَكَ
 وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَنَا لَكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَجَعَلَ لَكُمُ الْيَوْمَ
 الْفَرْدَ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَجَعَلَ لَكُمُ الْيَوْمَ
 الْفَرْدَ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَجَعَلَ لَكُمُ الْيَوْمَ
 الْفَرْدَ الْأَعْلَى

كتاب

التي ليس التناج الكافي
والا ليس التناج الثاني تمامه

القائى ان الفرح المعافى

ان ذكر باس الى الحيرة

رؤاه القاصى

العام محمد بن على

الرجلى بنى

سها راصا

بعد الحنة

مستغله ما دنا

واها

الجزء الثالث من كتاب الجليلين ولا تيسر

من ابي القاسم ابي الفرج العافان زكريا
الهراتى الحريرى رحمه الله عليه

في الوعظ

تتمت
عبد الجبار

الشيخ محمد بن
ابن القاسم
توفي سنة ١٠٠٠
في القلعة والى
بسم الله

طالع
وحرر على يد محمد بن
ابن القاسم في سنة ١٠٠٠

عبد



اللَّهُمَّ ارحم الراحمين

الجلس الثامن والعشرون

إِخْبَرَنَا الْقَاهِرُ أَبُو الْفَرَجِ الْمُهَلَّبِيُّ بْنُ زَكْرِيَّا الْحَوَازِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا

سبعون سنة في سنة ثمان وعشرين وستمائة قال حدثنا

البحرانی بیخدا و مسترمان و اربعین و عاشق

الحمد لله الذي جعل في عاصم بن عسرون ما قدوة

۱۰ اهل بیت سابقا له مرتب و ایر قش

بسم الله الرحمن الرحيم
 في هذا الكتاب بيان ما كان سوله الشعراء

علا عليه من بعض العرب - م موال

لَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَسْمَعُوا رِسْوَالِ اللَّهِ فِي اللَّهِ عَلَيْهِ

أما والله فليست به

سَلِّمُوا عَلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْإِخْوَةِ وَالْأَهْلِ

اقتدوا بحاجه في الجاهلية والاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الموتى

دست مبارک به نام ابیاج و...



قال القاصي مثالي اصابه شهر عرت وعرت والعرب امدني
تجران سبيته المتعمر على خير عدل له والعرب اعدت
الفتن والعرب ولو عظمه وربه ما سوي العرب بعبه
ويجوزونا قال المصنف

اذا لك الزهر بل السحابه برأيه عرنا اوتعنا
وقال ابو قيس العرب النصف والسيار الذهب
الاصغر العرب القيس والسيار المابل وكل باعهم
وتوكل الاضمر اضمره كوا سر يرب في ايه الحب
ويقال القيسه العرب من القطر منه شيكرو وورقه
يعبر وعين وعين وقال له العرب والعرب اعيان
بر الحوس والذير الحيا قال دوا القيس

واذ لك المصنف صله ويزن المعاد يستحق العرب
قوله واستحق العرب معناه ايه من يولج حث منه سوي

أد رطابه سول سول القيسه القطر صي حذ الوجب
المجلد السادس والعشرون

وهم اومجد لعلوا زيموا يوسف وكما الجول باسم
البحر جري سائله رشال الخرم من مطا من مرقه
مريم الذي قال شل ونزل اسبط الله عليه وادخله
نعمه الزعل الرطل اذ العبه قال كايحه اومجد
وهم السادون اول من قال جليل رحمان هم سبيته
ولم واه موج وادها سبيته جليل رحمان

آخر المجلد الاول

الجلس والآنس

أو

الجلس الصالح الكافي والآنس الناصح الشافي
للقاضى أبى الفرج المعافى بن زكريا النهروانى

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الحمد لله الذي دلّ على معرفته بإتقان صنعته ، وبديع لطائف حكمته ،
وبما أودعه نفوس ^(١) المميزين من أعلام ربوبيته ، واستحق على كل
مكلف الخنوع ^(٢) لعظمته ، والخشوع لعزته ، والشكر والإشادة بما أسبغ
من نعمته ، ونشر من رحمته ، وجعل قلوب أوليائه تسرح في ميادين محاسن
ما ابتدعه ، وعقولهم ترتاح لما منّ عليهم من استنباط المعرفة بما اخترعه ،
فأغناهم بالنعيم بما بسط لهم من المباحات ، عما زجرهم عنه من
المحظورات ، فصار ما تدركه العقول من لطيف ما أنشأه ، وشریف
الغرض ^(٣) فيما ابتدأه ، وغريب أفعاله في تدبير عبادته ، وتصريفهم ،
وتقدير منافعهم ومصالحهم ، أقوائاً ^(٤) لما تربي على أقوات أجسادها التي
هي أوعية تشتمل عليها ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وليّ النعم كلها دون
من سواه ، وأنه لا فلاح إلا لمن هداه ، ولا صلاح إلا لمن عصمه من اتباع

(١) في د : وبما أودعه الله نفوس .

(٢) في د : الخشوع .

(٣) في د : التصرف .

(٤) في أ : أقوائاً .

هواه ، وأن محمداً عبده الذي ارتضاه ، ونبيه الذي اختاره واجتياه ،
ورسوله الذي ائتمنه واصطفاه ، ورفعہ وأعلاه ، وخصه بحم النبوة
وحياه ، وأبانه بأعلى منازل الفضل على^(١) كل آدمي عداه ، ونسأله أن يصلي
عليه وعلى آله ويسلم أزكى تسليم وصلادة ، ويكرمه أتم تكريم وأنباه .
ويجعلنا من الآوين إلى ظله وذراه ، والداعين إلى نوره وهده ، ويعصمنا
من الخروج عن طاعته ، والولوج في معصيته ، ويوقفنا لإيثار عبادته ،
ومجانبة عصيانه ومخالفته ، وهو ولي الإنعام بذلك ، والتيسير له ، والمعونة
عليه من رحمته .

أما بعد ، فإنني منذ مدة مضت ، وسنة خلت ، فكرت في أشياء
من عجائب خلق الله وحكمه ، وأياديه ونعمه ، ومخلاته^(٢) ونقمه ،
وقد اكتفني هموم وأحزان ، ولوعات وأشجان ، وفنون شتى من
حوادث الزمان ، وما قد فشا في الناس من التظالم والتحاسد ، والتقاطع
والتباعد ، وأن ما هو أولى بهم من الأنس للمجانسة^(٣) ، قد فارقه إلى
الاستيحاء للمنافسة ، وحصلت على الاستئناس بالوحدة والخلوة ، ثم
تطلعت إلى جليس طمعا في أنس وسلوة ، فأعوزني ذو لب عاقل ، واتفق
لي كل غيبي جاهل ، فلاح لي أن أنثيء كتاباً أضمنه أنواعاً من الجيد
الذي يستفاد ويعتمد عليه ، ومن الهزل في أثنائه ما يسر استماعه
ويستراح إليه^(٤) ، فإن اختلاف الأنواع يسهل النظر فيها ، وينشط الوقوف
عليها ، ويوفر الاستمتاع بها ، وأن أضمنه علوماً غزيرة وآداباً كثيرة ،
وأجعل له مجالس موزعة على الأيام والليالي ، ولم أشرط فيه مبلغاً من العدد

(١) في د : عن .

(٢) الثلاث : جمع مثله يفتح أوله ومسم ثانيه ، وهي المقوبة والتنكيل ، وفي د : مبتلا .

(٣) في د : المجالسة .

(٤) في د : ما يلتذ به ويصغي السامع إليه .

محصوراً^(١) ولا قدراً من المجالس محظوراً ، ثم إن طوارق الزمان وموانعه ، وأحداثه وفجائعه ، وعواقبه وقواطعه ، وأهواله وفظائعه ، حالت بيني وبين ما آثرته ، ونفسي على هذا متعلقة به ، ومؤثره له ومنازعة إليه ، إلى حيث انتهينا ، ثم لأنني حملت نفسي^(٢) في هذا الوقت على الشروع فيه ، والاشتغال به ، وسهل الأمر عليّ فيه^(٣) أن بعض أصحابنا يكتبه عني إملأ في الوقت بعد الوقت .

* * *

وقد صنف في نحو هذا الكتاب جماعة من أهل العلم والأدب كتباً على أنحاء مختلفة ، فمنهم من جعل جملة كتابه جامعة لكتب مكتبة ، ومنهم من جعله أبواباً مبوبة ، وأفرد أبوابه بفصول مميزة ، ومعان خاصة غير متمترجة ، وسمى بعض هؤلاء ما ألفه « الجواهر » وبعضهم « زاد المسافر » ، وبعضهم « الزهرة » ، وبعضهم « أنس الوحدة » ، في أشباه هذه السمات عدة ، وعمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي^(٤) كتابه الذي سماه « الكامل » ، وضمنه أخباراً وقصصاً لا إسناد لكثير منها ، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقها ما يأتي مثله به لسعة علمه ، وقوة فهمه ، ولطيف فكرته ، وصفاء قريحته ، ومن جليّ النحو والإعراب وغامضهما ما يقلُّ وجود من يسدّ فيه مسده ، إلا أن كتابه هذا مقتصر عما وسمه به ، واختاره من ترجمته ، وغير لائق به ما آثره

(١) في د : محظوراً .

(٢) في د : حملت على نفسي .

(٣) في د : وتسهل الأمر على في حتى ... الخ ...

(٤) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس النحوي المعروف بالبرد ، إمام العربية ببغداد في زمانه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦ هـ ، من كتبه : المقتضب وشرح لامية العرب ، والكامل ، وقد طبع بأوروبا والقاهرة مراراً ، ترجمته في تاريخ بغداد ٣/٣٨٠ ، وبنية الوعاة ١/٢٦٥ ، معجم الأدباء ١١١/١٩ .

من تسميته ، فحطه بهذا عن منزلة ^(١) — لولا ما صنعه — كانت حاصلة له ، فسيحان الله ما أُبين انتفاء هذا الكتاب عن نسبه ، وأشد منافاته للقبه ! وأنشأ الصولي ^(٢) كتاباً سماه « الأنواع » مبوباً أبواباً شئ غير مستوفاة ، وأتى فيه بأشياء مستحسنة على ما ضم إليه من أمور مستهجنة ، وصنف أيضاً كتاباً كأبي قماش ^(٣) سماه « النوادر » ، وهجاه بعض الشعراء بما كرهت حكايته ، وإن كان حين وقف عليه فيما ^(٤) بلغني استغرب ضحكاً ، غير أن الجليل أجمل ، والتسليم من أعراض الناس أمل . وصنف قوم كتباً في هذا الباب تشتمل على فقر من الآداب والفوائد مثورة غير مبوبة ، ومخلوطة غير مقيدة ، بفصول متميزة ولا أبواب متحيزة .

* * *

وقد سميت كتابي هذا « الجليس الصالح الكافي » والأنيس الناصح الشافي ، وأودعته كثيراً من فنون العلوم والآداب ، على غير حصر بفصول وأبواب ، وضممته كثيراً من محاسن الكلام وجواهره ، وملحه ونوادره ، وذكرت فيه أصولاً من العلم أتبعته شرح ما يتشعب منها ، ويتصل بها بحسب ما يحضر في الحال ، بما يؤمن معه اللال ، ومن وقف على ما أتيت به من هذا ، علم أن كتابنا أحق بأن يوصف بالكمال والاستيفاء ، والتمام والاستقصاء ، وصدق وسمه بالجليس والأنيس ، فإن الكتاب

(١) في د : من .

(٢) هو محمد بن يحيى الصولي ، أبو بكر ، نديم من أكبر علماء الأدب ، نادم ثلاثة خلفاء من بني العباس ، هم الراضي والمكفي والقادر ، له تصانيف منها كتاب « الأوراق » طبع منه أجزاء ، وكان من أحسن الناس لمياً بالشرائح ، نسبته إلى جده صول تكين ، توفي بالبصرة عام ٣٣٥ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٤٢٧/٣ ، لسان الميزان ٢٧٧/٥ ، نزهة الألباء ٣٧٣ ، معجم الأدباء ١٠٩/١٩ .

(٣) أبو قماش : هو من يجمع ما يكون على وجه الأرض من فئات الأشياء .

(٤) في د : بما .

إذا حوى ما وصفنا من الحكمة وأنواع الفائدة ، كان لفتنته والناظر فيه بمنزلة مجلس كامل وأنيس فاضل ، وصاحب أمين عاقل ، وقد قيل في الكتاب ما معناه أنه حاضر نفعه ، مأمون ضرره ، ينشط بنشاطك فينبسط^(١) إليك ، وعمل بملاك فينبض عنك ، إن أدنيتك دنا^(٢) ، وإن أنأيتك نأى ، لا يبعثك شرّاً ، ولا يُفشي عليك سرّاً ، ولا يتم عليك ، ولا يسعى بنميعة إليك ، ولذلك قال بعضهم :

نعم المصاحبُ والجلسُ كتابٌ تلهو به إن خانك الأصحابُ
لا مفشياً عند القطيعة سرُّه وتُنالُ منه حكمةٌ وصوابُ

وقال آخر^(٣) :

لنا جلساء ما نملُ حديثهم ألباء مأمونون غيباً ومشهداً
يفيدوننا من علمهم طرْفَ حكمة^(٤) ولا ننتقي منهم لساناً ولا يسداً
في أبيات .

وذكر عن عبد الله بن المبارك^(٥) أنه سئل : أما تستوحش من مقامك منفرداً بهيت^(٦) ؟ فقال : كيف يستوحش من يجالس النبي ﷺ وأصحابه

(١) في د : ما ينشط ، تحريف .

(٢) في د : دنا منك .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، والبيتان التاليان من قصيدة أوردتها ابن عبد البر القرطبي في كتابيه جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٠٢ ، وهدية المجالس ٥١/١ ، وانظر معجم الأدباء ١٧/١٩٥ ، ومحاضرة الأبرار ١/٧٦ .

(٤) الكلمتان ساقطتان من أ ، وفي المراجع السابقة : علم ما مضى بدلاً من طرف حكمة .

(٥) عبد الله بن المبارك ، أبو عبد الرحمن المروزي الحنظلي ولاء ، كان من الربانين في العلم ، الموصوفين بالحنظ ، ومن المذكورين بالزهد والورع ، وكان من جميع الحديث والفقہ والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، توفي سنة ١٨١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٠٢/١٠ - ١٦٩ .

(٦) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار مجاورة لبرية ، بها نخل كثير =

رضوان الله عليهم ^(١) ، وقد كان بعض من كان له في الدنيا صيت ومكانة ، عاتبي على ملازمتي المنزل ، وإغبابي زيارته ، وإقلالي ما عودته من الإلزام ^(٢) به وغشيان حضرته ، وقال لي : أما تستوحش الوحدة ^(٣) ونحو هذا من المقالة ، فقلت له : أنا في منزلي إذا خلوت من جليس يقصد مجالستي ، ويؤثر مساجلتي ، في أحسن أنس وأجمله ، وأعلاه وأنبله ^(٤) لأنني أنظر في آثار الملائكة والأنبياء ^(٥) والأئمة والعلماء ، وخواص الأعلام الحكماء ، وإلى غيرهم من الخلفاء والوزراء ، والملوك والعظماء ^(٦) ، والفلاسفة والأدباء ، والكتاب والبلغاء ، والرجاز والشعراء ، وكأنني مجالس لهم ، ومستأنس بهم - وغيرُ ناء عن محاضرتهم لوقوفي على أنبأهم ، ونظري فيما انتهى إليّ من حِكْمَتِهِمْ وَأَرَأَيْهِمْ .

• • •

وقد تجشمتُ إملاء هذا الكتاب على ما خَلَقْتَهُ ورأيتُ من طول السنين ، حصلت فيه من عَشْرِ التَّسْعِينَ ، مع تراوُّفِ الهموم وتكاثفِ الغموم ^(٧) ، ومشاهدة ما لا أزال مرتعِّباً به ^(٨) ومتمعضاً منه لفساد الزمان وانتكاسه ، وعجيب قلبه وانتكاسه ، واختلاطه وانتكاسه ، ووضع الأعلام الرفعاء ، ورفع الطغام الوضعاء ، فقد أحل الأراذل محل الأفاضل ، وأعطى السفهية الآخرق حظَّ التنبيه العاقل ، وصرف نصيب العالم إلى الجاهل ، وصير

= وغيرات واسعة ، ودفن بها عهده الله بن المبارك ، انظر معجم البلدان ٩٩٧/٤ ، وفي أ : بها بدل هيت .

(١) العبارة ينصها في تاريخ بغداد ١٥٦/١٠ .

(٢) في أ : الالتئام .

(٣) في أ : توحشك .

(٤) في أ : وأيسله ، ومعناها لا يناسب المقام .

(٥) ساقطة من أ .

(٦) في أ : والعلماء .

(٧) في أ : والهموم .

(٨) ارتفع بالشيء : اشتد عليه وأثقله .

الناقص مكان الوافر الكامل ، والراجح الفاضل ، وقدم على العلم الميز
الغفَل (١) الخامل، ولقد قلت في بعض ما دفعت إليه، وامتحت به، حين
منعت النصف ، وحملت على الخسف ، حتى انقذت للعنف ، وأصبحت (٢)
عند الغلبة والعسف :

علام أَعومُ في الشُّبُه وأمري غير مُشْتَبِهٍ
أرى الأيامَ معتبراً على ما بي من الولَكِ
بلحظ غير ذي سنة وحظ غير متبهِ
أروحُ وأغسدي غَبْنًا أَكْثَرُ من أَقِلُّ به (٣)
وقلت في نحو هذا المعنى (٤) :

أَقْتَبِسُ الضياءَ من الضُّبابِ وألتمسُ الشرابَ من السَّرابِ
أريدُ من الزمانِ النَّدْلَ بِنَدْلٍ وأرأى من جَنَى سَكْعٍ وصابِ (٥)
أرجي أن أَلقي لاشْتِياقي سَرَاةَ الناسِ في زمنِ الكلابِ

في كثير من نحو هذا من النثر والقريض ، وذَمَّ الزمانِ السوءَ بالتصريح
والتعريض ، وأرجو (أن) (٦) يغيّر الله ما أصبحنا منه ممتعضين ، وأمسينا
معه مرتعضين ، ويشفي صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظَ قلوبِ الأُمّائلِ
من العلماء الميرزين ، فقد بلغ منهم ما يرون من تقدّم الأراذل الضَّلالِ ،
والأداني الجُهَّالِ ، حتى صُدِّروا في مجالسِ عِلِّمِ الدين ، وقُدِّموا

(١) غير واضحة في أ .

(٢) أصبحت : أي انقذت وأذعنت .

(٣) ورد هذا البيت وحده في البحر المحيط لأبي حيّان ٥٠٢/٤ ، والرواية فيه : سفها بدل
غبنا .

(٤) الأبيات التالية في ترجمة المؤلف في وفيات الأعيان ١٣١/٤ .

(٥) الأري : عسل النحل ، واللعج : شجر مر .

(٦) زيادة يستقيم بها السياق .

في محافل ولادة أمور المسلمين ، وصيروا قضاة وحكاماً ورؤساء^(١) وأعلاماً ، دون ذوي الأقدار ، وأولي الشرف والأخطار ، وكثير ممن يشار إليهم منهم لا يفهم من كتاب الله آية ، وإن تماطى تلاوتها لحن فيها: وأبني بخلاف ما أنزل الله منها ، ولا كتبوا سنة من سنتي رسول الله ﷺ ولا درّوها ، وإن تكلفوا ذكرها أحالوها ، وأتوا بها على غير وجهها ، ولا عرفوا شيئاً من أبواب العربية وتصريفها ، ولا لهم حظ من الفلسفة وأجزائها ، ومع هذا فقد اتفق لبعضهم من فريق قد شدا من العلم طرفة ، ونال منه حظاً ، عدد يعظمونه ويغفلون^(٢) في تعظيمه وتقديمه على أنفسهم ، وإن كان أسوأ حالاً وأخفض عقلاً منهم^(٣) ، كما عبّد الأصنام من هو أعلى منزلة منها بالحياة والقدرة ، والعلم والمعرفة ، والبطش والقوة ، والتصرف والحيلة ، وأقدم هؤلاء الأعمار على الشهادة بالزور لمن وصفنا جهلته وسقوطه ، بإضافتهم إليه العلم بما هو أجهل الناس به^(٤) ، وأبعدهم من معرفته ليلهم إلى بعض ضلالاته ، وأنسهم بكثير من خساراته ، وإن كانت بخلاف ما يعبدون^(٥) فيها من موافقته ، فقد صاروا سخرياً مسخوراً منهم ، وسخرياً مسخرين لتقليد من وصفنا صفته ، واستمر هذا الفريق المغرور على اتباع حزب الشيطان الذين اغتروا بهم ، وبذلوا المناصرة لهم ومالائهم، ومضافرتهم وإعزازهم، ومظاهرتهم

(١) في هـ : رؤساء .

(٢) الكلمة غير واضحة في أ .

(٣) في د : وأخفض منهم محلاً ، وفي هـ : أخفض محلاً منهم .

(٤) سابقة من هـ .

(٥) في أ : يقدرون .

وتأييدهم وموازرتهم ، واستفزه ما يزخرفونه لهم من كلامهم ، وإن كان مسترذلاً ، ومخطئاً ملحقاً ، عند من أعلاه الله من أفاضل العلماء عليهم^(١) ، وأبأنهم بالعلم^(٢) والتفقه في الدين منهم ، إذ أكثر ما يأتون به من الهجر^(٣) الذي يسميه^(٤) قوم الهاذور^(٥) ، ويمتزلة من قال فيه بعض الشعراء :

هَذِرِيَّانَ هَذِرٌ هَذَاءُ مُوشِكُ السَّقَطَةِ ذَوْلِبٌ نَشِرٌ^(٦)

واستنزلهم من عباراتهم ما هو من نوع هجر باعة القميحة^(٨) والسفوفيين ، وتتميق^(٩) هذر أصحاب الفاكهة والرياحين ، وهذيان أهل الحكاية والمخيلين^(١٠) ، فلما وصفنا جنتنا إلى الصبر ، واستصحبنا الخمول ، رجاء إنعام الله بالإعانة^(١١) والنصر ، وذكرت - في وقفي هذا

(١) لم ترد هذه الكلمة في د ، ه .

(٢) في ه : وأبأنهم .

(٣) في الأصول : إذا .

(٤) في ه : ما يأتون به من الهجر .

(٥) في د : ما يسميه .

(٦) الهاذور : سقط الكلام ورديته .

(٧) الهذر : الكلام الرديء الكثير أو سقط الكلام أيضاً ، وهذرا هذريان : مثل من أمثال العرب ، منناه : أكثر من كلامك وتخليطك يا مهذار ، والمهذاة : من يتكلم بلك ، والنثر : المتناقل .

انظر البيت دون نسبة في اللسان على نثر ، ومجالس ثعلب ٥٩٥ ، ونوادر أبي زيد ٢٢٤ ، ونوادر أبي مسحل ٤ ، وانظر مجمع الأمثال ٣٩٥/٢ ، والبيت شديد التحريف في الأصول .

(٨) القميحة : السفوف ، وهو كل دواء يؤخذ غير ملتوث أو مجنون ، وفي أ : بلقة الفسنة السفوفيين ، وفي د : باعة القميحة وكلاهما تعريف .

(٩) في أ : تثمين .

(١٠) المخيل : هو من يلبس على الناس ويوهمهم بأشياء ليست من الحقيقة .

(١١) في ه : بالاعانة .

عند إثباتي ما أثبتته من حال ذوي النقص الذين يتقلبون ^(١) في دولة ، وإن كانوا من باطلهم في بؤلة ^(٢) ، على أنها سحابة صيف عن قليل تقشع ^(٣) — خيراً حدثنا به محمد بن القاسم الأنباري ^(٤) ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا محمد بن عثمان بن مهدي الأبلّبي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن السايح ، قال : حدثنا حماد بن محمد بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن شعيب بن سابور ، قال : سمعت الأوزاعي ^(٥) ينشد هذه الأبيات :

إذا كان الخطأ أقلّ ضرّاً
وكان النوك مسحوداً مدّلاً ^(٦)
وعطّلت المكارم والمعالي
وأغلقَ دون ذلك كلُّ باب

(١) في هـ : يتقلبون .

(٢) في هـ ، د : جولة .

(٣) هذه العبارة مأخوذة من بيت شهر هو :

أراها وإن كانت تحب فإنها سحابة صيف صا قليل تقشع

انظره في المستطرف ٨٧/١ ، وانظر حيون الأخبار ٨٠/١ .

(٤) أبو بكر ، كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين وأكثرهم سفاً للغة ، أخذ عن أبي العباس ثعلب ، وكان ثقة صدوقاً من أهل السنة ، وقد ألف كتباً كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو والأدب ، وقد روى عنه المؤلف هنا كثيراً من أخبار الكتاب ، توفي سنة ٣٢٨ هـ ، انظر إنباء الرواة ٢٠١/٣ - ٢٠٨ ، وبني الوعاة ٢٢٢/١ ، تاريخ بغداد ١٨١/٣ - ١٨٦ ، معجم الأدباء ٣٠٦/١٨ - ٣١٣ .

(٥) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد ، أبو عمرو الأوزاعي ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهدي ، وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن بيروت ، وعرض عليه القضاء فامتنع ، وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام ، توفي عام ١٥٧ هـ . ترجمته في سلية الأولياء ١٣٥/٦ ، فهرست ابن النديم ٢٢٧ ، وفيات الأعيان ٢٧٥/١ .

(٦) مدّلاً : أي يجر ذيله خيلاء .

وَيُوعِدَ كُلُّ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ وَقُرِّبَ كُلُّ مَهْتَوِكِ الْحِجَابِ
فَمَا أَحَدٌ أَضَنُّ بِمَا لَدَيْهِ مِنَ الْمُتَحَرِّجِ الْمُحَضَّرِ اللَّبَابِ
وَأُنْشَدَ شَيْخُنَا أَبُو جَعْفَرٍ الطَّيْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَفِيمَا أَنْشَدَهُ
بَيْتَ آخِرٍ وَهُوَ :

وَوَلَّى بَعْضَهُمْ خَرَجًا وَحَرَبًا وَوَلَّى بَعْضَهُمْ فَصْلَ الْخَطَابِ
وَحُذِفَ مِنَ الْجُمْلَةِ بَيْتًا ^(١) .

وَأَنَا مُنْهُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَمِبْتَدِئُهَا بِمَا قَصِدْتُ إِدْأَاعَهُ
هَذَا الْكِتَابَ وَتَضَمِينَهُ إِيَّاهُ .

• • •

(١) فِي د : ، ه : بَيْتٌ آخَرُ .

المجلس الأول

(حديث : من كذب علي متعمداً)

حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي في يوم الاثنين لثلاث ليال
خلون من المحرم سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، قال : حدثنا الأوزاعي ،
قال : حدثني جسان بن عطية ، قال : حدثني أبو كبشة : أن عبد الله بن
عمر حدثه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ،
وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّخِذْ
مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » (١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي أبو الفرج : قوله عليه السلام : « بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » ،
أمر لأئمة بتبليغ ما أتاهاهم به من وحي ربهم ، وبسر الأمر عليهم فيما
يبلغونه ، ويلقونه إلى من بعدهم ويؤدونه ، ليتصل نقل القرآن عنه إلى آخر
أئمة ، ويلزم حجته جميع من انتهى إليه ممن يأتي بعده . فقد أتااه الوحي بما

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٢٠٧/٤ ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل من
حديث الأوزاعي بسنده ، وانظر رواياته المختلفة في تاريخ بغداد ٥٠/٣ ، ٢٣٨/٣ ،
٢٦٣/٤ ، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٢٨٠/٢ .

أناهُ من قوله ﴿ وَأَوْحِيْ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۖ ﴾^(١) ونظيرُ ما أمر به من التبليغ قوله في خبر آخر : « نَصَّرَ اللهُ امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أدأها كما سمعها ، فربَّ حاملٍ فقه غير فقيه ، ورب حاملٍ فقه إلى من هو أفقه منه »^(٢) . وقوله : « ولو آية » فإنه أتى على وجه التقليل ليسارع كل امرئ في تبليغ ما وقع من الآي إليه ، فيتصل بتبليغ الجميع أو بعضه نقله ، ويتكامل باجتماعه واستكمال أدائه .

(الآيَة وما فيها من طريق اللغة والنحو)

فأما الآيَة ف فيها من طريق علم اللغة ثلاثة أوجه ، ومن جهة صناعة النحو والإعراب ثلاثة أضرب ، فأحدُ الوجوه فيها من قبيل اللغة أنها العلامة الفاصلة ، والوجه الثاني أنها الأعجوبة الحاصلة ، والوجه الثالث أنها المشكّلة النازلة ، وهذه الأوجه الثلاثة إذا رُدَّتْ إلى أصولها متقاربة راجعة في المعنى إلى طريقة واحدة ، وجملة آحادها متناسبة ، فلذا قيل : اجعل لكذلك وكذا آيَة ، فالمعنى علامة فاصلة تدل على الشيء بحضورها ، وتفقد دلالتها بغيبيتها ، ألا ترى إلى قول الله جل ثناؤه : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ، قَالَ آتَيْتُكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ۖ ﴾^(٣) إلى آخر القصة فإنما سأل السائل ربه أن يجعل له علامة لما وعده وبشره به ، في ما جانس هذا مما تضمنته كتابُ الله عزَّ ذكره ، قال الشاعر :

أَلَّا أَبْلُغَ لَدَيْكَ بَنِي تَمَسِيمٍ بآيَةٍ مَا يُحْيِيُونَ الطَّعَامَا ^(٤)

(١) سورة الأنعام الآية ١٩ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن مسعود ٤٣٧/١ ، وعن أنس بن مالك ٢٢٥/٣ ، وعن جبير بن مطعم ٨٠/٤ ، وعن زيد بن ثابت ١٨٣/٥ ، وانظر سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب « فضل نشر العلم » وابن ماجه ، المقدمة ، باب « من بلغ علماً » وجامع بيان العلم وفضله ٤٠/١ ، والترمذي ٣٧٢/٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٤١ ، وسورة مريم الآية ١٠ .

(٤) البيت ليزيد بن الصق الكلابي ، انظره مع القصة التي قد ذكر حب بني تميم للعلماء في كامل =

وقال آخر^(١) :

أَلِكُنْصِي إِلَيْهَا عَمَّرَكَ اللهُ يَا فُتَى بَآيَةَ مَا جَاءَتْ إلَيْنَا نَهَادِيَا
ومثل هذا في الشعر وسائر الكلام كثير .

ولما كان ذكر الآية يعني الأعجوبة فمنه ما ذكره الله عز ذكره في مواضع من كتابه عند ذكره ما أحله من النعمة بأعدائه : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) بمعنى العجب مما حلّ بهم عندما كان من تكليدهم رُسُلَ ربهم .

وأما العبارة بالآية عن العقوبات المنكّلة فكثيرة في كلام الخاصة من أهل اللسان العربي كقولهم : قد جعل فلان آية ، إذا حلّ به فظيع من المكروه ألا ترى أنهم يقولون لمن نزل به شيء من هذا به ، أو حصل على صفة مذمومة يُعَيَّر بها وَيُسَبَّ وَيوصم بها : فلان آية متزلة ، فأما العِفْدُ الجامع لهذه الأوجه الثلاثة الذي يردّها إلى جملة واحدة ، فهو أن العلامة إنما قيل لها آية لدلالاتها وفضلها وإبانتها ، ووقع الفصل في القرآن بها حتى تميزت بعض ألفاظه من غيرها ، فصارت كل قطعة من ذلك جملة على حالها^(٣) .

وأما معنى الأعجوبة فإنما يقع التعجبُ من المستغرب الذي يقل وقوعه ، فينفصل من الكثير الوجود الذي يختلط فيها بعضه ببعض ، ولا يكون فيه من الاختصاص ما في الموجود الذي قدمنا ذكره .

= المبرد ١٠٠/١ ، وانظر الكتاب لسبويه ٤٦٠/١ ، غزاة الأدب ١٣٨/٣ ، ١٤١ ،
ورود نونية في معنى الطبيب الشاهد رقم ٦٧٣ .
(١) هوسم عبد بنى الحساس ، كما ورد في غزاة الأدب ٢٧٤/١ ، والسان ٣٧٤/١٢ ،
والكنى : أي بن رسول إليها ، وقال في الحسان : وقد أكثر الشعراء من هذا اللفظ .
(٢) سورة الشعراء الآية ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ .
(٣) انظر في هذا تفسير القرطبي ٥٧/١ ، وغزاة الأدب ١٣٧/٤ ، ١٣٨ .

وأما النكاح الحالّ بمن حل به فإنه يقال له آية^(١) ، من حيث مَسَّسُ أمره اعجوبة يُعتبر ويتعظ بها ، وكان معنى خاصاً قُوبِلَ به أمرٌ خاصٌ بما أتاه من وقعت المجازاة به ، فكل واحد من هذه الأوجه الثلاثة مجانس لصاحبه في أنه أمانة وعلامة وأعجوبة لاختصاصها بما فيه حجة باهرة ، ودلالة قاهرة ، ومثّلة ونقمة لما فيه من التميز والمعجب وفطيم التنكيل ، بأهل الزيف والتبديل .

• • •

وأما الأضرب الثلاثة من قبل النحو وتصريف الإعراب ، فلأن النحويين من الكوفيين والبصريين اختلفوا في الآيّة ما وزنها من الفعل^(٢) ، فقال الكسائي : هي في الأصل فاعلة وأصلها آيية^(٣) ، وكان ينبغي أن تدغم الياء الأولى في الثانية لاجتماعهما متحركتين فتصير آية مثل دابة التي أصلها دأبيية ، فاستقلوا التشديد فقالوا : آية^(٤) .

وقال نحوير البصرة : وزنها في الأصل فَعَلَّة وأصلها آيية^(٥) فصارت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . وقال الفراء : وزنها من الفعل فَعَلَّة وأصلها آيية^(٦) ، فاستقلوا التشديد فأتبعوه ما قبله فصارت الياء

(١) في أ : نية ، وهي تحريف .

(٢) انظر خزائن الأدب ١/١٣٨ ، وقد وردت هناك ستة أقوال ، اكتفى المؤلف هنا بإيراد ثلاثة منها .

(٣) مثل : ضاربة .

(٤) قال في الخزانة : أي يحنف العين استغناء لتوالي يامين أولاهما مكسورة ، لذلك كانت أول بال حذف من الثانية ، وقد رد ذلك بأنه كان يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة في قولهم (آي) .

(٥) مثل : قصبة ، وهذا قول الخليل بن أحمد ، وقال : القياس في إعرافها (أياء) تصح العين وتمل اللام ، لكن عكسوا شذوذاً فأعلوا الياء الأولى لتحركها وانفتاح ما قبلها دون الثانية .

(٦) مثل : حية ، وهذا الوجه يمزى أيضاً لسببويه واختاره ابن مالك .

الأولى ألفاً كما قالوا : ديوان ودينار والأصل فيها دوان وذار ، والدليل على ذلك أنهم يقولون في جمعهما دواوين وذنابير ، ولا يقولون دياوين وديانير . ويجمع الآية آيات على جمع السلامة ، وآياً على أنها من القبيل الذي سبق جمعه واحدة فصار بين توحيده وجمعه الهاء التي في واحده . وقد زعم قوم أن معنى الآية : الجماعة ، وهذا قول رابع إلا أنه خطأ ، والبيان عنه وعن أصل اشتقاق الآية بما بين الخليل وسيبويه والأخفش فيه من الاختلاف في تقدير مدته وتصريفه ، واستيعاب بابه يأتي في كتابنا المسمى « البيان الموجز » ، عن علوم القرآن المعجز « إن شاء الله عز وجل .

• • •

وقوله عليه السلام : « وحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجَ » فإنَّ الحَرْجَ أصله في كلام العرب : الضيق ، ومنه قيل للطائفة من الشجر الملتف المتضايق : حَرْجَة ، وكان مقاتل بن سليمان ^(١) يتأول ما جاء في القرآن من ذكر الحرج أنه الشك ^(٢) ، وهذا يرجع إلى ما وصفنا من معنى الضيق ، لأن الشاكَّ يضيّق صدره ، ويخالف العالم بالشيء المُشَلِّج صدره بما حلَّه في راحة اليقين ، واتساع الصدر وانفساحه وتعرّيه من ازدحام الظنون واعتراض الشكوك التي تضيّقُه ، وقد زعم بعض أهل الاشتقاق

(١) هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الحراساني ، أبو الحسن البجلي المفسر ، روى عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم ، كان يرمي بالتجسيم ، قال عنه النجاشي : كان من أوعية العلم ، مجرّأ في التفسير ، توفي سنة ١٥٠ هـ ، انظر طبقات المفسرين ٣٣٠/٢ ، تاريخ بغداد ١٣ : ١٦٠ ، ميزان الاعتدال ١٧٣/٤ .

(٢) وقد ورد هذا أيضاً عن مجاهد وقادة في تفسيرهما قوله تعالى : « كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه » أي شك ، وقالوا : ليس شك الكفر إنما شك الضيق ، انظر تفسير القرطبي ٢٥٩/٧ وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢٦٦/٤ : تفسير الحرج بالشك تفسير قلبي ، وهو إن صح يكن ما توجه فيه الخطاب إلى الرسول صلوات الله عليه لفظاً وهو لأمرته معنى ، أي فلا يشكروا أنه من عند الله .

أن الذي يتخذهُ الرّكْبُ من العيْدانِ والخُشْبِ لرحلهم يُقال لها حُرْجُوجٌ ،
لتضايقه واشتباكه ويجمع حِرَاج ، كما قال ذو الرمة :

فَسَيِّراً فَقَدْ طَالَ الْوَقُوفُ وَمَلَّهْ

قلائصُ أمثالِ الحِرَاجِيجِ ضُمِرُ^(١)

ومنه قيل للشَّيء المحظور المضيق بالتحريم والمنع : « حَرَج » ،
وقرأ بعض المتقدمين : ﴿ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَرَجٌ ﴾^(٢) مكان قراءة
الجمهور « حَجَر » وحَجَرٌ وهي كلها لغات معروفة في الحجر بمعنى
الحرام لغتان الضم والكسر ، وقد قرئ بهما جميعاً^(٣) ، وقوله : حَرْتُ
حَجَر أي حَرَام ، وقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ حَجِجْراً مَحْجُوراً ﴾^(٤) قال أهل
التأويل : معناه حراماً محرماً ، قال الشاعر :

حَنَنْتُ إِلَى التَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا

حِجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تَمْلِكِ الدَّهَّارِيسُ^(٥)

(١) رواية الديوان ٣٠٨ : أمثال الخنثيات ضمير ، وليس فيه ذكر الحراجيج ، وعليه فلا شاهد في البيت ، هذا وقد وردت هذه الكلمة في بيت آخر للذي الرمة هو :

حراجيج تملحها إذا صفقت بها قبائل من حيدان أوطانها الشحر

وفسر الشارح الحراجيج بأنها النوق التي طالت من المزال ، الواحدة : حرجوج . انظر الديوان ٣٠٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٨ .

(٣) قراءة الضم مع التثنية للجنس وتنادة والأخرج ، والقراءة بضمهما معاً هي قراءة أبان بن عثمان وعيسى بن عمر ، انظر البحر المحيط بالرقم السابق .

(٤) سورة الفرقان الآية ٢٢ .

(٥) البيت المنطس ، ديوانه ٨٥ ، والتخلة القصوى : واد ، والدعاريس : الدوامي ، وهو يقول لناقته : هذا الذي حننت إليه ممنوع ، وبمد هذا البيت قوله :

أسمي شأنية إذ لا عرّاق لنا قوماً نودهم إذ قومنا شوس

وانظر تفسير القرطبي ٤٢٣٧ .

وقال آخر :

قالت وفيها حِمَقَةٌ وذُعْرُ
عَوْدٌ برسي منكم وحِجْرُ^(١)

أي استعاذة تُحَرِّمُ عليكم ما أخافه من مكروهكم . والحجر أيضاً :
العقل ، والحجى ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ
لِذِي حِجْرٍ ﴾^(٢) أي عقل يمنعه من السفه والخرق ، ومنه حَجَرُ الحاكم
على السفه ، هو من التضييق والمنع والتحريم ، والمصدر منه مفتوح .
وروى أن النبي ﷺ قال للأعرابي الذي بال في المسجد ثم سمعه يقول :
اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً — « لقد نُحِجِرْتُ واسعاً »
أي ضَيِّقْتُ ما وَسَّعَهُ الله عزَّ ذكره وحَطَرْتُ ما فَسَّحَ فيه .

• • •

والحِجْرُ ديار ثمود ، وحِجْرُ الكعبة^(٣) مكسوران ، وحِجْرُ اسم
الرجل مضموم الحاء ساكن الجيم ، كما قال عبيد بن الأبرص :

هلاً على حِجْرِ بن أمّ قَطَامٍ تبكي لا علينا^(٤)

وحركه امرؤ القيس لإقامة وزن الشعر فقال :

(١) البيت دون نسبة في إصلاح المنطق ٩٣ ، وخزانة الأدب ١/٤١١ ، واللسان ٣٣/٥ ،
٢٣٩ ، والرواية فيها كلها : حيدة بدلاً من حِمَقَة ، والحجر : الدفع ، وقال في اللسان :
والعرب تقول عند الأمر تكرهه وتكرهه : حَجَرًا ، أي دفعاً وهو استعاذة من الأمر .

(٢) سورة الفجر الآية ٥ .

(٣) هو ما تركت قرين في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام وحجرت على الموضع ليعلم
أنه من الكعبة فسمي حَجْرًا لذلك ، انظر معجم البلدان ٢/٢٠٨ .

(٤) انظر ديوان عبيد ٢٨ ، والبيت من قصيدة موجهة منه إلى امرئ القيس يسخر فيها من
تهديده لقومه بني أسد بعد أن قتلوا أبيه حَجْرًا ، وهو من يمينه بقوله أين أم قطام ، وانظر
الخير يتسامه في خزانة الأدب ١/١٦٢ ، ٣٢٢ .

وهي تصيدُ قلوبَ الرجال وأفلت منها ابنُ عمرو وحجر^(١)
كما قال طرفة^(٢) :

أيها الفتيانُ في مجلسنا جردُوا منها وارداً وشقراً
والكلام شقراً بالإسكان مثل حُمر وصقُر ، وحجر اليمامة مفتوح
قال الشاعر^(٣) :

فلولا الرِّيحُ أسمع من بحجرٍ صليلُ البيضِ تُقرَعُ بالذكورِ
وحجرُ الإنسان فيه لغتان : الفتح والكسر .

ومثل حَرَجٌ وحجرٌ ، صاعقة وصاقعة ، وجندبتهُ جندباً وجندبتهُ
جندباً ، في نظائر لما وصفنا كثيرة ، وأما حاجر^(٤) فموضع معروف ،
قال الأعشى :

شاقك من قتلة أطلالها فالشطُّ فالصفُّ إلى حاجرٍ^(٥)

* * *

(١) البيت في ديوانه ١٥٥ ، وهو هي ابنة العامري وهو سلامة بن عبد ويقال ابن عبد الله بن
عليك من كلب ، قال : وكان أمروؤ القيس في كلب وعليه أيام نفاه أبوه ، فشيب بها ،
وهو يقال : أفلت منها حجر بن عمرو وصادني أنا .

(٢) البيت التالي في ديوانه ٨٢ .

(٣) البيت لهلhel ، انظره في الموشع للمزباني ١١٣ ، والأصمعيات ١٥٥ ، والذكور :
جميع ذكر وهو من الحديد أيسه وأشده وأجوده .

(٤) ذكر ياقوت أن حاجرأ موضع قبل مدن النقرة ، وقال : دون فيد حاجر ، انظر معجم
البلدان ١٨٢/٢ .

(٥) ديوان الأعشى ٩٢ ، بالرواية فيه : شاتك بدل شاقك ، وبالشط قالوتر إلى حاجر بدل
فالشط فالقف الخ ، وهو بالرواية نفسها في معجم البلدان ٩٠٢/٤ ، وفيه وحسن معق
من بناء جندس وبه تحصن عبيد بن ثعلبة حين اختط حجرأ ، وفي ٩٠٢/٤ قال ياقوت :
الوتر بضم الواو : واد باليمامة خلف المروض مما يلي الصبا ، ثم ذكر بيت الأعشى أما =

وخص بني إسرائيل بهذا لما مضت فيهم من الأعاجيب ، كما خص البحر بما فيه من العجائب ، وأرخص في التحدث عنه مع انقضاء الحرج بالكذب فيه ، وقوله : ولا حَرَجَ ، يتَّجه فيه تأويلان ، أحدهما : أن يكون حَرَجاً محضاً في معناه ولفظه ، كأنه لما ذكر بني إسرائيل وكانت فيهم أعاجيب وكان كثير من الناس ينبؤسمعه عنها ، فيكون هذا مقطعة من عنده علم منها أن يحدث الناس بها ، فربما أدى هذا إلى دروس الحكمة ^(١) ، وانقطاع مواد الفائدة ، وانسداد طريق إعمال الفكرة ، وإغلاق أبواب الانعاظ والعبرة ، وكأنه قال : ليس في محدثكم بما علمتموه من ذلك حرج .

والتأويل الثاني : أن يكون المعنى في هذا : النهي فكأنه قال : ولا تَحَرَّجُوا بأن تتحدثوا بما قد تبين لكم الكذب فيه محققين له أو غارِّين ^(٢) أحداً به ، فهذا اللفظ على هذا الوجه لفظه لفظ الخبر وفائدته النهي من جهة المعنى ، ولفظ النهي لا يأتي إلا متعلقاً بفعلٍ مُستقبل ، فإذا قيل : ولا تَحَرَّجُوا فهو صريح اللفظ بالنهي ، فإذا قيل : ولا حرج جاز أن يكون خبراً محضاً معنى ولفظاً ، وجاز أن يكون لفظه لفظ الخبر في بنينه ، ومعناه النهي لقصد المخاطب وإرادته ، دون صورة اللفظ وصيغته ، وتَصَبُّ الحَرَج في هذا الموضع هو الوجه على ما يقتضيه المعنى الذي يسميه البصريون النفي ويسميه الكوفيون التبرئة ^(٣) وهو على قول الخليل مبني يضارع المعرب ، وعلى قول سيبويه معرب يضارع المبني ، ولو رُفِع وتَوَّن لكان

= التثنية بضم القاف وتشديد الفاء فهو كما فسره ياقوت في المجموع ١٥٢/٣ : جبل غير أنه ليس بالطويل ، فيه إثراء على ما حوله ، ثم قال أيضاً : هو علم لواد من أودية المدينة عليه مال لأهلها .

(١) درس الشيء درساً ودرساً : عفا وذهب أثره .

(٢) غره : خدعه وألممه بالباطل .

(٣) انظر معنى اللبيب ٢٢٧/١ .

وجهاً قد عرف واستعمل^(١) كما قال الشاعر :

من صدّ عن نيرانها فأنّا ابن قيسٍ لا برّاح^(٢)

وقولهم : لا حَوْل ولا قُوّة إلا بالله^(٣) ، للعرب فيه خمسة مذاهب :
لا حولَ ولا قُوّةَ إلا بالله ، ولا حولَ ولا قُوّة^(٤) ، ولا حولَ ولا
قُوّة^(٥) ، ولا حولٌ ولا قُوّة^(٦) ، ولا حولٌ ولا قُوّة^(٧) .

(١) أي اسم لا ، وهي حيثّ تكون عاملة عمل ليس .

(٢) البيت لسمد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن
وائل أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية ، وهو من قصيدة يرض فيها بالخاوث
ابن عباد ، لعموده عن الحرب التي هاجت بين بكر وثلج أبي وائل ، حين قتل جساس البكري
كليلاً التلبي ، وأول القصيدة :

يا بئس الحروب التي وضعت أراهد فاستراحوا

انظر خزنة الأدب ٢٢١/١ وما بعدها .

وانظر بيت الشاهد في الكتاب ٣٥٤/١ ، والمغني ٢٣٩/١ ، واللسان ٢٣١/٣ ، والرواية

فيه : من فر . وقد نسب الشاعر نفسه في البيت إلى جده الأهل قيس ، أما الشاهد فيه فهو
رفع الاسم بعد لا وإعمالها عمل ليس ، والتبر مخوف تقديره لا يراح لي .

هذا وقد ذكر المؤلف أن الاسم بعد (لا) يجوز رفعه وتنوينه ، وقد ذكر شاهد الرفع
دون تنوين ، أما الرفع مع التنوين فهو :

تمز فلا شيء على الأرض باقياً ولا وزر ما قضى الله وإتيا
أو قوله :

نصرتك إذ لا صاحب غير خاذل فبوت حصناً بالكفاة حصيناً

بتنوين شيء وصاحب ، انظر المغني ٢٣٩/١ ، ٢٤٠ .

(٣) أي وشبهه من كل تركيب تكررت فيه لا ، وسبق الثانية عطف ، وكان كل من الاسمين
مفرداً صالحاً لعمل لا .

(٤) بنسب الثاني بالمطف على عمل اسم لا ، وتكون لا الثانية زائدة بين الماطف والمطوف .

(٥) برفع الثاني وذلك بالمطف على عمل لا مع اسمها ، فإن عملها رفع الابتداء عند سيويه
وحيثّ تكون لا الثانية زائدة بين الماطف والمطوف لتأكيد النفي ، أو بالابتداء وليس
للا عمل فيه ، أو أن لا الثانية عاملة عمل ليس .

(٦) برفعها ممّا ، وتكون لا إما مهملة ، وإما عاملة عمل ليس .

(٧) برفع الأول ، وبناء الثاني على الفتح ولا يجوز نصبه لأن النصب إنما يكون بالمطف عن --

وقال الله تعالى ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج﴾^(١) ،
هذه قراءة شيبية ونافع وعاصم وحزمة والكسائي في آخرين ، وقرئ :
فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع
المخزومي^(٢) ، وقرئ : ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ﴾^(٣) وهي قراءة
مجاهد^(٤) وابن كثير^(٥) وأبي عمرو^(٦) وعدد غيرهم ، وقد قرأ بعضهم ولا جدال
مثل دَرَاكٍ وَمَنْتَاجٍ ، رويت هذه القراءة عن عبد الله بن أبي إسحاق^(٧) ،

= منصوب لفظاً أو محلاً ، وهو ما هنا مفقود ، انظر في هذه الأقوال : شرح الأشموني
عل الفية ابن مالك ٨/٢ ، ٩ ، ١٠ ، والإنصاف للأنباري ٣٦٦/١ - ٣٧٠ .

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٢) في الأصل كلمة لا تقرأ ، وقد أثبتنا نسبتها من المراجع ، وهو أحد القراء العشرة ، من
التابعين ، كان إمام أهل المدينة في القراءة وعرف لذلك بالقارئ ، وكان من المفتين
المجتهدين ، توفي بالمدينة عام ١٣٢ هـ ، ترجمته في غاية النهاية ٣٨٢/٢ ، تاريخ الإسلام
١٨٨/٥ .

(٣) يرفع الأولين وفتح الثالث ، وذلك بمعنى : فلا يكون رفث ولا فسوق ، أي شيء يخرج
من الحجاج ، ثم ابتدأ النفي فقال : ولا جدال .

(٤) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني غزوم ، تابعي ، مفسر ، من أهل مكة ،
كان شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير عن ابن عباس قرأ عليه ثلاث مرات يقف
عند كل آية يسأله فيم نزلت وكيف كانت ، توفي سنة ١٠٤ هـ ، ترجمته في غاية النهاية
٤١/٢ ، ميزان الاعتدال ٦/٣ ، حلية الأولياء ٢٧٩/٣ .

(٥) عبد الله بن كثير الدارسي المكي ، أحد القراء السبعة ، كان قاضي إمامة بمكة ، مولد
ووفاته بها سنة ٣٢٠ هـ . ترجمته في وفيات الأعيان ٢٤٥/٢ .

(٦) هو زيان بن عمار التميمي المازني البصري أبو عمرو ، يلقب أباه بالعلاء ، من أئمة اللغة
والأدب وأحد القراء السبعة ، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة ١٥٤ هـ ،
وكان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر ، وكانت عامة أغباره عن أعراب
أدركوا الجاهلية ، ترجمته في غاية النهاية ٢٨٨/١ ، وفيات الأعيان ٣٨١/١ ، نزعة
الألباء : ٢٤ .

(٧) عبد الله بن أبي إسحاق الزياتي الحفصري ، نحوي أخذ عنه كبار النحاة كأبي عمرو بن
- العلاء وعيسى بن عمر الثقفي والأخفش ، وكان قتيماً بالعربية والقراءة إماماً فيها ، كثير أ
ما كان يرد على الفرزدق ويتكلم في شعره ، فبهجا هذا بيتته المشهور :

واختلفت في علل إعراب هذه القراءات ، وفي علة من فَرَّق في الإعراب بين بعضها وبعض اختلاف يطول شرحه ^(١) وليس هذا موضع ذكره ، ونحن مستقصو القول فيه عند انتهائنا إليه من كتابنا المسمى « البيان الموجز في علم القرآن المعجز » وفي كتابنا في القراءات ، وكتابنا في عللها وتفصيل وجوهها .

وقوله : « من كَذَب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قد أتت الرواية بهذا اللفظ وما يقاربه من جهات كثيرة ، وقيل : إنه على عمومه ، وجاء في بعض هذه الأخبار : من كذب عليَّ متعمداً ليضلَّ به الناس ، وروى أنه ورد عند قصة خاصة في رجل ادَّعى عند قوم أن النبي ﷺ أرسله إليهم ليزوجه ^(٢) ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، قال : حدثنا علي بن مُنَسَّر ، عن صالح بن حيّان ، عن ابن بُريدة ، عن أبيه ، قال : أتى رجل إلى قوم في جانب المدينة ، فقال : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أحكم فيكم برأيي في كذا وكذا ، وكان خطب امرأة منهم في الجاهلية فأبوا أن يزوجه ، ثم ذهب حتى نزل على المرأة فبعث القوم إلى النبي ﷺ فقال : « كذب عدو الله » ثم أرسل رجلاً فقال : « إن أنت وجدته حياً فاقتله ، وإن وجدته ميتاً فحرِّقه ، فانطلق فوجده قد لدغ فمات

= فلو كان عبد الله رسول هجوته ولكن عبد الله مول مواليا

فقال له ابن أبي إسحاق : وقد لحنت أيضاً في قولك مول مواليا ، وكان ينبغي أن تقول مول موال ، توفي سنة ١١٧ هـ ، ترجمته في إنباء الرواة ١٠٤/٢ ، بغية الوعاة ٤٠/٢ ، غاية النهاية ٤١٠/١ .

(١) انظر تفصيل هذه الأقوال وعللها بتناهما في : البحر المحيط لأبي حيّان ٩٩/٢ - ٩٠ ، وانظر تفسير القرطبي ٧٨١ و ٧٨٢ .

(٢) أشار إلى الخبر التالي بدر الدين البني في شرحه على البخاري ١٥٢/٢ ، في باب « ثم من كذب على رسول الله صل الله عليه وسلم » من كتاب العلم .

فَحَرَّقَهُ ، فعند ذلك قال النبي ﷺ : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

* * *

حدثنا الحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري ، قال : حدثنا إسماعيل بن حيان الواسطي ، قال : حدثنا زكريا بن عديّ ، قال : حدثنا عدي بن مسهر ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : قول رسول الله ﷺ : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » كان حيّ من المدينة على ميل أو ميلين فأتاهم رجل عليه حلة ، فقال : إن رسول الله ﷺ كساني هذه الحلة وأمرني أن أحكمّ في نسائكم وأموالكم بما أرى ، وكان قد خطب منهم امرأة فأبوا أن يُزوَّجوه ، قال : فأرسلوا رسولاً إلى النبي ﷺ : إنك أمرتَ هذا أن يحكم في نسائنا وأموالنا بما يرى ، فقال النبي ﷺ : « كذب عدو الله » ، ثم قال لرجل : اذهب فإن وجدته حيّاً فاضرب عنقه ، وإن وجدته قد مات فاحرقه بالنار ، وما أراك تجده حيّاً » ، قال : فجاء فوجدته قد لدغته حية أو أفعى فمات ، فلذلك قول رسول الله ﷺ : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

* * *

حدثنا محمد بن هارون أبو حامد الحضرمي ، قال : حدثنا الشريّ بن مزّيد الخراساني ، قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن عليّ الفزاريّ ، قال : حدثنا داود بن الزبير ، قال : أخبرني عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن الزبير ، أنه قال يوماً لأصحابه : أتدرون ما تأويل هذا الحديث : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ؟ قال : رجل عشق امرأة فأتى أهلها مساءً ، فقال : إني رسولُ رسولِ الله ﷺ ، يعني إليكم أن أتضيفَ في أيّ بيوتكم شئت ، قال : فكان ينتظر بيئوته إلى المساء ، قال : فأتى رجل منهم النبي ﷺ ، فقال : إن فلاناً أتاناً يزعم أنك أخبرته أن

بييت في أي بيوتنا شاء ، فقال : كذب ، يا فلان انطلق معه فإن أمكنك الله منه فاضرب عنقه وأحرقه بالنار ، ولا أراك إلا قد نُعِيتَه ، فلما خرج الرسول ، قال رسول الله ﷺ : ادعوه ، فلما جاء قال : إني قد كنت أمرتك أن تضرب عنقه وأن تحرقه بالنار ، فإن أمكنك الله منه فاضرب عنقه ولا تحرقه بالنار ، فإنه لا يعلب بالنار إلا رب النار ولا أراك إلا قد كفيته ، فجاءت السماء فصبت فخرج ليتوضأ فلعنته أفعى ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ ، قال : هو في النار . وقوله : فليتبوأ أي فليوطن نفسه ويعلم أنه تبوأ مقعده من النار أي تكون النار مبيوأ له ، كما قال الله : ﴿ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ﴾ (١) أي جعلناها منزلاً لهم ، قال ابن هرمة (٢) :

وبوأت في صميم مَعَشَرِهَا فَمَ في قومها مَبِوؤُهَا
وقال بعض بكر بن وائل يخاطب الفرزدق :

لقد بوأتك الدارَ بكرُ بن وائلٍ
وقرأت لك الأحشاء إذ أنت محرم

وقول الله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبوئتهم من الجنة عُرفاً ﴾ (٣) من هذا الباب ، وكذلك قرأ جمهور أهل الحجاز والشام والبصرة والكوفة ، وقرأ عدد من الكوفيين منهم حمزة (٤)

(١) سورة يونس ، الآية ٩٣ .

(٢) البيت في ديوانه ٥٧ ، وهو دون نسبة في اللسان ٣١/١ ، وفسره بقوله أي نزلت من الكرم في صميم النسب ، فهوأ فيه : بمعنى هبأ له وأنزله ويمكن له فيه .

(٣) سورة المنكوت الآية ٥٨ .

(٤) هو حمزة بن حبيب بن عماره التميمي الأثريات ، أحد القراء السبعة ، كان من موالي التميم فنسب إليهم ، وكان عالماً بالقراءات ، انعمد الإجماع على تلقي قراءته بالقول ، قال عنه الثوري : ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر ، توفي بملوان سنة ١٥٦ هـ ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٧/٣ ، ميزان الاعتدال ٢٨٤/١ ، وفيات الأعيان ٢/٢١٤ .

والكسائي^(١) : لَتَنْثَوِيَنَّهُمْ مِنَ الثَّوَاءِ ، كما قال الحارث بن حِزْرَة^(٢) :

أَذَكَّتَنَّا بِيَنِّهَا أَسْمَاءُ رَبِّ تَارٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وفي تصريف الفعل من هذا لغتان يقال : ثوى يثوي واثوى يثوي ،
ويروى بيت الأعشى على وجهين :

اثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوِّدَا
فَحَتَّى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا^(٣)

ويروى اثْوَى على الوجه الرباعي ، ويروى آثْوَى بلفظ الاستفهام على أنه ثلاثي ، ولو قيل ثوى من غير تقديم على أن يكون الجزء الأول من البيت مخروماً^(٤) لكان ذلك صواباً .

* * *

-
- (١) هو علي بن حمزة الكسائي الأسدي ، ولاء ، أبو الحسن ، إمام في اللغة والنحو والقراءة ، من أهل الكوفة ولد في إحدى قرأها ، وقرأ النحو بمد الكبر وتنقل في البادية وسكن بغداد ، وهو مؤدب الرشيد وولده الأمين وأخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة ، وله تصانيف في علوم القرآن ، توفي سنة ١٨٩ هـ ، ترجمته في غاية النهاية ١/٥٣٥ ، تاريخ بغداد ١١/٤٠٣ ، إنباء الرواة ١١/٤٠٣ ، نزهة الألباء ٦٨ .
- (٢) البيت صدر مملكته الشهيرة ، انظر ديوانه ٢ .
- (٣) البيت صدر قصيدته في ديوانه ٥٤ ، والرواية فيه فمضى بدل فحى .
- (٤) الحزم في علم العروض : حذف القاء من فعولن ، أو الميم من مفاعلتين ومفاعلتين .

ذكر بعض نوادر الأخبار

(مجنون بني سعد)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري إملاءً من حديثه سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا محمد بن سعيد بن صالح اليشكري ، قال : حدثنا محمد بن محب المازني ، قال : حدثني أبي^(١) ، قال : لما قدم سليمان^(٢) بن علي البصرة والياً عليها قيل له : إن بالميربند^(٣) رجلاً من بني سعد ، مجنوناً سريع الجواب لا يتكلم إلا بالشعر ، فأرسل إليه سليمان بن علي قهرمانه^(٤) فقال له : أجب الأمير ،

(١) انظر المصدر التالي في عقلاء المجانين للنيسابوري ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، عم أبي جعفر المنصور ، ول له البصرة وعمان والبحرين وتوفي بالبصرة سنة ١٤٢ هـ ، وفي عقلاء المجانين أن الوالي كان محمد بن سليمان وهو أيضاً ولي البصرة بعد أبيه ، انظر المعارف لابن قتيبة ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٣) المريد : من أشهر محال البصرة ، وكان في أول الأمر سوقاً للإبل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء كسوق هكاظ وكانت تسمى عكاظ الإسلام . انظر معجم البلدان ٤/٨٤ .

(٤) القهرمان : الأمين الخاص للأمير أو الملك ووكيله في تدبير دخله وخروجه .

فامتنع فجره وزيه^(١) وخرق ثوبه ، وكان المجنون يستقي على ناقة له
فاستاق القهرمان الناقة وأتى بها سليمان بن علي ، فلما وقف بين يديه قال له
سليمان : حيّاك الله يا أخا بني سعد ، فقال :

حيّاك ربّ الناس من أمير
يا فاضل الأصل عظيم الخير
إني أتاني القاسق الجِلواز^(٢)
والقلب قد طار به اهتزازُ

فقال سليمان : إنما بعثنا إليك لنشري ناختك ، فقال :
ما قال شيئاً في شراء الناقه وقد أتى بالجهل والحماقه
فقال : ما أتى ؟ فقال :

خرق سِرّالي وشقّ بُردتي
وكان وجهي في الملا^(٣) وزيتي
فقال : أفتعزم على بيع الناقة ؟ فقال :

أبيعُها بعد ما لا أُوكسُ
والبيع في بعض الأوان أكيس^(٤)
قال : كم شراؤها عليك ؟ فقال :

شراؤها عشر بيطن مكه من الدنانير القيام السكه

(١) زيره : انتهره وزيره .

(٢) الجِلواز : الشرطي ، مأخوذ من الجِلوزة وهي الحفة في النعاب والمجيه .

(٣) الرواية في عقلاء المجانين : وكان زيتي في الملا ومجدي . وبعد ذلك قوله : فقال الأمير : إذا
نخلع عليك ، فقال الاعرابي :

تمك الله وأرغى بأك وأكثر الله لنا أشاك
(٤) لم يرد هذا كله في عقلاء المجانين .

ولا أبيعُ الدهرَ أو أزدُ إني لريحٍ في الورى ^(١) معتاد

قال : فبكم تباعها ؟ فقال :

عُذُّها بعشرٍ وبخمسٍ وازنهُ فإنها ناقةٌ صدقَ مازنه ^(٢)

قال : فحطنا ^(٣) ، فقال :

تبارك الله العليُّ العالِي تَسألُنِي الحَطَّ وأنت السوالِي

قال : فتأخذها منك ولا تعطيك شيئاً ، فقال :

فأين ربِّي ذو الجلال الأفضل إن أنتَ لم تَخْشَ الإلهَ فانعلِ

قال : فكم أزنُ لك فيها ^(٤) ؟ فقال :

والله ما يُنْعِشُنِي ما تُعْطِي ولا يُدْأِي الفقرُ مِنِّي حَطِّي

خذها بما أحببتَ يا بنَ عباسٍ يا بنَ الكرامِ من قريشٍ الرَّأسِ

فأمر له سليمانُ بألفِ درهمٍ وعشرةِ أبوابٍ ، فقال :

إني رَمَتْنِي نَحْوُكَ القِجَاجُ أبو عيالٍ مُعَدَّمٌ مَحْجَاجٌ

طَاوَى المَعَى ضَيِّقُ المَعِيشِ فَأَنْبَتَ اللهُ لَدَيْكَ رِيشِي

شَرَفْتَنِي مِنْكَ بِأَلْفٍ فَأَخْرَهَ شَرَفَكَ اللهُ بِهَا فِي الآخِرَةِ

وَكُسُوفٍ طَاهِرَةٍ حَسَانٍ كَسَاكَ رَبِّي حُلَّالَ الْخَنَانِ

(١) في عقلاء المجانين . في الشرا .

(٢) المازن : الماضي المزع في طلب الحاجة .

(٣) حطنا : أي أرخص من ثمنها لنا .

(٤) في عقلاء المجانين : أني أسألك أن تحط .

(التعليق على الخبر)

فقال سليمان : من يقول إن هذا مجنون ؟! ما كلمتُ قط أعرابياً
أعقل منه .

قول الأعرابي : ضيق المعيش ، المعيش جمع معيشة ، كما قال
رؤبة ^(١) :

أشكو إليك شدة المعيش ومرة أعوامٍ تَتَقَنَ ريشي
ويكون المعيش الموضع والمعاش المصدر ، مثل المضرب والمضرب
والمقر والمقر .

قال القاضي أبو الفرج : قد أنهنا هذا المجلس إلى هنا لئلا يستطال ،
إذ قد تقدمته خطبة^٢ ورسالة ، والله المستعان .

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في المراجع السابق .

(٢) ديوانه ٧٨ ، ٧٩ ، والرواية فيه :

أشكر إليك شدة المعيش دهرأ تنقى المخ بالتمشيش
وجهد أعوام برين ريشي

المجلد الثاني

(حديث جريج)

حدثنا عبد الله بن سليمان أبي داود بن الأشعث السجستاني إملاء من حفظه ، في يوم الثلاثاء لأربع بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، قال : حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثني عبد الله بن شوذب ، قال : حدثني مطر ، قال : ولا أعلم سنده إلا عن الحسن عن أبي هريرة رفعه^(١) ، قال : كان رجلٌ في بني إسرائيل يقال له جريج ، وكان صاحب صومعة قال : فاشتاق أمه إليه فأتته حتى قامت عند صومعته ، فنادته : أي جريج ! أي جريج ! وهو قائم يصلي ، قال : فلما سمع النداء فعرف الصوت أمسك عن القراءة ، فقال : أي رب ! صلاتي أو أممي ، ثم قال : ربّي أعظم عليّ حقّاً من أمي ، قال : فمضى في صلاته ، ثم نادته الثانية ففعل أيضاً مثلها ، وقالت الثالثة ، ففعل أيضاً

(١) الحديث التالي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ، من غير هذه الطريق ، انظر المسند ٤٨٥/٢ وانظر كذلك صحيح البخاري ٨٠/٢ باب « إذا دعت الأم ولدها في الصلاة ، وجزء ٣ ص ١٣٩ باب « إذا هم حائطاً لثنتين مثله » ، وصحيح مسلم ٣/٨ ، باب « تقديم بر الوالدين على التصلوع » .

مثلها فلم يجيبها ولم يُشرف عليها ، فقالت : اللهم كما لم يُرني وجهه فابتنه بنظر المُؤمِسَات في وجهه ، فحملت امرأة من أهل القرية من فاحشة فولدت ، فقيل لها : بمن هذا ؟ قالت : صاحب الصومعة ، فرفع ذلك إلى الملك ، فقال : هذا صاحب صومعة ، وهو يفعل مثلَ هذا ؟ فأمر أهل القرية فأخذوا الثنوس والمساحي^(١) حتى أتوه فنادوه وهو في صلاته فلم يكلمهم ، قال : فقالوا : ضعوا الثنوس في الصومعة فضربوا حتى كادت أن تميل ، قال : فأشرف عليهم ، فقال : ماذا تريدون ؟ مالي ولكم ؟ فقالوا : أنت في الصومعة وأنت تُحبِل النساء ! فقال : أنا ؟ فتزل فصيلي ركعتين ودعا الله تعالى ثم جاء إلى الصبيّ ولما يتكلم فضرب قفاه وقال : من أبوك ؟ قال : صُهَيْبُ صاحب الضأن ، وكان صهيبي رجلاً يرمي الغنم بأوي إلى الصومعة . قال : فقال النبي ﷺ : « والذي نفسُ محمد بيده ، لو دَعَتِ الله أن يَفْتِنَهُ عن دينه لأَفْتَنَهُ عن دينه » . وقد روى خبر جريج عن طريق آخر ، وذكر فيه أن الصومعة هُدِّمت وأنه قيل له : نبئنا لك لَبِئَةً من فضة ولبنة من ذهب ، فقال : بل ردوها كما كانت .

(التعليق على الخبر)

قوله في الخبر : المُؤمِسَات هو جمع مُؤمِسة وهي البغي الفاجرة ، فإن قال قائل : كيف دعت أمه عليه واستجيب لها فيه ؟ وهو لم يقصد عقوبتها ، ولم يترك لإجابتها تهاوناً بها ، ولا استخفافاً بحقها ، وإنما أكر مرضاة الله على أمرها ، وإتمام صلاته التي ابتدأها ، إما مؤدياً للقرض فيها ، وإما متطوعاً بفعلها . قيل له : جائز أن يكون الكلام في شريعتهم كان جائزاً في صلاته كما كان في أول الإسلام ثم نسخ ما أبيع منه بحظره

(١) المساحي : جمع مسماة ، وهي المجرقة من الحديد .

والنهي عنه ، على ما وردت الأخبار به ، وجاء أن عبد الله بن مسعود أخبر أنه كان يسلم بعضهم على بعض في الصلاة فيرد عليه ، وأنه ذكر أنه حين قدم من أرض الحبشة سلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة فلم يرد عليه ، وأنه قال : فأخذني ما قرب وما بعد ، وقال النبي ﷺ حين فرغ من صلاته : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، سلمت عليك فلم ترد علي ، فقال : إن الله يحدث من أمره ما شاء ، وأنه مما أحدث « ألا تكلموا في الصلاة » ^(١) وأن يكون جريح رأى وإن كانت إجابته أمه جائزة في صلاته أو غير قاطعة لها — بأن المضي على الصلاة أولى من إجابتها ، وجائز أن يكون القرم قد فرض عليهم إجابة أمهاتهم في الصلاة إذا دعوهم وإن كانوا في صلاتهم ، فترك ذلك جريح لتفريط منه وفي فعله أو العلم به ، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لو ناداني أحدُ أبوي وأنا في الصلاة فقال يا محمد لأجبت » ، وهذا محتمل أن يكون على بعض الوجوه المخصوصة ^(٢) أو المنسوخة ، وجائز أن يكون أراد لأجبت بالتسييح ليعلم أنني قد سمعته أو في هذه الحال بالتصفيق ، وقال : التسييح للرجال والتصفيق للنساء ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال لبعض من ناداه وهو يصلي فلم يجبه فقال : ما منعك أن تجيبني ؟ فقال : إني كنت أصلي فقال : ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ ^(٣) .

(١) الحديث في صحيح البخاري ٢١٠/١ ، وفيه أنه صل الله عليه وسلم قال : إن في الصلاة شغلا ، وانظره أيضاً في مسند الإمام أحمد ٤٠٩/١ ، ٤١٥ ، ٤٣٥ ، ٤٦٣ .

(٢) في أ : المحسوسة .

(٣) رواه البخاري عن أبي سعيد بن الملق في تفسير سورة الأنفال ٧٧/٦ وتكملة الحديث أن الرسول صل الله عليه وسلم قال له : إني لأعطينك سورة هي أعظم السور في القرآن ، قال : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ، انظر تفسير القرطبي ٩٤ في تفسير سورة الفاتحة ، وصيغة ٢٨٢٦ في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الأنفال ، وانظر تفسير ابن كثير ٢٢/١ ، ٢٤ .

وروى أن إبراهيم التخعي^(١) سئل عن شمت رجلًا في الصلاة ، فقال : إنه لم يقل إلاّ معروفاً . والقول في هذا النحو مستقصى فيما ألفناه من كتبنا في الفقه .

(حروف المقاربة)

وقوله في هذا الخبر : حتى كادت أن تميل .. الظاهر في كلام العرب أن يقولوا كادت تميل من غير أن يأتوا بأن ، وكاد هذه من حروف المقاربة ، فقال : كاد فلان يهلك وكاد يفعل كذا ، قال الله عز وجل : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ ﴾^(٢) وقال : ﴿ قَدْ بَحَوَّهَا وَمَا كَادُوا يَتَّقَعْلُونَ ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَيْدًا ﴾^(٤) في نظائر لهذا كثيرة ، وقد تقول العرب : كاد أن يفعل ، كما قال الشاعر :

كادت النَّفْسُ أَنْ تَقِيضَ عَلَيْهِ

إِذْ تَوَى حَشَوَ رِيْطَةً وَبُرُودٍ^(٥)

وقال الراجز :

قَد كَادَ مِنْ طُولِ الْبَلَى أَنْ يَمْصَحَا^(٦)

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس التخعي أبو عمران ، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث ، ترجمته في حلية الأولياء ٢١٩/٤ ، غاية النهاية ٢٩١/١ .

(٢) سورة مريم الآية ٩٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ٧١ .

(٤) سورة الجن الآية ١٩ .

(٥) البيت من شواهد الأشموني ، ونسبه فيه لـ محمد بن مناذر ، وقد ورد نسبة في معنى البببية ٦٦٢ ، غزاة الأدب ٩٠/٤ ، والريطة : الثوب الرقيق والبرود : جمع برد وهو كساء مخطط يلتحف به .

(٦) البيت لرؤبة ، انظره في ديوانه ١٧٢ ، وغزاة الأدب ٩٠/٤ ، والكتاب لسيبويه ٤٧٨/١ ، ويمصح : يذهب ، ويقتلع ، وقيله :

رِيحٌ عَفَا بِمَدِّ مَا قَدْ انْجَهَسِي

فكأنه أدخلها في باب عسى كما أدخل عسى عليها القائل من الشعراء :

عسى الكربُ الذي أُمِيتُ فيه
يكونُ وراءه فَرَجٌ قَرِيبُ^(١)

وقال آخر :

عسى اللهُ يُغْنِي عن بلادِ ابنِ قادي
بمهمِّجُونِ الرِّبَابِ سَكُوبِ^(٢)

وقال آخر :

عسى فَرَجٌ يَأْتِي به اللهُ إنَّه
لَهُ كلَّ يومٍ في خَلِيقَتِهِ أَمْرُ^(٣)

ومثل هذا لعل ، الباب فيها لعل أقوم ، قال الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾^(٤) ، وقال : ﴿لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٥) ، وقد تدخلُ

(١) البيت لمدينة بن الخشرم كما ورد في خزانة الأدب ٨٢/٤ من قصيدة له مطلعها :

طربت وأنت أحياناً طروب وكيف وقد تملك المشيب

والشاهد في البيت إسقاطه أن ضرورية ورفع الفعل ، والمستعمل في الكلام عسى أن يكون كقوله تعالى : « عسى الله أن يأتي بالفتح ، انظر سيبويه ٤٧٨/١ .

(٢) المنهمر : السائل ، والجنون : الأسود ، والسكوب : السحاب ، والبيت دون نسبة في خزنة الأدب ٨٢/٤ ، وهو أيضاً لمدينة بن الخشرم من القصيدة السابقة ، انظر سيبويه ٢٦٩/٢ .

(٣) البيت لمدينة بن الخشرم المذري من قصيدة طويلة قالها في سجنه ، انظر شرح الأشموني على الألفية ٣٩٠/١ .

(٤) جزء من آية كريمة ، ورد إحدى عشرة مرة في القرآن ، في البقرة ، وفي آل عمران مرتين ، وفي المائدة ثلاث مرات ، ثم في الأعراف والأنفال والحج والنور والجمعة .

(٥) سورة طه الآية ٤٤ .

على باب عسى لاشتراكها في باب الترجي والمقاربة والتوقع ، وذلك قول الشاعر :

تَتَبِعْ خَيَابَا الْأَرْضِ وَادْعُ مَلِيكَهَا
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُجَابَ وَتُرْزَقَا (١)
وقال آخر :

ترفق أَيْهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
لَعَلَّكَ أَنْ تَرَى حُجْرًا (٢) يَسِيرُ
وقال آخر :

لَعَلِّي إِنْ مَالَتْ بَيْيَ الرِّيحِ مِيلَةً
على ابنِ أَبِي ذُبَّانَ أَنْ يَتَنَدَّمَا (٣)

وقد تأتي كاد بمعنى الإرادة لاشتراكها في معنى المقاربة ، كقولك :
كاد الحائط أن يميل ، وضربه حتى كاد أن يموت ، أي أراد أن يميل وأن
يموت ، وقال الشاعر في هذا المعنى :

(١) البيت لمحمد بن شهاب الزهري كما ورد في معجم الشعراء ٣٤١ ، وانظره دون نفسه في
هجة المجالس ١٢٩/١ ، واللسان « غيا » ٥٦/١ ، وقال فيه : اطلبوا الرزق في خبايا
الأرض ، قيل : معناه الحرث وإثارة الأرض للزراعة ، وأصله من الحب ، قال الله عز
وجل : « يخرج الحب » ، وأراد بالخبايا الزرع لأنه إذا ألقى البذر في الأرض فكأنما
غياه فيها ، قال عروة بن الزبير لابنه : ازرع فإن العرب كانت تتمثل بهذا البيت : تتبع
خبايا الأرض وادع ملكها ... الخ .

(٢) البيت في الأغاني ١٣٢/١٧ ، ١٥٤ برواية ترفع بدل ترفق .

(٣) البيت في اللسان « ذيب » ٣٦٩/١٤ ، ولقد قيل في هشام بن عبد الملك فهر المقصود بإبن
أيي ذبان قال : والعرب تكنوا الأبنزر أبا ذباب وبعضهم يكتبه أبا ذبان ، وقد غلب ذلك
على عبد الملك بن مروان لفساد كان في فمه ، قال الشاعر ... الخ .

كادت وكِدْتُ وتلك خيرُ إرادة
لو عادَ من وصلَ الحبيبةَ ما مضى ^(١)

وقد قيل في قول الله : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ ^(٢) أن معناه أكاد أقيمها ، فحذف . ثم ابتداء فقال : أخفيها وأن الكلام انتهى إلى أكاد ، وأنه وقف تام ، وأخفيها ابتداء كأنه قال : أخفيها لتجزى ، لتجزى إخبار بصلة الفعل الذي هو الإخفاء .

وقرأ بعض القراء : أكاد أخفيها بفتح الهمزة بمعنى أظهرها ، يقال : خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته ، وروى عن النبي ﷺ أنه « لعن المخنفي والمخنفية » يعني النباش والنباشة ^(٣) ، سُميا بذلك لإظهارهما ما ستر بالموارة والإخفاء والدفن ، ورويت هذه القراءة عن سعيد بن جبير وغيره ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

دَابَّ شهرين ثم شهراً دَيِّكَا
بَارَكِينَ يَخْفِيَانِ غَمِيرَا

وقال آخر ^(٤) :

(١) أي أرادت وأردت ، والبيت في تفسير القرطبي ٤٢٢٤ ، واللان ٣٨٦/٤ ، والرواية فيها لو عاد من هو الصباية ما مضى ، وتفسير كاد بالإرادة هو أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى : إن الساعة آتية أكاد أخفيها ، أي أردت أخفيها ، وقال في اللسان : فكما جاز أن توضع أريد موضع أكاد في قوله تعالى « يريد أن ينقض » فكذلك أكاد .

(٢) الآية ١٥ من سورة طه ، وانظر الأقوال التالية في تفسيرها في تفسير القرطبي ٢٢٤ ، إلى ٢٥ وتفسير البحر المحيط ٢٣٢/٦ ، ٢٣٣ .

(٣) انظر الحديث في الموطأ ، كتاب الجنائز ، باب « ما جاء في الاختفاء » وانظر تنوير الحفاك شرح موطأ مالك : ١٨٥/١ .

(٤) هو امرؤ القيس ، ديوانه ١٨٦ ، والرواية فيه ، تغنوا بدل تكتموا . ومعنى لا تخفه لا نظره ، وانظر البيت في القرطبي ٤٢٢٢ ، والبحر المحيط ٢٣٢/٦ .

فَإِنْ تَكَثُّمُوا الدَّاءَ لَا تَخَفْهُ
وَأِنْ تَبَعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدِ
وقال امرؤ القيس (١) :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا
خَفَاهُنَّ وَدَقَّ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلَّبٍ
وخفيت وأخفيت جميعاً يرجعان إلى أصل واحد ، خفيت أي أزلت
الإخفاء وأخفيت أي فعلت الإخفاء ، ونحن نبين ما في هذه الكلمة من
القرآن والمعاني ووجه التفسير وطريق الإعراب والتأويل في مواضعه من
كتبنا في القرآن إن شاء الله .

وأما قول جريج للصبي : من أبوك ؟ فقد يسأل السائل فيه فيقول :
كيف قال من أبوك والعاهر ليس بأبٍ لمن أتت به البغي من مائه في حكم
الشريعة (٢) ؟ قيل له : في هذا وجهان من التأويل أحدهما :

أنه جائز أن يكون في شريعة أولئك القوم إلحاق ولد العاهر به إذا
حملت أمه به منه .

والوجه الآخر : أن يكون جريج قال هذا على وجه التمثيل أو كنى
به تنزيهاً لألفاظه على جهة التشبيه ، فقد تضاف الأبوة لفظاً من طريق
التجاوز والاستعارة إلى من ليست له ولادة ولا نسب بينه وبين من ينسب

(١) ديوانه ٥١ ، وخفاهن أي أظهرهن ، والتفسير يعود على الفأر المذكور في البيت السابق
على هذا وهو قوله :

ترى الفأر في مستنقع القاع لاجباً
على جرد الصحراء من شد ملهب
يقول : إن فرسه من شدة جريه يسمع له حفيف كصوت المطر ، فهناك تفرج الفئران
من قاع جحورها إلى الأرض الصلبة وهي الجرد خوفاً من الثرق ، والودق المطر ، وعص
مطر للنهي لأنه أغزر ، والمجلب : ذو الجلبة .

(٢) وذلك مصداقاً لقول الرسول صلوات الله عليه : « الوليد للفراش وللعاهر الحجر » .

إليه ولا قرابة ، فيقال : فلان أبو الأراميل واليتامى إذا كفلهم ويّرهم ووصلّهم ، وقام بتدبير أمورهم وكتّفهم كفعل الآباء الوالدين لمن ولدوه من البئين .

وقد روى في بعض قراءات من رويت عنه القراءة من المتقدمين « النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبٌ لهم وأزواجه أمهاتهم »^(١) وعبر عن الأزواج بأنهن للمؤمنين أمهات توكيداً لحرمتهن ودلالة على تأييد تحريم نكاحهن على غير النبي ﷺ ، وفي استقصاء هذا الباب وما يناسبه ويتصل به طول .

وقوله : « ولما يتكلم » هذه لم الجازمة دخلت عليها (ما) وقيل : إنها تأتي لنفي حضور شيء منتظر متوقع^(٢) وقيل : بل هي على طريق لم وإن ضمت لإيها ما كما هي في : إن تقم أقم ، ولما تقم أقم ، ولهذا النحو موضع هو أولى به .

وأما قول النبي ﷺ :

« لو دعت الله أن يفتنه عن دينه لأفتنه عن دينه » فالذي أحفظ عن ابن أبي داود أنه قال في هذا الحديث هكذا « أن يفتنه »^(٣) وقال لأفتنه ، وفي تصريف الفعل من الفتنة على تشعب معانيها واختلاف وجوها لثنتان : يقال : فتنه يفتنه على وزن فعل يفعل وهذه أعلى اللغتين وأفصحهما ،

(١) هذه قراءة ابن عباس ، وفي مصحف أبي بن كعب : « النبيّ أول بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم » يجعل هذه الزيادة في آخر الآية .

انظر القرطبي ٥٢٠٥ هـ في تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب .

(٢) أي أن منفيها يكون قريباً من الحال ، ولا يشترط ذلك في منفي لم ، تقول : لم يكن زيد مقبلاً في العام الماضي ، ولا يجوز « لما يكن » ، وقال ابن مالك : لا يشترط ذلك بل هو

غالب لا لازم ، انظر مغني اللبيب ٢٧٩/١ .

(٣) يفتح ياء المضارعة وكان حقها القسم لأن ما ضيه مزيد بالهمزة .

وبها جاء كتاب الله تعالى في جميع القرآن ، من ذلك : ﴿ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ ﴾ ^(١) ، وقوله ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَقْتُلَهُمْ ﴾ ^(٢) وقوله ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ ^(٣) بمعنى امتحنناه ، وأضاف هذا إليه جلّ ذكره ، وقد قرئ أنما فتّناه بالتخفيف على توجيه الفعل إلى الملكين ، وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُمْ فَتَنَّمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(٤) ، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ^(٥) .

واللغة الثانية في هذه الكلمة هي أفلّهما في كلام العرب وهي : أفنته يفنته على أفعل يفعل .

فإن كان ما روى لنا في هذا الحديث على اللفظ الذي وصفنا محفوظاً عند رواته ومن أداه إلينا فإنه مما جمع فيه بين اللغتين .

(الجمع بين اللغتين)

والجمع بين اللغتين كثير في كلام العرب ، وقد جاء كثير منه في كتاب الله عزّ ذكره على تمازج واتصال ، وتراخ وانفصال ، فمن المتصل قوله : ﴿ فَتَمَّهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمِلَهُمْ ﴾ ^(١) ، ومن المنفصل قوله في السورة التي يذكر فيها الأنفال ^(٢) ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَلَى الظَّهْرِ الضَّعِيفِ ، وَفِي سُورَةِ الْحَشْرِ ^(٣) ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ بِالْإِدْغَامِ ، ومثله ﴿ فَتَلْسِمُ لِيلٍ وَلَيْثُهُ ﴾ ^(٤) على لغة من يقول : أمّلت الكتاب فأنا

(١) سورة الأعراف الآية ٢٧ .

(٢) سورة يونس الآية ٨٣ .

(٣) سورة ص الآية ٢٤ .

(٤) سورة الحديد الآية ١٤ .

(٥) سورة البروج الآية ١٠ .

(٦) سورة الطارق الآية ١٧ .

(٧) الآية ١٣ .

(٨) الآية ٤ .

(٩) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

أمله ، وقوله ﴿فَهِيَ تُحْلِي عَلَيْهِ﴾^(١) من أمليته أمله ، وقال الشاعر في الجمع بين اللغتين :

لَنْ فَتَنْتَنِي لَهْيَ بِالْأَمْسِ أَفْتَنْتُ
سَعِيداً فَأُضْحَى قَدْ قَلَى كُلٌّ^(٢) مُسْلِمٌ
ومن الجمع بين اللغتين قول لبيد^(٣) :

سَقَى قَوْهِي بِنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى
عُمَيْراً وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ
وقال آخر :

يَا بَنَ رُفَيْعٍ هَلْ لَهَا مِنْ مَعْتَبٍ^(٤)
هَلْ أَنْتَ سَاقِيهَا سَقَاكَ الْمُسْتَقِي
وقرن بعضهم بين المعنيين في اللغتين فقال : سقيته أي ناولته ماء لشفته ، وأسقيته إذا جعلت له شرباً دائماً ، ويقال : أسقيته إذا دعوت له بالسقيا .

(١) سورة الفرقان الآية هـ .

(٢) البيت في اللسان ١٩٤/١٨ ، وقال فيه : حكى أبو القاسم الزجاج في أماليه بسنده عن الأصمعي ، قال : حدثنا عمر بن أبي زائدة ، قال : حدثني أم عمرو بنت الأهم ، قالت : مررنا ونغن بجوار مجلس فيه سيده بن جبير ومعنا جارية تقي يدها معها وتقول ... ثم أورد البيت وبهذه :
وَأَلْقَى مَصَابِيحَ الْقِرَاءَةِ وَاشْتَرَى وَصَالَ غَوَانٍ بِالْكِتَابِ الْمُتَشَمِّعِ
فَقَالَ سَعِيدٌ : كَذِبَتْ كَلْبَتَيْنِ .

(٣) البيت في ديوانه ، واللسان ٤٠٢/٤ ، وقال فيه : بنو مجد هم بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ومجد اسم هذه التي فخر بها لبيد في شعره .

(٤) كتاب سيبويه ٣٤٢/٢ : وبهذه بيتان من الرجز هما :
مَا شَرِبْتُ بِمَدَى طَلْوَى الْقُرْبَقِ مِنْ قَطْرَةٍ غَيْرِ النَّجَاءِ الْأَدْفَقِ
وفي أ : شَبَقَ بِدَلِّ مَبْقِ .

كما قال ذو الرومة ^(١) :

وَقَفْتُ عَلَى رِيعٍ لَمِيَّةٍ نَأَقَتِي فما زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْنَاهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَتَلَاعِبُهُ ^(٢)

ويقال : أسقيته ورعيت ، إذا قلت له سقاك الله ورعاك .

وقال سيبويه : يقال سقيته فشرب ، وأسقيته جعلت له ماء وسقيا .

قال الخليل : سقيته مثل كسوته وأسقيته مثل ألبسته ، ولاستقصاء الكلام في هذا وفي هاتين اللغتين وهل هما بمعنى واحد أو بمعنىين ، وفي ما اختلف نسخ كتاب سيبويه فيه من التفسير والتمييز له ، وفي اختلاف القراءة بما أتى منه في مواضع من القرآن متفق اللفظ أو اختلف في مواضع مختلفة كقوله : ﴿نَسْقِيكُمْ﴾ بما في بَطُونِهَا ^(٣) بالفتح في الموضعين على أنه من سَقَى يُسْقِي بالضم من لغة من قال : أَسْقَى يُسْقِي ، وفي تفريق من فَرَّقَ بين القراءة في هذين الموضعين وبينها في قوله : ﴿وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً﴾ ^(٤) وجمع من جمع في الفتح والضم طولاً يتجاوز حد ما قصدناه بكتابنا هذا وبيانه في مواضع من كتبنا في علوم القرآن .

(معنى الفتنة)

وللفتنة وجوه منها الصرف عن الشيء ومنه هذه الكلمة ، وأفتنته مثل حزنته وأحزنته ، ومذهب سيبويه أن من قال : فتنته أراد جعلت فيه فتنة ، ومن قال : أفتنته أي جعلته فاتناً ، يقال وفن الرجل فهو فاتن ، وقال سيبويه : وزعم الخليل أنك حيث قلت فتنته وحزنته لم تُرد أن تقول جعلته حزينا فاتناً . كما أنك حين قلت أدخلته جعلته داخلاً ،

(١) ديوانه ٥٢ .

(٢) أسقيه : أي أدع له بالسقيا ، وابنه : أشكو إليه .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢١ .

(٤) سورة الفرقان الآية ٤٩ .

ولكنك أردت أن تقول جعلتُ فيه حَزُنًا وفتنة ، فقلت فتنته كما قلت كحلته جعلتُ فيه كُحْلًا ، ودهنته جعلتُ فيه دُهْنًا ، وقال الجرمي ^(١) : سمعت أبا زيد يقول : حَزَنَتِي الأمر يحزنني حَزُنًا وحَزَنًا وأنا حزين ومَحْزُون ، وهذا مثل : جريح ومجروح وقتيل ومقتول ، وقال سيويه : كلهم يقول : أحزني الأمر فإذا صار إلى يفعل ففيها لغتان ، يقول قوم : يَحْزِنُنِي على غير قياس ، ويقول قوم : يُحْزِنُنِي على قياس ، وأما القراء فلم يزد في هذا على أن ذكر في حزن يحزن وأحزن يحزن لغتين .

وقد اختلفت القراءة في اللفظ بهذه الكلمة في القرآن ، فكان أبو جعفر المدني ^(٢) يقرأ « ولا يَحْزُنُكَ الدين » ^(٣) ، « وإنه لَيَحْزُنُكَ » ^(٤) ، « ويا أيها الرسول لا يَحْزُنُكَ الدين » ^(٥) ، « وإني ليَحْزِنُنِي أن تَدَّ هُبُوبًا به » ^(٦) ويستمر على هذا في القرآن كله إلا في قوله « ولا يُحْزِنُهُمُ الفزع الأكبر » ^(٧) فإنه يُضم الياء فيه ، وأما نافع فعلى عكس هذا المذهب لأنه ضم ما فتحه أبو جعفر في هذا الباب وفتح ما ضمه ، وكان ابن محيصن ^(٨)

(١) هو أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي ، مول جرم بن زيان من قبائل اليمن ، أخذ النحو عن أبي الحسن الأنغش وغيره ، وأخذ اللغة عن أبي زيد والأصمعي وطبقتهما ، وكان صاحب دين وورع ، وصنف كتباً كثيرة منها مختصره المشهور في النحو ، توفي سنة ٢٢٥ هـ ، ترجمته في إنباء الرواة ٨٠/٢ ، وبنية الوعاة ٨/٢ ، غاية النهاية ٣٣٢/١ ، معجم الأدباء ٦/٥ .

(٢) هو يزيد بن القفحاح الخزومي ، أبو جعفر المدني ، وقد مرت ترجمته .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٦ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٣ .

(٥) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٦) سورة يوسف الآية ١٣ .

(٧) سورة الأنبياء الآية ١٠٣ .

(٨) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي ، مولاهم المكي ، مقرأ أهل مكة مع ابن =

يضم ذلك كله ، وكان الجمهور من القراء بعده يفتحون الجميع وفي استقصاء هذا المعنى وذكر ما يتصل به لتفريق من فرق بين بعضه وبين بعض ، والاحتجاج فيما اختلف المقرئون فيه مواضع جملة من كتبنا في علوم القرآن ، تأتي على البيان عنه إن شاء الله عز وجل .

(من نزلت فيه هذه الآية)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا أبو إسماعيل الرمذي ، قال : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي ، قال : حدثنا سفيان بن عينة ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾^(١) قال : هو رجل كان في بني إسرائيل أعطي ثلاث دَعَوَاتٍ يستجاب له فيهن ما يدعو به ، وكانت له امرأة له منها ولد وكانت سمجة دميمة ، قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فدعا الله لها ، فلمّا علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها رغبت عن زوجها وأرادت غيره ، فلما رغبت عنه دعا الله أن يجعلها كلبة نبّاحة ، وذهبت منه دعوتان ، فجاء بنوها وقالوا : ليس بنا على هذا صبر أن صارت أمنا كلبة نبّاحة يعيّرنا الناس بها ، فادعُ الله أن يردّها إلى الحال التي كانت عليها أولاً ، فدعا الله فعادت كما كانت فذهب فيها الدعوات الثلاث فسميت البسوس وقيل : أشأم من البسوس^(٢) .

قال أبو الفرج : المشهور عند أهل السير والأخبار أن البسوس التي

= كثير ، ثقة روى له مسلم ، وكان نحويّاً ، وقرأ القرآن على ابن مجاهد ، توفي سنة ١٢٣ هـ ، انظر غاية النهاية ١٦٧/٢ .

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٥ .

(٢) انظر الخبر في تفسير القرطبي ٢٧٥٦ .

يقال من أجلها أشأم من البسوس ، الناقة التي جرى فيما جرى من أمرها حرب داحس والغبراء ^(١) ، والمعروف من قول جمهور أهل التأويل أن قوله : ﴿ وَاثُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا ﴾ عَنَى بِهِ بَلْعَمَ بْنَ بَاعُورَاءَ الَّذِي دَعَا لِلْجَبَّارِينَ عَلَى مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٢) ، وقال بعضهم ^(٣) : نزلت في أمية بن أبي الصلت ، ولكل واحد من هذين الذي سميناها حديث طويل ، وقد جاء في الخبر الذي وصفنا ما حكينا والله أعلم .

* * *

وفي هذا الخبر ، قال : وكانت سمجة بكسر الميم مثل بَطْرِية ، وحكى سيبويه عن العرب : رجل سَمَجَ بتسكين الميم مثل سَمَح ، وقال : فقالوا : سميج كصبيح ، قال : ولم يقولوا سمح وإن كانت العامة قد أولعت به .

* * *

(١) هذا سهو من المؤلف ، فهو يخلط هنا بين حربين شهيرتين من حروب العرب ، الأولى حرب البسوس وكانت بين بكر وتغلب بسبب عقر كليب لثاقة البسوس وقتل جساس بن مرة له ، والثانية حرب داحس والغبراء وكانت بين عيس وذبيان وفزارة بسبب هذين الفرسين ، انظر خبر ذلك بالتفصيل في جميع الأشكال ١١٠/٢ - ١١٨ .

(٢) انظر هذا القول في شأن بلعم بن باعوراء مروياً عن المتمر بن سليمان عن أبيه ، وكذلك الأقوال الأخرى الذي قيلت في شأنه في تفسير القرطبي ٢٧٥٠ ، وقصص الأقبية ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٣) هذا هو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن أسلم ، ويقال إن أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا في ذلك الوقت ونعى أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمن شعره وكفر قلبه » . انظر تفسير القرطبي ٢٧٥٦ .

وقول الراوي في هذا الخبر : يعيّرنا الناس بها ، الفصح من كلام العرب : عبرت فلاناً كذا ، وأما عبرته بكذا فلهجة مقصورة عن الأولى في الاشتهار والفصاحة ، وإن كانت هي الجارية على ألسنة العامة . ومن اللغة الأولى قول النابغة ^(١) :

وعَيَّرْتَنِي بنو ذُبْيَان رَهْبَتَهُ
وهَلْ عَلَيَّ بَأْن أَخْشَاكَ من عَارٍ

وقال المثلث ^(٢) :

يُعَيِّرُنِي أُمِّي رَجَالٌ وَلَا أَرَى
أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَأْن يَشْكُرُمَا

وقال المقتضب الكندي ^(٣) في اللغة الأخرى :

يُعَيِّرُنِي بِالْدَيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا
تَدَايَيْتُ فِي أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ مَجْدًا

(أقوال حكيمة عن بعض العلماء والأعراب)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : سمعت أعرابياً يقول : قَوَّتُ الحاجة خيرٌ من طلبها من غير

(١) ديوانه ٨٣ .

(٢) مطلع قصيدة في ديوانه ١٤ .

(٣) اسمه محمد بن عمر بن أبي شمر الكندي ، يقال : إنه كان من أجل أهل زمانه وأحسنهم وجهاً وأتمهم قلماً ، وكان إذا كشف وجهه يؤذي فكان يتقنع دهره فسمي لذلك المقتضب ، ويثنيه الثاني مطلع قصيدة له في هجرة المجالس ٧٨٢/١ ، حماسة البحري ٣٨٠ ، حماسة أبي تمام ٣٧٢/٢ ، أمالي القتالي ٢٨٠/١ ، الأغاني ١٠٧/١٧ ، والرواية فيها كلها : يماثني بدل يعيرني ، أما رواية يعيرني فهي واردة في اللسان ٢٦/٨ .

أهلها . قال الأصمعي : وسمعت آخر يقول : حملُ الميتِ أثقلُ من الصبر على العدم .

قال : وسمعت آخر يقول : النزاهة أشرف من سرور الفائدة ، قال : وبلغني أن ابن عباس يقول : كما يتوخى بالوديعة أهل الثقة والأمانة فكذلك ينبغي أن يتوخى بالمعروف أهل الوفاء والشكر .

قال القاضي أبو الفرج : في هذا المعنى وما يضاهيه وما يخالفه أخبار وكلام لعلمنا نأتي به فيما يستقبل من كتابنا هذا إن شاء الله .

وأنشدنا ابن دريد ، قال أنشدنا أبو حاتم :

رأيتُ الدهرَ بالأحرارِ يَكْبُورُ ويرفعُ رايةَ القومِ اللّثامِ
كانَ الدهرُ مَوْتُورٌ حقودٌ فيطلبُ وثره عند الكيرامِ

قال : وأنشدنا أبو حاتم أيضاً^(١) :

أظنُّ الدهرَ أقسَمَ ثم بَرَّأ بأن لا يَكْسِبَ الأموالَ حرّاً
لقد قَعَدَ الزَّمانُ بكلِّ حرٍّ وتَقَصَّصَ من قواه ما استمرا^(٢)

* * *

(١) البيتان لعبد الله بن أبي الشيمس الخزاعي من قصيدة عدتها ١٠ أبيات في تاريخ بغداد ٦٤/١٠ .

(٢) ما استمرا : أي ما قوي واشتد ، فالمرءة : القوة .

الفصل الثالث

(هذا سبيل الله)

حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد إملاءً في يوم الأحد لست بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة ، قال : حدثنا محمد بن زياد بن الربيع الزيادي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، يعني ابن مسعود ، قال : خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ، فَقَالَ : « هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَمِيماً وَشَمَالاً » ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (١)

قال القاضي أبو الفرج : وهذا القولُ من النبي ﷺ والتمثيل من أبين الأقوال البليغة وأفصحها ، وأرصن الأمثال البليغة المضروبة الصحيحة

(١) الحديث في مستد الإمام أحمد ٤٣٥/١ ، ٤٦٥ ، والمستدرک ، تفسير سورة الأنعام ٣١٨/٢ ، وصحيح ابن حبان ٥/١ ، وانظر تفسير ابن كثير ٣/٣٦٠ - ٣٦١ ، وأورده الخطيب البغدادي ، برواية أخرى عن الشعبي عن جابر بن عبد الله في تاريخ بغداد ٤٧/٢ .

وأوضحها ، وذلك أنه خط خطاً جعله مثل الصراط في استقامته إذ لا زيف فيه ولا ميل ، ثم خط خطوطاً بمنة وشأمة آخذة في غير سمتيه وجهته ، تفرّق بمن سلكها واتبعها عن السبيل التي هي سبيل الهدى ، والنجاة من مُردّيات الهوى ، وبهذا جاء وحي الله وتنزيله في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال جلّ ذكره : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (١) فدلّ هذا على مثل ما دلت عليه الآية التي تلاها رسول الله ﷺ في الخبر الذي رواه ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (٢) وقال ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُمْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣) في كثير مما يضاهي هذا المعنى ، والسبيل الطريق . وقول النبي ﷺ في هذا الخبر حين خط الخط « هذا سبيل الله » يحتمل أن يكون إشارة إلى الخط قدس ذكر ، إذ الخط مذكر ، وجائز أن تكون الإشارة فيه إلى السبيل فذكره إذ العرب تذكّر السبيل وتؤنثه ، وقد جاء التنزيل باللغتين ، على أن منهم من يذكر الطريق ومنهم من يؤنثه وكذلك الصراط ، قال الله عز وجل في التذكير ﴿وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ، وإن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا (٤) . وذكر أنها في قراءة أبي بن كعب (٥) لا يَتَّخِذُهَا وَيَتَّخِذُهَا بِالتَّائِيثِ

(١) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٥ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٥٣ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٦ .

(٥) أبي بن كعب بن قيس ، أبو المنذر الأنصاري المدني ، سيد الغراء بالاستعفاف ، وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق ، قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن المنظم ، وقرأ عليه الرسول بعض القرآن للإرشاد والتعليم ، توفي نحو سنة ٣٣ هـ ، انظر غاية النهاية ٣١/١ - ٣٢ .

وقال في التائيث : ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾^(١) ، وقال : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾^(٢) والتذكير والتائيث كثيرٌ موجود في الكتاب والسنة كقول النبي ﷺ : ﴿لَوْ لَا أَنَّهُ سَبِيلٌ آتٍ وَحْتَمٌ مُتَقَبِّبٌ﴾ وفي أشعار العرب وسائر كلامها ، والتائيث أكثر ، وأنشد أبو عبيدة :

فَلَا تَجْزَعُ فَكُلُّ قَتَى أَنْتَاسٍ سَيُصْبِحُ سَالِكًا تِلْكَ السَّبِيلَا
وأما قول الله ﴿وَلْيَتَسَنَّيَنَّ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣) فقد أتت القراءة فيه بالوجهين معاً ، أعني التذكير والتائيث ، فكان من قرأ بالتائيث الحسنُ ومجاهد وعبد الله بن كثير وعبد الله بن عامر وأبو عمرو بن العلاء وأبو المنذر سلام بن المنذر^(٤) ويعقوب الحَضْرَمِيّ ، وقرأ ذلك بالتذكير الأعمش^(٥) وعاصم^(٦) وحزمة والكسائي ، وقرأ ذلك أبو جعفر المدني^(٧)

(١) سورة النحل الآية ٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٥ .

(٤) سمى هذا الاسم : سلام بن سليمان الطويل ، أبو المنذر المزني مولاهم ، البصري ثم الكوفي ، ثقة جليل ومقرؤه كبير ، أخذ القراءة عرضاً عن حاصم بن أبي النجود وأبي عمرو بن العلاء والحسن البصري ، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة ١٧١ هـ ترجمته في غاية النهاية ٣٠٩/١ .

(٥) هو سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي مولاهم ، أبو محمد الكوفي ، محدث أهل الكوفة في زمانه ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن وهب وأبي وائل وذر بن حبيش وعلاق ، وكان ثقة ثباتاً في الحديث ، لم تقصه التكملة الأولى سبعين سنة توفي سنة ١٤٨ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٣/٩ ، تكملة الحفاظ ١/١٥٤ ، طبقات القراء ٣١٥/١ .

(٦) هو عاصم بن مهذلة أبي النجود (يفتح النون وضم الجيم) أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي الحفاظ ، أحد القراء السبعة والإمام الذي انتهت إليه رئاسة الاقراء بالكوفة ، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد ، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، توفي سنة ١٣٠ هـ ، انظر غاية النهاية ٣٤٧/١ .

(٧) في أ : أبو شخص ، وهو محريف .

وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج^(١) وشيبة^(٢) ونافع^(٣) : ﴿ ولتستبين سبيلَ
المجرمين ﴾^(٤) أي لتبينها يا أيها النبي وتوضحها ، والتاء في هذه القراءة
للمخاطبة ولا دلالة فيها على تذكير ولا تأنيث ، والسبيل منصوبة بالفعل ،
وقد اختلفت القراءة أيضاً في كسر ﴿ وأن ﴾ هذا صراطي مستقيماً^(٥)
وفتحها وتخفيفها وتشديدها وفتح الياء من صراطي وإسكانها ، فقرأ بكل
وجه من هذه الوجوه أئمة من قراء الأئمة ، فمن قرأ وأن هذا بالفتح
والتشديد في أن وصراطي بإسكان الياء أبو جعفر وابن هرمز الأعرج
وشيبة ونافع وعاصم وأبو عمرو ، ومن قرأ بكسر ان وتشديدها وتسكين
ياء صراطي عبد الله الأعمش^(٦) وطلحة بن مصرف^(٧) والكسائي على
الابتداء ، ومن قرأ بفتح الهمزة وتخفيفها وفتح ياء صراطي عبد الله بن
أبي إسحاق الحضرمي وعبد الله بن عامر وقرأ أبو المنذر سلام : وأن بالفتح

(١) أبو داود المدني ، تابعي جليل ، أخذ القراءة عرساً عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله
ابن عباس ، نزل الإسكندرية فتوفي بها عام ١١٩ هـ ، ترجمته في غاية النهاية ٣٨١/١ .

(٢) هو شيبة بن وضاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني ، قاضي المدينة وإمام أهلها في
القراءات ، وكان من ثقات رجال الحديث ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٧٧/٤ .

(٣) هو نافع المدني ، أبو عبد الله ، من أئمة التابعين بالمدينة كان علامة في الفقه ، متفقاً على
رأسته ، كثير الرواية للحديث ، ثقة لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه ، وهو ديلي
الأصل مجهول النسب ، أصابه عبد الله بن عمر صغيراً في بعض مفازيه ونشأ في المدينة ،
وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن ، ترجمته في تاريخ الإسلام ١٠/٥ ،
تهذيب التهذيب ٤١٢/١٠ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٥٥ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥١ .

(٦) هكذا في الأصل وليس هناك من يسمى بعبد الله الأعمش ، وهو سهو ، والمقصود به
الأعمش سليمان بن مهران الذي سبقت ترجمته ، فهو صاحب هذه القراءة هو والقراء
والكسائي كما ورد في تفسير القرطبي والبحر المحيط عند تفسير هذه الآية الكريمة .

(٧) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب ، أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله الهذلي الباهلي
الكويتي ، تابعي كبير ، له اختيار في القراءة ينسب إليه ، وكان يسمى سيد القراء ، توفي
سنة ١١٢ هـ ، انظر غاية النهاية ٣٤٣/١ .

والتشديد وصراطي بفتح الياء ، وقرأ وأن بالفتح والإسكان لياء صراطي يعقوب الحضرمي . قال القاضي أبو الفرج : وبهذه القراءة أقرأ ، وهي وسائر ما قدمنا ذكره من القراءات في هذه الآية صواب عندنا صحيح معناه لدينا ، وقد تقرأ به وتراه مستقيماً حسناً في معناه ولفظه ، وترى مختاري القراءة به مصيبين ، ولسبيل الحق متبعين ، وبالله ذي الطول والقوة والحول نستعين .

(عَزَلَ الْحِجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ عَنِ الْحَرَمَيْنِ)

حدثنا محمد بن أبي الأزر ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : " . حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال : لما ولي الحجاج بن يوسف الحرَمَيْنِ بعد قتل عبد الله بن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله ^(١) وقربه في المنزلة فلم يزل على حاله عنده ، حتى خرج إلى عبد الملك زائراً له فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئاً ، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه ، فدخل على عبد الملك فلم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاج ، لم أدع له والله فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والديانة ، ومن السرور وحسن المذهب والطاعة والنصيحة ، مع القرابة ووجوب الحق : إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقد أحضرته بابلك لتسهل عليه إذ نك وتلقاه ببشرك وتفعل به ما تفعل بمثله ممن كانت مذهبهم مثل مذهبهم ، فقال عبد الملك : ذكرتنا حقاً

(١) صفة هذا الاسم لإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، فليس في أبناء طلحة من يسمى إبراهيم بل هو ابن أخته ، وإبراهيم هذا كان أصغر أعرج ، سيداً يسمى أسد الحجاج ، ولولاه ابن الزبير خراج الكوفة ، ومات بمكة وهو محرم ، انظر المعارف ٢٢٢ ، وجمهرة أنساب العرب ١٣٩ .

واجباً ورحمياً قريباً ، يا غلام ائذن لإبراهيم بن طلحة ، فلما دخل عليه قربه حتى أجلسه على فرشه ، ثم قال له : يا بن طلحة ! إن أبا محمد أذكركنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب ، مع قرابة الرحم ووجوب الحق ، فلا تدعن حاجة في خاص أمرك ولا عامته إلا ذكرتها . قال : يا أمير المؤمنين ! إن أولى الأمور أن تفتح بها الخواص وترجى بها الزلف ما كان لله عز وجل رضا ، ولحق نبيه ﷺ أداء ، ولك فيه وجماعة المسلمين نصيحة ، وإن عندي نصيحة لا أجدر بدأ من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال ، فأخبرني ترد عليك نصيحتي . قال : دون أبي محمد ؟ قال : نعم . قال : قم يا حجاج . فلما جاوز السر قال : قل يا بن طلحة نصيحتك ، قال : الله يا أمير المؤمنين ، قال : الله ، قال : إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعترسه ، وتعتجرفه وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل ، فوليته الحرمين وفيهما من فيهما ، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار ، والموالي المنتسبة الأخيار ، أصحاب رسول الله ﷺ وأبناء الصحابة ، يسومهم الخسف ، ويقودهم بالعسف ، ويحكم فيهم بغير السنة ، ويظوهم بطعام من أهل الشام ، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ، ولا إزاحة باطل ، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله يتجيك ، وفيما بينك وبين رسول الله ﷺ يخلصبك إذا جئناك للخصومة ^(١) في أمته ، أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تقيم لك النجاة ، فابق على نفسك أو دع ، فقد قال رسول الله ﷺ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . فاستوى عبد الملك جالساً وكان متكئاً ، فقال : كذبت - لعمر الله - ومننت وكُؤمت فيما جئت به ، قد ظن بك الحجاج ما لم يحده فيك ، وربما ظن الخير بغير أهله ، قم فأنت الكاذب المائن الخاسد ، قال : فقممت والله ما أبصر طريقاً ، فلما خلقت السبتر

(١) جائي فلان فلاناً : أي جئا أحدهما إل صاحبه بمعنى جلس على ركبتيه ملاصقاً له للخصومة .

لحقني لاحقاً من قبله ، فقال للحاجب : احبس هذا ، أدخل أبا محمد للحجاج ، فلبث ملياً لا أشك أنهما في أمري ، ثم خرج الآذن فقال : قم يا ابن طلحة فادخل ، فلما كشف لي السر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتقني وقبل ما بين عيني ، ثم قال : إذا جزى الله المتحابين بفضل توأصلهما فجازاك الله أفضل ما جزى به أخاً ، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرلك ، ولأعلين كعبك ، ولأتبعن الرجال غبار قدمك ، قال : فقلت : يهزأ بي ، فلما وصلت إلى عبد الملك أدانني حتى أجلسني مجلسي الأول . ثم قال : يا ابن طلحة لعل أحداً من الناس شاركك في نصيحتك ، قال : قلت : لا والله ، ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفًا ولا أوضح بدأ من الحجاج ، ولو كنت محايياً أحداً بديني لكان هو ، ولكني أثرت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه والمسلمين ، فقال : قد علمت أنك أثرت الله عز وجل ، ولو أردت الدنيا لكان لك بالحجاج أمل ، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استتزلتني له عنهما استصغاراً لهما ، ووليته العراقين لما هناك من الأمور التي لا يترخصها إلا مثله ، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التوزن له عليهما استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجر نصيحتك ، فأخرج معه فأهلك غير دأماً صحبتته مع تقريظه إياك وبذك عنده ، قال : فخرجت على هذه الجملة (١) .

قال أبو بكر بن أبي الأزر : يترخصها يعني يغسلها ، قال القاضي أبو الفرج : الرخص : الغسل ، ومنه سميت الأخلية المراحض ، وجاء في خبر عن عائشة رضي الله عنها ، ذكرت فيه الخروج إلى الأفضية للحاجة وذلك قبل أن يتخذ الناس المراحض ، ومن ذلك ما روى عن النبي ﷺ أنه قال وقد سئل عن الطبخ في قدور المشركين « أرخصوها بالماء » (١)

(١) انظر هذا الخبر في ثمرات الأوراق ٢٢٦/١ ، متقولا مصابها .

ومن ذلك الرُحَصَاء في الحمى وذلك حين يعرق صاحبها ، كما قيل فيها
 الثَّوْبَاء من الثَّوَاب ، والمُطَوَّاء من التَّطْيِ ، والعُرُوءاء إذا أعرت .
 من قولهم عز يعرفو ، وقيل لها رُحَصَاء إما لأن العَرَق مؤذِنٌ بانصرافها
 فكأنه أماطها وغسلها ، وإما لأن المحموم إذا عرق شبه بالمغتسل بالماء ،
 وقول عبد الملك لإبراهيم بن طلحة في هذا الخبر : أعلمتَ الحجاج في
 موضعين ، كلام غير خارج على طريق الصحة والتحقيق ، وذلك لأن
 الإعلام هو إلقاء الشيء الصحيح الذي يقع بمثله العلم للملقى إليه ، فأما
 ما لا حقيقة له فلا يقال أعلمت أحداً به ، ولو كان أخبرته مكان أعلمته
 لكان الكلام مستقيماً ، لأن المعلم لا يكون إلا محققاً ، والمُخْبِر قد يكون
 محققاً ومبطلاً . ألا ترى أن رجلاً لو قال لعبيده : من أعلمني منكم بقدوم
 زيد فهو حُرٌّ ، فقال له قائل منهم : قد قدم زيد وهو كاذب ، لم يعتق .
 ولو كان قال : من أخبرني مكان من أعلمني لعنت هذا المخبر ، وكذلك لو
 أخبره غير هذا منهم بعد أن يقوم العلم له لم يعتق ، لاستحالة إعلام من قد
 علم ، ولو أخبره لعنت لصحة إخبار المخبر بما كان قد أخبر به .

(عمر رضي الله عنه يتمثل بشعر)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي
 عبيدة ، عن يونس ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف إلى باب عمر بن
 الخطاب فسمعه وهو يتمثل في بيته :

وكيف مُقَامِي بالمدينة بَعْدَ مَا

قَضَى وَطَرَأَ مِنْهَا جَمِيلٌ بِنُ مَعْمَرٍ

قال القاضي أبو الفرج : ويروى كيف ثَوَانِي بالمدينة ، ثم قال : يا
 يرفأ ! من بالباب ؟ قال : عبد الرحمن بن عوف . قال : أدخله . فلما
 دخل قال : أسمعت ؟ قال : نعم . قال : إنا إذا خلونا في منازلنا قلنا ما

يقول الناس . قال القاضي أبو الفرج : هذا جميل بن معمر الجُمَحِي من مَسَلَمَةُ الفتح ^(١) ، قُتِلَ على عهد عمر ، وليس بِجَمِيل بن عبد الله بن معمر العَدْرِي الشاعر .

(كلمات مأثورة)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثنا حُرَيْر بن أحمد بن دُوَاد ^(٢) ، قال سمعت العباس بن المأمون قال : سمعتُ أمير المؤمنين المأمون يقول : قال لي علي بن موسى الرضا ^(٣) : ثلاثة توكل بها ثلاثة ، تحامل الأيام على ذري الأدوات الكاملة ، واستيلاء الحرمان على المُعَدَّة في صنعته ، ومعاداة العوام لأهل المعرفة .

(من زهد رجال الحديث)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ^(٤) ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا

(١) ذكر ابن حجر في الإصابة الترجمة ١١٩٠ ، نقلًا عن كامل المبرد أن جميل بن معمر هذا كان قد أسلم قبل ذلك فهو قد شهد فتح مكة ، كما ذكر أنه كان صديقًا لمبر رضي الله عنه وأنه حين أسلم أخبره بذلك واستكنه لكنه لم يكتم ذلك وذهب إلى قريش وصالح : إلا أن ابن الخطاب قد صبا ، ومن الجدير بالذكر أن الخبر الوارد هنا ورد في الإصابة منكموساً عن الزبير بن بكار ، فقد ذكر أن للمتأمل بالبيت كان عبد الرحمن بن عوف وأن عمر دخل عليه وهو يردد ، انظر الإصابة ، وانظر الخبر نقلًا عما هنا في المستطرف ١٤٨/٢ .

(٢) في أ : جرير ، والصحيح أنه حرير بن أحمد بن أبي دُوَاد ، أبو مالك الإبادي ، روى عن أبيه وغيره حكايات ، وحدث عنه الحسين بن القاسم الكوكبي ومحمد بن يحيى السولي ، تاريخ بغداد ٢٧٠/٨ .

(٣) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أبو الحسن الملقب بالرضا ، ثامن الأئمة الاثني عشر عنه الإمامية ، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلهم ، أخيه المأمون العباسي فهدى إليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته ، فحدثت فن في بغداد أعيدتها المأمون ، توفي بطوس سنة ٢٠٣ هـ ، انظر تاريخ الطبري ٢٥١/١٠ ؛ وتاريخ ابن الأثير ١١٩/٦ .

(٤) الخبر التالي نقلًا عما هنا في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الخطيب البغدادي ورقة ٨٤ .

موسى بن عبد الرحمن بن مسروق الكندي الكوفي ، قال : حدثنا محمد ابن المنذر الكندي - قال : وكان جاراً لعبد الله بن إدريس ^(١) قال : حجّ الرشيد ومعه الأمين والمأمون فدخل الكوفة فقال لأبي يوسف : قل للمحدثين يأتونا يحدثونا ، فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان عبد الله بن إدريس وعيسى بن يونس ^(٢) ، فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فحدثهما بمائة حديث ، فقال المأمون لعبد الله : يا عمّ ! أتأذن لي أن أعيدها عليك ومن حفظني ؟ قال : افعل ، فأعادها كما سمعها فكان ابن إدريس من أهل الحفظ يقول : لولا أنني أخشيت أن يفلت مني القرآن ما رويت العلم . يعجب عبد الله من حفظ المأمون ، وقال المأمون : يا عمّ ! إلى جنب مسجلك دار إن أذنت لنا اشتريناها ووسعنا بها المسجد ، فقال : ما لي إلى هذا حاجة قد أجزأ من كان قبلي وهو يجزئني ، فنظر إلى قرح في ذراع الشيخ فقال : إن معنا متطيين وأدوية ، أتأذن لي أن يبيتك من يعالجك ؟ قال : لا ، قد ظهر بي مثل هذا وبراً ، فأمر له بال وجائزة فأبى أن يقبلها وصار إلى عيسى بن يونس فحدثهما ، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها فظن أنه استقلها ، فأمر له بعشرين ألفاً ، فقال عيسى : لا ولا إهليلجة ^(٣) ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ ، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف ، فأنصرفا من عنده .

(١) عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي ، أبو محمد الكوفي ، روى عن أبيه وعنه داود بن يزيد ، وحسين بن عبد الرحمن ، وهشام بن عروة ، ويحيى الأنصاري وخلق ، قال عنه يحيى بن معين : هو ثقة في كل شيء ، وقال أحمد : كان ذبيحاً وحده ، توفي سنة ١٩٢ هـ ، انظر تذكرة الحفاظ ٢٨٢/١ .

(٢) هو عيسى بن يونس بن عمرو السبيعي الهمداني ، أبو عمرو ، محدث ثقة ، كثير الفزو لروم ، من بيت علم وحديث ، فزا خساً وأربعين غزوة ، وحج مثلها ، ولد بالكوفة وسكن أحدى يقرب بيروت ، وبها مات مراًبطة سنة ١٨٧ هـ ، انظر تذكرة الحفاظ ٢١٧/١ ، تاريخ بغداد ١٠٢/١١ ، تهذيب التهذيب ٢٣٧/٨ .

(٣) الإهليلج : عقير من الأدوية .

(من الشعر الحكيم)

حدثنا القاسم بن داود بن سليمان أبو ذرّ القراطيبي ، قال : حدثنا
أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

إذا لم تتسامحْ بالأمور تعقدتْ
عليك فسامحْ وامزج العُسرَ باليسرِ
فلم أرَ أوقى للبلادِ من التَّقَى
ولم أرَ للمكروه أشفى من الصَّبْرِ

المجلس الرابع

(إن من الشعر حكماً)

حدثنا أحمد بن إسحق بن بهلول إملاءً في يوم الاثنين لخمس ليال
بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، قال : حدثنا أبي ، عن أبيه ،
عن أبي شيبة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : قال
رسول الله ﷺ « إن من الشعر حكماً » ، وإن أصدق بيت تكلمت به
العرب قول الشاعر :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ ^(١)

(مذهب المؤلف في التصغير)

قال القاضي أبو الفرج : هذا البيت الذي حكاه النبي ﷺ عن قائله
من الشعراء هو للبيد بن ربيعة ، افتتح به كلمة فقال في أولها :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ
وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلٌ

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ينحوه ، انظر صحيح البخاري ، كتاب « مناقب
الأنصار » ٥٢/٥ ، صحيح مسلم « كتاب الشعر » : ٤٩/٧ ، وانظر تفسير ابن كثير :
٢٧٢/٦ .

وبعده :

وكلُّ أناسٍ سوف تلتحلُّ بينهم
دُويهيَّةٌ تصغرُ منها الأناملُ (١)

وقد روى أن عثمان رضوان الله عليه (٢) لما سمع قوله : وكل نعيم لا محالة زائل ، قال كذب ، نعيم أهل الجنة لا يزول ، وهذا القول من عثمان يدل على أن مذهب القوم في العموم هو جارية في لغتهم على الشمول عند تجرده واستغراق الجنس بإطلاق لفظه .

وأما قول لبيد في البيت الآخر : دُويهيَّة على التصغير ، فمن الناس من يقول هو تصغيرٌ معناه التكبير (٣) ، وجعله مشتبوا الأضداد في اللغة من

(١) انظر البيهقي في ديوان لبيد ١١٢ ، ومع الخبر الوارد هنا في الإصابة ٣٧/٣ ، والشعر والشعراء ٢٣٧ ، والصناعتين ٤٣٤ ، وخزانة الأدب ٢٢١/٢ ، والموشح ١٠٠ ، ١٠١ .
(٢) المقصود به عثمان بن مظعون رضي الله عنه ، لا أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما يتبادر إلى الذهن الوهلة الأولى ، وقد ذكر المرزباني في الموشح تفصيل ذلك بقوله : إن هذه القصة كانت مع عثمان بن مظعون وأنه كان في جوار الوليد بن المغيرة ، فكان لا يؤذي كما يؤذي أصحابه فسأل الوليد أن يبرأ من جواره فبرئ منه ، فمضى مجلساً مع القوم ولبيد ينشدهم :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان : صدقت ، فقال :

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان : كذبت . فأبيحت القوم ولم يدروا أنه أراد بذلك ، فأعادها لبيد بصدقه عثمان في الأول ويكذبه في الثانية . ويروى أن ذلك حدث مع أبي بكر رضي الله عنه ، انظر الموشح ١٠١ .

(٣) أي التنظير ، وهو قول الكوفيين ، قالوا : ذلك لأنه أراد بالوحيية الموت ، ولا داعية أعظم منه ، والتصغير غير مناسب للذكر ، والدليل على أنه أراد ذلك قوله : تصغر منها الأنامل ، والمراد من الأنامل الأظفار ، فإن سفرتها لا تكون إلا بالموت ، وقال الطوسي في شرح ديوان لبيد : إذا مات الرجل أو قتل أسفرت أنامله وأسودت أظفاره ، =

الأضداد ، وقال بعضهم : بل هو على تصغيره ، وإنما أريد به أنه إذا كان الصغير منه يبلغ هذا المبلغ ، ويؤثر هذا الأثر فكبيره أعظم وأبلغ ، ولي في هذا مذهب استخرجته بنظري ، وما علمت أحداً سبقني إليه ولا تقدمني فيه ، ولكن الله الذي يؤتي الحكمة من يشاء نهني عليه ، وهو أن الاسم المصغر إنما قصد به الدلالة على صغر ذاته وقلة أجزائه وتعلقه بجزء يسير في نفسه ، فأما الصغير في ذاته وقلة أجزائه فالْحَجَرُ الصَّغِيرُ التي ليست بحجرة كبيرة ، وأما المتعلق بشيء يسير فكقولك : أنتيك قُتَيْل العصر أو بُعِيد الفجر ، فتبين^(١) أن المتقدم من الزمان في قولك قُتَيْل يسير قليل ، والمتأخر منه في قولك بعيد قصير ليس بطويل ، ونحو هذا قُدَيْدِيمة وورَيْثَة في قدام ووراء يجري الأمر فيه من جهة الأمكنة مجراه فيما قدمناه من باب الأزمنة كما قال الشاعر^(٢) :

قُدَيْدِيمةُ التجريبِ والحِلْمِ أنتِهي
أرى غفلاتِ العيشِ قُبُلَ التجاربِ

فظن من قال إن التصغير في هذا الباب تكبير لما رأى أن القصد من قائله الإشعار بأمر عظيم وخطب كبير جسيم ، ولو تأمل هذا الظان الأمر في هذا لبان له أن الصَّغِيرَ على صغره ، فإنه نتج كبيراً وأدى إليه عظيماً في نفعه أو ضرره ، وكل واحد من الأمرين على حقيقته في نفسه ، وخصوصيته في جنسه ، فالدُّيُومَةُ هنا صغيرة جرَّتْ أمراً كبيراً ، كما قال :

== قال في الخزانة : ولم يرعه الشارح المحقق رضي الدين في شرح الشافية ، فإنه قال : قيل : مجيء التصغير للتعظيم فيكون من باب الكناية يكتفى بالصغر عن بلوغ الغاية ، لأن الشيء إذا جاوز حده جاوز ضده . انظر الخزانة ٥٦١/٢ ، وابن عيمش في شرح المفصل ٧٠٩ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣٨ ، والإنصاف ١٣٩/١ .

(١) في أ : فينبني .

(٢) البيت لقطامي من قصيدة في ديوانه ٤٣ ، وفي السان قدم ، وفي المذكر والمؤنث المعبرد ١٥ ، والمقتضب ٢٧/٢ .

رُبَّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرٌ وفي البُحُورِ تَغْرُقُ التُّحُورُ^(١)

وقول القائل من المحدثين :

لَا تَحْقِرَنَّ سَبَبًا كَمْ جَرَّ أَمْرًا سَبَبٌ

وكان بعض من يتعاطى الأدب ، ويدأب في طلب المعاني واستنباط لطيفها سمع مني معنى ما ذكرته في هذا الفصل ، بعد أن طعن على من قدمت الحكاية عنه في هذا الباب ، وقال : كيف يكون الصغير كبيراً ؟ وإذا جاز هذا جاز منه أن يصح قول من قال : الداء هو الدواء والسقم هو الشفاء ، وهذا مما عبرت عن معناه بلفظي دون لفظ المتكلم به ، لأنني لم أصمد لحفظه ، ولأنه كان غير بليغ في نفسه ولا مستقيم في ترتيبه ، فجلت معناه بلفظ لم آل في إيضاحه وتهذيبه .

وقال هذا القائل : إن الذي اجتنبته في هذا غير مخالف للقول الثاني الذي قدّمت حكايته عن قائله ، فكان من جوابي لهذا القائل أن قلت له : إن الفرق بين قولي وقول من رغبت عن قوله وتسيقني إلى موافقته ، أن هذا الذي حكيت قوله ، يزعم أن الصغير المذكور إذا جر إلى ضرر فكبيره أبلغ في الضرر منه ، وأنا ذهبت إلى أن هذا التصغير يؤثر تأثيراً كبيراً من حيث كان جنسه يؤثر نفعاً أو ضرراً بكيفيته دون كميته ، وضربت لهذا المخاطب مثلاً قربت به هذا الفصل عينه حين بعد عنه إدراكه ، إذ كان الفرق بين هذين القولين لطيفاً جداً ، وكان بينهما من بعض الوجوه تناسب وشبه وتقارب . فقلت له : لما كان من الأشياء ما يكون عند قليل أجزائه منفعة جسيمة أو مضرة عظيمة ، كالديواق والسم بولغ في العبارة عن المنافع

(١) انظر البيت في الحيوان ٨/١ ، والمحاسن والأعساد ٤٤ .

(٢) أي وهما ضدان .

بها لاشتهار هذا المعنى ، كقول الحُبَابِ^(١) بن المنذر : « أَنَا جُدُّ يَلُهَا^(٢) »
 الْمُحَكِّكُ وَعُدَّ يَمُهَا الْمُرْجَبُ » ، وفي الإخبار عن الجنس الضار قول
 ليبد : دويبة تصفر منها الأنامل ، وجملة الفصل بين قولي وقول من خالفته
 وتوهمت أني وافقته أنه عني بالكمية وعنت بالكيفية ، وقد يكون من
 الأشياء ما يؤثر قليله ، ويتبني تأثيره عن كبيره ، كالجرواء^(٣) من
 الحيات والصرد^(٤) والقرقس^(٥) والبعض من الجنس الواحد ، وكنوع

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، من أصحاب الرأي يوم بدر ، وهو الذي حين
 نزل الرسول صلوات الله عليه في أسجابه أدنى ماء من بدر ، قال له : يا رسول الله !
 هذا منزل أنزلكه الله ليس نسا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب
 والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس
 بمنزل فأنزل بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتزله ثم تقور ما وراءه من القلب ، ثم
 نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فتشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صل الله
 عليه وسلم : لقد أشرت بالرأي . توفي الحباب في خلافة عمر رضي الله عنه ، انظر الإصابة
 الترجمة ١٥٤٧ ، السيرة ٢٦٠/١ .

(٢) الجليل : تصغير الجدل بكسر الجيم ، وهو عود ينصب للإبل الجربى لتحكك به ،
 ويقال : هو جليل حكاك وهو جليلها المحكك يضرب مثلاً لمن يشتفي برأيه ، والمطين :
 تصغير الملق بفتح اللين ، وهو الثغلة يحملها ، وترجيها : دعمها بيناه تعتمد عليه ، أو
 ضم أعناقها إلى سفاتها وشدها بالخوص لتلا تنفضها الريح ، أو وضع الشوك حولها لتلا
 تصل إليها يد ، وهو يريد أنه عزيز في قومه يمتدونه ويضعونه ، وهذه الكلمة قالها الحباب
 ابن المنذر يوم السقيفة عند يمة أبي بكر ، ونص الكلمة كما رواها البلاطي في البيان
 والتبيين ٢/٢٩٦ ، والحويان ١/٣٣٦ : « أَنَا جَلِيلُهَا الْمُحَكِّكُ ، وعذيقه المرجب ، إن
 شتم كررناها جلعة ، منا أمير ومنكم أمير ، فإن صل المهاجري شيئاً في الأنصاري رد
 ذلك عليه الأنصاري ، وإن حمل الأنصاري شيئاً في المهاجري رد عليه المهاجري » ،
 وانظر تاريخ الطبري ٢/٢٠٩ ، ومجمع الأمثال ١/٣٢ .

(٣) الجرواء جمع جرارة ، وهي عقرب صفراء صغيرة حل شكل التينة سميت جرارة
 بلحها ذهبها وهي من أعين المغارب وأقلها من ثلثه ، اللسان ٥/٢٠٠ .

(٤) الصرد : طائر أكبر من المصفور ضخم الرأس والمنقار ، يصيد صفار الحشرات وربما
 صاد المصفور ، وكانوا يتشاهمون به .

(٥) القرقس : البومض الصغار .

من الحيات ذوات الأجسام اللطيفة وعظيم ضررها ، وقُصور الحية الكبيرة المسماة الحَفَّات^(١) في ذلك عنها وإن كانت أعظم خلقاً وأشدّ منظرًا ، وقد قال أهل العلم بصناعة الطب : إن السقمونيا^(٢) ينتفع بتناول مقدار فيه يسيرٌ ذكروه ، ويقاربه في النفع والضرر ما قاربه من الأجزاء في المبلغ والقدر ، وأنه إذا بلغ من الكثرة مقداراً متفاوتاً لم يضرُّ كبير ضرر ، ولم يظهر في أخذه ما يظهر بتناول قليله من الأثر في نفع ولا ضرر ، ولقد حدثني بعض متفهمي القضاة أن قوماً دسّوا شيئاً كثيراً من السقمونيا في بعض المطاعم الحلوة لرجل كانوا يعاشرونه ، وكان معروفاً بكثرة الأكل ، وأنه أكل جميعه وانصرف عنهم ، فندموا على ما كان منهم ، وأشفقوا على هذا الرجل ، وعملوا على الفحص عن أمره واستعلام خبره ، فجاهدهم يتأوه ويقول لهم : أي شيء أطعمتموني . فقد عرض لي قَوْلُئِشْجَ بَرَح^(٣) بي . وأما قول هذا المخاطب لي : كيف يكون الداء دواء والسقم شفاء ؟ فإن هذا قد يوجد معنى ويستعمل لفظاً ، وقد ظهر لعامة الناس وخاصتهم أن الداء المسمى خُمَار العارض عن الشراب المسكر يشفى منه شرب شيء مما تولد الخمار عنه ، كما قال الشاعر :

(١) الحفّات : حية كأعظم ما يكون من الحيات ، أرقش أبرش يأكل الخشيش يتهدد ولا يضر أحداً ، وقال الجوهري : الحفّات حية تنفخ ولا تؤذي قال جرير :
أيفسايشون وقد رلوا حفّاتهم قد عصفه قفصى عليه الأشجع
وقال الأزهري ، قال شمر : الحفّات : حية ضخمة عظيم الرأس أرقش أحمر أكدر يشبه الأسود وليس به ، إذا حربته انتفخ وريده . قال : وقال ابن شميل : هو أكبر من الأرقم ورقشه مثل رقتن الأرقم لا يضر أحداً ، وجمعه صفائش ، وقال جرير :

إن الحفّات عتدي يا بني بلأ يطرقن حين يصول الحية مذكر

انظر اللسان ٤٤٣/٣ .

(٢) السقمونيا : نبات يستخرج منه دواء مسهل اللين مزيل للعدو .
(٣) القولنج : مرض معوي مؤلم ، يصحبّ منه خروج البراز والريح ، وسببه التهاب القولون .

وصَرَعةٌ غَمُورٍ رَفَعَتْ بِقَرَقَفٍ وَقَدْ صَرَعتَنِي قَبْلَ ذَلِكَ قَرَقَفُ
فَقَامَ يَدَاوِي صَرَعتِي مُتَعَطِّفًا وَكُنْتُ عَلَيْهِ قَبْلُهَا أَتْعَطِفُ
يَمُوتُ وَيَحْيَا تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ وَتُتْلِفُنَا هَذِي الْمَدَامُ وَتُخْلِفُ
إِذَا مَا تَسَلَّفْنَا مِنَ الْكَأْسِ سَلَوَةٌ تَقَاضِي الْكُرَى مِنَّا الَّذِي تَسْلَفُ
وَقَالَ آخِرُ ^(١) :

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَتِي بِلَيْلٍ مِنَ الْهَوَى
كَأَنَّ يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

دَعَ عَنْكَ لَوْمِي فَسَيَانَ الْلَوْمَ إِغْرَاءُ
وَدَاوَنِي بِأَنِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ ^(٢)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ ^(٣) :

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَدَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهِيَ
لَكِي يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي أَمْرُوٌّ أَتَيْتُ الْمَعِيشَةَ مِنْ بَاهِيهَا
وَقَالَ جَرِيرٌ :

يَرْمِينِ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ فِيهَا السَّقَامُ وَبُرْءُ كُلِّ سَقِيمٍ ^(٤)
وَكُنْتُ فِي الْحَدَاثَةِ أَنْشَأْتُ كَلِمَةً مَسْمُوتَةً ^(٥) عَلَى نَحْوِ قَصِيدَةِ مَدْرُكٍ

(١) هُجُوجُونَ بَنِي حَامِرٍ ، انظر ديوانه ٢٣ ، والموشح للرمزباني ٥١٨ .

(٢) البيت في ديوانه ٨٠ ، والموشح ٤١٣ .

(٣) انظر ديوانه ٢٤ ، والموشح ٥١٨ .

(٤) البيت من قصيدة طويلة ينجح بها سلسلة بن هشام ، ديوانه ٤٣٤ .

(٥) المسمطة من القصائد ما يؤتى فيه بأشعار مقفاة بقافية ثم يؤتى بعدها بشطر مقفى بقافية مخالفة ، ويستمر على هذا النجح مع التزام القافية المخالفة في القصيدة حتى تنتهي . وهذا نوع وهناك أنواع أخرى انظر ما كلها في المبتدأ ٦٠ .

الشيواني في عمرو النصراني ^(١) فكان مما ذكرته في كلمتي هذه عند صفة
عين إنسان تحته ونسبت الكلمة به :

سُقم أوى أحسن عين تطرفُ
تَقْوَى به والقلوب تُضعِفُ
كالسم في الأفعى تَقِي وتُحْتَفُ
تَحْيَا به وبالنفوس تَلَفُ
ثم قلت :

دواءُ من أقصده بسقمه تكراره نحو مَرَامِي سَهْمِهِ
كالأفوانِ يُشْتَفَى من سُمِّهِ بِشَرْبِ دِرْيَاقٍ كَرِيهِهِ لَحْمِهِ
وقلت أيضاً من كلمة :

وشفائي بسقم مُقْلَةٍ ظَنَبِي قَدْ قَلْبِي مِنْهُ بِأَحْسَنِ قَدِّ
سُقْمَهَا لِي شِفَاءُ ذَاتِي إِذَا جَادَتْ وَدَاءُ إِذَا تَصَدَّتْ لِبَصْدِ
وأنا أستغفر الله من مساكنة ما يشغل عن عبادته ، وما يضارع ما

(١) مدرك بن جل الشيواني ، من أفاضل أهل الأدب ، تلقى العلم في بغداد ، وكان له مجلس
يجمع إليه الأحداث لا غير ، فإن حضره شيخ أو كهل قال له : إنه لتجيب بمثلك أن يخطط
بالأحداث والسيبان ، فقم في حفظ الله ، وكان عمرو بن يوحنا النصراني يسكن في دار
الروم ببغداد في الجانب الشرقي ، وكان من أحسن الناس صورة وأجملهم خلقاً ، وكان
من يحضر مجلس مدرك تشقه وهام به ، فلما عرف ذلك امتحيا عمرو فانقطع عن الحضور
وغلّب الأمر حل مدرك فترك مجلسه ولزم دار الروم وجعل يتبع عراً حيث سلك ، وقال
فيه قصيدة مزدوجة صبيّة أولها :

سن عاشق فإه هـواه دان ناطق دمع صامت اللسان
موفق قلب مطلق الجشيان معذب بالصد والمجبران

انظرها بتسامها مع غير مدرك في معجم الأدباء ١٩/١٣٥ ، معارج المشاق ٢٦٣ ، ٣١١ ،
ثمرات الأوراق ٣٩/٢ .

وصفنا في هذا الفصل من وجه ، قول ابن الرومي :

عيني لعينك حين تُبَصِّرُ مقتلُ
لكنَّ عينك سَهْمٌ حَتَفَ مُرْسَلُ
ومن العجائب أن مَعَى واحدًا هو منك سَهْمٌ وهو مِنِّي مقتل (١)

وليس بمنكر أن يكون الشيء يُدَوِّي (٢) شيئاً ويدأوي غيره ،
وينتفع به في بعض ويستضر في بعض .

وهذا أفشى وأكثر وأبين وأظهر من أن نحتاج إلى الإطناب في شرحه
وضرب الأمثال له . وقد حكى مما يدخل في هذا الباب أن بعض المترفين
أسَفَ (٣) إلى طريقة المتصوفة ، واشتدوا لصحبتهم والاختلاط بهم
وملاستهم ، فشاوَر في هذا بعض مشيختهم فردّه عما تشوف إليه من هذا
وحذرّه من التعرض له . فأبَت نفسه إلا إجابة ما جذبه الدواعي إليه
وعطفته الخواطر عليه ، فمال إلى فريق من هذه الطائفة فعلق بهم واتصل
بجللتهم ، ثم صحب جماعة منهم متوجهاً إلى الحج فعيّز في بعض الطريق
عن مسائرهم وقصر عن اللحاق بهم فمضوا وتخلّف عنهم ، واستند إلى
بعض الأميال لإرادة الاستراحة من الإعياء من الكلال ، فمر به الشيخ الذي
شاوَره فيما حصل فيه قبل أن يتسنّمه فنهاء عنه ، وحذرّه منه ، فقال هذا
الشيخ مخاطباً له يقول :

إنّ الدين بغير كُنْتَ تذكُّرُهُمْ
قَصَّوْا عليك وعنهم كُنْتُ أنْهَاكَ

فقال له : فما أصنع الآن ؟ فقال له :

(١) البيتان في ديوانه ١٨/١ تص ٢٣ .

(٢) يدوي : يمرض .

(٣) أسَفَ إلى الأمر : تدانى إليه ونزل إلى دركه .

لا تَطْلُبَنَّ حَيَاةً عِنْدَ غَيْرِهِمْ
فليس يُحْيِيكَ إِلَّا مَنْ تَوَفَّاكَ (١)

واستقصاء هذا الباب وما يضاهاه ويتشعب منه يطول ، ولا يليق بهذا المجلس الزيادة عليه . وقد يتجنى في التصغير أن يكون أتى به تنبيهاً على أنه قد يأتي صغيراً ثم ينمى فيصير كبيراً ، أو أن يضامه غيره فيصير قليله كثيراً ، كما قيل :

رَبِّ كَبِيرٍ هَاجِهَ صَغِيرُ

وكما قيل :

لا تَحْقِرَنَّ سُبُيًّا كَمَ جَرِّ أَمْرٍ أَسِيبِ

وقيل : رَبٌّ مَحْنَةٌ حَدَّثَتْ عَنْ لَحْظَةٍ (٢) ، ورب حرب جُنَيْتٍ مِنْ لَفْظَةٍ .

وقد قالوا : القليل إلى القليل كثير ، والدَّوْدُ إلى الدود إِبِل (٣) .

وقد يملأ القطرُ الإناءَ فيُسْعَمُ (٤)

(١) انظر هذه القصة في مصارع المشاق ٢٩٣ .

(٢) في جميع الأمثال ٣١٨/١ مثل قريب من هذا ، وهو قولهم : رب صباغة غرست من لفظية .

(٣) الدود : اسم مؤنث يقع على قليل الإبل ولا يقع على الكثير ، وهو ما بين الثلاث إلى المشر إلى المشرين إلى الثلاثين ولا يجاوز ذلك ، والدود لا يوجد ، وقد يجمع أذواداً . انظر هذا في جميع الأمثال ٢٧٧/١ ، وقال : هو مثل يضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي إلى الكثير .

(٤) عجز بيت للفرزدق وصدده .

قوارض تأتي وتحتقرونها

انظر ديوانه ١٩٥/٢ .

والشر تحقيره وقد ينشئ^(١) ، وقد يُتقى الجزء بعد الجزء
الجملة^٢ ، والشئ يتبع بعضه بعضاً ، وقد يؤدي انقطاع الحبة من السلك
إلى انقطاع سائر ما فيه ، ونزع الحجر من سور أو جدار يؤدي إلى تهافت
باقيه ، وقد قالوا : العصا من العصية ، وفسره بعضهم أن الفرد ينبت
وينشأ ليناً صغيراً . ثم ينشئ فيستطيل ويغلظ ويشدد ويصلب .

وقيل : بل المعنى إن العصا نتجت من أمها العصبة ، والعصا هي الدابة
التي أشار قصير على جدية بركوبها عند ظهور علامة ذكرها^(٣) ، إذ
كانت على حد من الإحضار والسرعة والإهذاب^(٤) والجودة تفضل به ما
هو من جنسها ، وقد يكون الكثير من القليل ، والجمار من القليل^(٥)
والفتيق من الفصيل^(٥) .

(المحارب الشجاع)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو معاذ خلف بن
أحمد الأودب ، عن أبي إسحق الزبادي قال : حدثني رجل من العرب
قال : كان بيننا وبين قوم حرب فلقونا فهزمناهم فإذا فيهم قد صبر
لنا فجعل لا يحمل على ناحية من معسكرنا إلا كشفها وهزمها ، ثم احتويناها
بأرماحتنا فأشفقنا عليه فعرضنا عليه الأمان . فقال :

(١) في الأصل : التي تحقره وصحة المثل : الشر تحقره ... الخ ، انظر جميع الأمثال
٣٦٧/١ .

(٢) انظر ذكر ذلك في قصة الزباد ملكة الجزيرة وجذبة الأبرش في جميع الأمثال ٢٣٣/١
تحت قولهم « خطب يسير في خطب كبير » .

(٣) الإحضار : وثب الفرس في عنقه ، والإهذاب بالذال المعجمة : الإسراع .

(٤) الجمار : قلب النخلة ، والقليل جمع فسيلة وهي النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من
الأرض فتعرس .

(٥) الفتيق من الإبل : الفحل ، والفصيل : ولد الناقة بعد فطامه وفصله عن أمه .

أَذَلُّ الحَيَاةِ وَذَلُّ المَمَاتِ
وَكُلًّا لَرَاهِ طَعَامًا وَيَبِلَا
فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ وَاحِدٍ
فَسِيرِي إِلَى المَوْتِ سِرًّا جَمِيلًا ^(١)
ثُمَّ حَمَلْنَا عَلَيْهِ فَقَتَلْنَاهُ ، فَإِذَا هِيَ امْرَأَةٌ .

(حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ)

حدثنا أبو القاسم بن داود أبو ذر القراطيسي ، قال : حدثنا أبو بكر
ابن أبي الدنيا قال : حدثني الحسن بن عبد الرحمن : أن وزير الملك نفاه
الملك لموجده وجدها ^(٢) عليه فاعتمَ لذلك غمًّا شديدًا فبينما هو ذات ليلة
في بيت له إذ أنشده رجل كان معه :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِرَبِّ عَوْدَكَ
حَسَنًا بِالْأَمْسِ وَسَوَى أَوْدَكَ
إِنْ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِي
كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكَ ^(٣)

(تعليق على الخبر)

هكذا في الخبر إذ أنشده بعد فبينما هو ، وكان الأصمعي ينكر الإتيان

(١) انظر الخبر مع البيهقي باختلاف في الرواية في الأغاني ٣٤٤/٤ ، وانظر البيهقي وحلها في
عيون الأخبار ١/١٩١ ، ونسبها في حاشية البحري ٢٨ إلى بشامة بن النخعي والرواية
فيها ؛ أخرى الحياة وخزي الممات .. الخ .

(٢) الموجدة : الفسب .

(٣) البيهقي في محاضرات الأدباء ١/٢٤٩ ، هجة المجالس ١/١٨٣ ، ٤٢٠ ، والرواية
فيها لصدر البيت الأول : أحسن الظن بمن قد عودك ، وانظر الخبر في الفرج بعد
الشدّة ٦٢ .

بأذ في هذا الباب ويستخطئ القائل : بينا أنا جالس أقبل فلان ويرى أن الكلام الصحيح : بينا أنا جالس أقبل فلان ، وكان سيبويه وغيره من أهل العلم بالعربية يرون ذلك جائزاً ، وقد جاء في الكلام والأخبار كثيراً ، وإذ من حُرُوف المفاجأة الدالة عليها ^(١) .

(الجلس الصالح)

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، قال : ' حدثنا أبو العباس المنصوري ، عن القشيري ، عن مبارك الطبري ، قال : سمعت أبا عبيد الله ، يقول : سمعت المنصور يقول للمهدي : يا أبا عبد الله لا تجلس مجلساً إلا ومعلك فيه رجل من أهل العلم يحدثك ، فإن محمد بن مسلم بن شهاب ^(٢) قال : إن الحديث ذكر يحبه الذكور من الرجال ويكرهه مؤنثوهم ، قال المنصور : صدق أخو بني زهرة .

وقال آخر :

إن المشيبَ وما بدا في عَارِضِي
صَرَفَ الغواني فانصرفتُ كَرِيمَا
وسخوتُ إلا عن جلسٍ صالحٍ
حَسَنَ الحديثِ يزيدُني تعليمَا
قال القاضي : وأنشدنا لابن الرومي :

ولقد سئمتُ مآرِيي فكَأَن طَيْبَهَا خَيْثُ

(١) انظر تفصيل القول في ذلك في المعنى ٨٣/١ .

(٢) الزهري ، أبو بكر ، أحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، كان شديد الحرص على تدوين العلم ، يقول أبو الزناد : كنا نقف مع الزهري وسمه الألواح والصحف فيكتب كل ما يسمع ، نزل الشام واستقر بها ومات على حدود فلسطين سنة ١٢٤ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٠٢/١ ، غاية النهاية ٢٦٢/٢ . تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ .

إلا الحديثُ فإنَّه مثل اسمه أبداً حديث (١)

وحدثنا محمد بن يزيد الخزاعي الأزهرى ، قال : دخلت إلى سُرٍّ من رأى فقيل إن بها رجلاً يكنى أبا الفضل ويعرف بالعباس بن أبي العبيس بن حمدون النديم ، له أدب ومعه ظَرْفٌ وهو محتاج إلى مثلك يعاشره ، فاكتب إليه أياًتاً فكتب إليه :

أبا الفضل يا مَنْ ليس تُحصى فضائلهُ

ومن ماله في الخلق خلق يعادله
أَتَقْبَلُ خِلاًءَ جاءَ يَتَّبِعُ شَوْقَه
إليك على علم بأنك قَابله
يرحل عنك المم عند حلوله
ويُلهيك بالآداب حين تساجله
يَكْسُرُ طَمَحَ العين من لحظاته
ويغمض منه الجفن حين تخاطله
ويشربُ ما تَسْقِيهِ غير ممّاكسٍ
إلى أن يَرى والرأس تهتز مائله
فحيثُ تَتَنَبَّى إلى الباب رجله
وإن لم يكن بالباب ما هو حامله
فكتب إليّ في جوابها من ساعته :

أَتَأْنَأْ مَقَالَ أَوْجِبَ الشكر حامله

ودلّ على فضلِ الفتى الذي هو قائله
ومكّن ودّاً قبل تمكينِ رؤيةٍ
ومن قبل ما لاحَت بِذاك غايِله

(١) البيتان في ديوانه ١٦/١ .

سَتَقْبِلُ ما أَهْدَاهُ مَنْ صَفَوِ بِهِ
وَنَبْذِلُ مِنْهُ فَوْقَ ما هُوَ بِأَذِلِهِ
وَنَقْصِدُ أَسْبَابَ التَّهْجِاجِرِ بَيْنِنَا
فَنَقْطَعُهَا مَذْمُومَةً وَنُواصلُهُ
فَإِنْ دَامَ دُمْنَا لَمْ نُرِدْ بَدَلًا بِهِ
وَإِنْ زَالَ عَنْ عَهْدِ فَلْسِنَا نَزَائِلُهُ

وَتَحْتَ هَذِهِ الْآيَاتِ : تَفْضِيلُ — جُعِلَتْ فِدَاكَ — بِالْمَصْبِرِ إِلَيْنَا مِنْ
سَاعَتِكَ ، فَصَرَتْ إِلَيْهِ فُوجِدَتْهُ فَوْقَ الْوَصْفِ ، فَلَمْ تَزَلْ نَتَعَاضَّرُ طَوْلَ مَقَامِي
هَنَّاكَ إِلَى أَنْ اتَّحَدَرْتُ .

(مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الْجَبَّةُ ؟)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي حُسَيْنُ الْخَلِيعِ ^(١) ، قَالَ : كُنَّا فِي حَلْقَةٍ فَجَاءَنَا أَبُو نُوَاسٍ وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ
خَزْ ، فَقُلْنَا لَهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الْجَبَّةُ ؟ فَكُنْتُمَا ، فَتَرْجَمْنَا خَبَرَهَا حَتَّى
وَقَعَ لَنَا أَنَّهَا مِنْ جَهَّةِ مُؤَنَسِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ جَمِيعٍ ، فَانْسَلَتْ مِنَ الْحَلْقَةِ
وَصَرَتْ إِلَى مُؤَنَسٍ فَوُجِدَتْ عَلَيْهِ جَبَّةٌ خَزْ جَدِيدٌ ، فَقُلْتُ لَهُ :

كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا عِمْرَانَ ؟

فَقَالَ : بِخَيْرٍ ، صَبَحَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، فَقُلْتُ :

إِنْ لِي حَاجَةٌ فَرَأَيْكَ فِيهَا أَنَا فِيهَا وَأَنْتَ لِي سَيَانُ

فَقَالَ : أَذْكُرُهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَقُلْتُ :

(١) الْحُسَيْنُ بْنُ الْأَصْحَاكِ بْنِ يَاسِرِ الْيَاهِلِ ، أَبُو عَلِيٍّ ، شَاعِرٌ مِنْ نَسَائِدِ الْخُلَفَاءِ ، وَلَدَ سَنَةَ ١٦٢
بِالْبَصْرَةِ ، نَشَأَ بِهَا وَتَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٢٥٠ هـ ، اِتَّصَلَ بِالْأَمِينِ وَبِدَسِهِ ، وَلَمَّا ظَفَرَ
الْمَأْمُونُ خَافَهُ الْخَلِيعُ وَهَرَبَ إِلَى الْبَصْرَةِ حَتَّى صَارَتْ الْحَلَاقَةُ لِمُعْتَصِمٍ ، فَمَادَ وَمَدَسَهُ وَمَنَحَ
الْوَأَاقِ ، وَشَعَرَهُ وَتَفَقَّحَ مَذْبَ ، انْظُرِ الْأَعْيَانُ ١٦٥/٦ ، تَارِيخُ بَغْدَادَ ٥٢/٨ .

جبة مسن جبابك الخز كيما لا يراني الشتاء حيث يراني
فقال : بسم الله خذها ، وخلعها فلبستها ورجعت إلى الحلقة ، فقال لي
أبو نواس من أين لك هذه الجبة ؟ قلت : من حيث جبتك^(١) .

(يستعبد بالله من السبع)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثني أحمد بن إسماعيل
الخصيب ، قال : كان جميل بن محمد بن جميل إذا أراد الركوب في كل
غداة يقول : اللهم إني أعوذ بك من السبع ، فقيل له : أنت تركب إلى
الكرخ^(٢) ، فأبي سبيع في الكرخ ، فقال : لو أردت ذلك لقلت :
السبع ، ولكني أستعبد من سبيع خضال ، فأقول : اللهم إني أعوذ بك
من السبع وأضمهرها ، وهي : اللهم إني أعوذ بك من السعي الخائب ،
والبريخ^(٣) العائب ، والخائض المائل ، والميزاب السائل ، ومشحمت
الروايا^(٤) ، والمطايا التي تحمل البلايا ، والتهور في البلاليع والركايا^(٥) .

قال القاضي : قد تخفف العرب السبع فتقول السبع كما يقول عجز
وعجز وقد قرئ ﴿ وما أكل السبع ﴾^(٦) بتسكين الباء وجاءت هذه
القراءة في بعض الروايات عن عاصم بن أبي النجود ، وقوله في هذا الخبر
الميزاب هو الذي تخطيء به في اللفظ العامة فتقول مزراب ، والميزاب
مأخوذ من قولهم وزب الماء يترب إذا سال أو جرى ، وأما المزراب فهو
السفينة .

(١) انظر القصة في الموشح للمرزباني .

(٢) الكرخ : سوق بغداد ، وكانت أولا في وسط المدينة والمحال حولها ، إلا أنها أصبحت
وحدها مفردة وحولها محال غير مختلطة بها ، انظر معجم البلدان ٢٥٥/٤ .

(٣) البريخ : مسيل الماء وجره ، والبالوعة من الخرف وغيره (الماصرة) وعربيتها الإردية .

(٤) الروايا : جمع روية وهي الدابة التي يستقى عليها الماء ، والمشحمت : التي امتلأت شحما .

(٥) الركايا : جمع ركية وهي البئر لم تطو أي لم يعمل عليها سائر من طوب ونحوه .

(٦) سورة المائدة ، الآية ٣ .

المجسّر الخامس

(صنائع المعروف تقي مصارع السوء)

حدثنا محمد بن حمدان بن سفيان الطرائفي سنة أربع عشرة وثلثمائة ، قال : حدثنا محمد بن العباس التنيسي ، قال : حدثنا عمر بن أبي سلمة ، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي ، عن الأصمغ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ تسليماً : « صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوء ، وصدقةُ السرِّ تطفيءُ غضبَ الرب » ^(١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : وفي هذا الخبر من التنبيه على فضل اصطناع المعروف ، وصدقة السرِّ التي يراد الله عز وجل بها ، ويطمئن المتصدق بها إلى

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط ، وأبو الشيخ في الثواب ، والقصاصي بإسناد أكثرها فيه مقال ، ورواه الترمذي عن أنس بلفظ : « إن الصدقة لتطفىء غضب الرب ، وتطفئ ميتة السوء » . انظر : تحفة الأحوذني ، أبواب الزكاة ، باب : « ما جاء في فضل الصدقة » الحديث ٦٥٨ ، ٣٢٩/٢ - ٣٣٠ ، المقاصد الحسنة للسخاوي ٢٦٠ ، كشف الغطاء للسيوطي ٢٨/٢ ، نيسن التذير للسناري ٣٦٢/٢ ، المضروع في معرفة الحديث الموضوع للقاري ٨٥ .

الإيمان باطلاع الله عليها وإخلاصها من الرياء المبطل لثوابها ما يبعث كل ذي لب تصح لنفسه وأراد السعادة لها ، والنجاة من هول عظيم المكروه بها ، على الرغبة فيه والمسايرة إليه ، فأعظم بالنعمة على من دفعه الله عز وجل لطاعته ، ووقاه شح نفسه ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾^(١) .

وقد ورد في هذا المعنى من الترغيب في البر والخض على ما فعل ما عاد يجزئ الأجر وجميل الذكر ، ما يطول شرحه ويغيب جمعه ، مستنداً ومقتطوعاً ، ومُرسلًا ومَوْصُولًا ، ونحن نأتي بطرف منه كاف لمن تشوف إليه ، وشاف لمن أراد لنفسه الصلاح به فمما جاء في هذا المعنى ما حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني جدِّي محمد بن إبراهيم الإمام^(٢) وكان يجلس لولده وولده وكده في كل يوم خميس فيعظهم ويحذرهم ، فقال : أرسل إليَّ أمير المؤمنين المنصور بكثرة واستعجلي الرسول ، فظننت ذلك لأمر حدث فركبت إذ سمعت وقع الحافر ، فقلت للغلام : انظر من هذا ؟ فقال : هذا أخوك عبد الوهاب^(٣) فرفقت في السير فلحقني فسلمت عليه وسلم عليّ فقال : أذاك رسول هذا ؟ قلت : نعم ، فهل أذاك ؟ قال نعم . فقلت : فقيم ذاك ترى ؟ قال : تجده اشتهى خلاّ وزيتاً سوداً الغداة فأحب أن تأكل معه ، فقلت : ما أرى ذاك ، وما أظن هذا إلا لأمر قال : فانتبهنا إليه فدخلنا فإذا الربيع واقف عند السر ، وإذا المهديّ ولي العهد في

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولي مكة والمدينة والجزيرة واليمن ومات ببغداد ، المعارف لابن قتيبة ٣٧٦ .

(٣) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ولي الشام ، وله بها عقب ، المعارف ٣٧٦ .

الدهليز جالس ، وإذا عبد الصمد بن علي ^(١) وداود بن علي ^(٢) وإسماعيل بن علي ^(٣) وسليمان بن علي ^(٤) وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين ^(٥) وعبد الله بن حسن بن حسن ^(٦) والعباس بن محمد ^(٧) ، فقال الربيع : اجلسوا مع بني عمكم ، قال : فجلسنا ثم دخل الربيع وخرج ، فقال للمهدي : ادخل أصلحك الله ، ثم خرج فقال : ادخلوا جميعاً ، فدخلنا فسلمنا وأخذنا مجالسنا ، فقال للربيع : هات دُويكاً وما يكتبون فيه ، فوضع بين يدي كل واحد منا دواة وورقاً ، ثم التفت إلى عبد الصمد بن علي ، فقال : يا عم حدث ولدك وإخوتك وبني أخيك بمحدث البر والصلة ، فقال عبد الصمد : حدثني أبي ، عن جدي عبد الله بن العباس ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن البرَّ والصلةَ ليطولان الأعمار ويعمران الديار ويُشربان

(١) هو عبد الصمد بن علي ، أبو محمد ، من عمومة المنصور ، ولي الجزيرة وفلسطين ومكة والمدينة والبصرة ، توفي في بغداد ، المعارف ٣٧٤ .

(٢) داود بن علي ، أخو عبد الصمد ، وكان غليظاً ، جميلاً ، يكنى أبا سليمان ولي مكة والمدينة لأبي العباس وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر ومات سنة ١٢٣ هـ ، المعارف ٣٧٤ ، ويتضح من تاريخ وفاته أنه لم يحضر خلافة المنصور كما ذكر في القصة فقد تولى المنصور الخلافة سنة ١٢٦ هـ .

(٣) إسماعيل بن علي ، ولي أبي جعفر فارس والبصرة ، المعارف ٣٧٤ .

(٤) سليمان بن علي ، ولي البصرة ومكان والبحرين لأبي جعفر ، وتوفي بالبصرة سنة ١٤٢ هـ ، المعارف ٣٧٥ .

(٥) هو جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ترجمته في المعارف ٢١٥ . والفرق بين الفرق ١٦ .

(٦) ابن علي بن أبي طالب ، كان من العباد ، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسن شديد ، وكان ذا نزلة عند عمر بن عبد العزيز ، أثيراً لدى السفاح مكرماً له ، توفي سنة ١٤٥ هـ ، المعارف ٢١٣ ، تهذيب التهذيب .

(٧) هو أخو أبي جعفر المنصور ، وقد ول له الجزيرة « وكان يكنى أبا الفضل ، المعارف ٣٧٧ .

الأموال ، وإن كان القوم^(١) فجارا » ثم قال : يا عم الحديث الآخر ، فقال عبد الصمد بن علي : حدثني أبي ، عن جدي عبد الله بن العباس ، فقال : قال النبي ﷺ : « إن البِرَّ والصلة ليخفان سوء الحساب يوم القيامة ، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ ^(٢) .

فقال المنصور : يا عم الحديث الآخر ، فقال عبد الصمد : حدثني أبي ، عن جدي ، عن النبي ﷺ : « أنه كان في بني إسرائيل ملكان أخوان على مدينتين وكان أحدهما باراً برحمه عادلاً مع رعيته ، وكان الآخر عاقراً برحمه جائراً على رعيته ، وكان في عصرهما نبي فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أنه قد بقي من عمر هذا البار ثلاث سنين ، وبقي من عمر العاق ثلاثون سنة ، فأخبر ذلك النبي رعية هذا ورعية ذلك فأحزن ذلك رعية العادل ، وأحزن ذلك رعية الجائر ، فقال : ففرقوا بين الأطفال من الأمهات وتركوا الطعام والشراب ، وخرجوا إلى الصحراء يدعون الله عز وجل أن يمتنعهم بالعادل ويزيل عنهم أمر الجائر فأقاموا ثلاثاً ، فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي ﷺ : « أخير عبادي أني قد رحمتهم وأجبت دعاءهم ، ف جعلت ما بقي من عمر هذا البار لذلك الجائر ، وما بقي من عمر الجائر لهذا البار ، قال : فرجعوا إلى بيوتهم ومات العاق لتمام ثلاث سنين وبقي العادل فيهن ثلاثين سنة ، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ^(٣) ، ثم التفت المنصور إلى جعفر بن محمد ، فقال : يا أبا عبد الله ،

(١) الحديث رواه ابن عبد البر من جهة أبي مليكة عن أبي سعيد الخدري ، ورواه أبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعاً بسند ضعيف ، انظر المقامد الحسنة ١٤٤ ، فيض القدير

- ١٩٩/٢ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٣٨ .

(٣) سورة فاطر ، الآية ١١ .

حدث إخوانك وبني عمك بحديث أمير المؤمنين عليّ، عن النبي ﷺ في البر، فقال جعفر بن محمد: حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ملك يصل ذا قرابته ويعدل على رعيته إلا شدد الله ملكه، وأجزل له ثوابه وأكرم مآبه وخفف حسابه» (١).

(حديث الحية)

حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي، قال: حدثنا علي بن حرب الطائي، قال: حدثني جعفر الطائي قرابة القحاطية من أهل جزيرة مهبوزان (٢)، قال: حدثنا أبيان بن عبد الجبار، قال: كنا عند سفيان بن عيينة (٣) وهو يحدثنا إذ التفت إلى شيخ إلى جنبه فقال: يا أبا عبد الله! حدثنا حديث الحية.

فقال الشيخ: حدثني محمد بن عتبة، قال: خرج حمير بن عبد الله إلى مقصد له، فلما أقفرت به الأرض انساب حية بين قوائم دابته فقامت على ذنبها، وقالت: آوئي آوأك الله في ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، فقال لها: ومم آوئك؟ قالت: من عدو لي قد

(١) هذا الخبر يتناوله أورده الخطيب البندادي نقلاً عما هنا في تاريخ بغداد ١/٣٨٤.

(٢) القحاطية هم بنو قحطبة بن شبيب بن خالد بن ممدان، وبنوه هم الحسن وحسين وعبد الله وشبيب، وهم من بني سعد بن زبهران بن عمرو بن النوث بن طي، انظر جبهة أنساب العرب ٤٠٤، أما مهبوزان فقد ذكر ياقوت أنها في موضعين: أحدهما على ساحل البحر بين عبادان وسيراف، وهي بلدة صغيرة، أما الأخرى فهي قاسية مشتملة على عدة قرى بممدان، انظر معجم البلدان ٤/٦٩٩.

(٣) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الحلالي، الكوفي ثم المكي، المحدث الثقة الحافظ، سمع الزهري وعبد الله بن دينار وغيرهما، وحدث عنه الأعمش وابن جريج والثاقبي وأحمد ابن حنبل وغيرهم، وفيه يقول الثاقبي «لولا مالك وسفيان لنهب علم الحجاز» توفي سنة ١٩٨ هـ، تذكرة الحفاظ ١/٢٤٢، صفة الصفوة ٣/١٣٠.

عَشِيَّتِي يَرِيدُ أَنْ يُمَاطِعَنِي لِزَيْبًا لَزَيْبًا ، قَالَ لَهَا : وَأَيْنَ آوِيكَ ؟ قَالَتْ : فِي جَوْفِكَ إِنْ أَرَدْتَ الْمَعْرُوفَ ، قَالَ لَهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : مِنْ أَهْلِ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ لَهَا : فَهَآكَ جَوْفِي ، فَصَبِرْهَا فِي جَوْفِهِ ، قَالَ : فَإِذَا هُوَ بِبَنَى قَدْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ صِمَامَةٌ لَهُ وَقَدْ وَضَعَهَا عَلَى عَاتِقِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ أَيْنَ الْحَيَةِ الَّتِي اسْتَظَلْتُ بِكَشْفِكَ وَأَنَاخْتُ بِفَنَائِكَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا ، قَالَ : عَظُمْتَ كَلِمَةً خَرَجْتَ مِنْ فَيْكِ ، قَالَ : مَا جَاءَ مِنْكَ أَعْظَمُ ، تَرَانِي أَقُولُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا ، وَتَقُولُ لِي مِثْلَ هَذَا ؟ فَوَلَّى الْفَتَى مَدْبِرًا فَلَمَّا تَوَارَى قَالَتْ الْحَيَةُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ انْظُرْ هَلْ يَرَاهُ بِصْرُكَ أَوْ يَأْخُذُهُ طَرَفُكَ ؟ قَالَ : مَا أَرَى شَيْئًا ، قَالَتْ : اخْتَرْ مِنِّي إِحْدَى مِثْرَتَيْنِ ^(١) إِمَّا أَنْتَ قَبْلَكَ نَكْتَةً فَأَجْعَلَهُ ^(٢) رَمِيمًا ، أَوْ أُرْثُ كِبْدَكَ رَغًا ^(٣) فَأَخْرِجْهُ مِنْ أَسْفَلِكَ قَطْعًا . قَالَ لَهَا : وَاللَّهِ مَا كَافَأْتَنِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، قَالَتْ لَهُ : فَمَا اصْطَنَاعُكَ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا هُوَ ، لَوْلَا جَهْلُكَ ، وَقَدْ عَرَفْتَ الْعِدَاوَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيكَ قَبْلَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي مَالٌ أُعْطِيكَهُ وَلَا دَابَّةٌ أَحْمَلُكَ عَلَيْهَا . قَالَ : أَرَدْتَ الْمَعْرُوفَ ، قَالَ : فَالْتَصِفْ فَإِذَا بَنَى جَبَلَ قَالَ : فَإِنْ كَانَ لَا بَدَ فَنِي هَذَا الْجَبَلِ ، ثُمَّ نَزَلَ يَمْشِي فَإِذَا هُوَ فِي الْجَبَلِ بِفَتَى قَاعِدَ كَأَنَّ وَجْهَهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : يَا شَيْخَ مَالِي أَرَأَيْكَ مُسْتَبْسِلًا لِلْمَوْتِ آيَسًا مِنَ الْحَيَاةِ ؟ فَقَالَ : مَنْ عَدُوٌّ فِي جَوْفِي آوَيْتَهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَلَمَّا صَارَ فِي جَوْفِي وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : أَتَأْكُلُ الْفُوتَ ، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ إِلَى رُذْنِهِ ^(٤) فَأَخْرَجَ مِنْهُ شَيْئًا أَطْعَمَهُ إِيَّاهُ فَاخْتَلَجَتْ وَجَنَّتَاهُ ، ثُمَّ أَطْعَمَهُ ثَانِيَةً فَوَجَدَ تَمَخُضًا فِي بَطْنِهِ ، ثُمَّ أَطْعَمَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : أَحَدٌ ، وَهِيَ غَطٌّ كَمَا لَا يَخْفَى .

(٢) نَكْتَةٌ : نَقْفَةٌ وَأَشْبَهُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَمَالَى : « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَفَتْ غَزْلُهُ مِنْ بَدَنِهِ قُوَّةُ الْكَثَاةِ » .

(٣) أُرْثُ الشَّيْءَ : ضَرَبْتُهُ حَتَّى أَتَمَّنْتُهُ .

(٤) الرُّذْنُ : الْكُفُّ .

الثالثة فرمى بالحية من أسفله قطعاً ، فقال له حميري : من أنت رحمتك الله ، فما أحد على أعظم منة منك ؟ قال له : أوما تعرفني أنا المعروف وأنه اضطربت ملائكة سماء سماء من خذلان الحية إياك فأوحى الله عز وجل لي أن يا معروف أغثْ عبدي ، وقل له : أردت شيئاً لوجهي فأتيتك ثواب الصالحين ، وأعقبتك عقبي المحسنين ونجيتك من عدوك ^(١) .

(الجار إذا أراد شين جاره)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : أخبرنا عمارة بن عقيل ، قال : كان الرجل فيما مضى إذا أراد شين جاره أو صاحبه طلب حاجته إلى غيره ^(٢) .

(نادرة بين الحجاج وخارجي)

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، قال : حدثنا محمد بن عيسى الأنصاري ، عن عبيد الله بن محمد التيمي ، قال : أتني الحجاجُ برجل متهم برأي الخوارج ، فقال له الحجاج : أخارجي أنت ؟ قال : لا والذي أنت بين يديه غدا أذل مني بين يديك اليوم ما أنا بخارجي ، فقال الحجاج : إني يومئذ للليل . وأطلقه ^(٣) .

(١) ورد هذا الخبر في كتاب الفرج بعد الشدة ٤٩ ، ٥٠ برائتين : إحداهما كما هنا دون ذكر السند ، والأخرى مروية عن بعض بني إسرائيل وتختلف عما هنا في أن الحية تلوقت على بطن الرجل ، وأنه لما ذهب إلى الجبل دعا الله فأوحى إليه أني قد رحمت ثقتك بي ودعائك إياي فأتيتك على الحية فلما تموت في يديك ولا تصرفك ، ففعل فنجأ ، وعاد إلى موضعه وتشاغل بعبادته .

(٢) انظر هذا الخبر في حيون الأخبار ٢٩٦/١ دون سند الرواية .

(٣) انظر هذا الخبر مروياً عن بعض الأئمة في حيون الأخبار ١٠٢/١ ، وفيها أن الرجل قال للغير : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من برئ أحب إليه من سقمي ، وبرأني أحب إليه من سقمي .

(مال من يأخذ ؟)

حدثنا أحمد بن العباس العسكري ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن صبيح ، قال : ولي الحجاج رجلاً من الأعراب بعض المياه ، فكُسر عليه بعض خراجيه فأحضره ثم قال له : يا عدو الله ! أخذت مال الله ، قال : فما لي من أخذ ؟ أنا والله مع الشيطان منذ أربعين سنة أن يعطيني حبة ما أعطاني ^(١) .

(لو كانت الجنة بيده)

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : أخبرنا المنذر بن محمد ، قال : حدثنا الحسن بن محمد بن علي ، قال : حدثنا سليم ابن جعفر الهاشمي ، عن الرضا رضي الله عنه ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال علي بن الحسين ^(٢) : إني لأستحيي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله عز وجل له بالجنة وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل .

(جزاء الاحسان)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا بن دينار الغلابي ، قال : حدثنا عبد الله بن الضبحاك ، قال : حدثني المهيم بن عدي ، عن عوانة ، قال : أتى الحجاج بأسارى من أصحاب قطري ^(٣) من

(١) وانظر هذا الخبر في: هجة المجالس لابن عبد البر .

(٢) علي بن الحسين الأصغر بن علي بن أبي طالب ، ليس لحسين عقب إلا منه ، وكان غيراً فاضلاً ، له كلمات حكيمة وأخبار مأثورة في البيان والتبيين ٨٤/١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧/٢ ،

توفي بالمدينة عام ٩٤ هـ ودفن باليتيم ، للمعارف ٢١٥ .

(٣) هو قطري بن الفجاءة المازني ، زعيم الخوارج الكبير ، خرج زمن مصعب لما ولي العراق ، =

الخوارج فقتلهم إلا واحداً ، كانت له عنده يد وكان قريباً لقطري ، فأحسن إليه وخلق سبيله ، فصار إلى قطري فقال له قطري : عاود قتال عدو الله الحجاج ، فقال هيهات ، غلّ يداً مُطْلِقُهَا واسترق ربةً معتمُها ، ثم قال :

أُقاتِلُ الحِجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ يَبْدُ تُقَرُّ بِأَنِّهَا مَوْلَانُـهُ
لَإِنِّي إِذَا لَأَخُو الدِّنَاءَةِ وَالَّذِي طَعَنْتُ عَلَى إِحْسَانِهِ جَهْلَانُهُ^(١)
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ لِزَآءِهِ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّجْتُ لَهُ فَعَلَاتُهُ
أَقُولُ جَارَ عَلِيٍّ لَا ، إِنِّي إِذَا لَأَحَقُّ مِنْ جَارَتِ عَلَيْهِ وَلَاتُهُ
وَتَحَدَّثُ الْأَقْوَامُ أَنَّ صَنَائِعَهُ غَرَسَتْ لَدَيَّ فَحَنَظَلْتُ لَخَلَاتُهُ
هَذَا وَمَا ظَنِّي بِحَيْنٍ أَنَّنِي فَيَكُمُ لِمَطَرِقٍ مُشْهَدٌ وَعَلَاتُهُ^(٢)

(كرم أبي أيوب المورياني)

حدثنا محمد بن القاسم الأتباري ، قال : حدثنا محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن إسماعيل بن هيثم ، قال : قال ابن شبرمة^(٣) : زوجت ابني على ألفي درهم فلم أقدر عليها ففكرت فيمن أقصده فوقع في قلبي أبو أيوب المورياني^(٤) فدخلت عليه فشرحت له

= وبقي عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج بعد قتل مصعب يرسل إليه الجيوش جيشاً تلو جيش وهو يستظهر عليهم ، إلى أن قتل سنة ٧٨ هـ ، انظر ابن الأثير ١٧١/٤ ، وفيات الأعيان ٢٥٥/٣ ، المعارف ٤١١ ، البرصان والمرجان ٦٧ .

(١) في طراز المجالس : عفت على عزماته جهلاته .

(٢) لم يرد هذا البيت في طراز المجالس وورد بدلا منه بيت آخر هو قوله :

تألق لا كدت الأمير بالأسنة وجوارحي وسلاحها آلاته

(٣) هو عبد الله بن شبرمة الفسي ، تولى قضاء السواد لأبي جعفر المنصور ، وكان عفيفاً صارماً ، عاقلاً جواداً « ثقة قليل الحديث » توفي سنة ١٤٤ هـ ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٥٠/٥ ، شذرات الذهب ٢١٥/١ .

(٤) أبو أيوب المورياني نسبة إلى موران وهي بلدة بنو اسدي غوزستان ، اسمه سليمان بن =

خَبَرِي، فقال: فلك ألفان، فلما نهضت لأقوم، قال: فالمهر ألفان فأين الجهاز؟ فلك ألفان للجهاز، فذهبت لأقوم فقال: المهر والجهاز فأين الخادم؟ فلك ألفان للخادم، فذهبت لأقوم، قال: فالشيخ لا يصيب شيئاً قال: فلك ألفان فلم أزل أقوم ويقعدني حتى انصرفت من عنده بخمسين ألفاً^(١)

(مثل يضربه الأعمش)

حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، ويزداد بن عبد الله بن يزداد المروزي واللفظ له، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، قال: سئل الأعمش عن حديث فامتنع منه، فلم يزالوا به حتى استخرجوه منه، فلما حدث به ضرب مثلاً، فقال: جاء فقّاف^(٢) إلى صَبْرِي بدراهم يزنه إياها، فلما ذهب يزنها وجدها تنقص سبعين، فقال^(٣):

عجبتُ عجيبةً من ذئبِ سوءٍ أصابَ فريسةً من ليثِ غسابِ
فقفَّ بكفِّهِ سبعينَ منها تنقَّأها من السُّودِ الصَّلابِ
فإن أخذعُ فقد تُخدع وتؤخذُ عتيقُ الطير من جوِّ السحابِ

(تعليق نحوي)

قال القاضي أبو الفرج: أسكن في هذا البيت فقد تُخدع والعرب إنما

= مخلد، كان وزيراً للنصور مقرباً إليه في أول أمره ثم غضب عليه فأوقع به وعذبه - ويوسف يقص المؤلف فيما يلي من الكتاب قصة في سبب هذا - انظر ترجمته في الوزراء والكتاب ١٠٢، وفيات الأعيان ١/٢١٥.

(٢) انظر هذا الخبر في مجالس ثعلب ٤١٥/٢.
(٣) هو سليمان بن مهران الأعمش الأسدي ولاء، أبو محمد، تابعي مشهور، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، توفي سنة ١٤٨ هـ، ترجمته في طبقات ابن سعد ٢٣٨/٦.

(٤) القفاط: صفة مبالغة من قف، أي سرق الدراهم بين أصابعه.
(٥) انظر هذا الخبر في اللسان «قف» ١٩٨/١١، والنهاية لابن الأثير ٩٢/٤.

تسكن هذا ونحوه في كلامها إذا دخل عليه جازم ، ومتى لم يدخل عليه جازم يجزمه ولا ناصب ينصبه فتسكينه إذا وُصل بكلام بعده خارج عن الفصح المعروف في كلام العرب ، وينبغي أن يكون هذا مرفوعاً على أصله ، ولما لم يمكن هذا الشاعر تحريكه لثلاث ينكسر وزن البيت الذي قاله أسكنه ، وأقرب ما يعتذر له به أنه عمل على السكوت عليه ونيته الرفع فيه ، وقد روى مثل هذا الوجه المستقيح في أبيات روتها العلماء ، من ذلك قول الشاعر :

أقول شَيْئَهَاتٍ بما قال عالمٌ بهنّ ، ومن أشَبَهَ أباه فما ظلم
فهذا مما يستحق تحريكه بالفتح حركة بناء لا إعراب ، فيقال : ومن أشبه أباه ، وما بهذا الشاعر ضرورة إلى ما أتاه لأنه لو قال : ومن يشبه أباه فجزم بحرف الشرط إذ هو من باب الجزاء لكان مصيباً مُحسناً ، وقال آخر :

شكَّونا إليه خَرَابَ السَّوَادِ فَحَرَّمْ علينا لُحُومَ البَقَرِ (١)
فهذا حمل نفسه على هذا الوجه للضرورة ، ولو كان قال : فحرم فينا (٢) لكان مصيباً .

وقد ذكر سيبويه في كتابه من هذا الباب طرفاً (٣) ، وروى بيت امرئ القيس (٤) :

- (١) ذكر أبو الفرج في الأغانى ٣٧٨/١٦ أن هذا القول قيل في الحجاج بن يوسف حين منع من لحوم البقر خوفاً من قلة العمارة في السواد ، وبعده بيت آخر هو :
فكنسا كن قال من قبلنا أربها استها وترئى القمر
وانظر معجم البلدان في مادة (السواد) .
- (٢) وهذه فعلا رواية الأغانى .
- (٣) انظر باب الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي ، في كتاب سيبويه ٢٩٧/٢ .
- (٤) البيت التالي في ديوانه ١٣٨ ، والشعر والشعراء ٤٥ ، خزائن الأدب ٢٧٠/٤ ، وسيبويه =

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِنَّمَا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٌ ^(١)
فأنكر هذا بعض أصحابه وقيل : إن الرواية الصحيحة فيه فاليوم
فاشرب ^(٢) ، أو فاليوم أسقى ^(٣) ، وروى قول الفرزدق :
وقد بدأ هنك من المرز ^(٤)

قال من أنكر هذا : إنما هو : وقد بدأ ذلك ، وقد روى عن أبي عمرو
أنه قرأ بهذه اللغة في مواضع من القرآن منها ﴿ فَتَوَيَّأُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ ^(٥)
ويأمرهم ، وأنزل مكموها ، فمن الرواة عنه من رواه بالسكون خالفاً
وأجاز فيه وفي نظائره مثل هذا ، كما قال الشاعر :

= ٢٩٧/٢ ، وهو يرد كثيراً في كتب اللغة لأنه من الشواهد على تسكين الباء في أشرب
ضرورة وليس بالحن .
(١) المستحقب : من قوم : احتجب فلان الإثم كأنه جمعه واحتجب من خلفه ، والواغل :
الداخل على القوم في شراهم ولم يدع إليه .
(٢) وهي الرواية الواردة في إصلاح المنطق ٢٧٣ ، ٣٥٩ ، المغضليات ٤٨٠ .
(٣) وهذه واردة في اللسان « حقب » ٣١٥/١ ، الكامل للبرد ١٤٣/١ ، حساسة
البحر ٤٣ .
(٤) عجز بيت وصدره :

رحمت وفي رجلك عقالة

وهو ليس للفرزدق كما ذكر المؤلف بل هو للأثير الأسدي ، فقد ذكر صاحب الأغاني
أن الأثير سكر يوماً فبدت عورته وامرأته تنتظر إليه فصحكت منه وأقبلت تلومه وتقول :
أما تستحي يا شيخ ، فأنشأ يقول :

تقول يا شيخ أما تستحي من شريك الخمر على المكبر
فقلت لـ باكرت مشمولة صهبا كلون الفرس الأشقر
رحمت وفي رجلك عقالة وقد بدأ هنك من المرز

والشاهد فيه : تسكين هن في الإنشافة للضرورة وليس بلمة ، انظر سيبويه ٢٩٧/٢ ،
خزانة الأدب ٢٨٠/٢ .
(٥) سورة البقرة الآية ٥٤ .

سوف أَرْحَلُكَ غَدًا أو بعد غَدٍ

وروي أن هذا أتى مخففاً لكثرة الحركات فيه ، فاحتج بعض أصحابه بأن الحروف التي أسكنها مخصوصة بمجواز حذف الحركة بمعنى يخصها دون غيرها ، وليس هذا موضع الاشتغال به ، وأنكر بعض رواة أبي عمرو هذا ، وذكر أنه كان مختلس الحركة فيظن من لا يعلم أنه أسكن ، وهذا مذهب سيبويه^(١) في تأويل هذه القراءة، وأما قول الشاعر في الخبر الذي ذكرناه عن الأعمش : فقد تحنّج وتؤخذ ، فإن قائله لو ضم تحنّج وجزم وتؤخذ لكان قد أتى بوجه معروف من كلام العرب ، وقد قرأ جمهور القراء في القرآن ما منزلته في الإعراب منزلته ، وذلك أن يرد الفعل الثاني على موضع الفاء الداخلة على الفعل الأول ، وذلك قول الله عز وجل ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ﴾ من الصالحين^(٢) فكره من قرأ ذلك مخالفة رسم المصحف إذ لا واو فيه ، وله في العربية وجه مفهوم^(٣) ، ومن ذلك قول أبو ذؤاد الأيبادي^(٤) :

فَأَبْلُوْنِي بَلِيَّتِكُمْ لَعَلِّي أَصَالِحِكُمْ فَأَسْتَدْرِجُ نَوِيًّا^(٥)

(١) انظر سيبويه ٢/٢٩٧ في باب الإشباع في الجر والرفع ، وغير الإشباع والحركة كما هي .
(٢) الآية ١٠ من سورة (المنافقون) .
(٣) وهو كما ذكر المؤلف آنفاً من ورود الفعل الثاني على موضع الفاء الداخلة على الفعل الأول ، وهو أصدق فإن محله الجزم لأنه جواب التحضيض ، ويجزم بأن مقدرة ، وهو كالمطف في قوله تمالك : (من يفضل الله فلا هادي له ويذره) بإسكان الراء ، انظر المعنى ٢/٤٢٢ ، وانظر تفسير القرطبي ٦٩١٠ ، وانظر القراءات المختلفة في هذه الآية في تفسير البهر المحيظ ٨/٢٧٥ .

(٤) البيت الثاني في ديوانه ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي لقون جرنباوم ٢٥٠ ، والتناقض ٤٠٨ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠ ، ومعنى اللبيب ٢/٤٢٢ ، والرواية فيها كلها : وأستدرج بالواو لا بالفاء ، وهو شاهد على أن الفعل يجزم بعد الطلب مع الواو أيضاً .

(٥) أبلوني بليتك : أي اصنعوا صنماً جديلاً ، ونوياً : نوياً ، قلب الألف ياء وأدغمها في =

وكان أبو عمرو يختار أن يقرأ « وأكون » بإثبات الواو، وكان الأوجه عنده في العربية، وزعم أن الواو حذفت منه في الخط كما حذفت من كلمن، وليس الأمر عندنا على ما ذكر في هذا ففي الكلمتين فرق ظاهر، يقتضي الإثبات حيث أثبت، والحذف حيث حذفت، وليس هذا موضع ذكره، وسأيت في موضعه من كتبنا المؤلفة في علوم تنزيل القرآن وتأويله إن شاء الله.

• • •

ياه المتكلم على لغة هذيل ، والنوى : الثنية أي الوجه الذي يفصله المرء ، وأستخرج : أخرج أدراجي من حيث كنت ، والمغنى : أسسوا إلى لعل أصلكم وأعود إلى جواركم ، وهذا البيت ضمن أبيات يقولها في ذكر مجاورته لقوم فقد فرق ابنه في جوارهم فحزم على فراقهم ، وقيله :

الم تر اني جاورتكم وما
وكان جوار بعض الناس فيا

المجلس السادس

(خبأت هذا لك)

حدثنا الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري ، قال : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني ، قال : حدثنا حاتم بن وردان ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، عن المسور بن مخرمة ^(١) ، قال : قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ أُقْبِيه ^(٢) ، فقال لي أبي مخرمة : اذهب إلى رسول الله ﷺ لعله أن يُعْطِيَنَا منها شيئاً ، قال : فأُتِينَاهُ فسمع كلام أبي علكي الباب : قال

(١) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهب القريشي الأزهري ، أبو عبد الرحمن ، من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير وسمع منه ، وكان مع غاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى وحفظ عنه أشياء ، وروى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة ، ثم كان مع ابن الزبير في حصار مكة ، فأصابه حجر من حجر المنجنيق فقتل سنة ٦٤ هـ ، انظر الإصابة الترجمة رقم ٧٩٦٥ ، نسب قريش ٢٦٢ ، ذيل الليل ٢٠ .

أما أبوه مخرمة بن نوفل فهو من مسلمة الفتح ، وكف يصره في زمن عثمان ، وتوفي سنة ٥٤ هـ ، وله مائة وخمسة عشرة سنة ، انظر السيرة ٢٧ ، والإصابة ٧٨٣٤ ، وتلك الهيمان ٢٨٧ .

(٢) الأقبية جمع قباء ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب أو التقيص ويتنطق عليه .

فخرج إلينا وفي يده قَبَاءَ وهو يُرِي أبي محاسنه ويقول « خَبَاتٌ
هذا لك »^(١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : في هذا الخبر لعله أن يعطينا وهي لغة لبعض العرب ،
والأَسِير من كلامها ، لعله يعطينا بغير أن ، وقد ذكرنا هذا الباب فيما
مضى من مجالسنا هذه وشرحنا وجهه وأحضرنا صوراً من شواهد الشعر
فيه ^(٢) ، والقَبَاء ممدود ، وجمعه أقبية وهو من ملابس الأعاجم في
الأغلب ^(٣) ، واشتقاقه من الجمع والضم فقيل له قباء لما فيه من الاجتماع ،
ولما يجمعه جسم لابس وضمه إياه عند لبسه ومنه قول سحيم عبد بني
الحساس ^(٤) :

فإن تهزّبي مِنِّي فياربَّ ليلةٍ تَرَكَتْكِ فيها كالقَبَاءِ المَفْرَجِ ^(٥)

وقراءُ أهلِ المدينة ونُحاتُهُمْ يُعْبِرُونَ عن العرب والمبني الذي يسميه
قُرَاءُ العراق ونُحاتُهُمْ مرفوعاً ومضموماً بأنه مقبوء ، فيشيرون بعبارتهم

(١) الحديث الشريف أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة ، ترجمة غزوة بن نوفل ١٢٥/٥ ،
١٢٦ .

(٢) انظر المجلس الثاني .

(٣) ولهذا قال بعضهم : هو فارسي معرب ، انظر المغرب للجواليقي ٢٦٢ ، والصحيح أنه
عربي انظر الجوهرة لابن دريد ٢٠٩/٢ ، ٢٢٤/١ ، وانظر القاموس واللسان .

(٤) هو سحيم الحنفي ، شاعر غفرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ولا تعرف له صبيحة ، وبنو
الحساس هم بنو نفاثة بن سويد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دردان بن أسد ، وكان
سحيم يرتفع لكمة حبشية ، قتل في خلافة عثمان رضي الله عنه ، انظر الثمر والشعراء
٢٦٩ والخزانة ٢٧١/١ - ٢٧٤ ، وقد طبع ديوانه بتحقيق الميمني في دار الكتب سنة
١٣٦٩ هـ .

(٥) البيت في ديوانه ٢٤ ، والخزانة ٢٧٤/١ ، والمستطرف ٥٤ والرواية قيهما :
فإن تفصحكي بدل تهزّبي .

إلى الضم الذي من باب الجمع ، وقد شرحنا هذه الجملة شرحاً واسعاً في كتابنا الذي شرحنا فيه مختصر أبي عمرو الجرمي^(١) في النحو .

وقد تسمي العربُ القِيَاءَ « اليَلْمَق » وتجمعه يَلَمَقٌ ، كما قالت هند بن عتبة^(٢) :

نحنُ بناتُ طَارِقٍ نَمْشِي على التَّمَارِقِ
ونَلْبَسُ الِیَلَمَقَ

وقال ذو الرمة^(٣) :

تَعْلُو البَرَارِقَ عن مُجَرَّمٍ لَهَقَ
كَأَنَّهُ مُتَقَبِّ يَلْمَقٍ عَزَبَ^(٤)

وذكر الأصمعي أنه فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، وأنه في الأصل على كلام

(١) مرث ترجمته في ما سبق .

(٢) انظر اللسان ٨٧/١٢ ، وقد نقل فيه عن ابن بري أنها هند بنت بيان بن رباح بن طارق الإيادي ، قالتها يوم أحد تحض على الحرب ، وأورد الأبيات برواية فيها زيادة عما هنا كما يلي :

نحن بنات طارق لا نتنبي لوامق
نمشي على التمارق الملوك في المفارق
والسدر في المخالط إن تقبلوا لمارق
أو تدبروا فنسارق فراق غير وارق

والطارق : هو النجم المضيء ، أي أن أبانا في الثرف والعلو كالنجم ، وقيل أرادت : نحن بنات ذي الثرف في الناس كأنه النجم في علو قدره ، والتمرقة : الوسادة ، وانظر اللسان ٢٣٩/١٢ .

(٣) انظر البيت في ديوانه ٢٨ ، واللسان ٢٦٧/١٢ ، والرواية فيه : مجرَّم بدل مجرمز وعجزه في المغرب للجواليقي ٣٥٥ .

(٤) البوارق : سحب فيه مطر وبرق ، والمجرم : المنقبض المجتمع بعضه إل بعض وهو يريد به الدور ، والهلَق : الأبيض ، واليلمق : القباء المشو ، والمزب : الذي لا أهل له ، وهو يصف هذا الدور بأنه كالمرزب المتقبض بقباء أبيض .

الأعاجم يَكْتُمُه ، كما قالت العرب شَبَّرُوقَ وفَالُوذَقَ ^(١) ، وقالت العجم : شبره وفالوذه ، وقال الأصمعي : مثل هذا في قول العرب اسْتَبْرَقَ ^(٢) ، فإنه في كلام العجم استبره ، وقال عدد من أهل العلم منهم أبو عبيدة ^(٣) : إنَّ من زعم في القرآن شيئاً بغير العربية فقد أخطأ وأعظم على الله الفِرْيَة ، لأن الله تعالى قال : ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ^(٤) ، وفي القرآن عدد من الكلم نسبة بعض أهل التأويل إلى لغة بعض أمم العجم ، وأنكر هذا بعضهم ، وذهب إلى اتفاق لفتين فيه أو لغات كثيرٍ منهم ^(٥) ، وهذا مما يياننا مُسْتَقْصَى فيه في كتابنا المسمى « كِتَابُ الْبَيَانِ الْمَوْجُزُ عَنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ الْمَعْجَزِ » ، وفي كتاب شيخنا أبي جعفر رضي الله عنه ، الذي سماه « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » .

(١) الشبرق : اللحم المقطع ، والفالوذق : نوع من الحلواء يسوى من لب الخنطة ، ويسمى أيضاً الفالوذج وهو معرب فالوذه ، انظر المغرب للجوالقي ٣٤٧ .

(٢) الاستبرق : نوع من الحرير الغليظ .

(٣) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، قال عنه الجاحظ : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه ، ولد في رجب سنة ١١٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٠٨ هـ ، أو ٢١٠ هـ .

(٤) الآية ١٩٥ من سورة الشعراء .

(٥) هل وقع في القرآن الكريم - سائلاً الأعلام - ألفاظ من غير اللسان العربي ، قضية بحثها العلماء المسلمون قديماً ، ولهم فيها رأيان شهيران ، مجملهما :

أ - أن القرآن الكريم لا يوجد فيه شيء من ذلك ، وأنه - كما ورد في آيات كثيرة - عربي صريح ، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر الأمم إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب وغيرهم ، وهذا رأي أبي عبيدة وأبي بكر الباقلائي والطبري وغيرهم .

ب - أن القرآن الكريم وردت فيه فعلاً ألفاظ أعجمية ، لكن العرب أخذوا هذه وصاغوها على أوزانهم ودارت في أشداقهم ومرت عليها ألسنتهم فضاوت من لفتهم . وهذا هو رأي ابن عباس ومجاهد وعكرمة ، ونقله عنهم كثير من علماء الأصول واللغة كالإمام الغزالي في المنتصفي ١٠٥/١ ، والنسفي الرازي في تفسيره ٦٥٨/٦ ، وابن فارس في الصحاحي ٢٨ - ٣٠ ، والسيوطي في المزهري ١٢٩/١ ، وانظر تفصيل هذه الآراء في تفسير القرطبي ٥٩ - ٦٠ ومقدمة كتاب المغرب للجوالقي بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ١٠ - ١٤ .

وفي خبر المِسور هذا ، البيانُ البَيِّنُ عن أن النبي ﷺ كان يتفقد أصحابه بالطفافه وصلاته ، ويشاركهم فيما يسديه الله إليه من رزق ويقيشه عليه من فضله ، وأنهم كانوا يسألونه حاجتهم ، ويرغبون إليه في بذل الرِّقْد لهم ، وإفاضة الأموال عليهم ، لبسطه إياهم وخفض جناحه لهم ، ولظهور جوده وسعة خلقه عندهم ﷺ .

(الشعراء على باب عمر بن عبد العزيز)^(١)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا محمد بن المَرْزبان ، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن الجوهري ، قال : حدثنا عبد الله بن الضحاك ، قال : أخبرنا الميثم بن عدي ، عن عَوَاقَة بن الحكم ، قال : لما استُخِلَّتْ عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه فأقاموا ببابه أياماً لا يُؤذَنُ لهم ، الرحيل ، إذ مرَّ بهم رجاء بن حيوة^(٢) . وكان من خطباء أهل الشام فلما رآه جرير داخلاً على عمر أنشأ يقول :

يا أيُّها الرجلُ المرَّحِي عِمَامَتَهُ

هذا زمانُكَ فاستأذَنُ لنا عُمراً

قال : فدخِل ولم يذكُرْ من أمرهم شيئاً ، ثم مر بهم عديُّ بن أرطاة^(٣) ،

(١) انظر الطبر التالِي كما هنا في ثمرات الأوراق ٧١/١ - ٧٣ ، المَعْدُ الفريد ٩٢/٢ ، المستطرف ٦٢/١ ، ٦٣ ، المحاسن والمساوي ٤٢ ، وورد مختصراً في الأغاني ٤٦/٨ .

(٢) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي الفلسطيني ، كان ثقة فاضلاً كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم ، توفي سنة ١١٢ هـ ، انظر تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ١٨٦/٤ .

(٣) هو عدي بن أرطاة الفزاري ، أبو وائلة من أهل دمشق ، كان من الملاحه الشجعان ، ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ ، فاستمر بها إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب في واسط ، في فتنة أبيه يزيد بالعراق ، سنة ١٠٢ هـ ، انظر الكامل للبرد ١٤٩/٢ .

فقال له جرير (١) :

يا أيُّها الراكبُ المُرْجِي مَطِيَّتَهُ
هذا زمانكُ إنِّي قد مضى زَمَنِي
أُبْلِغُ خَلِيفَتَنَا إنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ
أُنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنِ
لَا تَنْسَ حَاجَتَنَا لُقَيْتَ مَغْفِرَةٍ
قد طال مُكَيِّبِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

قال : قد دخل عدِّي على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! الشعراء
ببائك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة ، قال : ويحك يا عدي ! مالي
والشعر ، قال : أعرَّ الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قد امتدح
فأعطى ، ولك في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة ، فقال : كيف ؟ قال :
امتدحه العباس بن مرداس السلمي (٢) فأعطاه حُلَّةً قطع بها لسانه ، قال :
أو تروى من قوله شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشد (٣) :

رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا نَشَرْتَ كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مَعْلَمًا
سَرَعْتَ لَنَا دِينَ الْهُدَى بَعْدَ جَوْرِنَا عَنْ الْحَقِّ لَمَّا أَصْبَحَ الْحَقُّ مُظْلَمًا
وَنُورَتْ بِالْبُرْهَانِ أُمْرًا مَدْتَسَا وَأُطْفِئَتْ بِالْبُرْهَانِ نَارًا تَضَرَّمَا
فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِّي النَّبِيِّ مُحَمَّدًا وَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمًا (٤)

(١) في الديوان ٤٨٦ ، والبيان والتبيين ٣٢٩/١ ، والأغاني بالرقم السابق : أن القول التالي
التالي وجهه جرير إلى عون بن عبد الله بن حبة بن مسعود الحلبي ، وكان قد وفد على عمر
حين تول الخلافة وكان من أخصائه .

(٢) شاعر خضرم من شعراء بني سلم وأشرافهم ، وأحد فرسان الجاهلية وشعرائها المذكورين ،
أسلم هو وقرنه عام الفتح وكان من المؤلفات تلويحهم ، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه ،
ترجمته في الإصابة ٢١٣/٢ ، معجم الشعراء ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، المؤلفات والمختلف
١٢٥ .

(٣) الأبيات التالية ما عدا التالي والخامس في ديوانه المجموع ١٤١ نقلا عن المقذ الفريد .

(٤) في المرجعين السابقين بما قد تكلمنا .

أُقِمَّتْ سَبِيلُ الْحَقِّ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ وَكَانَ قَدِيمًا رُكْنَهُ قَدْ تَهَدَّمَا
تَعَالَى عُلُوًّا فَوْقَ عَرْشِ إِلَهِنَا وَكَانَ مَكَانَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمَا

قال ويحك يا عدي ! من بالباب منهم ؟ قال : عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ^(١) ، قال : أليس هو الذي يقول :

ثُمَّ نَبَهَتْهَا فَهَبْتُ كِعَابًا طِفْلَةً مَا تَبِينُ رَجَعَ الْكَلَامُ
سَاعَةً ثُمَّ لَاتَهَا بَعْدُ قَالَتْ وَبُلْتَا قَدْ عَجَلْتَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
أَعْلَى غَيْرَ مَوْعِدٍ جِثَّتْ تَسْرِي تَتَخَطَّى إِلَيَّ رُوسَ النَّيَامِ
مَا تَجَشَّمَتْ مَا يَزِينُ مِنَ الْأُمْرِ وَلَا جِثَّتْ طَارِقًا لِحِصَامِ
فَلَوْ كَانَ عَدُوَّ اللَّهِ إِذْ فَجَّرَ كَتَمَ نَفْسَهُ ، لَا يَدْخُلُ عَلَيَّ وَاللَّهِ أَبَدًا ،
فَمَنْ بِالْبَابِ سِوَاهُ ؟ قال : هَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ ، يَعْنِي الْفَرَزْدَقُ ، قال :
أُولَئِكَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

هَمَّامٌ دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
كَأَنَّ الْقَصْفَ بَازٍ أَقْتَمَ الرِّيشَ كَاسِرُهُ
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ بِالْأَرْضِ قَالَتَا
أَحْيِي يَرْجِي أَمْ قَتِيلٌ تُحَاذِرُهُ ^(٢)
لَا يَطَأُ وَاللَّهِ بَسَاطِي ، فَمَنْ سِوَاهُ بِالْبَابِ مِنْهُمْ ؟ قال : الْأَخْطَلُ ^(٣) ،
قال : أَعْدِي ! هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوَّعًا وَلَسْتُ بِأَكْلٍ لَحْمِ الْأَصَاحِي
وَلَسْتُ بِزَاجِرٍ عَتَسًا بِكُورٍ ^(٤) إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ

(١) البيتان الأولان فقط ما يلي في الديوان ٣٩٤ .

(٢) البيتان في ديوانه ١١٢/١ .

(٣) انظر الأبيات التالية في ديوانه ٥٢ .

(٤) العتس : السخرة في الماء ، وتطلق على الناقة القوية تشبهها لها بها ، والكور : الرجل .

ولستُ بقائم كالعير يدْعُو قُبَيْلَ الصبحِ حَيَّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً وأسجدُ عند منبجِ الصباح
والله لا يدخل عليّ وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟
قال : نعم الأحوص ، قال : أليس هو الذي يقول :
اللهُ بيبي وبين سيّدِهِــا يَغِيْرُ مِنِّي بها وأَتْبِعُهُ ^(١)
غَرَبْتُ عنه ، فما هو بدون من ذكرت ، فعن ها هنا أيضاً ؟ قلت :
جميل بن معمر قال : يا عديّ هو الذي يقول :
أَلَا لَيْتَنَا نَحْبَا جَمِيعاً وَإِنْ تَمُتْ
يوافق في الموتى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
فما أنا في طولِ الحَيَاةِ براغِبٍ
إذا قِيلَ قد سُوِّيَ عليها صَفِيحُهَا
فلو كان عدو الله تمجى لقائها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً ، والله
لا يدخل عليّ أبداً ، هل سوى من ذكرت أحد ؟ قال : جريز بن عطية ،
قال : أما إنه الذي يقول :
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا
حينَ الزِيارَةِ فارْجِعِي بِسَلامٍ ^(٢)
فإن كان لا بد فهو ، قال فأذن لجرير ، فدخل وهو يقول ^(٣) :

(١) البيت في ديوانه المجموع ١٢٢ ، والرواية فيه : يفر عني بها وأتبع ، والرواية التي
هنا واردة في ثمرات الأوراق والمستطرف وخزانة الأدب ٢٢٢/١ .

(٢) البيت في ديوانه ٤٥٢ ، والرواية فيه : وقت يلد حين .

(٣) البيت الأول والثالث ضمن أبيات خمسة في ديوانه ٣٣١ ، ولم يرد فيه البيت الثاني ،
ووردت القطعة هنا كما في المستطرف .

إن الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة في الإمام العادل
وسع الخلافة عدله ووفائه حتى ارفعى وأقام ميل المائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال : ويحك يا جرير ، اتق الله ولا تقولن إلا
حقاً ، فأنشأ جرير يقول (١) :

أذكر الجُهْدَ والبَلْوَى التي نَزَلَتْ
أم قد كفَّاني ما بُلَّغْتَ من خَبَرِي
كم باليمامة من شَعَثَاءَ أرملة
ومن يتيمٍ ضعيفِ الصَّوْتِ والنظير
مِمَّنْ يعدُّكَ تكفي فقد والده
كالفرخ في العشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِير
بدعوك دَعْوَةَ ملهوفٍ كان به
خَبَلًا من الجين أو مَسًّا من النَّشْرِ (٢)
خليفة الله ماذا تأمرون بنا
لَسْنَا لِيَكْمَ ولا في دار منتظر
ما زلتُ بعدك في همٍّ يُورِّقُنِي
قد طال في الحَيِّ إصْعَادِي ومُنْحَدِرِي
لا ينفع الحاضِرُ المجهودُ بادِيَتَا
ولا يعودُ لنا بادٍ على حَصْرِ
إنا لَنرجو إذا ما الغيْتُ أَخْلَاصَا
من الخليفة ما نرجو من المطرِ

(١) وانظر هذه الأبيات ضمن أبيات أخرى في الأتاني ٤٧/٦ ولم يرد فيها البيت الأخير .
(٢) في الأصل : البشر ، وهو تصحيف وصحته ما أثبتنا ، والنشر جمع نشرة ، وهي رقية
يعالج بها المجنون والمرضى .

نال الخلافة إذ كانت له قَدَرًا
 كما أتى ربّه مُؤمى على قَدَرٍ
 هذي الأرامل قد قَضَيْت حاجَتَها
 فمنّ حاجةٍ هَذَا الأرمِل الذَّكَرِ
 الخَيْر ما دمتَ حيًّا لا يفارقُنَا
 بُورُكْتَ يا عمر الخَيْرَاتِ من عُمَرِ

فقال : يا جرير ! ما أرى لك ها هنا حقًّا ، ففكّ : بلى يا أمير المؤمنين ، أنا ابن سبيل ومنقطع بي ، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم ، وقد ذكر أنه قال له : ويحك يا جرير ! لقد ولينا هذا الأمر وما نملكُ إلاّ ثلثمائة درهم ، فماتة أخذها عبد الله ^(١) وماتة أخذها أم عبد الله ، يا غلام أعطه المائة الباقية ، قال : فأخذها وقال : والله لي أحب مما اكتسبته إليّ ، قال : ثم خرج فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ، ويمنع الشعراء ، ولني عنه لراض ، وأنشأ يقول :

رأيت رُقى الشيطان لا تستغفِرَه
 وقد كان شيطاني من الجحَن راقِيا

وقد كتبنا هذا الخبر من طُرُق أخرى ، والقصص فيها مختلفة في مواضع ، على تَقَارُب جملتها ^(٢) ولعلنا نأتي بها فيما يستقبل من مجالس كتابنا هذا إن شاء الله .

(١) كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أربعة عشر ولداً ذكراً، منهم عبد الله، وكان شجاعاً جواداً ، ولي العراقين يزيد بن الوليد ستة أشهر ، فلما مات يزيد أراد أهل العراق أن يبايعوا له بالخلافة، وهو الذي احضر نهر ابن عمر بالبصرة ، انظر المارث ٣٦٣ .

(٢) انظر تلك القصص الأخرى في الأغاني ٤٨/٦ ، ٤٩ .

(المولث المعنوي)

وفي هذا الخير موضع ذكر فيه المولث ، وهو قوله : وأطفأت
بالبرهان ناراً تضرماً ، ويريد تضرمت وفيه قبح في العربية ، والوجه الذي
يعتدل به فيه على ضعفه أنه مما تأنيثه لفظي غير معنوي حقيقي ، وقد أتى مثله
في الشعر فممنه قول الشاعر ^(١) :

فلا مُزْنَةَ وَدَقْتُ وَدَقَهَا ولا أَرْضَ أَبْقَلَ أَبْقَلَهَا ^(٢)

فذكر فعل الأرض وهي أنثى ، ولو قال : أبقلت أبقالها لأنث ولم
يذكر ، إلا أنه كان تاركاً للهمزة ، كما قال الأعشى :

عُدِّي لَغِيْبِي أَشْهُرَا إني لدى خَيْرِ الْمُقَاوِلِ ^(٣)

وقال الأعشى :

وإن تمهديني وليّ لُمّةٍ فإنّ الحَوَادِثَ أودى بها ^(٤)

(١) هو عامر بن جوين الطائي ، كما ورد ذلك في سيبويه ٢٤٠/١ ، والكمال للمبرد ٤٠٦/١ ،
وخزانة الأدب ٣/٣٣٠ .

(٢) للمزنة : السحابة ، وودقت : أمطرت ، وهو يصف أرضاً غصبة بكثرة ما نزل بها
من المطر ثم كثرة ما نبت بسببه من بقل ، والشاهد فيه : حذف التاء من أبقلت أبقالها
بتخفيف الهمزة ولا ضرورة في البيت على ذلك .

(٣) أي بتسهيل همزة أشهراً والبيت في ديوانه ١٥٥ ، والرواية فيه : ببنيي بدل بغبيي
وقطع همزة أشهراً ، وعمل هذه الرواية فلا شاهد في البيت .

(٤) في الأصل ، فإن تمهدي لأمرى لمة ، وهو غثل الوزن كما لا يخفى ، وقد أثبتنا الرواية
الواردة في ديوانه ٢٣٥ :

والبيت شاهد نحوي ، وهو في كتاب سيبويه ٢٣٩/١ برواية :

فلما ترى لى بدلت فلان الحوادث أودى بها

قال : والشاهد فيه حذف التاء من أودت ضرورة ، ودعاه إلى حذفها — كما ذكر المولث
هنا — أن القافية مرددة بالألف ، أما المسوغ للحذف فهو أن تأنيث الحوادث غير حقيقي
وهي في حق الحدثان .

قال بعضهم : أراد الحيدّان ، وقال بعضهم : ذكرّ إذ لم يكن التائيث فيه حقيقةً ، ولو قال : أودت بها لصح الإعراب واستقام الوزن ، إلا أنه يكون قد أتى بيت غير مردف في كلمة جميع أبيتها مردفة ، وهذا عيب عند أهل العلم بصناعة القوافي ، وقد تأول قوم من أهل العلم بالعربية قراءة من قرأ ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾^(١) بفتح الطاء على الجمع ، أنه بمنزلة قول أبي ذؤيب :

لو إنّ مِدْحَةَ حَيٍّ مُنْشِرٍ أَحَدًا
أَحْيَا أَبَاكَ لَنَا طُولُ التَّمَادِيحِ^(٢)

ومثله :

إذ هي أحوى من الرّبيعيّ، حاجبه^١ والعينُ بالإثمدِ الحارّي مكحول^(٣)

= هذا وقد ورد البيت في شرح الأشموني ٢١٦/٣ برواية : فلما ترنّبي ولي له ، وأورده شاعداً على ترك تأكيد الفعل بعد إما خلافاً للزجاجي .

(١) الآية ٢٧ من سورة يونس ، وعلى الشاهد في الآية أن بعض القراء يقول : إن مظلماً صفة لقوله قلعاً ، وقلعاً جمع قطعة نحو سدر وسدره فيجوز إذ ذلك أن يوصف بالذكر نحو نخل منقر ، وبالمؤنث نحو نخل غاوية ، وجمهور السبعة على أنه حال من الليل كما سيذكره المؤلف ، انظر البحر المحيط لأبي حيان ١٥٠/٥ .

(٢) البيت في ديوان المذللين ١١٣/١ ، والرواية فيه :

لو كان مدسة حي أنثرت أحداً أحيا أبوتك الشم الأماديع

والشاهد في البيت عدم إلحاق تاء التائيث في منشر (على رواية المؤلف) وأحيا ، وكان من سقها كلها أن تؤثت ، ويقول سيويه : إن ذلك في الشعر أكثر من أن يحصى ، انظر الكتاب ٢٣٩/١ .

(٣) البيت للطفيل الفنوي ، انظره في ديوانه ٥٥ ، وهو يصف امرأة بأنها كالطليبي الأحوى وهو الذي في ظهره وجنتي أنفه خطوط سود، والحوية : السواد ، وقوله : من الربيعي أنه من الصنف المولود في الربيع وهو أبكره وأفضله ، والحارّي المنسوب إلى الحيرة ، والشاهد في البيت تذكير (مكحول) مع أنه خبر عن العين وهي مؤنثة، قالوا : لأنها في معنى العطف ، ويجوز أن يكون غيراً عن الحاجب فيكون التقدير : حاجبه مكحول بالإثمد =

والصواب عندنا من القول في وجه قراءة من قرأ قطعاً بالتحريك أن نصبه مظلماً على الحال والمعنى من الليل في حال إظلامه أي شدة ظلمته ، والكوفيون من النحويين يقولون: هو منصوب على قطع النكرة من المعرفة^(١) ، والمعنى من الليل المظلم، وفيه موضعان شذ لفظهما عن الوجه الأصح الأعراف في مقاييس العربية في الإعراب والبناء ، أحدهما قول جميل :

وأن أمت يوافقُ في الموتى ...

برفع يوافق وكان سبيله يجزئه على ما تقتضيه العربية في باب الشرط والجزاء ، وقد أتى مثله مما ردُّ إلى أصله في الرفع ولم ينقل بالجزء إلى الجزم في أبيات من الشعر منها :

يا أقرعُ بن حابسٍ يا أقرعُ
إنك إن يصرعُ أخوك تُصرعُ^(٢)

وقد حمل قوم هذا على التقديم والتأخير ، كأنه قال : إنك تصرع إن يصرع أخوك، ومثل هذا في بيت جميل أن يجري على أن معناه: ويوافق في الموتى ضريحي ضريحها إن أمت ، وذهب آخرون في هذا إلى إرادة الفاء كأنه أراد فتصرع ويوافق .

والعين كذلك ، إلا أن سيبويه حمله على العين لقرب جوارها منه ، انظر الكتاب وشرح شواهده للأعلام الشننري ٢٤٠/١ .

(١) أي منصوب بتقدير : أخي .

(٢) البيتان من الرجز لعمرو بن الخثارم كما ورد في النقاظ ١/١٤١ ، وهما من أبيات هجو بها الأقرع بن حابس التميمي حينما نصر جرير بن عبد الله البجلي على خالد بن أرمأة الكلبي في قصة شهيرة ذكرها صاحب النقاظ، وفي الخزانة ٣/٣٩٦ أورد البيهقي ضمن أبيات وذكر أنها لعمرو بن الخثارم البجلي ، وقوله البجلي خطأ لا شك فيه إذ كيف هجو أحد البجليين الأقرع وهو الذي ناصرهم على غصومهم ، كما أن نسبته عند سيبويه ١/٤٣٦ إلى جرير بن عبد الله البجلي أشد خطأ لذات السبب .

وانظر البيهقي بالإضافة إلى ما سبق في المتن ، وكامل المبرد ١/٧٩ ، والرايان اللذان ذكرهما المؤلف في تحريجهما وأردان في تلك المراجع بإضافة .

(اقطع عني لسانه)

حدثنا يزداد بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال :
حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن
عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : أتى شاعر النبي
ﷺ فقال رسول الله ﷺ لبلال : « يا بلال اقطع عني لسانه » ، قال :
فأعطاه أربعين درهماً وحلته ، فذهب وهو يقول : قطعت والله لساني ^(١) .

(أعطيك بما مدحت الله)

حدثنا يزداد ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : وحدثني الحزامي ،
عن عبد الله بن وهب المصري ، قال حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن
أسلم ، قال : بلغنا أن أبا بكر الصديق رضوان الله عليه أتى يشاعر إلى
رسول الله ﷺ وهم في المسجد ، فقال : يُنشد يا رسول الله ؟ قال : لا
خير في الشعر ، فقال : بلى يا رسول الله ، فقال : فاخرجوا بنا إلى المقاعد ،
فأنشده مدحة لله ولرسوله ، فقال رسول الله ﷺ : أعطه يا بلال الناقة
السوداء ، ثم قال : أعطيكها لما مدحت الله فأمتاً مدحتي فلا أعطيك
شيئاً ^(٢) .

(إلى أي شيء أفضي بهم الزهد)

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : أخبرنا أبي ،
عن أبي أحمد بن أبي الجوار ، قال : سمعت مضاء العابد يقول لسباع
العابد : يا أبا محمد ! إلى أي شيء أفضي بهم الزهد ؟ قال : إلى الأنس به .

(١) لم أشر على هذا الحديث فيما بين يدي من مراجع .

(٢) وكذلك لم أشر على هذا أيضاً .

(من الشعر الحكيم)

أنشدنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أنشدنا أبو حاتم ، قال :
أنشدنا أبو عبيدة ، قال : كان الشعبي ينشد :

أرى أناساً بأدُنِّي الدِّينِ قد قَنَعُوا
ولَا أراهم رَضَوْا في العيش بالدُّونِ
فاستغنَى بالدِّينِ عن دُنْيَا الملوك كما
استغنى الملوكُ بدُنْيَاهُم عن الدِّينِ^(١)

* * *

(١) البيتان لعبد الله بن المبارك كما ورد ذلك في هجعة المجالس ٣١٣/٢ ، المستطرف ٩٠/١ ،
وقد ورد البيت الثاني في ديوان أبي التمايمية ٢٧٠ ، وقد وردا منسوبين له في عيون الأعبار
٢٧٣/٢ .

المجلس السابع

(الروح والفرج في الرضا واليقين)

حدثنا الحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري ، حدثنا علي بن محمد السدي ، قال : حدثنا أبي : محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، قال : حدثني عمرو بن قيس الملائي ، عن عطية عن سعد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من ضَعْفِ اليقين أن تُرَضِّيَ الناسَ بِسَخَطِ الله ، وأن تَحْمَدَهُم على رِزْقِ الله ، وأن تَدُمَّهُم على ما لم يُؤْتِكَ الله ، إن رزق الله لا يَجْرُهُ حرصٌ حريصٌ ولا يردُّه كُرهٌ كَارِهٌ ، إن الله بِحِكْمَتِهِ وَجَلالَتِهِ جَعَلَ الرُّوحَ والفرجَ في الرضا واليقين ، وجعل الغَمَّ والحَزْنَ في الشكِّ والسَّخَطِ » (١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي أبو الفرج : في هذا الخبر تنبيهٌ لذوي التمييز وحسن التفكير ، والتحذير من إرضاء المخلوق الموسوم بالنقص والفقر ، على الخالق

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ٥ / ١٠٦ / ١٠ / ١٤١ ونسبه السوطي في الجامع الصغير إلى البيهقي في شعب الإيمان .

المالك للنفع والضر ، فقد قال الله عز وجل : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

وقال تعالى جَدُّهُ : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) ، وهذا ظاهرٌ في عقول ذوي الفطن السليمة ، كثيري الكتاب والسنة ، يطول إحصاؤه ويتعب استقصاؤه ، وقد أكثر الشعراء والبُلغاء في ذكر هذا المعنى وأسهبوا ، وجمعه شاق جداً على متعاطيه ، والقَدَرُ الذي أتينا به كافٍ فيه . وقد حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن جعفر بن سهل الحِمْيَلِي ، قال : أخبرنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني رجل ، قال : أنشدني صديق لي (٣) :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِرٌ
وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنَفَعَةٌ
إِذَا كَانَتْ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى
عَلَيْكَ سِوَا فَاغْنَمِ لَذَّةَ الدَّعَاةِ
إِذَا ضَقَّتْ فَاصْبِرْ يُفْجِرِجَ اللَّهُ مَا تَرَى
أَلَا كُلُّ ضَيْقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَعَةٌ
وَلِي فِي هَذَا الْمَعْنَى آيَاتٌ قُلْتُمَا قَدِيمًا ، هِيَ (٤) :

مَالِكِ الْعَالَمِينَ ضَامِنٌ رِزْقِي
فَلَمَّاذَا أَمْلَكْتُ الْخَلْقَ رِزْقِي

(١) الآية ٢ من سورة فاطر .

(٢) الآية ٥١ من سورة التوبة .

(٣) الآيات التالية لملي بن الجهم وهي في ديوانه ١٣٢ ، حجة المجالس ١٤٨/١ ، ١٧٨ ،

معجم الأدياء ١٥٢/١٩ .

(٤) انظر الآيات التالية في ترجمة المؤلف في معجم الأدياء ١٥٣/١٩ .

قد قَصَصَ لي بما عليّ ومَسَالِي
خالقني - جلّ ذكره - قبل خلقي
صاحب البذل والندى في يساري
ورفيقي في عُسْرَتِي حُسْنُ رِفْئِي
وكما لا يردُّ رِزْقِي عَجْزِي
فكذا لا يَجُرُّ رِزْقِي حِلْزِي

(ما : حجازية وتميمية)

قوله في الأبيات التي قدمنا لإنشادها : ما كان التعطل ضائراً ، أنشدناه
نصباً على لغة أهل الحجاز ، وهم يشبهونها بليس ما كانت على أصل
ترتيبها ، وأكثر ما تأتي بإدخال الباء عليها ، كقولك : ما زيدٌ بقائم ،
وبهذه اللغة جاء القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ ما هذا بِشَرِّ آيَةٍ ﴾ ^(١) وجليّ
أنّ من لم يَنْتَظِرْ في المصحف من بني تميم يقرأونها بشرّ على لغتهم ، ذكر
هذا سيبويه وغيره ، ورؤى عن بعض القراء ﴿ ما هذا بِشَرِّ آيَةٍ ﴾ ^(٢)
أي ما هو بمشترّي ، قال الله عز وجلّ : ﴿ ما هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ ^(٣) فنصب
جمهور القراء على اللغة الحجازية إلا أنّ التاء كسرت إذ ليست أصليّة ^(٤) ،
وروى المفضل عن عاصم ﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ على اللغة التميمية ، ومنها
قول الشاعر :

(١) الآية ٢١ من سورة يوسف .

(٢) وهي قراءة الحسن وأبي الحويرث الحنفي ، قيل : فيحتمل أن يكون معناه يمشي أو
يمشي أي ليس هذا ما يشتري ويبيع ، ويجوز أن يكون ليس بشئ ، كأنه قال : هو أرفع
من أن يجري عليه شيء من هذه الأشياء ، فالشراء مصدر أقم مقام المفعول به ، وتابهما
عبد الوارث عن أبي عمرو على ذلك ، وزاد عليهما إلا ملك بكسر اللام واحد الملوك ،
فهم نفوا عنه بذلك ذلك الماليك وجعلوه في سيز الملوك . انظر البحر المحيط ٢٠٤/هـ .

(٣) الآية ٢ من سورة المجادلة .

(٤) إذ أنّها مزيدة بلع التأنيت ، وعليه فهي منصوبة بالكسرة نيابة عن الفتحة كما لا يخفى .

وَبَزَعُمُ حَسِلٌ أَنَّهُ فَرَعُ قومه
وما أنتَ فَرَعُ يا حَسِيلُ ولا أَصْلُ^(١)

وَأَنشد القراء^(٢) :

لَشَقَاتَ ما يَتَوَي وَيُنوي بنو أبي
جميعاً فما هذان مُسْتَوِيَانِ
تَمَنَّوْا لِي المَوْتَ الذي يَشْعَبُ الفَتَى
وكلُّ امرئٍ والموتُ يَلْتَقِيَانِ

وقال ذو الرمة^(٣) :

أما نَحْنُ رَوُّو دَارِهَا بعدَ هَذِهِ
بَدَا الدَّهْرُ إِلَّا أَن نَمُرَّ بِهَا سَفَرًا

(ابن أبي عيينة يعزل والي البصرة)^(٤)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
أبو عكرمة عامر بن عمران بن زياد ، قال : كان إسماعيل بن جعفر بن

(١) البيت في الإنصاف ٦٩٤ ، والشاهد فيه ورود (ما) مهمة على لغة بني تميم .
(٢) البيتان للفرزدق ، انظر إصرا ب ثلاثين سورة ٥٢ ، ولم يردا في ديوانه ، والبيت الثاني دون
نسبة في شرح الأشموني ٢١٧/١ .

(٣) لم يرد هذا البيت في ديوان ذي الرمة ، وثمة بيت آخر شبه بهذا في عجزه ، هو :

قموس ينجس الركب تيهاء ما يسرى بها الناس إلا أن يمروا بها سفرا

انظر ديوانه ٢٤٢ .

(٤) الخبر التالي في الأغانى ٩٦/٢٥ - ٩٩ ، تاريخ الطبرى ٤٣٤/٨ ، الكامل لابن الأثير
٢٦٣/٦ ، وانظر الشعر والشعراء ٨٧٦/٢ ، التنزيل والمحاورة ٨١ ، الوساطة ٢٩٦ .

سليمان والي البصرة ^(١) ، فأساء مجاورة محمد بن أبي عبيدة ^(٢) فتباعد ما بينهما وقبح ، وكان إسماعيل ينتقصه ، فخرج محمد بن أبي عبيدة إلى طاهر ابن الحسين ^(٣) يشكو إسماعيل بن جعفر ويطلب عزله عن البصرة ، فصحب طاهر بن الحسين في بعض أسفاره فأدخل عليه ورفع حوائجه إليه ، وقال :

من أوحشته البلادُ لم يَسْمُ فيها ، ومن آتسته لم يَرمِ
ومن يَبِيتْ والهمومُ قَدَاحَةً في صدره بالسَّهادِ ^(٤) لم يَسْمِ
ومن يرى النقصَ في موطنه يَزَلْ عن النقصِ مَوَطنِيءَ القَدَمِ
والقربُ ممن يئأى بِمَاجَتِهِ ^(٥) صَدْعٌ على الشعبِ غيرُ مُلتَمِ

(١) ابن علي بن عبد الله بن عباس ، ذكره ابن حزم في الجمهرة ٣٤ وقال عنه : من بني جعفر بن سليمان الذين شرفوا وولوا الأمصار ، وهو الذي امتنع من لباس الخفصة أيام المأمون ، وفي الأغاني ورد اسمه : إسماعيل بن سليمان وحذف اسم أبيه ، وورد الاسم كما هنا في الطبري وكامل ابن الأثير .

(٢) الصحيح أنه ابنه أبو عبيدة بن محمد بن أبي عبيدة كما في المراجع التاريخية السالفة ، لا أبوه محمد بن أبي عبيدة كما ذكر المؤلف هنا ، ذلك لأن أباه كان يقول اري لأبي جعفر المنصور كما ذكر في الأغاني ٧٩/١٠ ويبعد أن يكون قد أدرك طاهر بن الحسين في عصر المأمون ، وفي الشعر والشعراء والتبثيل والمحاضرة والوساطة أن الأبيات لمجد الله بن محمد ابن أبي عبيدة أخي ابن عبيدة هذا ، وكان هو الآخر شاعراً إلا أنه لم يكن في شهرة أخيه ، وليس في المراجع ما يرجح أحد الاحتمالين .

(٣) الخراسي ، من كبار الوزراء والقواد أدياً وحكمة وشجاعة ، ولد في (بوشنج) من أعمال خراسان ، وسكن بغداد ، وكانت لأبيه صلة بالرشيد ، واتصل هو بالمأمون في صباه ، وهو الذي وطئه له الملك ، وظفر بالأمين وقتله ، ولام المأمون شرطة بغداد ثم ولام خراسان ، ولكن كانت في صدره إحنة منه لقتله أخاه دون مؤامراته وعزم على عزله ، فلم يذك طاهر ففعل الخطية للمأمون ، ولكنه قتل يده غلماناً في الليلة نفسها عام ٢٠٧ هـ ، انظر الطبري ٢٦٥/١٠ ، تاريخ بغداد ٣٥٣/٩ ، الكامل لابن الأثير ١٢٩/٦ ، البداية والنهاية ٢٦٠/١٠ .

(٤) رواية الأغاني : بالزناد ، وهي أنسب ما هنا .

(٥) رواية الأغاني : بجانبه .

وربَّ أمرٍ يعيا الليبُ به
صَبَرٌ عليه كَظَمٌ على مضضٍ
يا ذا اليمينين^(١) لم أَرْزُكْ وَلَمْ
لِنِي من الله في مَرَّاحٍ غِنَى
زَارَتْكَ مِنِّي هِمَّةٌ مُنَازَعَةٌ
ولاني للكبير^(٢) مُحْتَمِلٌ
وقد تعلقْتُ منك بالذَّمِّ الـ
فإنْ أُنلَ هِمَّتِي فَأُنْتَ لها
ولإنْ يَعُقْ عَائِقٌ فَلَسْتُ على
في قدر الله مَا أَحْمَلُهُ
لم تَضَيِّقِ السَّبِيلَ^(٣) واللفجاج على
ماضٍ كَحَدِّ السِّنَانِ في طرف الـ
إذا ابتلاه الزمان كَشَفَقَهُ
ما ساء ظَنِّي إِلَّا لواحدة
لِيَهْنِ قَوْمٌ جَزَتْ المَدَى بهم
ما تَنَبَّتُ الأرضُ كُلَّ زَهْرَتِهَا

يَحَارُّ منه^(١) في حيرة الظُّلُمِ
وَتَرَمَكُهُ من مراتع^(٢) النَّدَمِ
آتَكَ من خَلَّةٍ ولا عَدَمِ
وَمَغْتَدَى واسعٌ وفي نِعَمِ
إلى العُلا من مراتب^(٣) الهِمَمِ
في القدر من منصبٍ ومن شِعْمِ
كَبُرَى إِلَيَّ لا تَحْيِبُ في الذَّمِّ
في الحَقِّ حَقَّ الإِخاءِ والرَّحِمِ
جميلٍ رأيٍ عندي بِمُتَّهَمِ
تعويقٍ أَمْرِي واللوح والقَلَمِ
حُرٌّ كَرِيمٌ بالصَّبْرِ مُعْتَصِمِ
مَامِلٌ أَوْ حَادٌ مُصَلَّتِ خَدَمِ^(٤)
عن ثَوْبِ حُرِّيَّةٍ وعن كَرَمِ
في الصَّدْرِ مَحْصُورَةٍ عن الكَلَمِ
ولم تُقْصِرْ بهم ولم تُلْسَمِ
ولا تَعَمُّ السَّمَاءَ بالدَّيَمِ

(١) في الأغاني : يظل منه .

(٢) في الأغاني : مواقع .

(٣) ذو اليمينين : لقب طاهر بن الحسين ، قيل : لقب بذلك لأنه شرب رجلاً يشابهه فقد نصفين ، وقيل ، لقبه المأمون بذلك لأنه ولي العراق وخراسان .

(٤) في الأغاني : من كرائم .

(٥) رواية الأغاني : للجميل .

(٦) في الأغاني : الصبر .

(٧) الخدم : القاطع .

وليست كل الدلاء راجعة^(١)
 ترجع بالحماة القليلة أحياناً
 ما يبي نقص^(٢) عن كل منزلة^(٣)
 فأجابه طاهر بن الحسين :

من تستضفه الهموم لم ينم
 ولا يزل قلبه يكابد ما
 فدح أبا جعفر^(٤) يعتب ما
 وقد سمعت الذي هتفت به
 وقد علمنا أن ليس تصحبنا
 إلا لحق وحرمة وعلى
 أنت امرؤ ما تُزال^(٥) عن كرم
 وأنت من أسرة ججاجحة
 فما تَرَمُ من جسيم منزلة
 إن كنت مستسقياً سماحتنا
 أو تَرَمُ في بحرنا بدلولك لا
 إننا أناس لنا صنائعنا
 مغتنمو كسب كل محمدا
 فاحتكم عليه عزل إسماعيل بن جعفر عن البصرة ، فعزله عنها ، وأم

(١) الودم : السيور بين آذان الدلو إلى العراق ، والعراقى : جمع عرقوة كترقوة ، وهي من الدلو غشيتان تفرضان عليها كالصليب .
 (٢) الحماة : الطين الأسود ، والصباية : بقية الماء ، والأمم : اليسير .
 (٣) كنية أبي عينية كما ذكر أبو الفرج في الأغاني هي أبو المنهال ، قال : ويقال إن اسمه هو هذا ولم يرد هذا البيت في المراجع .
 (٤) في الأغاني : ما تزول .
 (٥) الجحجاج : السيد السبع الكرم ، والفعال بفتح الفاء : العمل الحيد والكرم .

لابن أبي عيينة بمائة ألف درهم عوناً له على سفره ، وقال ابن أبي عيينة في عزل إسماعيل :

لا تعدم العزل يا أبا حسن ولا هزالاً في دولة السمن
ولا انتقالاً من دار عافية إلا إلى ديار البلاء والفن^(١)
أنا الذي إذا كفرت نعمته أذبتُ ما في جنبك من عسك^(٢)

(تعليق لغوي)

حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثني أبي ، قال : أخبرني الطوسي ، عن أبي عبيد ، قال : السيزر التي بين آذان الدلو والعراقي هي الوزم ، يقال فيها : أوزمت الدلو إذا شددتها ، والحشيتان اللتان تعترضان على الدلو كالصليب هما العرقوتان يقال : عرقبت الدلو عرقاة إذا شددتهما عليه .

(نجاة الفتح بن خاقان)

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : أخبرنا محمد بن القاسم ، قال : دخل المعتصم يوماً إلى خاقان غرطوج يعُوده ، فرأى ابنه الفتح^(٣) وهو صبي لم يَشْغَر^(٤) ، فمازحه فقال : أيهما أحسن داري أو داركم ؟ فقال له الفتح : يا سيدي دارنا إذا كنت فيها أحسن ، فقال

(١) الرواية في الأغاني : والمحن .

(٢) الممكن : جمع عكنة ، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً .

(٣) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أبو محمد ، أديب شاعر نصيح ، كان في نهاية الفطنة والذكاء ، وهو فارسي الأصل من أبناء الملوك ، اتقنه للترك كل أعاً له واستوزره ، وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه ، قتل مع المتوكل عام ٣٤٧ هـ ، وهو غير الفتح بن خاقان صاحب كتاب الثلاث ، انظر فهرست ابن النديم ١١٦/١ ، فوات الوفيات ١٢٣/٢ ، معجم الأدباء ١١٦/٦ ، معجم الشعراء للمرزباني ٣١٨ .

(٤) يشغر : تنبت أسنانه .

المتعصم : لا أبرحُ والله أو يُنْشَرَّ عليه مائة ألف درهم ، فَفُعِلَ ذلك ^(١) .

(رضا المتجني)

سمعت عبد الرحمن بن عثمان الشهورى ، يقول : سمعت ابن أبيكبن صاحب الشرطة ببغداد ، يقول : سمعت ابن المثنى يقول : سمعت بشر بن الحارث ^(٢) يقول : سمعت المُعافى بن عمران ^(٣) يقول : سمعت سفيان الثوري ^(٤) يقول : رضا المتجني غاية لا تُدرك ^(٥) .

حدثنا أحمد بن كامل قال : سمعت ناشب المتوكلية تغني لإبراهيم ابن المهدي :

أنت امرؤ متجنٌ * وليس بالقَصْبَانِ
هَبَّيْهِ أَسأتُ فَلَأ * مَتَنَّتْ بِالْغُفْرَانِ ^(٦)

ونحو هذا ما أنشدناه عن إسحاق الموصلي :

(١) انظر أخبار الأذكياء ٤٦ .

(٢) بشر بن الحارث المروزي ، أبو نصر ، المعروف بالحافي ، من كبار الصالحين له في الزهد والورع أخبار ، وهو من رجال الحديث الثقات ، سكن بغداد وتوفي بها ، قال عنه المأمون : لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيا منه غير هذا الشيخ ، يعني بشر . انظر تاريخ بغداد ٦٧/٧ - ٨٠ ، حلية الأولياء ٣٣٦/٨ .

(٣) المُعافى بن عمران بن نعيم الأزدي الهلبي ، أبو مسعود ، كان من رحل في طلب العلم إلى الأفاق وجالس العلماء ولزم الثوري بخاصة ، وكان زاهداً شريفاً مع صدق لجة وعظم قدر ، توفي سنة ٢٠٤ هـ ، ترجمته في تهذيب التهذيب وصفوة الصفوة ١٥١/٤ .

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث ، كتب فيه عن ألف ومائة شيخ ، وكان حافظاً فقيهاً محدثاً زاهداً ، توفي سنة ١٦١ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٩٠/١ ، وصفة الصفوة ٧٢/٣ ، وتهذيب التهذيب .

(٥) الثبر في تاريخ بغداد ٦٩/٧ .
(٦) البيتان ضمن أربعة أبيات في الأغاني ٢٤٨/٢٠ ، وهي لحمد بن أبي عمه اليزيدي ، والرواية فيها لهذا البيت : حسبني أسأت فهلا ... الخ .

فَهَبْنِي أَغْفِلَ الْجَمِيلَ مِنَ الْأَمْرِ
وَسَاعِدْتُ أَهْلَ الْعَدْرِ فَيْكَ عَلَى الْعَدْرِ
وَلَمْ يَكْ لِي عُدْرٌ فَتَعْدِرْنِي بِهِ
أَمَا لِي نَصِيبٌ فِي التَّجَاوُزِ وَالْفُغْرِ ؟

ونحوه بعض المحدثين يقول :

هَبْنِي يَا مَعْدِنِّي أَسَاتُ وَبِالْمِجْرَانِ قَبْلَكُمْ بَدَأْتُ
فَأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكَ فِدَتِكَ نَفْسِي عَلَيَّ إِذَا أَسَاتِ كَمَا أَسَاتُ^(١)

(شعر الشاعر بمنزلة ولده)

حدثنا أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي جحظة ، قال : حدثني خالد
الكاتب^(٢) ، قال : قال لي عليُّ بن الجهم : هَبْ لِي يَتَكَ :
لَيْتَ مَا أَصْبَحَ مِنْ رِقَّةٍ خَدَّيْكَ بِقَلْبِكَ
قال : فقلت له : هل رأيت أحداً يهبُ ولده^(٣) ؟

(عَلُوْهُمَةِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو مالك حريز بن
أحمد بن أبي دُوَادَ ، قال : قال الواصل يوماً لأبي تَضَجْرُأَ بَكْرَةَ حَوَائِجِهِ :

(١) البيهقي في تاريخ بغداد ٣٢٣/٢ ، مرويان عن أبي بكر الشيلي .
(٢) هو خالد بن يزيد ، أبو الهيثم ، من أهل بغداد ، وكان أحد كتاب الجيش ، ووسوس في
آخر عمره ، قيل : إن السوداء غلبت عليه ، وقيل : كان يهوى جارية لبعض الوجوه
فلم يقدر عليها ، وولاه محمد بن عبد الملك الإصطاء في الثغور ، وكان شاعراً رقيقاً ،
ترجمته وأخباره في الأغاني ٢٧٤/٢٠ - ٢٨٦ .
(٣) الخبر في الأغاني ٢٧٩/٢٠ ، وانظره في مصارع المشاق ٢٩٥ ، وتاريخ بغداد ٣١١/٨
نقلاً عما هنا .

يا أحمد ^(١) ! قد اختلّت بيوتُ الأموال بطلباتك للأتّدين بك والمتوسلين إليك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! نتائجُ شكرها متصلةٌ بك ، وذخائرُ أجرها مكتوبةٌ لك ، ومالي من ذلك إلاّ "عشقُ اتصال الألسن يُحَلِّو المَدَحَ فيك ، فقال : يا أبا عبد الله ! والله لا منعناك ما يزيد في عشقك ، ويُسَوِّي من همتك فينا ولنا ^(٢) .

(الخليفة المنصور يخلعُ ثيابه على شاعر)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا الحسن بن خضر ، عن أبيه ، قال : دخل رجل على المنصور فقال :
أقولُ له حينَ واجهتهُ : عليك السلام أبا جَعْفَرِ
قال المنصور : وعليك السلام . فقال :
فأنتَ المهذبُ من هاشمٍ وفي الفرع منها الذي يُدْكَرُ
فقال المنصور : ذاك رسولُ الله ﷺ ، فقال :
فهلْدي ثيابي وقد أُخِلِّقْتُ وقد عَصَيْتُ زَمَنٌ مُنْكَرُ
فألقى إليه المنصور ثيابه ، وقال : هذه بدلها ^(٣) .

-
- (١) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الإيادي ، أبو عبد الله ، أحد القضاة المشهورين من المتزلة ورأس الفتنة بخِلْق القرآن ، قال أبو العيّن : ما رأيت رثيباً قط أفصح ولا أنطق منه ، وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء وكان لا يبدؤهم أحد حتى يبدؤوه ، وكان عارفاً بالأخبار والأنساب محباً للخير ، شديد النعاه ، اتصل بالأمّون وأوصى به أخاه المصمم فجعله قاضي قضائه ، ثم اعتمد الواقع على رأيه ، توفي مفلوجاً سنة ٢٤٠ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٤١/٤ - ١٥١ ، البداية والنهاية ٣١٩/١٠ ، والخبر الذي هنا وورد فيها .
(٢) في تاريخ بغداد : فتناولنا بما أحببت بدلا من فينا ولنا ، وللهذا أصبح بما هنا .
(٣) يروى أن تلك القصة حدثت بين الحزبين الكتاني وعبد الله بن جعفر ، قالوا : وكان الحزبان قد قمر ثيابه في غداة باردة بالعتيق وأصبح عرياناً قمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خبز ، فاستمار الحزبان من رجل ثوباً ثم قام إليه ودارت بينهما هذه المحاوراة ، انظر الأغاني ٢١٧/١٢ ، وقد رويت القصة كما هنا في تاريخ بغداد ٥٧/١٠ .

المجلس الثامن

(حديث خرافة)

حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ، قال : حدثنا أبو الأزهر ، قال : حدثنا أبو النضر ، قال : حدثنا أبو عقيل ، قال : حدثنا مجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن مسروق ، أن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذات ليلة نساءه حديثاً ، فقالت إحداهن : يا رسول الله ! هذا حديثُ خرافة ، قال : أتلتينَ ما خُرافة ؟ إن خرافة كان رجلاً من عُدرة ، أسرته الجِنَّ فمكثَ فيهم دهرًا ثم رَدَّوه إلى الإنس ، فكان يحدثُ الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس : حديثُ خُرافة. ^(١) » .

(رواية أخرى للحديث)

حدثنا عبد الغافر بن سلامة بن أحمد بن أزهر الحضرمي الحمصي ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عرعرة ، قال : حدثنا عاصم بن علي ،

^(١) الحديث في مسند الإمام أحمد ١٨٧/٦ ، ١٨٨ ، وانظر جميع الأمثال ١/١٩٥ ، وفيه عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال : « خرافة حق » يعني ما تحدث به عن الجن حق .

وحدثنا محمد بن عمر بن حفص الدَّرَستَدي ، قال : حدثنا عثمان بن معاوية البصري ، عن عبد الله بن عثمان صاحب شعبة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : « اجتمع إلى النبي ﷺ نساؤه يوماً فجعل يقول الكلمة كما يقول الرجل عند أهله ، قال : فقالت إحداهن : كأن هذا حديثُ خُرَافة ، فقال : تدرين ما حديثُ خُرَافة ؟ وذكر الحديث (١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : عوامُ الناس يَرَوْنَ أن قول القائل : هذه خُرَافة ، إنما معناه أنها حديث لا حقيقة له ، وأنه مما يجري في السمر للتأنيس به ، وينتظم من الأعاجيب وطرف الأخبار ما يرتاح إليه ويستمتع أهل الأندية بالإفاضة فيه ، ويقطعون أوقات ندامهم بتداوله ، وأنه أو معظمه لا أصل له ، ورسولُ الله ﷺ أصدق في كل ما ينذر عنه وأعلم بحقيقة الأمر فيه ، وأولى من رجع إلى قوله وأخذ به ، والغبي ما خالفه ، فأما ما وصفنا من مذهب العامة فيه ، فإن الحديث مضاف إلى الجنس الذي هو جزء منه ، وبعض من جملة ومميز له من كل حديث ليس بحديث خُرَافة ، كقولهم : هذا ثوب خَرٌّ وخاتَم فضة وباب حديد ، واشتقاقه على هذا القول من قولهم : اخترَف فلان من بستانه هذه الثمرة (٢) ، وقولهم : هذه خُرَافة فلان ، يشار به إلى شيء من الفاكهة ، ومنه سُمي الربيع الأول من السنة خَرِيفاً لأن جُلَّ الفواكه تُخْتَرَف فيه ، وجاء في الخبر : « أن عاكِدَ المريض في مَخْرَقة الجنة » (٣) إشارة إلى ما يُرجى له من النعيم وثواب

(١) لم أعرُ عل الحديث في ما بين يدي من مراجع ، والذي في شمار القلوب للصابي ١٣٠ : أن رجلاً تحدث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث ، فقالت امرأة من نساؤه : هذا حديث خُرَافة ، فقال عليه السلام : « لا ، وخرافة حق » .

(٢) اخترَف : أي جنبها في الخريف .

(٣) المخرقة : البستان ، والسكة بين صفين من نخيل ، انظر النهاية لابن الأثير ٨٥/٤ ، وتاريخ بغداد ٣٨٦/٧ .

الملك الكريم. فقال أصحاب هذا المذهب: إن المجتمعين على هذه الأحاديث المعجبية المُلدَّة المطرقة بمنزلة المجتمعين على ما يُخترَف من الفاكهة التي يتناولون من قِبلها المتعة السارة لهم الفائضة عليهم ، ويتوهم هؤلاء أن تختلق الباطل ومفتعل الكذب بمنزلة من أتى شيئاً أو اخترفه في أنه قد ظفر بما يلهيه ويمتعه، وإن كان على ما وصفا في أصله، ويقولون لما لا يحققون صحته من الأخبار: هذه خرافة، وهذا حديث خرافة ، وقال بعض مجان الشعراء عجز بيت له حكايته :

حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرُو ^(١)

وقال آخر منهم في آخر بيت قاله :

قَالَتْ وَدَعْنِي مِنْ أَحَادِيثِ خُرَافَةٍ

وقال أبو العتاهية ^(٢) :

إِذَا أَخْلُوْنَا فَانْتَ حَدِيدِيْهِ وَذَلِكَ كَالْحَدِيثِ مِنَ الْخُرَافَةِ

وأرى أن قولهم للإنسان إذا أفند ^(٣) وتغير وأهتر وهجر : قد خترَفَ ، من هذا الباب وأنه قيل له ذلك: إما لأنه يتعلق بما تُخَيَّلُ له وسأوسه فيظهر من لفظه ما ينبئ عن اختلاله ويعجب سامعوه منه بضحك من خروجه عن الاعتدال والصحة ، ويأتي بالفاظ خارجة عن سَنَنِ الحكمة ،

(١) صدر البيت :

حياة ثم موت ثم نشر

وقال ابن الزبيري ، وغريبه - والبياذ باه - مثلاً للكفر بالبحث ، انظر ثمار القلوب

١٣٠ .

(٢) لم أعثر عليه في ديوان أبي العتاهية .

(٣) أفند : ضعف وأليه من الكبر ، وأهتره الكبر : أفقده عقله وصيره غرقاً ، وهجر : هلك من المرض ونحوه .

ولما لأن سامعيه يَطْرِبُونَ تَعَجُّبًا بما يُبديهِ ويستخرجون منه ما ينشطون
ويرتاحون عنده ، فكأنهم يبحثون ثمرة أو يخترعون فاكهة ، ومن ها هنا
قيل : فكهت من كذا أي عجبت ، كما قال الشاعر :

واقْدَ فَكَيْهَتْ مِنَ الَّذِينَ تَقَاتَلُوا يومَ الخميسِ بلا سلاحٍ ظاهرٍ
ومن هذا الأصل قيل للمزاح : فكاكة ، لما فيه من مسرةٍ أهله
والاستمتاع به ، قال الشاعر :

حَزَقٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ أَبْدَوْا فُكَاكَةً
تَفَكَّرَ آيَاتِهِ يَغْنُونِ أَمْ قِرْدًا (١)

وقال بعض أهل العلم : الغيبة فاكهة القراء (٢) .

وقال الفضيل بن عياض (٣) أنه قال : لكل شيء ديباج (٤) ، وديباج
القراء ترك الغيبة .

ومن كلام العرب السائر : لا تمازح صبيًّا ولا تفاكهن أمة (٥) ،
يريد : ولا تمازحن ، وخالف بين اللفظين مع اتفاق المعنى لأنه أحسن ،
كما قال الشاعر :

(١) الحزق : الخزقة : السبي الخلق والبغيل ، والبيت أنشده ابن الأعرابي لرجل من بني
كلاب ، وقيله بيت هو :

وليس بمحوّاز لأحلاس رحله وهزوده كيبًا من الرأي أو زهدا
انظر اللسان ٣٣١/١١ .

(٢) القراء : النساك المتعبون .

(٣) هو أبو علي الفضيل بن عياض التميمي الزاهد ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ،
ثم انتقل إلى مكة وهاجرت عام ١٨٧ ، وكان في أول أمره شاعرًا ، ثم سلك طريق الزهد
والعبادة ، ترجمته في تهذيب التهذيب ، وصفة الصقوة ١٣٤/٢ .

(٤) الديباج هنا : حسن البشارة .

(٥) صفة هذا المثل : لا تفاكه أمة ولا تبال على أكلة ، اللسان « فكه » .

وَقَدَّمَتْ الْأَدَمَ لِإِرَاهِشِيَهْ وَأَنْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينَا^(١)
والمين : الكذب ، وقال آخر^(٢) :

أَلَا حَبْدًا هِنْدَ وَأَرْضُهَا هِنْدُ
وهنْدُ التي من دُونِهَا النَّبِيُّ والبُعْدُ

ومن الحريف والاختراف على ما قدمنا ذكره : لفلان موضع كذا
خرقة ، أي مقام في الحريف ، ويقال : زمان صائف وشت ورايع
وقائظ ، من الصيف والشتاء والربيع والقيظ ، ولم يقولوا مثل هذا في
الحريف ، ويقال في النسب : خرفي وربيعي ، كما قال :

إِنْ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَبِيَّةٌ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ^(٣)
ومنه الربيع في الماشية ، قال الشاعر^(٤) :

(١) البيت لمعي بن زيد العبادي ، وهو في ديوانه ٣٣ ، يقول في قصة الزباء وجذبة الأبرش
حين قتله بقطع رواجه .

(٢) هو البحرني ، والبيت في ديوانه ١٤٠ .

(٣) البيت في نوادر أبي زيد ٨٧ ، وقال في شرحه : أصناف الرجل إذا ترك النساء شاباً لم
يتزوج ثم تزوج بعد ما أسن فيقال لولده صبيون ، والربيعون الذين يولدون وآباءهم
شباب فهم رجال ، والبيت لأكرم بن صبيح وينسب لسعد بن مالك بن ضبيعة ، انظر
نوادر أبي مسجل ٢٩٩/١ ، والحيدان ١٠٩/١ ، والخزاعة ٢٦٠/٢ ، وحيون الأخبار
١٠٣/٣ ، ومجمع الأمثال ١٤/١ ، وإصلاح المنطق ٤٧٠ ، وفصل المقال ١٨٦ ،
والمفصليات ٢٥٢ .

(٤) قال في الخزاعة ٢٧٩/٣ ، أن يزيد بن معاوية قال الأبيات ، متغزلاً بها في نصرانية كانت
قد تهرجت في دير خراب عند الماطرون ، وهو بستان بظاهر دمشق يسمى اليوم الميطور ،
وأولها :

أَبْ هَذَا اللَّيْلِ فَاسْتَمَا وَأَمَرُ النَّوْمِ فَاسْتَمَا
رَاحِيَا لَنَجْمِ أَرْقِيهِ فَإِذَا مَا كَوَكَبِ طَلَمَسَا =

وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ التَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خِرْفَةً حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتَ مِنْ جِلْتِ بَيْعًا^(١)
فِي قَبَابٍ وَسَطَ دَسْكَرَةٍ^(٢) حَوْلَهَا الرِّيشُونَ قَدْ يَسْعَا

ويروى : خِرْفَةٌ عَلَى مَا فَسَرْنَا ، وَيُروى : خِلْفَةٌ مِنَ الْاِخْتِلَافِ إِلَى الْمَكَانِ ، وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْدَسْكِرَ ﴾ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا^(٣) ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي التَّأْوِيلِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : بِمَعْنَاهُ أَنْ مَا فَاتَ فِي أَحَدِهِمَا قَضَى فِي الْآخَرِ ، كَالصَّلَاةِ تَفُوتُ لَيْلًا فَتَقْضَى نَهَارًا وَتَفُوتُ نَهَارًا فَتَقْضَى لَيْلًا ، وَقَالَ آخَرُونَ : الْمَعْنَى أَنَّهُ جَعَلَهُمَا مُخْتَلِفَيْنِ فِي أَلْوَانِهِمَا هَذَا أَسْوَدَ وَهَذَا أَيْضُ^(٤) ، وَقَالَ آخَرُونَ : إِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ صَاحِبَهُ ، إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا^(٥) ، وَقِيلَ : لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يُجْعَلْ كَذَلِكَ لَاطْلَسَ عَلَى النَّاسِ أَمْرُ دِينِهِمْ فِي أَوْقَاتِ صَوْمِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ ، وَقِيلَ : إِنْ الْخِلْفَةُ مُصْدَرٌ وَلِلذَلِكَ وَحْدَةٌ ، وَهِيَ خَبْرٌ عَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَقَوْلُ زُهَيْرٍ^(٦) :

= حال حتى أنني لا أرى أنه بالقور قد رجعا
وقال في تفسير القرطبي ٤٧٨٢ : أنه قالها في امرأة تنقل من منزل في الشتاء إلى منزل في الصيف دأبا .

ونسبت الأبيات الثلاثة الواردة في النص للأخوص في ألف باء اللبوي .

- (١) جلق : اسم مدينة دمشق .
- (٢) الدسكرة : البناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي يكون الملك .
- (٣) سورة الفرقان الآية ٦٢ .
- (٤) وهو قول مجاهد .
- (٥) وهو قول أبي عبيدة ، ويؤكدته معنى بيت زهير التالي .
- (٦) البيت في ديوانه ٣ ، واليمين بالكسر جمع أعين وعيناء ، ونمي بقر الوحش ، سميت بذلك لسمه أحميها ، والأطلام : جمع طلا ، وهو ولد البقرة وولد الظبية الصغير ، والمجم : الموضع الذي يجم فيه ، وهو يقول : إن هذا المكان أقفر من ساكنيه وحل محلهم بقر الوحش ، وانظر التفسيرات التي ذكرها المؤلف في اللسان ٤٣٤/١ ، ٤٤٥ .

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشَيْنَ خَلْفَهُ
وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مِجْتَمَعٍ

يعني تذهب منها طائفة وتحدث مكانها أخرى ، وجائز أن يكون أراد الألوان والهيئات ، وجائز أن يكون أراد أنها تذهب كلها ونجىء كذا .

وروى عن النبي ﷺ أنه كان من أفككه الناس ^(١) ، بمعنى أنه كان يمزح ، وقد روى عنه عليه السلام ، أنه قال : « لِي لَأَمْزَحَ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » .

وروى عنه ﷺ أنه قال : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُؤَاخِذُ الْمَرْءَ الصَّادِقُ فِي مَزَاحِهِ » .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى أبو بكر البزاز العسكري ، قال : حدثنا علي بن حرب ، قال : حدثنا يزيد بن أبي الزرقاء ، عن ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزوة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس ، قال : كان النبي ﷺ من أفككه الناس .

وحدثنا محمد بن حمدان بن بغداد الصيدنافي ، قال : حدثني يوسف ابن الضحاك ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن عائشة : أن النبي ﷺ كان مَزَاحًا ، وكان يقول : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُؤَاخِذُ الْمَرْءَ الصَّادِقُ فِي مَزَاحِهِ » .

قال القاضي أبو الفرج : إنما ذكرنا ما ذكرناه من باب المزاح ها هنا بحسب ما اقتضاه ما تقدم من كلامنا لاتصاله ومناسبته إياه ، ولذكر ما جاء في المزاح من الاستحسان والرخصة والنهي والكراهية موضع غير هذا .

(١) الحديث بتمامه كما ورد في اللسان (نكه) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أفككه الناس مع صبي ، ووافى أن معنى الحديث يقيد كونه صلى الله عليه وسلم كان من أفككه الناس مع صبي ، يختلف عن المعنى المفهوم من الإطلاق الذي ساقه المصنف هنا .

(حديث الشَّعْبِيِّ مع الحِجَّاج)

حدثنا أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير ، قال : أخبرني أبو جعفر محمد بن عباد بن موسى عبد الله بن نصر بن بجير ، قال : حدثني أبو جعفر محمد بن عباد بن موسى قال : أخبرني أبو بكر المَدَنِي (١) ، قال : قال لي الشعبي (٢) : ألا أُحدِّثُكَ حديثاً يحفظه في مجلس واحد إن كنت حافظاً كما حفظته أنا ، لما أتني بي الحِجَّاجُ وأنا مقيد وخرج إليَّ يزيد بن أبي مسلم (٣) ، فقال : إنا لله وما بين دفتيك من العلم يا شعبي ، وليس بيوم شفاعه ، إذا دخلت على الأمير فَبَيِّتْهُ له بالشُّرْكَ والتَّفَاق على نفسك فبالْحَرِيِّ أَنْ تنجو . فلما كنتُ قريباً من الإيوان خرج محمد بن الحِجَّاج ، فقال : إنا لله وما بين دفتيك من العلم يا شعبي ، وليس بيوم شفاعه ، إذا دخلت على الأمير فَبَيِّتْهُ له بالشُّرْكَ والتَّفَاق فبالْحَرِيِّ أَنْ تَسْجُو ، فلما قمت بين يديه قال : هبي يا شعبي ، أكرمكُ وأدنيكُ وقربتُ مجلسك ثم خرجت علينا ؟ قلت : أصلح الله الأمير ، أحزن بنا المنزل وأجذب الجَنَابُ وضاق المسلك ، واكتحلنا السهر ، واستحلنا الخوف (٤) ، ووقعنا في

- (١) هو عبد الله بن سلى كما ذكر الجاحظ في البيان ٣٦٨/١ أو سلى بن عبد الله بن سلى كما ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤٥/١٢ ، ويقال إن اسمه روح ، ذكر الجاحظ أنه كان خطيباً قاصاً وعالمًا نبياً ، وعارفاً بالأخبار والآثار وأيام الناس ، توفي سنة ١٦٧ هـ .
- (٢) هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحِميري ، نسبته إلى شعب بالفتح ، بطن من همدان ، كان من كبار الحفاظ ، قربه عبد الملك بن مروان واستفضاه عمر بن عبد العزيز ، وله بالكوفة سنة ١٩ هـ وتوفي ١٠٣ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ٧٤/١ - ٨٢ ، تهذيب التهذيب ٦٥/٥ ، صفة الصفوة ٤٠/٣ . وانظر خبره مع الحِجَّاج في جميع الأمثال ٣٦٥/٢ ، مجالس ثعلب ٢٩/١ ، اللسان ٣٥٧/٧ ، حيون الأخبار ١٠٤/١ .
- (٣) وال من النعاه في عهد بني أمية ، كان من موالى ثقيف ، وجعله الحِجَّاج كاتباً له فظهرت مزايده واستغلفه على خراج العراق وأقره الوليد بن عبد الملك ولما مات الحِجَّاج عزله سليمان واستقدمه إليه فأعجب به ، ثم ولي إمارة إفريقية فقتل بها سنة ١٠٢ هـ ، انظر المحبر ٤٩٢ ، كامل ابن الأثير ٣٨/٥ ، البرصان والمرجان ١٠٠ .
- (٤) استحلته الخوف : لزمه .

أَخْزِيَّة^(١) لم تكن فيها بَرَّةٌ أَتَقِيَاءَ ولا فَجَرَةٌ أَفَوِيَاءَ . قال : صدق والله ، ما بَرُّوا حين خَرَجُوا ولا قَوُّوا حين فَجَرُوا ، أَطْلَقُوا عَنْهُ . ثم قال : تَعَهَّدْتَنِي وَكُنْ مِنْهُ قَرِيبًا . فَأَرْسَلُ إِلَيْهِ يَوْمًا نَصِيفَ النَّهَارِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، فَقَالَ ^(٢) : مَا تَقُولُ فِي أُمِّ وَجَدٌ وَأَخْتُ ؟ قلت : اِخْتَلَفَ فِيهَا خَمْسَةٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَالَ : مَنْ ؟ قلت : عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَعُثْمَانُ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، قَالَ : فَمَا قَالَ عَلِيٌّ ؟ قلت : جَعَلَهَا سِتَّةً فَأَعْطَى الْأَخْتَ النِّصْفَ ثَلَاثَةً ، وَأَعْطَى الْأُمَّ الثَّلْثَ سَهْمِينَ ، وَأَعْطَى الْجَدَّ السُّدُسَ سَهْمًا ، قَالَ : فَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ؟ قلت : جَعَلَهَا أَيْضًا مِنْ سِتَّةٍ ، وَكَانَ لَا يُفَضِّلُ أُمَّهُ عَلَى جَدِّهِ ، فَأَعْطَى الْأَخْتَ النِّصْفَ ثَلَاثَةً ، وَأَعْطَى الْأُمَّ ثُلُثًا مَا بَقِيَ ، وَأَعْطَى الْجَدَّ مَا بَقِيَ سَهْمِينَ . قَالَ : فَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ لِمَنْقَبَا ^(٣) . قَالَ : قلت : جَعَلَ الْجَدَّ أَبًا وَلَمْ يُعْطِ الْأَخْتَ شَيْئًا فَأَعْطَى الْأُمَّ الثَّلْثَ وَأَعْطَى الْجَدَّ الثَّلْثَيْنِ ، قَالَ : فَمَا قَالَ عُثْمَانُ ؟ قلت : جَعَلَهَا أَثْلَاثًا فَأَعْطَى الْأُمَّ الثَّلْثَ وَأَعْطَى الْأَخْتَ الثَّلْثَ وَأَعْطَى الْجَدَّ الثَّلْثَ ، قَالَ : فَمَا قَالَ زَيْدٍ ؟ قلت : جَعَلَهَا مِنْ تِسْعَةٍ فَأَعْطَى الْأُمَّ ثَلَاثَةً وَأَعْطَى الْأَخْتَ سَهْمَيْنِ وَأَعْطَى الْجَدَّ أَرْبَعَةً ، جَعَلَهَا مِنْهَا بِمِزْلَةٍ الْاِخْ ، قَالَ : يَا غُلَامُ امْضُهَا عَلَى مَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ ، قَالَ : إِذْ دَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : إِنْ بِالْبَابِ رُسُلًا ، قَالَ : أَدْخُلْهُمْ ، فَدَخَلُوا وَسَيَّوْفُهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَعَمَّائِهِمْ فِي أَوْسَاطِهِمْ وَكُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، قَالَ : ائْتِدْنِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ . يُقَالُ لَهُ سَيَّابَةٌ بِنِ عَاصِمٍ ، قَالَ : مَنْ أَنْ ؟ قَالَ : مِنْ الشَّامِ ، قَالَ : كَيْفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ كَيْفَ هُوَ ؟ بَنُوهُ ؟

(١) الْخَزِيَّةُ : الْبَلِيَّةُ ، وَفِي الْأَجْمَلِ : حَزَقَةُ تَحْرِيفٌ .

(٢) الْجُزْءُ الْتَّالِي مِنْ الْخَبَرِ وَهُوَ مِثْلُ الْحَاجِاجِ مِنْ فَرِيضَةِ الْجَدِّ : يَرِدُ فِي الْكَامِلِ لِلْمَبْرَدِ ١/١٧٩ ، جَمْعُ الْأَشْأَالِ ٢/١٨ ، وَانْظُرْ تَفْصِيلَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي شَرْحِ الرَّحْبِيِّ لِصِبْطِ الْمُنَادِفِيِّ ٢٨ .

(٣) الْمُنْقَبُ : الْكَثِيرُ الْبَيِّنُ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَفِي جَمْعِ الْأَشْأَالِ : إِنْ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِنَقَابِهَا ، أَيْ لَهَا بِمُضْطَلَّاتِ الْأُمُورِ .

كيف هو في حاشيته ، كيف كيف ؟ قال : خير ، قال : كان وراءك من غيث ^(١) ؟ قال : نعم أصابني فيما بيني وبين أمير المؤمنين ثلاث سحاب ، قال : فانتعت لي كيف كان وقع المطر وكيف كان أثره وتباشيره ؟ قال : أصابني سحابة بحوران ^(٢) فوق قطر صغار وقطر كبار ، فكان الصغار لُحمة الكبار ، ووقع سيطاً متداركاً ^(٣) وهو السح الذي سمعت به ، فواد سائل وواد نازح ، وأرض مقبلة وأرض مدبرة ، وأصابني سحابة بسوان ^(٤) فأندت الدياث ^(٥) وأسالت الغرار ^(٦) وأدحضت التلاع ^(٧) وصدعت عن الكماء ^(٨) أماكنها ، وأصابني سحابة

(١) الخبر التالي يرد برواية فيها اختلاف في الألفاظ مع ما هنا في مجالس ثعلب ٢٨١/١ ، البيان والتبيين ٢٦١/٢ ، ١٦٢ ، وبغية في اللسان ١٩٥/٥ ، ٢٦٨/١٥ ، ١٧٢/١٩ ، والمزهر ١٤٧/١ ، ١٤٨ ، والمختص ١٨٢/١٠ ، وهو يبدأ في مجالس ثعلب برواية : قال ابن الأعرابي : حدثني شيخ عن محمد بن سعيد الأموي ، عن عبد الملك بن عير ، قال : كنت عند الحجاج بن يوسف فقال لرجل من أهل الشام هل أصابك مطر ... الخ .

(٢) حوران ، بفتح الحاء وسكون الواو : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار ، وقصبتها بصرى ، معجم البلدان ٣٥٧/٢ - ٣٥٨ .

(٣) السيط والمتدارك والسح من الماء كلها بمعنى الكثير المتتابع .

(٤) سوان : بضم أوله : اسم صقع قرب بستان ابن حامر ، نقل ذلك ياقوت عن ابن دريد ، قال : وقال نصر : سوان صقع من ديار بني سليم ، انظر المعجم ١٨٢/٣ .

(٥) الدياث : الأرض السهلة اللينة ، وأندتها : سخت عليها .

(٦) الغرار ، جمع غر بفتح الغين وتشديد الراء ، وهو الشق في الأرض .

(٧) أدحضت : أزلفت ، والتلاع : جمع تلعة ، وهي مجرى الماء من أهل الوادي إلى بطون الأرض ، وفي اللسان ٨/٩ : « وفي حديث الحجاج : فدحضت التلاع ، أي سملتها مزلفة » .

(٨) الكماء : نبات أرضي تنتفخ أكياس بلورها فتجني وتوكل مطبوخة ويختلف حجمها حسب أنواعها .

بالقريتين ^(١) ، فأفادت الأرض بعد الري ^(٢) ، وامتلأت الإحاذ ^(٣) وأنعمت الأودية ، وجنتك في مثل بحر الصبيح ^(٤) ، قال : ائذن ، فدخل رجل من بني أسد ، قال : هل كان وراعه من غيث ؟ قال : لا ، كثرت الأعصار واغبرت البلاد وأكل ما أشرف من الجنة ^(٥) ، واستيقنا أنه عام سنة ، قال : بشس المخير أنت ، قال : أخبرتك بما كان ، قال : ائذن ، قال : فدخل رجل من بني حنيفة من أهل اليمامة ، قال : هل كان وراعه من غيث ؟ قال : سمعت الرواد يدعون إلى ريادتها ، وسمعت قائلاً يقول : هل أظعنكم إلى محطة تطفأ فيها النيران وتشكى فيها النساء ، وتتنافس فيها المعزى ، قال : فوالله ما درى الحجاج ما أراد ، قال : ويحك إنما تحدث أهل الشام فأفهمهم ، قال : أمّا تطفأ النيران فأخصب الناس فلا توقد نار يخبز بها ^(٦) ، فكان السمن والزبد واللبن ، وأما تشكى النساء فإن المرأة تظل تُريق بهما وتمحض لبنها فتبيت ولها أنين من عضد يهها كأنهما ليسا منها ^(٧) ، وأما تنافس المعزى فلأنها ترى من أنواع الشجر وألوان الثمار وتور النبات ما يشبع بطوئها ولا يشبع

(١) القريتان : اسم قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سفة وأرك ، ويطلق الاسم أيضاً على بلدة حواريين التي بينها وبين تدمر مرحلتان ، معجم البلدان ٧٧/٤ ، ٧٨ .

(٢) أفادت الأرض بعد الري : أصبحت ظليلة باردة .

(٣) الإحاذ : جمع إحاذة وهي التذير الصغير .

(٤) بحر الصبيح : قال في اللسان ١٩٥/٥ : وقال شمر : سمعت ابن الأعرابي يقول : جنتك في مثل بحر الصبيح . يريد السيل قد فرق الأرض فكان الفيض جرت فيه .

(٥) الجنة : كل شجر يورق ويغفر في الصيف .

(٦) وقد يكون المعنى : فلا توقد نار لطبخ اللحم وإنفاق الطعام ، والرواية في مجالس شلب : فنبئت الشفار وأطفئت النار ، وقال ابن دريد : غيب الشفار ، يريد أعصب الناس ولم يلعبوا اللحم والإبل .

(٧) في اللسان ١٧٢/١٩ أن تشكت النساء كناية عن كثرة اللب ، أي كثر اللبن حتى صارت المرأة يفضل لها لبن تحفته في شكرتها ، والشكوة بفتح الشين : وعاء كالفرجة الصغيرة .

عيونها ، فتيبتُ وقد امتلأت كروشها ، لها من الكفظة جرّة ، وتبقى
 البخرة حتى يستتزل بها الدرة^(١) ، قال : ائذن فدخل رجل من الحمراء^(٢)
 من الموالي ، وكان من أشد أهل زمانه ، قال : من أين ؟ قال : من
 خراسان ، قال : هل كان وراءك من غيث ؟ قال : نعم ، ولكن لا
 أحسن أن أقول كما قال هؤلاء ، قال : فما تحسن أنت ؟ قال : أصابني
 سحابة بملوان فلم أزل أطأ في أثرها حتى دخلتُ على الأمير ، قال : إن
 كنت أقصرهم في المطر قصة ، إنك لأطولهم بالسيف خطوة .

(عود إلى خير الشعبي مع الحجاج)

وحدثني أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو عبد الله الصوفي ، قال :
 حدثنا سليمان بن عمر الأقطع الرقي ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ،
 قال : حدثنا عباد بن موسى — رجل من أهل واسط — عن أبي بكر الهذلي ،
 عن الشعبي ، قال : أتني في الحجاج موثقاً فلما انتهينا إلى باب القصر لقيني
 يزيد بن أبي مسلم ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون يا شعبي لما بين دفتيك
 من العلم ، وذكر الحديث .

وروى لنا خير الحجاج مع الشعبي على نحو ما أثبتنا به في هذا الجزء من
 غير طريق ، وبعض رواياته يختلف ألفاظها ويزيد بعضها على بعض ، وأنا
 أذكرها هنا طريقاً حضري وقرب مني .

حدثنا محمد بن جعفر بن سليمان النهرواني ، وحمزة بن الحسين بن
 عمر أبو عيسى السمسار ، قالوا : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال :
 حدثنا يوسف بن بهلول التميمي ، قال : حدثنا جابر بن نوح الحُماني ،

(١) البخرة : الإجترار ، والدرة : الحلب ، والرواية في مجالس ثلث : واختلطت الدرة
 بالجرة ، وفي اللسان : واجطبت ، ومعنى العبارة : أن الماشية تتلثم تبرك أو تربص ،
 فلا تزال تجتر إلى حين الحلب .

(٢) الحمراء : العجم ، لأن الشقرة أغلب الألوان عليهم .

قال : حدثني بحالده ، عن الشعبي ، قال : لما قدم الحجاج الكوفة قال لابن أبي مسلم : اعرض على العرقاء^(١) ، فعرضهم عليه فرأى فيهم وحشاً من وحش الناس ، قال : ويحك : هؤلاء خلفاء الغزاة في عيالهم ؟ قال : نعم ، قال : اطرحهم واغد عليّ بالقبائل ، فغدا عليه بالقبائل على رأياتها ، فجعلوا يعرضون عليه فإذا وقعت عينه على رجل دعاه ، فدعا بالشعبيين فمرت به السن الأولى فلم يدع منهم أحداً ، ومرت السن الثانية فدعاني ، فقال : من أنت ؟ فأخبرته ؟ فقال : اجلس ، فجلست ، فقال : قرأت ؟ قلت : نعم ، قال : رويت الشعر ؟ قلت : قد نظرت في معانيه ، قال : نظرت في الحساب ؟ قلت : نعم ، فقال لابن أبي مسلم : إنا لنحتاج إليه في بعض الدواوين ، قال : رويت مغازي رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ، قال : حدثني بحديث بدر ، قال : فابتدأت له من رؤيا عاتكة^(٢) حتى أذن المؤذن للظهر ، ثم دخل وقال :

(١) العرقاء : جمع عريف ، وهو المقام على القوم ليعرف من فيهم من صالح وطالح .
(٢) هي عاتكة بنت عبد المطلب عمه الرسول صلوات الله عليه ، وكانت قد رأت رؤيا أنزعها ، فبعت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يبدل علي قومك منها شر ومصيبة ، فآتممني ما أسألك به ، فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأهل صوته : ألا انفروا يا لنذر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا لنذر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها قلقة . قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتموها ولا تذكرها لأحد .

ثم لم تمض إلا ثلاث ليال حتى كان غمضم بين عدرو الفجاري - الذي استأجره أبو سفيان لتحذير قريش - قد أتى مكة يصرخ بيلعن الوادي واتقأ على بعيره ، قد جلع بعيره وحول رحله وشق قميصه ، وهو يقول : يا مشر قريش ، الطليعة الطليمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها الغوث الفوث .
انظر السيرة لابن هشام ٦٠٧/١ - ٦٠٩ .

لا تبرح ، فخرج فصلّى الظهر وأتممتها له ، فجعلني عريفاً على
الشعبيين ومنكباً^(١) على جميع همدان وفرض لي في الشرف ،
فلم أزل عنده بأحسن منزلة حتى كان عبد الرحمن بن الأشعث^(٢) ،
فأتاني قراء أهل الكوفة فقالوا: يا أبا عمرو! إنك زعيم القراء، فلم يزالوا
لي حتى خرجت معهم فقممت بين الصفيين أذكر الحجاج وأعييه بأشياء قد
علمتها ، قال : فبلغني أنه قال : ألا تعجبون من هذا الشعبي الذي جاءني
وليس في الشرف من قومه ، فألقته بالشرف ، وجعلته عريفاً على
الشعبيين ومنكباً على همدان ، ثم خرج مع عبد الرحمن يحرض
عليّ ، أما إنه لئن أمكن الله منه لأجعلن الدنيا أضيق عليه من مسك
جبل^(٣) ، قال : فما لبثنا أن هزمنا فجئت إلى بيتي فدخلته وأغلقت
عليّ بابي ، فمكثت تسعة أشهر الدنيا عليّ أضيق من مسك جبل ،
فندب الناس لخراسان ، فقام قتيبة بن مسلم ، فقال : أنا لها ، فعقد له
خراسان وعلى ما غلب عليه منها وأمر له بكل خائف ، فنادى مناديه : إنه من
لحق بعسكر قتيبة فهو آمن ، فجاءني شيء لم يخفي شيء هو أمر منه ،
فبعثت بمولى لي إلى الكنتاسة^(٤) فاشترى لي حماراً وزودني ، ثم خرجت
فكننت في العسكر ، فلم أزل معه حتى أتينا قرغانة^(٥) ، فجلس ذات يوم
وقد يرق^(٦) ، فنظرت إليه فعرفت ما يريد ، فقلت : أيها الأمير ! عندي

(١) المنكب : رئيس المرفأ .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، خرج على عبد الملك والحجاج سنة
٨١ هـ ، وحدث بينهما وقائع كثيرة منها الأهواز والزابية ودير الجاجم ، ولما أحس
آخر الأمر بالمزمنة ألقى نفسه من فوق قصر قتل ، وكان ذلك سنة ٨٥ هـ ، انظر الطبري
حوادث سنوات ٨١ - ٨٥ والمعارف ٣٥٧ ، وجمهرة الأنساب ٤٢٥ .

(٣) مسك الجبل : جلده .

(٤) الكنتاسة : محلة معروفة بالكوفة .

(٥) قرغانة : مدينة وكورة واسعة فيما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان على بين انقاصد
بلاد الترك ، كثيرة الخير واسعة ، بينها وبين سمرقند خمسون فرسفاً . معجم البلدان
٨٧٩/٣ .

(٦) يرق بصره : أوسمه وحدد النظر .

علم ما تريد ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : قلت : أعيدُك ألا تسَلَّ عن ذلك ، قال : أجل ، فعرف أني ممن يُخفي نفسه ، فدعا بكتاب فقال : أكتب نسخة ، قلت : لست محتاجاً إلى ذلك ، فجعلتُ أُمِلُّ عليه وهو ينظر إليَّ حتى فرغتُ من كتاب الفتح ، قال : فحملني على بغلة وأرسل إليَّ بِسَرَقٍ ^(١) من حرير ، وكنتُ عنده في أحسن منزلة ، فإني ليلة أتمشى معه إذ أنا برسول من الحجاج بكتاب فيه : إذا نظرتَ في كتابي هذا فإن صاحب كتابك عامر الشعبي ، فإن فاتك قطعتُ يدك على رجلك وعزَّلتُك ، قال : فالتفت إلي فقال : ما عرفتكُ قبل الساعة فامض حيث شئت من الأرض ، فوالله لأحلفنَّ له بكلِّ يمين ، قال : قلت : أيها الأمير إن مثلي لا يَخْفَى ، قال : فقال : أنت أعلم ، قال : فبعني إليه مع قوم وأوصاهم بي ، وقال : إذا نظرتُم إلى خضراء واسط فاجعلوا في رجله قيداً ثم أدخلوا به على الحجاج ، قال : فلما دنوتُ من واسط استقبلني ابن أبي مسلم فقال : يا أبا عمرو ! إني لأضنُّ بك على القتل ، إذا دخلت على الحجاج فقل كذا وقل كذا ، قال : فسكتُ عنه ، ثم دخلت على الحجاج فلما رآني قال : لا مرحباً ولا أهلاً يا شعبي الخبيث ، جئتني ولست في الشرف من قومك ولا عريفاً ولا منكباً ، فألقيتك بالشرف وجعلتك عريفاً على الشعبيين ومنكباً على جميع هَمْدان ، ثم خرجت مع عبد الرحمن تُخَرِّضُ عليَّ ؟ قال : وأنا ساكت لا أجيبه ، قال : فقال لي : تكلم ، قال : قلت : أصلح الله الأمير ، كل ما ذكرت من فضلك فهو عكسي ما ذكرت ، وكل ما ذكرت من خروجي مع عبد الرحمن فهو كما ذكرت ، ولكننا قد اكتحلنا بعدك بالسهر وتَحَلَّسنا الخوف ، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء ولا فجرة أتوياء ، وإن حققت لي دمي واستقبلت بي التوبة ؟ قال : قد حققتُ دمك واستقبلتُ بك التوبة ،

(١) السراق ، بفتح السين والراء : شقق الحرير الأبيض ، أو الحرير بعامة .

قال : فقال ابن أبي مسلم : الشعبي كان أعلم مني حيث لم يقبل مني الذي قلت له .

حدثنا محمد بن جعفر ، وحزمة بن الحسين ، قالوا : حدثنا أحمد بن منصور قال : سمعت الأصمعي ، يقول : حدثني عثمان الشحام ، قال : لما أتى الحجاج بالشعبي عاتبه ، فقال له الشعبي : أصلح الله الأمير ، أجذب بنا الجَنَابَ ، وأحزن بنا المنزل ، واستحللنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأصابتنا خِزْيَةٌ لم تكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء ، قال : لله ذرُّك يا شعبي ! .

قال القاضي : والذي ذكر في هذا الخبر على ما في الرواية التي بدأنا بها ذكر الفريضة التي سأل الحجاج الشعبي عنها فأجابته ، وذكر أن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فيها على خمسة أقوال فهذا على ما ذكره ، وهذه فريضة من فرائض الجسد معروفة يسميها الفرضيون الخرقاء^(١) ، وأصول الصحابة فيها مختلفة ، فمنهم من يُنزل الجسد بمنزلة الأب الأدنى فلا يورث الإخوة والأخوات معه ، ومنهم من يعطي الأخوات من الأب والأم أو الأب فرائضهن ويورث الجسد بعد ما يستحقه ، وهذا مذهب علي وعبد الله ، إلا أن عبد الله لا يفضلُ أمًّا على جدٍّ ، وقد روى عنه أن هذه المسألة من مُرَبَّعاته ، ومنهم من يُنزل الجسد مع الأخوات من الأب والأم أو من الأب بمنزلة الأخ في المقاسمة ، وبينهم في القدر الذي تنتهي إليه المقاسمة ويفرض للجسد فريضة ، بخلاف ليس هذا موضعه ، وروى منع الإخوة والأخوات الميراث مع الجسد عن أبي بكر وعائشة وابن عباس وابن الزبير في عدد كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار والمسلمين ، وإلى هذا نذهب ، ويبيانه مشروح فيما ألفناه من كتبنا في فرائض المواريث .

(١) قبل سميت بالخرقاء لتخرق أقوال الصحابة فيها ، أو لأن الأقوال عرقتها لكثرتها ، انظر حاشية البكري على شرح متن الرحيبة ٣٠ .

(لو حدثت أحداً لحدثك)

وحدثني أحمد بن كامل ، قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بأبي العيناء ^(١) ، قال : أتيت عبد الله بن داود الحربي ^(٢) ، فقال لي : ما جاء بك ؟ قال : قلت : الحديث ، قال : اذهب فتحفظ القرآن ، قلت : قد حفظت القرآن ، قال : فاقراً : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ ^(٣) ، قال : فقرأت العشر حتى أنفذته ، قال : اذهب فتعلم الفرائض ، قال : قلت : قد حفظت الصلابة والجد والكبر ^(٤) ، قال : فأما أقرب إليك ، ابن أخيك أو عمك ؟ قال : قلت ابن أخي ، قال : ولم ؟ قال : قلت : لأن ابن أخي من أبي ، وعمي من جدي ، قال : اذهب الآن فتعلم العربية ، قال : قلت : قد علمتها قبل ذن ، قال : فلم قال عمر بن الخطاب حين طعن : يَا لَيْلَةَ لِمُسْلِمِينَ ، لم فتح تلك اللام وكسر هذه ؟ قال : قلت : فتحت تلك للدعاء وكسر هذه للاستنصار ، قال : لو حدثت أحداً لحدثك .

(١) أديب فصيح ، من ظرفاء العالم ومن أسرع الناس جواباً ، اشتهر بنوادره ولطائفه وكان ذكياً جداً حسن الشعر مليح الكتابة والترسل ، غيبت الناس في سب الناس والتعريض بهم ، أصله من اليمامة ومنشأه ووفاته بالبصرة ، كفت بصره بعد أن بلغ أربعين عاماً ، انظر معجم الأدباء ١٨/٥٠٤ ، ميزان الاعتدال ٣/١٢٣ ، تاريخ بغداد ٣/١٧٠ ، نكت المهيان ٢٦٥ .

(٢) الحربي : نسبة إلى محلة بالبصرة ، وهو عبد الله بن داود الحافظ الورع الزاهد سمع الأعشى والكبار ، وكان من أعيد أهل زمانه ، توفي بالكوفة سنة ٢١١ هـ أو ٢١٣ ، انظر الباب ٣٢٦/٢ ، شذرات الذهب ٢/٢٩٠ .

(٣) سورة يونس الآية ٧١ .

(٤) الكبير : يضم الكاف وسكون الياء : أكبر ذرية الرجال ، وفي الخبر : « الولاء الكبير » وذلك مثل أن يموت رجل عن ابنين فيرثان الولاء ثم يموت أحد الابنين عن أولاد ، فلا يرثون نصيب أبيهم في الولاء ، ولما يكون لمهمم الأكبر . ويقال : فلان كبير قومه ، إذا كان أقدمهم في النسب ، وهو أن ينتسب إلى جده الأكبر بأباه أقل عدداً من باقي عشيرته . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١٤١ .

قال القاضي : قلت لابن كامل حين أملّ هذا الحديث : ما أنصفه
ليماً أوقع به هذه المحنة ، وأسرع بما لم ينكره من الإجابة ، بمنعه ما التمس
من الفائدة ، فضحك .

قال القاضي : هذا العشر الذي استقرأه الخريبي أبا العيئة يعرف
بالصهيبي ويمتنع به من يتعاطى الحفظ من القراء ، وله حديث نذكره فيما
يأتي من مجالسنا هذه إن شاء الله ، وأما اللام في الموضعين من هذين فإن
أئمة النحويين من الكوفيين والبصريين رَوَّوها مفتوحة في الموضعين ^(١) ،
وإذا قيل : يا لَتَقُوم ، فهو استغاثة تُفْتَح فيه لام المدعو ، وإذا قيل :
لِلْهَاء فالكسر لازم لام المدعو له أو إليه ، كأنه قال : أدعوكم للهاء ،
وقال الشاعر :

يَا لَ بَكْرٍ انْشُرُوا لِي كُتُبًا يَا لَ بَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفَرَارُ ^(٢) ؟

وقال الأعشى ^(٣) :

يَا لَ قَيْسٍ لِمَا لَقِينَا الْعَامَا

أي أدعوكم لهذا ، وشرح هذا الباب واستقصاء فروعه وعمله يطول ،
وله موضع غير هذا .

(١) هكذا في الأصل ، ولم أشر على هذا الرأي فيما بين يدي من مراجع ، وهو يخالف ما يورده
المؤلف من أمثلة ، والمرووف أن لام المستثناة مفتوحة ولام المستثناة له مكسورة فاعلمه
مجرد سهو منه .

(٢) البيت للمهمل بن ربيعة التنليجي ، انظره في الإقناع ١١ ، وكتاب سيبويه ١/٣١٨ ،
والنقد ٤٧٨/هـ ، وقوله : انشروا أي أعيدوا إلى الحياة ، والمهمل يتوعد بكرة ويتهددهم
لفظهم أخاه كليلاً كما هو معروف في حرب البسوس .

(٣) ديوانه ٢٠٢ ، وهو صدر بيت وسجوه :

العيد أمراضنا أم على ما

(وصية الحجاج بأهل البصرة)

حدثنا الحسين بن أحمد الكلبي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال :
حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ، قال : حدثني أبي ، قال : أراد الحجاج
الخروج من البصرة إلى مكة فخطب الناس ، فقال : يا أهل البصرة إني
أريد الخروج إلى مكة وقد استخلفتُ عليكم محمداً ابني وأوصيته فيكم
بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ في الأنصار ، فإنه أوصى في الأنصار
أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته فيكم
ألا يقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا وإنكم قائلون
بعدي كلمةٌ ليس يمتنعكم من إظهارها إلا الخوف ، ألا وإنكم قائلون :
لا أحسن الله له الصَّحابة ، وإني مُعجلٌ لكم الجواب : لا أحسن الله
عليكم الخلافة ^(١) .

• • •

(١) انظر الخبر في المستطرف ٨٥/١ .

المجلس التاسع

(مؤرق وفضيلة كتمان السر)

حدثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار ، قال : حدثنا حاتم بن أبي الليث الجوهري ، قال : حدثنا علي بن مهران الداري ، قال : حدثنا أبو زهر عبد الرحمن بن مغربي ، قال : حدثنا المفضل بن فضالة ، عن بكر بن عبد الله ، وثمالة بن عبد الله بن أنس ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه كان فيمن سلف من الأمم رجل يقال له مؤرق وكان متعبداً ، فبينما هو قائم في صلاته إذ ذكر النساء فاشتبهاهنَّ وانتشر حتى قطع صلاته ، فغضب فأخذ قوسه فقطع وترها فعقده بهذا كبره وشده إلى عقبيه ، ثم مدرجته فانتزعها ، ثم أخذ طمريه ^(١) ونعليه حتى أتى أرضاً لا أنيس بها ولا وحش ، فأتخذ عريشاً ثم قام يصلي ، فجعل كلما أصبح انصدعت له الأرض ، فخرج خارج منها ومعه إناء فيه طعام فيأكل حتى يشبع ، ثم يدخل فيخرج له خارج إناء فيه شراب ، فيشرب حتى يروى ، ثم يدخل وتلتئم عليه الأرض ، فإذا أمسى فعل مثل ذلك ، ومَرَّ ناسٌ قريباً منه فأتاه رجلان من القوم فمرا تحت الليل فسألاه عن قصدهما

(١) الطبر : الثوب الخلق البالي .

قسمت لهما ^(١) يديه ، فقال : هذا قصد كما حيث تريدان ، فسارا غير بعيد ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يُسكن هذا الرجل ها هنا ؟ أرض لا أنيس بها ولا وحش ، ولو رجعنا إليه حتى نعلم علمه . فرجعا فقالوا له : يا عبد الله ما يقيمك بهذا المكان ، بأرض لا أنيس فيها ولا وحش ؟ فقال : امضيا لشأنكما ودعاني ، فألحا عليه قال : قلاني مُخبركما على أن من كم على منكما أكرمه الله في الدنيا والآخرة ، ومن أظهر منكما أهانه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، قالوا : نعم قال : انزلا فلما أصبحا خرج من الأرض الذي كان يخرج من الطعام ومثلاه معه فأكلوا حتى شعوا ، ثم دخل فخرج عليهم شراب فيه إزاء مثل الذي كان يخرج في كل يوم ومثلاه معه ، فشربوا حتى رووا ثم دخل فالتأمت الأرض ، فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال : ما يُعجلنا ؟ هذا طعامٌ وشرابٌ وقد علمنا سستنا من الأرض ، امكث إلى العشاء فمكثا فخرج إليهما في العشاء من الطعام والشراب مثل الذي خرج أول النهار ، فقال أحدهما لصاحبه : امكث حتى نصبح ، فمكثا فلما أصبحا خرج إليهما مثل ذلك ، ثم ركباً فانطلقا ، فأما أحدهما فلزم باب الملك حتى كان من خاصته ، وأما الآخر فأقبل على تجارته وعمله ، وكان ذلك الملك لا يكذبُ أحداً في زمانه من أهل مملكته كذبة تُعترفُ إلا صلبه ، فبينما هو ليلة في السمر فحدثوا ما رأوا من العجائب أنشأ ذلك الرجل يُحدث ، فقال : لأحدثنك أبها الملك بحديث ما سمعت بأعجب منه قط ، فحدثه بحديث الرجل الذي رأى من أمره ، قال الملك : ما سمعتُ بكذب قطُّ أعظم من هذا ، والله لتأتيني على ما قلت ببيتة وإلا صلبتُك ، فقال : بيتتي فلان ، فقال : رضاً ^(٢) اثنتي به ، فلما أتاه ، قال الملك : إن هذا حدثني أنكما مررتما برجل كان من أمره كذا

(١) ست لهما : أي أوضح الطريق .

(٢) رضاً : خير لبتاً مخلوف ، تقديره : هذا رضاً ، أو مفعول مطلق لفعل مخلوف ، والتقدير : أرضي بهذا رضاً .

وكذا ، قال له الرجل : أيها الملك : أولست تعلم أن هذا خذّب ، وهذا مما لا يكون ، ولو أني حدثتك بهذا لكان عليك من الحق أن تصلّبي ، قال : صدقت وبررت ، فأدخل الذي كنّم في خاصته وسمره وأمر بالآخر فصلب ، فقال النبي ﷺ « فأما الذي كنّم عليه فقد أكرمه الله في الدنيا وهو مُكْرَمُهُ في الآخرة ، وأما الذي أظهر عليه فقد أهانه الله في الدنيا وهو مُهْيَنُهُ في الآخرة » ، ثم نظر بكر بن عبد الله المزني ^(١) إلى ثُمامة بن عبد الله بن أنس ^(٢) فقال : يا أبا المنثى : أسمعت جدّك أنسا يحدث هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم .

(بدءُ أمر الخضر عليه السلام) ^(٣)

حدثنا أبو بكر بن أبي داود ، قال : حدثنا حسين بن علي بن مهران ، قال : حدثنا عامر بن فرات ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : كان ملك وكان له ابن يقال له الخضر ، وإلياس أخوه — أو كما قال — فقال إلياس للملك : إنك قد كبرت وابنك الخضر ليس يدخل في ملكك ، فلو زوجته ليكون ولده ملكاً بعدك ؟ فقال : يا بني تزوج ، فقال : لا أريد ، قال : لا بدّ لك ، قال : فزوجني . فزوجه امرأةً بكراً ، فقال لها الخضر : إنه لا حاجة لي في النساء فإن شئت عبت الله عزّ وجلّ معي فأنت في طعام الملك ونفقته ، وإن شئت طلقتك ، قالت : بل أعبد الله معك ، قال : فلا تُظهري سريّ فإنك إن حفظت سريّ حفظك الله ، وإن

(١) بكر بن عبد الله المزني ، نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصري ، محدث ثقة ، توفي سنة ١٠٦ هـ ، ترجمته في تهذيب التهذيب .

(٢) ابن مالك الأنصاري البصري ، قاضيها ، روى عن جده أنس والبراء بن عازب وأبي هريرة ولم يدركه ، تولى القضاء سنة ١٠٦ وعزله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٢٨/٢ - ٢٩ .

(٣) انظر هذا الخبر برواية أخرى في قصص الأنبياء ١٩٦ ، واردة ضمن حديث جبريل عليه السلام للنبي صلّى الله عليه وسلم في أثناء الإسراء به .

أظهرت عليه أهلك أهلكك الله ، فكانت معه سنة لم تلد ، فدعاها الملك فقال : أنت شابة وابني شاب فأين الولد وأنت من نساء ولد ؟ فقالت : إنما الولد بأمر الله تعالى ، فدعا الخضر فقال : أين الولد يا بني ، فقال : الولد بأمر الله تعالى ، فقيل للملك : لعل هذه المرأة عقيم لا تلد ، فزوجه امرأة قد ولدت ، فقال للخضر : طلق هذه ، قال : لا تُفَرِّق بيني وبينها فقد اغتبطت بها ، فقال : لا بد ، ففعلها ، ثم زوجه ثيباً قد ولدت ، فقال لها الخضر كما قال للأولى ، فقالت : بل أكون معك ، فلما كان الحول دعاها فقال : إنك ثيب قد ولدت قبل ابني فأين ولدك ، فقالت : هل يكون الولد إلا من بعل؟ وبعلي مشغول بالعبادة ولا حاجة له في النساء ، فغضب الملك وقال : اطلبوه . فهرب فطلبه ثلاثة فأصابه اثنان منهم فطلب لإيهما أن يطلقاه فأبيا ، وجاء الثالث فقال : لا تذهبا به فاعلمته يضربه وهو ولده فأطلقاه ، ثم جاءا إلى الملك فأخبره الاثنان أنهما أخذاه وأن الثالث أخذه منهما ، فحبس الثالث ، ثم فكر الملك فدعا الاثنين فقال : أنتما خوفتُما ابني حتى هرب ، فذهب فأمر بهما فقتلا ، ودعا بالمرأة فقال لها : أنت هربت ابني وأفشيت سره ، ولو كنت عليه لأقام عندي ، فقتلها وأطلق المرأة الأولى والرجل ، فذهبت فاتخذت عريشاً على باب المدينة وكانت تحتطب وتبيعه وتنقوت بثمره ، فخرج رجل من المدينة فقير فقال : باسم الله ، فقالت المرأة : وأنت تعرف الله ؟ قال : أنا صاحب الخضر ^(١) ، قالت : وأنا امرأة الخضر ، فتزوجها وولدت له ، وكانت ماشطة ابنة فرعون ^(٢) ، فقال أسباط ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنها بينما هي تمشط ابنة فرعون سقط المشط من يدها ، فقالت : سبحان ربي ، فقالت ابنة فرعون : أي ؟ قالت : لا ربي

(١) أي أنا صاحبه الذي أطلقه حين أمر الملك بالبحث عنه .

(٢) أي فرعون زمانه لا فرعون موسى كما قد يتبادر إلى الذهن .

ورب أبيك ، قالت : أَخْبِرُ أَبِي ؟ قالت : نعم ، فأخبرته ، فدعا بها ، وقال : ارجعي ، فأبَتْ فدعا بنقرة من نحاس فأخذ بعض ولدها فرمى به في النقرة وهي تغلي ، ثم قال : ترجعين ؟ قالت : لا ، فأخذ الولد الآخر حتى ألقى أولادها أجمعين ، ثم قال لها : ترجعين ؟ قالت : لا ، فأمر بها ، قالت : إن لي حاجة ، فقال : وما هي ؟ قالت : إذا ألقيتني في النقرة تأمر بالنقرة أن تحمل ثم تطفأ في ببي الذي بباب المدينة وتُسحى النقرة وتهدم البيت علينا حتى تكون قبورنا ، فقال : نعم إن لك علينا حقاً ، قال : ففعل بها ذلك ، قال ابن عباس : قال النبي ﷺ . مررت ليلة أُسريَ بي فشممتُ رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ! ما هذا ؟ قال : هذا ريح ماشطة ابنة فرعون وولدها ^(١) .

(التعليق على الخبر)

قال القاضي : في هذين الخبرين عظة ومعتبر ، وتنبيه لمن عقل ومُزْدَجِر ، وفيما اقتضى فيها ما دعا ذوي النهي إلى الصديق وحفظ الأمانة ، وحدّز من ركوب الغدر والخيانة ، وفي خِزْن السِّرِّ وحياتته وصونه وحراسته ، ما لا يحيل على الألباء وفور فضيلته ، كما لا يذهب عليهم ما في إفشائه وإضاعته ، من سقوط القدر ، وقبيح الذكر ، وما يُكسب صاحبه من حطّه عن منزلة من يشرف ويعتمد عليه ، ويؤمن ويركن في جلائل الخطوب إليه ، والناس في هذين الخُلُفَيْن المتناقضين مُعَاْفَى مُكْرَم ، ومبتلى مذمّم ، وقد قال بعض من افتخر بالخلق الكريم منهما :

وأطعن الطعنة النجلاء عن عُرْضِ السِّرِّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ ^(٢) وأكتم

(١) الخبر: هذه الرواية وبرواية أخرى في قصص الأنبياء ١٩٦ .
(٢) النجلاء: الواسعة ، والمرض : أي في أي ناحية كانت ، والبيت لأبي محجن الثقفي وهو =

وقال بعض من خالف هذا في صفته ، وسلك خلاف محبته :

ولا أكنمُ الأسرارَ لكنْ أذيعُها
ولا أدعُ الأسرارَ تغلبي على قلبي^(١)

وما أتى من هاتين الخليقتين المتضادتين من منشور الأخبار ومنظوم
الأشعار ما يتعب لإحصاؤه ، ويمل استقصاؤه ، ولعلنا نَقْصُرُ في مجالس
كتابنا هذا منه ما يستفيدة الناظر فيه ، إذا أتى ما يجره ويقتضيه ، إن
شاء الله .

وذكرت من النوع الذي تضاد فيه فريقان فيما وصف به كل واحد
منهما نفسه ، شيئاً أحببت أن أثبتة فيما ها هنا ، وإن كان بابُه أوسع من أن
يُسْتَوْصَى ، وأكثر من أن يستغرق ويستوفي ، وهو ما روى لنا أن مفوسه
بنت زيد الفوارس لما أهدبت^(٢) إلى قيس بن عاصم^(٣) قَرَّبَتْ إليه
إهداء ، فقال لها : أين أكيلي ؟ فلم تدري ما يقول لها ، فأنشأ يقول^(٤) :

أيا ابنةَ عبيدِ اللهِ وابنةَ مالكِ
ويا بنةَ ذي البرَدَيْنِ والقرَسِ الورْدِ

== بالرواية التي هنا في المقء الفريد ٧٨/١ ، ورواية ديوانه ٢٦ لصدر البيت : وقد أجود
وما مالي بلي فتح وهي رواية اللسان ١٢٨/١٠ ، وروايته في بهجة المجالس ١٢٢/١ ،
قد أركب الهول مسلولا ستائره ، وانظر عيون الأخبار ٣٨/١ ، اللسان ١١٩/١ ،
٣٥٢/٦ قصة روايات أخرى .

(١) البيت لسمي الفقيسي كما في بهجة المجالس ٤٦٠/١ ، وانظر في محاضرات الأدباء
٦٠/١ ، مجموعة ألماني ٧١ ، عيون الأخبار ٤١/١ دون نسبة .

(٢) أهدبت : أي زفت .

(٣) شاعر فارس شجاع ، كان سيداً في الجاهلية والإسلام ، سحب النبي صل الله عليه وسلم
في حياته وعاش بعده زماناً ، قال عنه الأحنف بن قيس : ما تملكت الحلم إلا من قيس بن
عاصم ، ترجمته في الإنباء ٧١٨٨ ، ومختار الأعاني ٢٠٩/٦ - ٢١٩ .

(٤) الإهداء : ما يقدمه الأقارب من هدايا وألحاف للعروسين .

إذا ما صنعت الزَّادَ فالتَّمسِّي له
 أَكِيلاً^(١) فإني لستُ أَكِلُهُ وَحَدِي
 أَخاً طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي
 أَخَافُ مَكَلَامَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَإِنِّي لَعَبْدٌ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ
 وَمَا فِي إِلَّا ذَاكَ مِنْ شَيْمٍ الْعَبْدِ^(٢)
 فسمعه جار له وكان مبخلاً ، فقال :

لبيني وبين المرء قيس بن عاصم بما قال يون في الفعل بعيد
 ولنا لنجفو الضيف من غير عسرة مخافة أن يغري بنا فيعود

(عقبى الحسين) ^(٣)

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : أخبرنا أحمد بن
 محمد بن عبد الحسين بن قتيبي ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أحكم
 الأعمى ، عن أبي خالد بن محمد ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله بن
 جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه ، أن رجلاً من بني إسرائيل خرج في
 بعض حوائجه ، وكانت له امرأة فأوصى بها أخاه ، وسأله أن يتعهدا
 ويقوم بحوائجها وما تريد ، فكان يأتيها فيسألها عن بعض حوائجها وما

(١) ورد الخبر والأبيات لقيس بن عاصم في غتار الأغاني ٢١١/٦ ، والأغاني ١٥٠/١٢ ،
 والكمال للبرد ٣٤٥/١ ، والواقع أن هذه الأبيات لحاتم الطائي يخاطب بها امرأته ماوية
 بنت عبد الله بن مالك ، ويعني بلقي البردين جدّها عامر بن أحيسر بن بهدلة ، ولقب بذلك
 يوم اجتمعت وفود العرب عند المنذر بن ماء السماء ، وأخرج المنذر بردين وقال : ليقم
 أعز العرب قبيلة فليأخذها ، فقام عامر وأخذها ، فلم يتكر عليه أسد ، انظر ذلك في
 خير طويل في ديوان حاتم ٤٣ ، وانظر الأبيات منسوبة إليه أيضاً في عيون الأخبار
 ٢٦٢/٣ ، وشرح حماسة أبي تمام للتبريزي ٢٩٢/١ ، هجّة المجالين ٢٦٣/١ .
 (٢) ورد الخبر التالي في كتاب الإمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة
 الإسكندرية للتبريزي ٢٧٨/٤ - ٢٨٠ .

تريد ، إلى أن رآها فوقعت في نفسه ، فراودها فأبى عليه ، فقال لها : والله لئن لم تفعل لأهلكك ، قالت : لا والله ما أنا بفاعلة ولا أنا متابعتك على ما تريد فافعل ما أنت فاعل ، فسكت عنها إلى أن قدم أخوه فتلقاه وسأله وحادثه إلى أن جرى ذكرها ، فقال : يا أخي علمت أنها راودتني عن نفسي وفعلت وفعلت ؟ فقال أخوه : أي شيء تقول ؟ قال : هو والله ما قلت لك ، فلما قدم الرجل لم تكن له همة إلا أن حملها ولم يسألها عن شيء تصديقاً لأخيه ، فأنزلها ليلاً وضربها بسيفه حتى ظن أنه قتلها ثم مضى ، وإن المرأة بقي بها رمق ، فقامت تدبُّ إلى أن انتهت إلى أصل دير راهب فسمع أنينها فأشرف عليها من ديره ، فلما رآها نزل ودعا غلاماً له أسود فاحتملها فأدخلها الدير ، فلم يزل الراهب يعالجها حتى برأت ، وكان له ابن صغير قد ماتت أمه ، فقال الراهب : إن شئت أن تذهبي فذهبي ، وإن شئت أن تقيمي فأقيمي ، فقالت : بل أقيم فأخدمك أبداً ، فدفع إليها ابنه وكانت تربيته إلى أن وقعت في نفس العبد الأسود فراودها ، وقال : والله لئن لم تتابعيني لأهلكك ، قالت : ما أنا بمتابعتك فافعل ما أنت فاعل ، فلما كان الليل جاء إلى الصبي وهو قائم بين يديها فذبَّحه ، فلما فعل ذلك مضى إلى الراهب فقال له : أما علمت ما كان من أمر هذه الخبيثة وما فعلت بابنك ؟ وترى هذه فعل بها ما فعل إلا من أمر عظيم قد أُنْتَهى ، قال الراهب : ويحك وما فعلت بابني ؟ قال : ذَبَحْتَهُ . فجاء الراهب فوجد ابنه متشطحاً في دمه ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : لا علم لي غير أن غلامك كان من أمره وكان ، فقصت عليه القصة ، فقال الراهب : قد شككتني في أمرك ، ولست أحب مقامك معي ، فهذه خمسون ديناراً فخليها وامضي حيث شئت تكون لك قرة ، فأخذتها ومضت حيث انتهت إلى قرية ، فإذا رجل قد قدم ليصَلِّب والناس مجتمعون والوالي ، فقالت للوالي - وقد يرفع الرجل على الخشبة - هل لك أن تأخذ مني خمسين ديناراً وتخلِّي سبيل هذا الرجل ؟ قال : هات .

فحلّت كلها فدفعت إليه الخمسين ديناراً فحلى سبيل الرجل ، فقال لها الرجل : ما صنع أحمّ بأحد ما صنعت لي أنت ، ولست بمفارقك ، أخذتُك حتى يفرق الموت بيننا . فمضى معها حتى انتهيا إلى ساحل البحر والناس يعبرون في السفن فدخل وأدخلها وكان لها هيئة وجمال ، فلما رآها أهل السفينة قالوا : من هذه المرأة منك ؟ قال : مملوكة لي ، وقد وقعت في نفس رجل منهم لما رآها ، فقال له الرجل : أتبيعها ؟ قال : إني لأكره بيعها ، ولو أردتُ ذلك ثم علمتُ للقيتُ منها أذى لأنها تحبني ، وقد أخذت على ألا أبيعها أبداً ، قال الرجل : بعها وخذ مالك واخرج ولا تُعلمها ، فباعه لإياها بمال كثير فدفعه إليه وأشهد عليه أهل السفينة وهي مع النساء ، وقرب إليه قارباً فرجع فيه وهي لا تعلم ومضوا في البحر ، فلما علم الذي اشتراها أنه قد تباعد ولا تقدر عليه قام يكلّمها ويعلمها أنه قد اشتراها ، قالت : اتق الله فإنّي امرأة حرة ، قال : دعي هذا عنك فقد مضى صاحبك فلا تقدرين عليه ، فلا تزوّجي بما لا تنتفعين به ، وأقبل أهل السفينة عليها وقالوا : يا عدوة الله ! قد اشتراك الرجل ونحن نشهد ، قالت : ويحكم ! خافوا الله فإنّي والله امرأة حرة وما ملكني أحد قط ، قالوا : قم إليها حتى تفعل بها كذا وكذا ، فإنك إذا فعلت ذلك سكنت ، فقام إليها فلما خافت على نفسها دعت الله عز وجل عليهم فإذا السفينة قد انقلبت بهم ، فلم ينتج منهم غيرها على ظهر السفينة ، وكان للملك ذلك اليوم عيد على ساحل البحر من الجانب الآخر ، وهو واقف وأهل مملكته ، فلما رأى ذلك بعث من دخل عليهم في السفن فلم يقدر على غيرها ، فأخرجت إليه ، فسأله عن أمرها ودعاها إلى التزويج فأبت ، وقالت : إن لي قصة وليس يجوز لي التزويج ، فصبرها في دار فكان إذا ورد عليه الأمر الذي يهوّله أتاها فشاورها ، فتشير عليه فيرى في مشورتها البركة ، إلى أن حضر الملك فجمع أهل مملكته ، فقال : كيف كنت لكم ؟ قالوا : كالأب الرحيم فجزاك الله خيراً ، فقال : كيف رأيتم أول أمري

من آخره قالوا : كنت في آخر أمرك أحزم ، قال : فإن جميع ما رأيتم من ذلك كان بمشورة هذه المرأة ، وقد رأيتم لكم رأياً ، قالوا : وما هو أيها الملك ؟ قال : أمكئها عليكم من بعدي ، قالوا : فرأيك ، فملكها عليهم ومات الملك ، وإنها أمرت بحشر الناس إليها ليبياعوها ، فحشر الناس وجلست تنظر ، فمر بها زوجها وأخوه ، فقالت : اعزلوا هذين ، ثم مر بها المصلوب الذي باعها ، فقالت : اعزلوا هذا ، ثم مر بها الراهب وغلامه ، فقالت : اعزلوا هذين ، ثم صرفت الناس ودعت بهم فقالت لزوجها : تعرفني ؟ قال : لا والله ، إلا أنني أعلم أنك الملكة ، قالت : أنا فلاتة امرأتك ، وإن أخاك فعل بي وفعل وخبرته الخبر ، وإن الله تعالى يعلم أنه لم يصل إليّ رجل منذ فارقتك ، ثم دعت بأخيه فقتل ، ثم دعت بالراهب فأجازته ، وقالت : ارفع إليّ ما كانت لك من حاجة ، وحدثته بقصة الغلام وما صنع باینه ، ثم أمرت بالغلام فقتل ، ثم دعت بالمصلوب وأمرت به أن يقتل ويصلب ، ففعل ذلك به ، ومكنت في ملكها ما أراد الله أن تمكث ثم ماتت .

(التعليق على الخبر)

قال القاضي : وإن مما تقدمت روايتنا إياه في هذا المجلس من التنبيه ما يبعث الألباء على تأمل عاقبة أعمالهم ، وما تؤثره نيأتهم ومقاصدهم في أفعالهم ، وحسن عَقْبِ الحسنِ وسوء مغبة السوءِ . نسأل الله عز وجل أن يهب لنا بصيرة مؤدية لنا إلى السلامة والغنيمة في الدنيا والآخرة ، فلم ينل أحد خيراً إلا بتوفيقه وإحسانه ، ولم يحلل به سوء في دنياه إلا بامتحانه ، ولا في دينه إلا بتخذه .

(الوشاية منزلة بين الحياة والموت)

حدثنا ابن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، قال : أخبرني أبو الحسن

المدايني ، قال : وتشي واشى بعبد الله بن همام السكّوي^(١) إلى زياد أنه هجلك فقال زياد للرجل : أجمع بينك وبينه ؟ قال : نعم ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام فجيء به فأدخل الرجل بيتاً ، ثم قال زياد : يا ابن همام ! بلغني أنك هجوتني ، قال : كلا أصلحك الله ما فعلت ، ولا أنت لذلك بأهل ، قال : فإن هذا أخبرني — وأخرج الرجل — فأطرق ابن همام هنيهة ، ثم أقبل على الرجل فقال :

وأنت امرؤ إما ائتمتلك خالياً فخنثت ، وإما قلت قولاً بلا علم فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم فأعجب زياداً جوابه ، وأقصى الساعي ولم يقبل منه^(٢) .

(هذا سوارٌ ساقه الله إليك)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : قال أبو العباس محمد بن إسحاق بن أبي العنيس ، عن إسحاق بن يحيى بن معاذ ، قال : حدثني سوارٌ صاحب رحية^(٣) سوار ، قال : انصرفت يوماً من دار المهدي ، فلما دخلت منزلي دعوتُ بالعداء فجاشت نفسي^(٤) وأمرت به فردّ ، ثم دعوتُ بالرد ودعوتُ جارية لي ألاعبها فلم تطب نفسي لذلك ، فدخلت للقاتلة فلم يأخذني النوم ، فتهضت وأمرت ببغلة لي شهباء

(١) عبد الله بن همام المري السكّوي نسبة إلى أهم سول ، أما أبوه فهو مرة بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهو من شعراء الدولة الأموية المجيدين ، انظر أخباره في الأغانى ١١٥/١٤ - ١٦٦ ، ومعاذ التنخيص ٩٦/١ ، وخزانة الأدب ٦٣٩/٣ .

(٢) وردت القصة في عيون الأخبار ٤١/١ على أنها كانت بين عبد الله بن زياد وابن همام ، وانظر هجرة المجالس ٥٧٥/١ ، حسنة أبي تمام ٩/٢ ، محاضرات الأدباء ١٩٠/١ ، مجموعة للمداني ٧١ .

(٣) الرحية : المكان الفسح بين البيوت كالمدان .

(٤) جاشت : اضطربت ولم تهدأ كأنها تطلبه بحاجة لها .

فأسرّجت فركبتها ، فلما خرجتُ استقباني وكيل لي ومعه مال فقلت : ما هذا ؟ فقال : ألفا درهم جَبَيْتُهَا من مستغلكَ الحديد ، قلت : أمسكها معك واتبعني ، قال : وخليتُ رأس البغلة حتى عَبَرَتَ الجسرَ ثم مضيتُ في شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الصحراء ، ثم رجعتُ إلى باب دار الأتبار فطوّفت ، فلما صرت في شارع باب الأتبار انتهيتُ إلى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادِم ، افوقفت وقد عطشنا ، فقلت للخادِم ، أعندك ما تسقيني ؟ قال : نعم ، وقام فأخرج قُلَّةَ نَظْفَةِ حَبْرِيَّة طيبة الرائحة عليها مِنْدِيل ، فناولني فشربت ، وحضر وقتُ العصر فدخلتُ مسجداً على الباب فصلبت فيه ، فلما قضيتُ صلاتي إذ أنا بأعْمى يتلمس ، فقلت : ما تريد يا هذا ؟ قال : إياك أريد ، قلت : وما حاجتك ؟ فجاء حتى قعد لي فقال : شممتُ منك رائحة الطَّيِّب فظننتُ أنك من أهل النعم ، فأردتُ أن أُلقي عليك شيئاً ، فقلت : قل ، قال : أترى باب هذا القصر ؟ قلت : نعم ، قال : هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج إلى خراسان وخرجتُ معه ، فزالت عنا النعم التي كنا فيها ، فقدمت فأنتيت صاحب الدار لأسأله شيئاً يَصِلُنِي به وأصير إلى سَوَّار ، فإنه كان صديقاً لأبي ، قلت : ومن أبوك ؟ قال : فلان بن فلان ، قال : فإذا أصدق الناس كان لي فقلت له : يا هذا فإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قد أناك بسَوَّار ومنعه النوم والطعام حتى جاء به فأقعدته بين يديك ، ثم دعوتُ الوكيل وأخذتُ الدراهم منه ودفعتها إليه ، وقلت له : إذا كان غدٌ فصر إلى المنزل ، ثم مضيتُ فقلت : ما أحدثُ أمير المؤمنين المهديّ بشيء هو أطرف من هذا ، فأنتيه فاستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلتُ إليه فحدثته فأعجبه فأمر لي بألفي دينار ، فأحضرت ، فقال : ادفعها إليه . قال : فنهضت ، فقال لي : أعليك دين ؟ قلت : نعم ، قال : كم ؟ قلت : خمسون ألف دينار . فأمسك وجعل يحدثني ساعة ، ثم قال : امض إلى منزلك ، فصرت إلى منزلي فإذا خادم معه خمسون ألف دينار فقال : يقول لك أمير المؤمنين

اقض بهما دينك . قال : فقبضتها ، فلما كان من الغد أبطأ عليّ المكفوفُ وجاء رسول المهديّ يدعوني فجئته ، فقال : فكرت في أمرك وقلت : يقضي دينه ثم يحتاج إلى الحيلة والقرض ، وقد أمرتُ لك بخمسين ألف دينار أخرى ، قال : فقبضتها وانصرفت فأتاني المكفوفُ فدفعت إليه الألفي دينار ، وقلت : قد رزق الله تعالى بكرمه بك خيراً كثيراً ، وأعطيته من مالي ألفي دينار ^(١) .

(أبيات في التوديع) ^(٢)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : كنا عنده عشية — يعني أبا العباس أحمد بن يحيى — وذلك في سنة ثلاث وثمانين في شوال ، فجاءه أبو الحسن الأسديّ يودعه في خروجه إلى مكة ، فقال له : لو كنا نحسن صلتنا عند وداعك ما صنع غيرنا ، فقال : وما هو ؟ قال : قال أبو سعيد عبد الله ابن شبيب : أتيت هشام بن إبراهيم الأنصاري لأودعه في خروجه خرجها إلى المدينة ، فقال : لا أودعك حتى أغنيك ، ففنى :

وأنا بكيتُ على ^(٣) الفرا ق فهل بكيتَ كما بكيتُ
ولطمتُ خديّ خاليلاً ومرسته حتى اشتفتُ
وعواذلي بنهيتي عمن هوئتُ فما انتهيتُ
وقال أبو العباس بعقب هذا شيئاً لم أفهمه إلا أنه تكلم في أنا بكيت
أراد أنا بكيت بغير وقوف على الألف . قال : قال أبو سعيد : فجئتُ إلى الزبير لأودعه فحدثته بحديث هشام ، فقال : وأنا لا أودعك حتى أغنيك :
أزِفَ البَيْنُ المبين وجَلا ^(٤) الشكُ اليقين

(١) انظر هذه القصة في المستطرف ٢٤٣/١ ، وذيل ثمرات الأوراق ٢٦٥/٢ .

(٢) انظر التالي في أمالي القالي ١٦٣/١ ، ١٦٤ ، مع بعض اختلاف في السند والرواية .

(٣) في الأمالي : من .

(٤) في الأمالي : قطع .

لم أكنُ لا كنتُ أدري أن ذا البين يكونُ
 علموني كيف أشتتاً ق إذا خف القطبينُ
 حنت العيس فأكسى من على العيس الحنينُ (١)

(حذف ألف أنا في الوصل)

قال القاضي : الكلام المشهور : أنا فعلت بغير ألف في الوصل (٢) ،
 فإذا وقف المتكلم قال : أنا ، فأثبت الألف ، وإثباتها في الوصل لغة قد
 قرئ بها في مواضع من القرآن (٣) ، ومن قرأ كذلك نافع فيمن وافقه من
 أهل المدينة ، ومن هذه اللغة ، قول الشاعر :

أنا شَيْخُ الْعَشِيرَةِ فَأَعْرِفُونِي حَمِيداً قَدْ تَذَرَيْتُ السَّامَا (٤)

نصب حميداً على المدح والافتخار ، وقد قرأ بعض المتقدمين
 ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (٥) نصباً على هذا النحو من الاختصاص والافتخار .

(١) رواية هذا البيت في الأمالي :

حنت العيس فأبكياني من العيس الحنين

(٢) أي بحذف الألف التي بعد النون في الوصل .

(٣) وذلك مثل قوله تعالى : « قال أنا أحسي وأبيت » في سورة البقرة ، وقوله تعالى : « إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني » في سورة طه ، فجمهور القراء على حذف الألف في الوصل ، لأن هذه الألف تأتي لبيان حركة النون وفقاً لما في الوصل فإن ما بعد (أنا) يقوم مقام ذلك ، وقد أثبت الألف وفقاً ووصلاً نافع وابن أبي أويس ، وهي لغة بني تميم ، على أن ذلك شاذ عند الجمهور . انظر تفسير القرطبي ١٠٩٥ ، والبحر المحيط ٢٨٨/٢ .

(٤) البيت لحميد بن مجدل كما وردت نسبه في هامش تفسير القرطبي ١٩٠٥ ، وكلمة مجدل تصحيف والصحيح حميد بن مجدل الذي كان قهرماناً لعبه الملك بن مروان ، انظر عيون الأخبار ، هذا وقد ورد البيت في تفسير القرطبي مرتين : الأول عند تفسير قوله تعالى : « أنا أحسي وأبيت » في سورة البقرة والثانية عند قوله تعالى : « لكننا هو الله ربي » في سورة الكهف ، والرواية فيه : أنا سيف العشيرة بدل شيخ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٨ .

(أبيات لسوار يُعني بها)

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد المعروف بابن الشراي ، قال : حدثنا الحسين بن قصر ، قال : حدثنا الحرمي ، قال : دخلت حماماً في درب الثلج ، فإذا فيه سوارٌ بن عبد الله القاضي ^(١) في البيت الداخل قد استلقى وعليه المئزر ، فجلست بقربه فساكنني ساعة ثم قال : قد أحسمتني يا رجُل ، فيما أن تخرج أو أخرج فقلت : جئت أسألك عن مسألة ، فقال : ليس هذا موضع المسائل ، فقلت : إنما من مسائل الحمام ، فضحك وقال : هاها ، فقلت : من الفتى الذي يقول :

سَلَبْتُ عَظَامِي لِحَمَمِهَا فَتَرَكْتُهَا
عَوَارِي مِمَّا نَالَهَا تَتَكَسَّرُ
وَأُخْلِيَّتُهَا مِنْ مَخْطِهَا فَتَرَكْتُهَا
قَوَارِيرَ فِي أَجَوافِهَا الرِّيحَ تَصْفِيرُ
إِذَا سَمِعْتُ ذَكَرَ الْفِرَاقِ تَرَاعَدَتْ
مَفَاضِلُهَا خَوْفًا لِمَا تَتَنَظَّرُ
خَذِي يَدِي ثُمَّ اكْشِفِي الثَّوبَ فَاَنْظُرِي
بِلَيِّ جَسَدِي لَكِنِّي أَسْتَرُ

فقال سوار : أنا والله قُلْتُهَا . قلت : فإنه يُعني بها ويوجد ، فقال : لو شهد عندي الذي يُعني بها لأجرتُ شهادته ^(٢) .

قوله : أحسمتني لغة ، وحسمتني أكثر في العربية ، قال الشاعر :

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة البكري البصري ، أبو عبد الله نزل بغداد وولي بها قضاء الرصافة ، وكان فقيهاً فصيحا ، أديباً شاعراً وقد وثقه كثيرون منهم أحمد بن حنبل ، توفي سنة ٢٤٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٢٠٨/٩ .
(٢) انظر هذا الخبر في مصارع الشاق ١٧٤ هـ ، وانظر تاريخ بغداد ٢١٠/٩ .

لَعَمْرُكَ إِنَّ قُرْصَ أَبِي خَيْبٍ
بَطِيءٌ التَّضَجِّ مَحْشُومٌ الْأَكِيلِ^(١)

(ومن مأنور الحكم)

حدثنا محمد بن مَرْزُودٍ الخزازي ، قال : حدثنا الرَّبِيعُ بْنُ بَكَّارٍ ، قال :
حدثني عليُّ بن محمد المَدائِني ، قال : قال ملك من ملوك الأعاجم لحكيم من
حكماهم : أيُّ الملوك أحزم ؟ قال : من ملك جَدُّهُ هَزَلَهُ ، وقهر رأيه
هَوَاهُ ، وعَبَّرَ فعلُهُ عن ضميره ، ولم يَخْذَعْهُ رِضاهُ عن خَطِيئِهِ ،
ولا غَضَبُهُ عن كَيْدِهِ .

قال القاضي : هذا من أفصح لفظ وأحسنه ، وأوضح معنى وأبينه ،
وأنشدنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : أنشدني أبي لبعض الأعراب :

ألا يا حَمَامَ الشَّعْبِ شِعْبَ مُؤْتَسٍ
سَقِيَتِ الْغَوَادِي مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شِعْبِ
سَقِيَتِ الْغَوَادِي رَبَّ خَوْدٍ خَرِيدَةٍ^(٢)
أَصَاخَتْ لِحْفُضٍ مِنْ غِنَاكَ أَوْ نَضَبِ
فإن يَرْتَحِلْ صَحْبِي بِجُثْمَانِ أَعْظَمِي
يُقِيمُ قَلْبِي الْمَحْزُونُ فِي مَنْزِلِ الرِّكْبِ^(٣)

• • •

(١) البيت في اللسان ٢٠/١٣ .

(٢) الخود : الشاة الناعمة الحسنة الخلق ، والخريدة : البكر لم تمس .

(٣) الجبر والأبيات في مصارع المشاق ٢٧١ .

المجلس العاشر

(رجل أحب قوماً)

حدثنا أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي شيبه البزاز ، في المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة قال : حدثنا ابن حَسَّان ، قال : حدثنا بَقِيَّة ، قال : حدثنا شعبة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قيل : يا رسول الله ! رجل أحب قوماً ولما يعمل مثل عملهم ، قال : « هو منهم » قال : فما فرح أصحابُ رسولِ الله ﷺ بشيءٍ فرَحَهم بهذا الحديث (١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي أبو الفرج : أبان رسول الله ﷺ بما جاء عنه في هذا الحديث أن من تولى قوماً وأحبهم ، وكان راضياً بما أتوه من أفعالهم فهو منهم ، في استحقاقه الثناء والمدح ، والتولي لمشاركته إياهم في اعتقاد ما يعتقدونه وفي استحسان ما يستحسنونه ، وكذلك الأمر في من تولى قوماً على

(١) أخرجه الإمام أحمد بإسناده إلى ثابت بمثله ، انظر المستدرك ١/٦٨ ، ٢٢٨ ، ٢٨٨ ،
وانظر تحفة الأحوذى ، أبواب الزهد : باب « المرء مع من أحب » الحديث ٢٤٩٣ ،
٧١/٧ ، تاريخ بغداد ١٩٦/٥ .

اعتقاد فاسد وفعل قبيح في أنه ملحق في الذم بهم ، وجار في سقوط منزلة مجراهم .

وجاء في الخبر أن من حضر الفتنة فأذكرها فهو بمنزلة من غاب عنها ، ومن غاب عنها ورضي بها كان بمنزلة من شهدا ، وقد قال الله جل جلاله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) ، وقال جل اسمه : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ^(٣) وما أتى به في هذا المعنى من الكتاب والسنة كثير جداً ، وقد نعى الله عز وجل على مَنْ كان منهم على عهد نبينا ﷺ من كثرة أهل الكتاب ما كان من قبل أسلافهم ومن تقدم عهده من آبائهم أنبياءهم ، لرضاهم بذلك ودينونتهم به ، وتوليهم من تولى دينهم فعله ، وإن لم يدركوه ولم يباشروا ما تقدم منه ، ولم تنزل العرب تفتخر بما أتاه الماضون من آبائهم ، وتتمادح وتتعاير به ، وينسبونه في ألفاظهم إلى أنفسهم في أشعارهم وخطبهم لهذا المعنى ، ولهذا مذكور على استقصاء بشواهد في كتابنا المسمى « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » ، وإذا كان الأمر في هذا الفصل على ما وصفنا ، فتبين أن الراضي بالفعل والمؤتى له والدال عليه مشارك لفاعله فيما يكسبه من حمد أو ذم ، أو أجر أو إثم ، ولذلك أشرك رسول الله ﷺ بين من تولى الحج عن غيره وبين من أوصى به ، وبين من نفذ في الأجر ، وبين آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده في الوزر ، وبين العاصر والمعتصر ، والبائع والمشتري ، والحامل والمحمول

(١) سورة المائدة الآية ٥١ .

(٢) سورة الحشر الآية ٦٧ .

(٣) سورة التوبة الآية ٧١ .

إليه والساقى والشارب في اللعة التي أوقعها في الخمر ، وقال عليه السلام : « مَنْ كَتَمَ عَلَى غَالٍ فَهُوَ مِثْلُهُ » وجاء في الكاتم على السارق سرقة أنه يشركه في عارها وإثمها ، وهذا الباب أكثر من أن يُحصى ، ولم يزل ذور النهي وأولو البصائر والحجبي يبعثون على إتيان المحاسن وفعل المكارم وبحضون عليها ، فيحسن الذكر لهم والثناء عليهم ، ويتوفر من جميل الأحدثنة عنهم ما يرى كثيراً على من باشر الفعل بنفسه ، وبذل في العرف خاصة ماله ، والله در القائل ^(١) :

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعةً من جاهه فكأنها من ماله

وقد حدثنا أبو النصر أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن سعيد بن الحارث العقيلي ، قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن راهويه الكاتب ، قال : كتب إلي سهل بن صالح الحلواني أن الحسن بن سهل ^(٢) كتب لرجل شفاعاً ، فقام الرجل يدعو له ويشكره فقال له الحسن : على ما تشكرنا ونحن نرى كتب الشفاعات زكاةً مروءاتنا ، وأنشد :

فَرَضْتُ عَلَى زَكَاةٍ مَا مَلَكَتْ يَدِي

وزكاةً جاهي أن أُعِينَ وَأَشْفَعَا

فإذا ملكت فجُدْ وإن لم تستطعْ

فاجهدْ بوسْعِكَ كُلَّهُ أَنْ تَنْفَعَا ^(٣)

(١) هو أبو تمام ، انظر البيت في ديوانه ٢٤٠ ، محاضرات الأدباء ٢٧٢/١ ، نهاية الأرب ٩١/٣ ، التثيل والمحاضرة ٩٥ ، بهجة المجالس ٣٠٤/١ ، الموازية ٢٨ ، أخبار أبي تمام ٦٤ .

(٢) كان وزيراً للمأمون بعد مقتل أخيه الفضل بن سهل ، وهو والد بوزان زوج المأمون ، توفي سنة ٢٣٦ هـ .

(٣) ألف في تاريخ بغداد ٣٢٢/٧ ، والبيان في محاضرات الأدباء ٢٧٢/١ ، بهجة المجالس ٣٤٦/١ .

هكذا أمل علينا أبو النصر هذا الخبر من حفظه ، فقال فيه : فقام إليه يدعو له ويشكره ، وقال : على ما تشكرنا ؟ والفصيح من كلام العرب فشكر له ، تقول العرب : شكرت النعمة وشكرت للمنع ، قال الله تعالى ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِعَيْتِهِ تَعْبُدُونَ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ ^(٢) وقال تعالى ذكره : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ ^(٤) وقد جاء : شكرت فلاناً في لغة قلبية ، من ذلك قول الشاعر :

هُمُ جَمَعُوا نِعْمِي وَبُؤْسِي عَلَيْكُمْ
فَهَلَّا شَكَرْتَ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تُفَاتِلِ

وقال أبو نُحَيْلَةَ السَّعْدِي ^(٥) :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى
وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي

قال القاضي : ولنا في هذا المعنى ، والكلام على فقهه ، وبيان أصل ما

(١) سورة النحل الآية ١١٤ .

(٢) سورة النمل الآية ١٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٢ .

(٤) سورة لقمان الآية ١٤ .

(٥) بند هذا البيت بيت هو :

وأحييت من ذكرى وما كنت غاملاً ولكن بمض الذكر أنه من بعض
انظر عيون الأخبار ١٦٥/١ ، معجم الشعراء ١٩٣ ، بهجة المجالس ٣١٣/١ ، اللسان
٩١/٦ .

وفيه : الشكر لا يكون إلا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد ، فهذا الفرق بينهما ، وقد استدل بهذا البيت ابن سيده على الفرق بين الحمد والشكر . قال بدليل قوله : وما كل من أوليته ... الخ .

يتفرع منه رسالة مفردة مستقصاة ، يَعرِّزُ المتصورون لها ، ويَقِلُّ القائمون بها ، ونحمد الله على ظاهر نعمه وباطنها .

وأما قوله في هذا الخير : على ما تشكرنا ، فقد بيّنا في مجلسٍ من مجالسنا هذه أن الفصيح من كلام العرب حذف الألف فيما يأتي في هذا الباب على لفظ الاستفهام ، كقولك : فيم أنت ، ولم فعلت ؟ وعلام تذهب ؟ وعم تسأل ؟ وذكرنا ما نستشهد به على هذا ، وبعض ما أتى على اللغة الأخرى الآتية بإثبات الألف بشواهد بما كررنا إعادته ، ومن هذا الباب أيضاً : حتام كذا ، كما قال الكميت :

فتلك ولادةُ السوءِ قد طال عهدُهُم
فَحَتَّامٌ حَتَّامٌ العَنَاءُ المَطْوَلُ^(١)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا محرز الكاتب ، قال : قال الحسن بن سهل : كُتِبَ الشفاعاتِ زكاةُ الجاه .

(امرأتك أكرمكم)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو عكرمة الضبي ، قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدثنا أبو عبد الله الواقدي القاضي^(٢) ، قال : جاءني جاري يوم عرفة ، فقالت لي : ما عندنا من آلة العيد شيء ، فمضيت إلى صديق لي من التجار فعرفته

(١) البيت في المخطئ ٤٩٨ برواية : قد طال مكثهم ، وانظره في شرح الأشموني ٨٠/٣ بالرواية التي هنا ، وقال فيه : كررت حتى للتأكيد ودخلت عليها ما الاستفهامية وحلفت ألفها اكتفاء بالفتحة .

(٢) هو محمد بن عمر بن واثق الواقدي ، أبو عبد الله ، مولد الأسلميين ، كان من أهل المدينة ثم انتقل إلى بغداد ، وولي بها القضاء المأمون ، وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح والأخبار ، وهو صاحب كتاب مغازي رسول الله الذي طبع مؤخراً ، توفي سنة ٢٠٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٢١/٣ ، وفیات الأعيان ٥٠٦/١ ، الفهرست ١٤٤ .

حاجتي إلى القرض ، فأخرج إليّ كيساً غنوماً فيه ألف ومائتا درهم ،
فانصرفت به إلى المنزل ، فما استقررت ^(١) جالساً حتى استأذن عليّ رجل
من بني هاشم ، فذكر تخلف غلته واختلال حاله وحاجته إلى القرض ،
فدخلت إلى امرأتي فعجبتُها من ذلك ، فقالت : فما عزمك ؟ قلت :
أشاطره الكيس ، فقالت : والله ما أنصفت ، لقيت رجلاً سوّقة فأعطاك
شيئاً ، وجاءك رجلٌ له من رسول الله ﷺ رَحِمَ فتعطي نصف ما أعطاك
السوّقة ، فأخرجت الكيس بخاتمته فدفعته إليه ، ومضى صديقي التاجر
يلتمس منه القرض فأخرج إليه الكيس بخاتمته ، فلما رآه عرفه فجاءني به ،
ثم وافاني رسول يحيى بن خالد . يقول : إن الوزير شغل عنك بجاعات
أمير المؤمنين وهو يطلبك ، فركبتُ إليه وحدثته حديث الكيس وانتقاله ،
فقال : يا غلام ! هات تلك الدنانير ، فجاء بعشرة آلاف دينار ، فقال :
خذ أنت ألفين ، وأعط الهاشمي ألفين ، وصديقك التاجر ألفين ، وامرأته
أربعة آلاف دينار ، فإنها أكرمكم ^(٢) .

قال القاضي : أملى علينا أبو بكر بن الأنباري هذا الخبر في إثر خبر
الواقدي مع يحيى بن خالد ، وهو يضارع هذا الخبر في الجملة ويناسبه ،
وأنا ذاكره ، إن شاء الله .

(خبر الواقدي مع يحيى بن خالد)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا عامر
ابن عمران بن زياد ، أبو عكرمة الضبي ، قال : حدثنا محمد بن يحيى
العنبري ، عن أبي عبد الله الواقدي ، قال : كنت حنّاطاً ^(٣) بالمدينة أضارب ^(٤)

(١) في الأصل : فما استقرت ، وصحتها ما أثبتنا .

(٢) انظر الخبر في تاريخ بغداد ٢١/٣ ، ثمرات الأوراق ٢٣١/١ .

(٣) الحنّاط : بالغ الحطة .

(٤) المضاربة في الشرع : عقد شركة في الربح بمال من رجل وعمل من آخر .

بمائة ألف درهم من مال الناس قيسلي ، فلزمني وضائع فشخصتُ إلى بغداد وقصدتُ يحيى بن خالد البرمكي ، فجلست في دهليزٍ وأنست الخدم والحاشية ، وعرفتُهم حاجتي إلى الوصول إليه ، فقال لي بعضهم : إذا وُضع الطعام لم يُحجَّب عنه أحد ، فحينئذ أدخلك فأجلسك معه على المائدة ، ففعل بي ذلك ، وسألني يحيى عن خبري فشرحت له ، فلما غسلنا أيدينا دنوت منه أقبل رأسه فاشمأز مني ، فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه إذ قد لحقني خادِم بكيس فيه ألف دينار ، فقال : الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك : استعن بهذا على أمرك ، فأخذته وعدت في اليوم التالي فأجَلستُ معه على المائدة ، فسألني عما سألني في اليوم الماضي ، كأنه لم يرني ، فلما غسلنا أيدينا دنوت لأقبل رأسه فاشمأز من ذلك ، فلما صرت إلى موضع الركوب لحقني الخادِمُ بمثل ذلك الكيس ومثل تلك الرسالة ، فأخذته وانصرفت ، وفعل بي في اليوم الثالث مثل ذلك ، فلما كان اليوم الرابع وغسلنا أيدينا دنوت لأقبل رأسه فلم يشمأز من ذلك ، وقال : إنما امتنعتُ من هذا فيما مضى لأنه لم يكن وصل إليك من معروفنا ما يَحتمِلُ هذا ، ثم قال : يا غلام ! سلم إليه الدار الفلانية ، يا غلام ! أفرشه القرش الفلاني ، ثم قال : ادفعوا إليه مائة ألف درهم توجه في قضاء دينك واحمل عيالك إلى حضرتنا ، فقلت : إن رأي الوزير أن يأذن لي في الشخوص لأسلم إلى غُرَمائي حَقُوقَهُم فأنأ بهم أعرف ، وأقدمُ بعيالي فأنأ بهم أُرَقِّق . فقال : فلا تتأخرُ عنا ، وأمر لي بجائزة أخرى للشخوص ، فقدمت المدينة فقضيتُ دَينِي وقدمت بعيالي ، ولم أزل في ناحيته ومنقطعاً إليه ^(١) .

قال القاضي : وقد رُويَنا في هذا المعنى من أبواب المكارم ما يعودُ من محمود مغبتها وحسن عاقبتها ، وجميل الأحذُوثِ عن أهلها ويأتي بالثناء

(١) انظر هذا الخبر مرويًّا عن ما هنا في تاريخ بغداد ٤/٣ ، هـ .

عليهم ، وإن تصرمت أزمانهم ففقدت أعيانهم ، وقد جاء في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (١) أنه الثناء الحسن ، وقد قال حاتم (٢) :

أماويّ إن المالَ غادرَ ورائحُ
ويَبْتَنِي من المال ، الأحاديثُ والذكرُ

وقال آخر :

ثَمَنُ الإِحْسَانِ شُكْرُ وَيَدُ المَعْرُوفِ ذُخْرُ
وثناءُ الخيّ بعدَ التَّوْبَةِ لِلْمَيِّتِ عُمْرُ
ولتَعْمُرِي إن الزمانَ الذي يَبْتَنِي فيه على الميت بعد موته أحسنَ عمره
وأطولهما وأشرفهما وأفضلهما ، وبما قبل في هذا المعنى :
رَدَّتْ صنائعُهُ إليه حَيَاتُهُ فَكَانَتْ من تَشْرِيعِهَا مَنَشُورُ

(تعليق لغوي)

قوله : فكانه من نشرها منشور ، فيه وجهان : أحدهما فكانه من حياة ذكره والثناء عليه حي غير ميت ، يقال : فلان ذكر حي إذا كان بادياً غير خامل ، وقد مات ذكر فلان إذا انقطع ، قال أبو نُحَيْلَة :

فأحييت لي ذكري وما كنتُ خاملاً
ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أَثْبَتَهُ من بعضِ (٣)

(١) سورة الشراء الآية ٨٤ .

(٢) انظر ديوانه ٥٠ .

(٣) سبقت الإشارة إلى البيت في صفحة ٣١١ .

والوجه الثاني : أن يكون عني بنشرها راعيتها الطيبة ، كما قال الشاعر :

سَقَيْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُكَ بِضِرَّةٍ
بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقَرْطِ طَبِيبَةِ النَّشْرِ^(١)

وقال المرقش الأكبر :

النَّشْرُ مِسْلُكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَانِيرُ^(٢) وَأَطْرَافُ الْأَكُفِّ عَتَمٌ^(٣)
وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَّامَ وَصَوَّبَ الْقَسَامَ
وَتَشَّرَ الْخُرَامَى وَرِيحَ الْقَطْرِ

ويروي القَطَرُ ، القطر : العود الذي يتبخَّرُ به ، وقيل للمجمرة التي
توضع فيها لتبخَّرَ به : مقطرة ، اشتقاقاً منه ، قال المرقش الأصغر :

(١) البيت لأبراهيمي تزوج امرأة فلم توافقه ، فقتل له : إن حسي دمشق سريمة في موت
النساء ، فحلبها إليها ، وقال : قبل هذا البيت :

دمشق غلبها واطمني أن ليلسة تمر بعودي نمشها ليلة القدر

وقوله : أَكَلْتُ دَمًا أَجْرَاءُ جَرَى الْبَيْنِ ، فكأنه يريد أن يقتل له قتيلاً ويسبغ عن ثأره
فيريح يديته ، وقيل : لأنهم في سبي الجذب كانوا يفسدون قلوبهم ويشربون دمه فدها على
نفسه بذلك ، وقوله : أَرُكَ أَيُ أَفْزَعُك ، ومهوى القُرط : كتابة عن طول المتق .

(٢) النَّم : نبات أبيض دائم الخضرة أزهاره قرمزية يتخذ منها غصاب ، وانظر البيت من
قصيدة المرقش الأكبر في المناسبات ٢٣٨ ، والمعدة ١٤٩/١ ، والإقناع ٥٣ ،
والمبار ٨٠ .

(٣) البيت في ديوانه ١٥٧ ، ويده بيت يده تكملة له هو :

يصل به يرد أنياها إذا طرب الطائر المستحر

والقطر : العود الذي يتبخَّرُ به ، وهو يصف هذا المرأة بأن رائحة فيها عند السحر يشبه
الخمر وصوب القسام الذي تجزج به الخمر وريح الخزامى والعود .

في كُلِّ مَسْنَى لها مِظْطَرَّةٌ^(١) فيها كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمٌ^(٢)
 الكِبَاءُ ممدود : العود وقيل : ما يُتَبَخَّرُ به ، والكِبَاءُ مقصور المزبلة ،
 وقوله : منشور فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون معناه النشر المقابل للطي ،
 كما قال الشاعر :

طوى الموتُ ما بيني وبين محمدٍ وليس لما تطوي المنيّةُ نَاشِرُ^(٣)
 فجعل موته بمنزلة ثوب أو غيره طوي ما كان منه ظاهراً وخفي ،
 وقد قال الشاعر :

فإن أظْهَرُوا خَيْرًا فَجَازَ بِمِثْلِهِ
 وإن هُمْ طَوَوْا عَنْكَ الحَدِيثَ فلا تَسَلْ
 وقال بعض المُحدِّثين :

فإن يَكُ هذا مِنْكَ جِدًّا فلأنّي
 مُدَاوِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِالْمُتَجَرِّ
 ومنصرفٌ عَنْكَ انْتَصِرَافَ ابْنِ حُرَّةٍ^(٤)
 طَوَى وَدَّهْ وَالطَّيُّ أَبْقَى عَلَى النَّشْرِ
 قال أبو العتاهية - وقد روى لنا عن تقدم بزمان طويل^(٥) :

طَوَيْتُكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ
 كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْرًا وَطَيًّا

(١) البيت في اللسان ٤١٩/٦ ، والرواية فيه : يوم يدل معنى ، قال ومعناه : أن لما ماء حاراً
 فيه رائحة العود تحم به .
 (٢) البيت أول ثلاثة أبيات في ذيل الأمالي ٣٥ ، أنشدها التوزي لبعض الشعراء يرثي أحملاً له .
 (٣) انظر البيت ضمن خمسة أبيات في ذيل الأمالي ٣٥ ، وقد أوردها أبو علي القتالي بقوله :
 حدثنا الرياشي عن الصنبي عن أبيه ، قال : رأيت امرأة بصرية جالسة عند قبر تبكي ،
 وتقول هذه الأبيات ..

ويقال للحديث إذا اشتهر واستفاض وتفرق : انتشر .

والوجه الثاني : أن يكون معنى منشور : مُحْيَاً ، وفي هذا الوجه لغتان يقال : أنشر الله الميت إنشاراً فنشر هو نُشُوراً ، وهذه أعلى اللغتين ، وأكثرهما وأفصحهما وأظهرهما وبها جاء التنزيل ، قال الله تعالى ذكره : ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرْنَاهُ﴾ ^(١) ، يقال من هذه اللغة : أنشره الله وهو منشره ، ونشر الميت ^(٢) فهو ناشر ، قال الأعشى ^(٣) :

لو أَسْنَدَت مَيِّتًا إِلَى نَحْرِهَا عاش ولم يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

وقال الله أصدق القائلين : ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ ^(٤) واللغة الثانية : نُشِرَ الميت فهو منشور ، وهو أقل اللغتين ، وكثير من أهل العلم لا يعرفها وقد حُكِّيتَ لَنَا ، وبمن حكاها أبو بكر بن دُرَيْدٍ ، وقال الله عز وجل : ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا﴾ ^(٥) ، فَأَتَتْ فِيهَا ثَلَاثُ قِرَاءَاتٍ ، تُنْشَرُهَا بضم النون والراء ^(٦) بمعنى نُحْيِيهَا ، كما قال عزّ ذكره : ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ^(٧) وَتُنْشَرُهَا بِالراء أيضاً بفتح النون ^(٨) ، وفي هذه القراءة وجهان من

(١) سورة عيس ، الآية ٢٢ .

(٢) أي نشر هو بنفسه فهو ناشر .

(٣) انظر ديوانه ٩٤ ، والصناعتين ٩٣ ، والموشح ١١٤ .

(٤) الآية ٢١ من سورة الأنبياء .

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .

(٦) وهي قراءة الجميع ما عدا الكوفيين وابن عامر .

(٧) سورة يس ، الآية ٧٨ .

(٨) وهي قراءة ابن عباس والحسن وأبي حنيفة ، ورواها إبان عن عاصم ، وقال في القريظي

١١٣ : هما لغتان في الإحياء بمعنى ، كما يقال : رجع ورجعته ، وغاض الماء وغضته ، قال : إلا أن المعروف في اللغة : أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم أمة بحيوا ، قال الله

التأويل ، أحدهما النشر الذي هو خلاف الطي ، والآخر حَسَلُهُ على لغة من يقول : نشر الله الميت فنشر ، مثل جبر الله فجبر ، كما قال المعراج :

قد جَبَرَ الدِّينَ إِلَهَهُ فَجَبَّرَ ^(١)

ومثله : فَعَرَّتْ فَاهُ فَفَغَرُ إِذَا فَتَحَتْهُ فَانْفَتَحَ ، ومثله : شَحَا فَاهُ ^(٢) وَشَحَا قُوهُ .

والقراءة الثالثة : نُشْشِزْهَا بِالزَّايِ يضم النون أي نرفع بعضها إلى بعض واستقصاء الكلام في معاني هذه القراءات وتسمية القراء بها وبيان ما

= تماثل : (ثم إذا شاء أنشره ويكون نشرها مثل نشر الثوب ، نشر الميت ينشر نشوراً أي عاث بعد الموت ، فكان الموت طي العظام والأعضاء ، وكان الإحياء وجمع الأعضاء بعضها إلى بعض نشر ، وأما قراءة « نششزها » بالزاي فسماء نرفعتها . والنشر : المرفوع من الأرض ، قال مكِّي : المعنى : انظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء ، لأن النشر الارتفاع ، ومنه المرأة للنشر ، وهي المرفوعة عن موافقة زوجها ، ومنه قوله تماثل : (وإذا قبل أنشزوا فأنشزوا) أي ارتفعوا وانفسوا . وأيضاً فإن القراءة بالراء بمعنى الإحياء ، والعظام لا تحيا على انفراد حتى ينضم بعضها إلى بعض ، والزاي أولى بذلك المعنى ، إذ هو بمعنى الانضمام دون الإحياء ، فالموصوف بالإحياء هو الرجل دون العظام على انفرادها ، ولا يقال هذا عظم حي ، وإنما المعنى فأنظر إلى العظام كيف نرفعتها من أماكنها من الأرض إلى جسم صاحبها للإحياء .

هذا هو توجيه هذه القراءات التي أوردتها المؤلف هنا باختصار ، وثمة قراءات أخرى في الآية الكريمة ، انظرها في القرطبي والبحر المحيط لأبي حيان ، واللسان ٦١/٧ ، ٦٢ . (١) بيت من الرجز تكلمته : وعور الرحمن من ولي العور .

وهو من قصيدة طويلة منح بها السجاج عمر بن عبيد الله بن معمر النخعي ، وكان عبد الملك قد وجهه لقتال أبي قهيك الحاروري الخارجي فألق به وبأسحابه ، انظر غزاة الأدب ٩٦/٢ ، وانظر البيت في مجموع أشعار العرب ١٥/٢ ، اللسان جبر ، خلق الإنسان للأصمعي ٢١٥ ، وخلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت ٢٤٥ ، وإصلاح المخلوق ٢٥٤ ، والأغانى ٣٥٢/٢٠ .

والشاهد في إثبات استعمال الفعل جبر لازماً ومتعلباً ، يقال : جبر العظم جبراً وجبر العظم ينضمه جبراً ، وقد جمعهما المعراج في البيت .

(٢) شحافاه: فتحه .

يُختار منها يطول ، وهو مرسوم فيما ألفناه من كتبنا في القراءات وعلوم القرآن على الشرح والبيان .

ومما جاء في حسن الثناء ما أنشدناه عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : أنشدني أبو جعفر القرشي :

كُلُّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقُضِي
إِلَّا الثَّنَاءَ فَإِنَّهُ لَكَ بَاقٍ
وَلَوْ أَنِّي خَيْرْتُ كُلُّهُ فَضِيلَةً
مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ حَاسَنِ الْأَخْلَاقِ

وقد روينا في بذل العطاء وما ينتج من حسن الثناء ما لم نر إطالة هذه المجلس به ، لأننا بنينا كتابنا هذا على تضمينه أنواعاً متنوعة ، وغير جارية على أبواب مجموعة محصورة ، لثلاث تنافوت مجالس الكتاب في الطول والقصر ، ونحن نأتي من هذا الباب فيما نستقبله من هذه المجالس ما يتفق ويحضر أولاً ، إن شاء الله .

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال :- حدثنا أبو العباس الميرد ، قال : أخبرنا التوزي ، عن أبي عبيدة ، قال : لما بلغ حاتم طيء قول المتلمس :

قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلِحُهُ فَيَقْصِي
وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفَسَادِ
وَحَفْظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ فَتَاهُ
وَعَسْفُ فِي الْبِلَادِ بَغْيٌ زَادَ (١)

(١) الخبر التالي كما هنا في المعتمد حوالياً إلى البيهقي ٣٠٨/١ ، خزاعة الأدب ٧٢/٣ ، المقدم الفريد ٣٤/٣ ولم يرد فيه بيت حاتم الثالث .

(٢) يرد البيهقي الثاني قبل الأول في ديوان المتلمس ، وزيارة البيتين ثمة :

قال : ما له قطع الله لسانه حمل الناس على البخل ، فهلاً قال :
 فلا الجودُ يُفني المالَ قبلَ فناءه ولا البُخلُ في مال الشحيح يَزِيدُ^١
 ' فلا تلتبسْ مالاً يعيشُ مُقْتَسِرٌ لكلِّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديداً
 ألم تر أن المالَ غادرٍ ورائحُ وأن الذي يعطيكَ غَيْرُ بعيدٍ
 ولقد أحسنَ حاتمُ في قوله :

وَأَنْ الَّذِي يُعْطِيكَ غَيْرُ بَعِيدٍ

ولو كان مُسْلِماً لَرُجِيَ له بما أتى من هذا ما يغتبطه في معاده ، وقد
 أتى كتاب الله عز وجل في هذا المعنى بما يتشجّر المخلوقون عن مساوئه ،
 قال الله تعالى ذكره : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(١) ، وقال جلَّ
 ثناؤه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ
 الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ ^(٢) .

(العباس بن الأحنف يؤتى به ليلاً لإجازة بيت) ^(٣)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي قال : حدثنا أبو
 محمد بن أبي سعد ، قال : حدثنا عبد الله بن الربيع ، قال : حدثني بعضُ
 أصحابنا ، قال : صنع الرشيد ذات ليلة بيتاً واضطرب عليه الثاني ،
 فقال : عليّ بالعباس بن الأحنف ، فأُتِيَ به في جوف الليل على حال من
 الدُّعْر عظيمة ، فقال له الرشيد : لا تُرْسَخْ ، قال : وكيف لا يكون ذلك ؟

-
- لحفظ المال أيسر من بقاءه . وسير في البلاد ينسیر زاد
 وإصلاح القليل يزيد فيه . ولا يبقى الكثير مع الفساد
 انظر الديوان ١٧٢ ، ١٧٣ ، وانظر المراجع الكثيرة التي ساقها المحقق في تخریج البيتين
 مع غيرها من أبيات القصيدة في صفحتي ١٦٣ ، ١٦٤ .
 (١) سورة النساء الآية ٣٢ .
 (٢) سورة البقرة الآية ١٨٦ .
 (٣) انظر التالي في تاريخ بغداد ١٣٠/١٢ ، ١٣١ نقل عما هنا .

وقد طَرِقتُ في منزلي في مثل هذا الوقت فلم أخرج من منزلي إلا والرابعة فيه ، وأهلي لا يشكُّون في قتلي ، فقال : إنما أحضرْتُك لبيت قلته صعب عليَّ أن أشفِعهُ بمنله ، قال : ما هو ؟ قال :

جَنَانٌ قَدْ رَأَيْتَاهَا فَلَمْ تَرَ مِثْلَهَا بَشَرًا
فَدان العباس :

يَزِيدُكَ وَجْهَهَا حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا
إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ عَلَيْكَ لَكَ بِالْإِظْلَامِ وَاعْتَكِرَا
وَدَجَّ فَلَمْ تَرَ قَمَرًا فَأَبْرَزَهَا تَرَى قَمَرًا
فقال الرشيد : أقل ما يجب لك علينا أن ندفع إليك دينك إذ نزل بك هذا الرُّوحَ بعيالك منا . فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه .

(في صلة هذا الخبر)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا الغلابي ، قال : سئل ابن عائشة ^(١) عن أشعر المحدثين ، قال : الذي يقول :

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعْنَا مِنْ مَنْ أَرْزَاهُ قَمَرًا
قال أبو بكر الصولي : فأخذ هذا المعنى أحمدُ بن يحيى بن العراق الكوفي فقال :

بَدَأَ وَكَأَنَّمَا قَمَرٌ عَلَى أَرْزَاهُ طَلَعَا

(١) هو عبد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن حبيب الله بن معمر التميمي ، يقال له ابن عائشة والمائتي والعيشي نسبة إلى عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها ، وكان كثير العلم والسماع ، متصرفاً في الخبر والأثر كثير الفوائد ، ومن أجواد قريش ، توفي باليمامة سنة ٢٨٨ هـ ، انظر المعارف ٥٩٨ هـ ، والبيان والتبيين ١٠٢/١ ، ٣٢٠ .

بَحَثَ الْمِسْكُ مِنْ عِرْقِ الْخَبِيثِ بَنَانُهُ وَلَمَّا

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال :
حدثني محمد بن يزيد المبرد ، قال : صرت إلى مجلس ابن عائشة وفيه
الجاحظ والجماز^(١) ، فسأله عيسى بن إسماعيل تينة : من أشعر المولدين ؟
فقال : الذي يقول :

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَتْ مِنْ أَزْوَاجِهِ قَمَرًا
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ تَنْظَرًا
بَعَيْنٍ خَالَطَ التَّقْتِيَةَ رَمٍ مِنْ أَجْفَانِهَا الْخَوَرَا
وَوَجْهِهِ سَامِرِيٍّ إِذْ تَصَوَّبَ مَأْوُهُ قَطَرًا
يعني العباس بن الأحنف .

(في وجهه شافع)^(٢)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا علي بن يحيى ، قال :
كنت واقفاً بين يدي المعتضد وهو مقطب ، فأقبل بدمر فلما رآه من بعيد
تبسم وأنشد :

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ مِنْ الْقُلُوبِ وَجْهِهِ حَيْثُ مَا شَفَعَا
ثُمَّ قَالَ لِي : لِمَنْ هَذَا ؟ قلت : يقوله الحكم بن قنبر المازني
البصري ، قال : أنشدني باقي شعره ، فأنشدته :

لَتَهْتَبِي عَلَى مِنْ أَطَارِ النَّوْمِ فَاثْتَمَعَا
وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعًا

(١) هو محمد بن عمرو بن عطاء بن ديسان ، شاعر بصري ، كان ماجناً عبيث اللسان ذا نادرة
دخل بغداد أيام الرشيد وعاش بها ، وقد أعجب به المتوكل ذات مرة فأمر له بعشرة آلاف
درهم ، فأخذها وانحدر بها إلى البصرة فمات فرحاً بها ، انظر تاريخ بغداد : ١١٢/٣ .
(٢) الخبر التالي في مصارع المشاق ٢٧١ .

كأنما الشمسُ من أعطافه لَمَعَتْ
حُسْنًا إلى البَدْرِ من أزراره طلعا
مستقبلٌ بالذي يَهْرَى وإن عَظُمَتْ
منه الإساءة مَعْدُورٌ بما صَنَعَا
في وجهه شافعٌ يَمْحُو إساءته
من القلوب وجيهٌ حيث ما شفعَا
قال الصُّولي : وأخذ هذا المعنى أحمد بن يحيى العراق الكوفي .
فقال :

بَدَا فَكَأَنَّمَا قَمَرٌ

وأنشد البيهقي ، ثم قال الصولي : حدثني أبو عبد الله حرمي الكاتب ،
قال : حدثني أحمد بن يحيى العراق ، قال : خرجتُ من بغداد أريد
الكوفة واكترت حِمَارًا فَتَأَلَّمْتُ من ركوبه ، وكان مع المكاربي عدَّةٌ من
الحمير للكراء غَيْرَهُ ، فَفَكَّرْتُ في أن أسأله إبداله لي بغيره فابتدأ يُعَيِّي :

بَدَا وَكَأَنَّمَا قَمَرٌ عَلَى أَزْرَارِهِ طَلَعَا

فقلتُ : أَعْلِمُهُ أَنَّ الشَّعْرَ لي حَتَّى يَسْهَلَ عَلَيْهِ إبداله حِمَارِي ،
فقلتُ : لِمَن هُوَ ؟ فَقَالَ : لِمَن أُمُّهُ أَلْفُ مُؤَاخَرَةٍ ، جِرْوَالِك جِر (١) ،
فخفت والله أن أزداد فيزيدي ، ومررتُ من الحمار شدة .

(القول في معنى : في وجهه شافع)

قال القاضي : يتجه في قوله : في وجهه شافع يَمْحُو إساءته من القلوب ،
أن يكون المعنى : يَمْحُو من القلوب الإساءة فيزيلها منها ، ويمحوز أن يكون

(١) والكَ : كلمة نداء باللهجة العامية العراقية . تقول في إلح والزجر .

المعنى : في وجهه شافع من القلوب وجهه ، ويكون في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون من القلوب من صلة شافع ، ويشهد لهذا أنه قد روى هذا البيت من طريق آخر :

في وجهه شافع يحو إساءته مُشَقَّعٌ ووجهه حيث ما شفعاً

فعلى هذا : من القلوب صفة لشافع كشفع ، والتقديم والتأخير إذا دلت جملة الكلام على معناه وعلى موضع كل شيء منه ، كثير في اللغة مشهور في العربية . قال الله عز وجل : ﴿ الْحَسْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِطْمًا ۖ ﴾^(١) .

وقال الشاعر :

إذا شاب الغرَابُ لقيتُ أهلي وصار القَارُ كاللَّيْنِ الحَلِيبِ^(٢)

(الأصمعي يعادي ابن الأحنف)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : قال لي أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الشامي : كان الأصمعيُّ يعادي عباس بن الأحنف ، فقال عباس يوماً وهو بين يدي الرشيد والأصمعي بالحضرة :

إذا أُحْييتَ أنْ تَعُـ سَلَّ شَيْئًا يُعْجِبُ النَّاسَا
فَصَوِّرْ هَا هُنَا قَوْرَا وَصَوِّرْ تَسْمَ عَبَّاسَا
وَدَعْ بَيْنَهُمَا فِتْرَا فَإِنْ زِدْتَ فَلَا بَاسَا
فَلَنْ لَمْ يَدْنُورَا حَتَّى تَرَى رَأْسَيْهِمَا رَاسَا

(١) سورة الكهف ، الآية ١ ، والشاهد في الآية قوله تعالى : قِيمَا ، فقد أضر الحال عن صاحبها وهو الكتاب ، وأصل الكلام : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قِيمَا .

(٢) الشاهد فيه قوله : وصار القار كاللَّيْنِ الحَلِيبِ ، فقدم وأضر ، وأصل الكلام : وصار
ابن الحليب كالقار .

فكذبَها بما قاستُ وكذبَ به بما قاسا
 فقال الرشيد : ما رأيتُ معنى أحسن من هذا . فقال الأصمعي : قد
 سبقَ إلى هذا المعنى رجلٌ من العرب ورجلٌ من النبط ، فقال : ما قال
 العربي ؟ قال : كان رجلٌ يقال له عُمَرُ يجبُ جارية يقال لها قمر ،
 فقال :

إذا أُحِبَّتْ أَنْ تُبْـ صر شيئاً يُعْجِبُ الْبَشَرَ
 فَصَوِّرْ هَا هُنَا قَمَرًا وَصَوِّرْ هَا هُنَا عُبْرًا
 فَإِنْ لَمْ يَدْنُوكَ حَتَّى تَرَى بَشَرِيهِمَا بَشَرًا
 فَكُذِّبْ بِمَا ذَكَرْتَ وَكُذِّبْ بِمَا ذَكَرَا

قال الرشيد : فما قال النبطي ؟ قال : كان رجلٌ يقال له زُورًا يجب
 جارية يقال لها فُلْكَا ، فقال :

إذا أُحِبَّتْ أَنْ تَعـ مل شيئاً يعجب الخلقَا
 وَتَسْمَعْ صَوْتَ مَعْشُو قَيْنَ لَاقِي فِي الْهَوَى رَبَقَا
 فَصَوِّرْ هَا هُنَا زُورًا وَصَوِّرْ هَا هُنَا فُلْكَا
 فَإِنْ لَمْ يَدْنُوكَ حَتَّى تَرَى خَلْقَتَيْهِمَا خَلْقَا
 فَكُذِّبْ بِمَا لَاقَتْ وَكُذِّبْ بِمَا يَلْقَى

(تعليق نحوي)

قال القاضي : هكذا رواه لنا الكوكبي . فصور هاهنا فوزاً بالصرف ،
 وترك الصرف أعلى ، وكان الزجاج لا يميز صرف شيء من الأسماء المؤنثة
 إلا في ضرورة الشعر ، وكان جميع من تقدم من النحاة يميز في مثل هند
 ودعد ، وما كان وسطه من أسماء المؤنث ساكناً ويختارون ترك الصرف
 في غير الشعر .

وقوله : حتى ترى رأسيهما رأساً ، ثنى الرأس في اللفظ ، والنصيح
 فيه وفيما كان في الجسد منه واحد أن يؤتى به على لفظ الجمع في تثنيته

وجمعه ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَقَدَّرَ صَبَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(١) واللغة الأخرى معروفة ويبين ذلك قول أبي ذؤيب ^(٢) :

فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بنوافذ
كنوافذ العُبطِ التي لا تُرْفَعُ

ويروى العُبط وهو جمع عبط ، يقال : اعبط الرجل إذا هلك شاباً ، واعتبط البعير إذا نُحِرَ فُتْيَا ، قال أمية بن أبي الصلت ^(٣) :

من لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا للموت كَأْسٌ والمرءُ ذَائِقُهَا
والدم العبيط : الطري ، ويروى كنوافذ العطب وهو جمع عطبة ،
وهي القطعة من القطن ، مثل غرفة وغُرف وحُجرة وحُجَر .

أنشدنا ابن دريد ، قال : أنشدني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة :

لي صاحبٌ ليس يَخْلُو لسانه عن جراحِي
يُجِيدُ تَمْزِيْقَ عِرْضِي على طريق المُرَّاحِ ^(٤)

* * *

(١) سورة التحريم الآية ٤ .

(٢) ديوان الهلاليين ٢٠/١ ، وهو يصف في البيت فارسين أنفذ كل منهما سيفه في صاحبه فاعتلس نفسه وذلك بطلته ملنات نوافذ تشبه في اتساعها ونفاذها وعدم التثامها شقوقاً في ثياب جلد لا ترفع بعد شقها ، وهي شقوق الجيوب وأطراف الأكمام والذيل إذ هي التي لا ترفع بعد أن تشق ، وهي العبط بفميتين الواحد عبيط ، من العبط وهو شق الثوب ونحوه صحيحاً .

(٣) البيت في ديوانه ٤٢ ، عيون الأخبار ٣٧٤/٢ ، اللسان (عبط) ، الكامل للمبرد ٤٣ مشوباً لرجل من الخوارج وكذلك ذكر في الموشع ١٢٢ رواية عن الأصمعي ، وورد بدون نسبة في الغزاة ٤٥٧/١ .

(٤) نسب البيتان لأبي جعفر الطبري في نهج المجالس ٥٦٨/١ ، ووردا دون نسبة في محاضرات الأدباء ١٣٧/١ .

المجلس الحادي عشر

(نعم الإبل الثلاثون)

حدثنا بدر بن المهيم الحضرمي الكوفي ، قال : حدثنا محمد بن عمر بن الوليد قال : حدثنا أبو أسامة ، عن محمد يعني ابن شريك ، قال : سمعت عطاء يقول : قال أبو هريرة ، قال النبي ﷺ : « نِعَمَ الإِبِلُ الثَّلَاثُونَ ، يُنَحَّرُ سَمِينُهَا وَيُحْمَلُ عَلَى نَجِييِهَا » ^(١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : قد نَبَّه النبي ﷺ في هذا الخبر على أن هذا العدد من الإبل قَصْدٌ من المال ، وأشار بمدحه فيه إلى من نحر السمين منها وحمل على النجيب ، فدلَّ على فضل من نحر المال لسبل المعروف ووجوه البر ، وأوماً إلى الترغيب في قري الضيف وإتفاق أعلى الظهر وبث المكارم العائدة بالأجر وجميل الذكر ، ولم يزل الألباء يؤثرون بذل النواك وإفاضة

(١) أخرجه الإمام أحمد بإسناده إلى محمد بن شريك ، المستد ٤٤٦/٢ - ٤٤٧ ، ولفظه فيه : « نعم الإبل الثلاثون ، يحمل على نجيبها ، وتبر أداتها ، وتمنع غزيرتها ، ويجيبها يوم وردها إلى أسطاتها » .

الإفضال ، تَزَوَّدًا ليوم العرض ، وصيانة للعرض ، ورغبة في إحراز الذكر ، وحُسن القالة وجميل الذكر ، على تشعب الأمور الباعثة لهم على كريم السخاء وشريف العطايا .

(فَمَنْ جُودَ مَعْنَى بِن زَالِدَة)

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي ، قال : حدثنا قَعْنَبٌ ، قال : قال سعيد بن سلم^(١) : لما ولي المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة ، فلما صاروا ببابه واستأذنوا عليه فدخل الآذن فقال : أ صلح الله الأمير ، بالباب وفد من أهل العراق ، قال : من أيِّ العراق ؟ قال : من الكوفة ، قال : ائذن لهم ، فدخلوا عليه فنظر إليهم معن في هيئة زَرِيَّة ، فوثب على أريكته وأنشأ يقول :

إِذَا نَوْبَةٌ نَابَتْ صَدِيقَكَ فَاغْتَنِمِ
مَرَمَتَهَا فَالدهرُ بالناس قُلْبُ
فَأَحْسِنُ لَوَيْيكَ الَّذِي هُوَ لَا يَسُ
وَأَفْرَهُ مُهْرِيكَ الَّذِي هُوَ يَرْكَبُ
وَبَادِرٍ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا
زَوَالِ اقْتِدَارٍ أَوْ غَى عَنْكَ يُعَقِّبُ^(٢)

قال : فوثب إليه رجل من القوم ، وقال : أ صلح الله الأمير ، ألا أنشدك أحسن من هذا ؟ قال : لمن ؟ قال : لابن عمك ابن هرمة ، قال : هات ، فأنشأ يقول^(٣) :

(١) القصة التالية في ثمرات الأوراق ٢٠٨/٢ ، تاريخ بغداد ٢٣٧/١٣ ، نقلا من ما هنا .
(٢) يعقب : يتحول .
(٣) وردت الأبيات التالية في ديوان ابن هرمة ٢٣٥ ، نقلا عن تاريخ بغداد ومجموعة الماني -

وللنفس تاراتٌ تحلُّ بها العرى
وتسحُّو عن المال النفوس الشحاحُ
إذا المرء لم ينفعك حيًّا فنفعه
أقلُّ إذا ضمت عليه الصفائحُ
لأية حال يمنع المرء ماله
غدا فغدا والموت غدا ورائحُ

قال معن : أحسنت والله وإن كان الشعر لغيرك ، يا غلام ! أعطهم
أربعة آلاف يستعينوا بها على أمورهم إلى أن يتهيا لنا فيهم ما نريد ، فقال
الغلام : يا سيدي ! أجعلها دنائير أم دراهم ، فقال معن : والله لا تكون
همتلك أرفع من همتي ، صفرها لهم ^(١) .

(ومن سخاء يزيد بن المهلب)

حدثنا إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع ، قال : حدثنا أحمد بن أبي
الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، قال : جاء رجل إلى يزيد بن المهلب ^(٢)
فامتدحه ، فأحمد عقله وفصاحته فجعله أحد ندمائه ، وكان ينصرف في
كل يوم من عطيته بمائة دينار ، فلما أن أراد الرحيل والانصراف إلى أهله
أمر له بثلاثة آلاف دينار ثم قال : إني - والله - ما أستقلها تكبراً ولا
أستكرها امتناناً ، ولا أستزيدك بها ثناءً ولا أقطع لك بها رجاءً .

= ٣٤ ، ونسبت في وسط السلي ٨٠٤ إلى حسان بن الندير أحد بني عامر بن ثور ، وانظر
البيتين الأولين في المزهري ٢٨١/٢ .

(١) صفرها لهم : أي أجعلها ذهباً ، فالأصغر هو اسم الذهب .
(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، من أمراء الدولة الأموية ، وقوادها ، ولي خراسان بعد
أبيه سنة ٨٣ هـ ، ولكن الحجاج كان يكرهه لسودده ونجايته فأشار على عبد الملك بنزله
فنزله سنة ٩٢ هـ ، ثم حبسه الحجاج فهرب من سجنه ونزل على سليمان بن عبد الملك ، ولكن
ما لبث أن حبسه عمر بن عبد العزيز فهرب من سجنه أيضاً ، ولما قتل يزيد بن عبد الملك
خرج عليه فأرسل إليه أخاه مسلمة فقتله سنة ١٠٢ هـ ، انظر تاريخ الطبري ٢٠/٨ .

(ليلي الأخييلية ووفودها على الحجاج)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد ، عن أبي الحسن المدائني ، عن حدثه ، عن مولى لعنيسة ابن سعيد بن العاص ، قال : كنت أدخل مع عنيسة إذا دخل على الحجاج ، فدخل يوماً ودخلت إليهما وليس عند الحجاج أحد غير عنيسة ، فعدت فجاء الحجاج بطبق فيه رطب ، فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني ، ثم جاء بطبق آخر فأتاني الخادم منه بشيء ، ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يؤتون بشيء إلا جاءني منه بشيء حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهم ، ثم جاء الحاجب فقال : امرأة بالباب ، فقال الحجاج : أدخلها . فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت إليها فإذا امرأة قد أسنت ، حسنة الخلق ، ومعهما جارتان لها ، وإذا هي ليلي الأخييلية ، فسألها الحجاج عن نسبها ^(١) فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلي ! ما أتاني بك ؟ قالت : لإخلاف النجوم وقلة الغيوم وكم البرد ^(٢) وشدة الجهد ، وكنّت لنا بعد الله الرفد ^(٣) ، فقال لها : صفني لنا الفجاج ، فقالت : مُعْبَرَة والأرض مقشعرة ^(٤) ، والمبرك معتل ، وذو العيال مختل ^(٥) ،

(١) نسبها هو : ليلي بنت عبد الله الرحال - وقيل : ابن الرسالة - بن شداد بن كعب بن معاوية ويعرف بالأخيل الذي تنسب إليه ، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن صعصعة . وهي من النساء المتقدمات في الثمر من شمره الإسلام ، وكان توبة بن الحبير ينواها ، وهو توبة بن الحبير بن حزم بن كعب بن غفاجة بن عمرو بن عقيل ، انظر الأغاني ٢٠٤/١١ .

(٢) أخلاف النجوم تريد به امتناع المطر ، وكم البرد : شدته .

(٣) في الأغاني وأمالى القتالي : الرد أي الكهف والمقل .

(٤) الفجاج : جميع فج ، وهو كل سمة بين نساخين من الأرض ، ومتشعبة أي متباعدة من المحل .

(٥) المختل : المحتاج .

والمال القُلُّ^(١) ، والناس مُسْتَشْتُونَ ، رحمة الله يَرْجُونَ ، وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة^(٢) ، لم تدع لنا هُبُعاً ولا رُبْعاً ، ولا عافطة ولا نأفطة^(٣) ، أذهبت الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ، ثم قالت : قد قلت في الأمير قولاً^(٤) ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أَحْجَاجُ لَا يُفْلِلُ سِلَاحُكَ إِنَّمَا الْ	مَتَايَا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ يَرَاهَا
أَحْجَاجُ لَا تَعْطِي الْعُدَاةَ مَنَاهِمُ	وَلَا اللَّهُ يَعْطِي لِلْعُدَاةِ مَنَاهَا ^(٥)
إِذَا هَبَطَ الْحِجَاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً	تَتَبَّعُ أَقْصَى دَأْبِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا	غَلَامٌ إِذَا هَزَّتِ الْقَنَاةَ سَقَّاهَا ^(٦)
سَقَّاهَا فَرَوَاهَا بِشَرِّبٍ سِجَّالُهُ	دَمَاءُ رِجَالٍ حَيْثُ قَالَ حَشَاهَا ^(٧)
إِذَا سَمِعَ الْحِجَاجُ رِزًّا كَتَبِيَّةً ^(٨)	أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ التَّزُولِ قِرَاهَا
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً	بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلِيُونَ صَرَاهَا ^(٩)
فَمَا وَلَدَ الْإِبْكَارُ وَالْعَوْنُ مِثْلَهُ	يَبْحِرُ وَلَا أَرْضٌ يَجِيفُ تَرَاهَا ^(١٠)

قال : فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! ما أصاب صفيني شاعر منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد ،

(١) المبلطة : المقفرة ، أي تلتق الناس بالبلاد وهو الأرض المستوية .

(٢) سوف يشرح المؤلف معنى هذه الألفاظ فيما يلي من الخبر .

(٣) في الأصل : والله لا يعطي العداة مثلاً ، وهي غلطة الوزن ، وقد أثبتنا رواية المراجع الأخرى .

(٤) يروى أن الحجاج قال لما حين سمع هذا البيت : لا تقولني غلام ، بل قولني حمام .

(٥) السجال جمع سجل يفتح السين وسكون الجيم ، وهي الدلو العظيمة ، والرواية في مصادر الشاق : حيث قال حماها ، ورواية الأغاني للبيت :

سقاها دماء المارقين وعلها إذا جيمت يوماً وغيف أذاها

(٦) الرز : الصوت تسمعه من نبيذ .

(٧) المرعى : بقية اللبن ، والمرعى أيضاً : اللبن يبقى فيتغير طعمه ، ورواية الأغاني : مصقولة فارسية بدل مسمومة .

(٨) رواية المراجع : ينجذ ولا أرض الخ ، ولعل ما هنا أصح لظهور المقابلة .

فقال : والله إنني لأعد للأمر عسى ألا يكون أبداً ، ثم التفت إليها ، فقال : حسبك ، فقالت : قد قلت أكثر من هذا ، قال : حسبك ويحك حسبك ، ثم قال : يا غلام ! اذهب بها إلى فلان فقل له : اقطع لسانها ، فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها ، قال : فأمر بإحضار الحجام ، والتفتت إليه وقالت : ثكلتك أمك ، أما سمعت ما قال ، إنما أمرك أن تقطع لساني بالبر والصلة فبعث إليه يستثبته ، فاستشاط الحجاج غضباً وهمم بقطع لسانه ، وقال : ارددْها ، فلما دخلت عليه ، قالت : كاد — وأمانة الله — أيُّها الأمير يقطع مِقْثولي ، ثم أنشأت تقول :

حجَّاجُ أنت الذي ما فوقه أحدٌ
إلا الخليفةُ والمستغفرُ الصمدُ
حجَّاجُ أنت شهاب الحرب إن لقمحت^(١)
وأنت للناس نُورٌ في الدجى يقيدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه ، فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إلا أننا لم نر امرأة قط أفصح لساناً ولا أحسن محاضرة ولا أصبح وجهاً ولا أرضن شعراً منها ، فقال : هذه ليلى الأختيلية التي ماتت توبة الخفاجي من حبها ، ثم التفت إليها ، فقال : أنشدنا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة ، فقالت : نعم أيها الأمير ، هو الذي يقول :

وهل تبكين ليلى إذا متُّ قبلها
وقامت على قَبْرِى النساءُ النَّوايحُ
كما لو أصاب الموتُ ليلى بكيتها
وجادَ لها دمعٌ من العين سافحُ
وأغبطُ من ليلى ، بما لا أناله
بلى كُلُّ ما قرَّرت به العين صالحُ

(١) لقمحت الحرب أو المداوة : هاجت بعد سكون نهي لإلح .

ولو أن ليلي الأخيلية سَلَمَتْ
 عَلَيَّ وَفَوَّقِي ثُرْبَةً وَصَفَائِحُ
 لَسَلَمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقًا^(١)
 إِلَيْهَا صَدَىَّ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
 فقال لها : زدينا يا ليلي من شعره ، فقالت : نعم ، هو الذي
 يقول :

حمامة بطن الواديينِ تَرْتَمِي
 سَقَاكُ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا^(٢)
 أَبْنِي لَنَا لَا زَالَ رِيْشُكَ نَاعِمًا
 وَلَا زَلَّتْ فِي خَضْرَاءِ دَانَ تَضِيرُهَا^(٣)
 وَأَشْرَفُ بِالْقَرْزِ الْيَقَاعِ لَعَلَّنِي
 أَرَى نَارَ لَيْلِي أَوْ يَرَانِي بِصِيرُهَا^(٤)
 وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلِي تَبَرَّقَعْتُ
 فَقَدْ رَانِي مِنْهَا الْغَدَاةُ سُفُورُهَا
 يَقُولُ رِجَالٌ لَا يُضِيرُكَ نَائِبُهَا
 بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا
 بَلَى قَدْ يَضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تَكْثُرَ الْبَكَ
 سَى يُنْتَجِعُ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا

(١) زُنا : صباح ، والصدى ، المقصود به هنا طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القليل ويصيح : استقوني استقوني حتى يؤخذ بثأره .

(٢) الغوادي : جمع غادية ، وهي الحماية تنشأ فتصطر غداة ، والنفر : البيضاء أو الكريمة للفعل .

(٣) رواية الأسلمي : غصن نصيرها ، وفي الأفاقي : دان يريدها ، والبربر : شجر الأراك .

(٤) القوز : الكتيب من الرمل ، وفي الأصل : القوز تحريف ، واليقاع : المشرف ، ويراني بصيرها : أي يراني البصير الجالس إلى جوارها ، فواضح أنه يريد بالبصير ليل .

وقد زعمتُ ليلي بأنِّي فاجرٌ
لنفسِي تقاهَا أو عليها فجورها

فقال الحجاجُ : يا ليلي ! ما الذي رآه من سفورك ؟ قالت : أيها
الأمير ! كان يَلِمُ بي كثيراً فأرسل إليَّ يوماً : أتي أتيتك ، ففطن الحُجَّجُ
فأرصدوا له ، فلما أتاني سَفَرْتُ فَعَلِمُ أَنَّ ذلكَ لشرٍّ ، فلم يزد على
التسليم والرجوع ، فقال : لله دَرَكُ ! فهل رأيتُ منه شيئاً تَكْرهينه ؟
قالت : لا ، والله الذي أسأله أن يَصْلَحَكَ ، غيرَ أَنَّهُ قال لي مرة قولاً
ظننتُ أَنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول :

وذي حاجة قلنا لا تَبِيعْ بها فليس إلهيَا ما حيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا نبتغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ وخَلِيلُ^(١)

فلا والله الذي أسأله أن يَصْلَحَكَ ما رأيتُ منه شيئاً حتى فَرَّقَ الموتُ
بيني وبينه ، قال : ثم مه ، قالت : ثم إنه لم يلبث أن خرج في غزاةٍ له
فأوصى ابنَ عمه : إذا أتيتَ الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك :

عفا اللهُ عنها هل أَيْتَنَ لَيْلَةً من الدهر لا يسري إليَّ خَيْالُهَا

فخرج وأنا أقول :

وعنه عفا رَبِّي وأحسنَ حالَهُ فمرَّ علينا حاجةٌ لا ينالُهَا

قال : ثم مه ، قالت : ثم لم يلبث أن مات فأُتِيَ نعيه ، قال : فأُنشدنا
بعض مرثيتك فيه ، فأُنشدته :

(١) رواية الأغانِي : وأنت لأخرى فارغ وحليل ، وفي الأملِي : صاحب بدل فارغ ، وحليل
المرأة زوجها ، وهي حليلته ، لأن كليهما يحال الآخر أي يكون معه في محل واحد .

كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخِشْ
 قَلَاتِصٌ يَفْحَصُنُ الْحَصَى بِالْكَرَّاكِيرِ^(١)
 لِيَبْنِكَ الْعَذَارَى مِنْ خَفَاجَةِ نَسْوَةٍ
 بِمَاءِ شُثُونِ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَادِرِ^(٢)

فلما فرغت من القصيدة ، قال محسن الفقهسي ، وكان من جلساء
 الحجاج : من الذي يقول هذه هذه فيه ، فوالله إني لأظنها كاذبة ، فنظرت
 إليه ثم قالت : والله أيها الأمير إن هذا القائل لي لو رأى توبة لسره ألا
 يكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه ، فقال له الحجاج : هذا
 وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنياً ، ثم قال لها : سيلي ياليلي تعطيني ،
 قالت : أعط فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زد
 فمثلك زاده فأجمل^(٣) ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد
 فأفضل ، قال : لك ستون ، قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قال : لك
 ثمانون ، قالت : زد فمثلك زاد فتمم ، قال : لك مائة ، واعلمي يا ليلي
 أنها غم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود جوداً وأجيد مجداً
 وأورى زينداً من أن تجعلها غمماً ، قال : فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت :
 مائة ناقة برعاتها ، فأمر لها بها ، ثم قال : لك حاجة بعدها ، قالت : تدفع
 إليّ التابعة الجعدي^(٤) في قيّد ، قال : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه

-
- (١) فحص الشيء : كشفه ، والكراكر : جميع كركرة (بالكسر) وهي دس زور البير
 أو صدره .
 (٢) شئون البين : مجارها الدمية ، هذا وقد ورد البيت في قصيدة أخرى لها في رثاء توبة ،
 وروايته في الأغاني :

لتيك عليه من خفاجة نسوة بماء شئون العبرة المتحدر

- ولاحظ أن قافيه ليست مردفة بالألف كما ذكر المؤلف .
 (٣) في الأصل : فأحسن ، وفوقها كلمة غير مقروءة ، وقد أثبتنا ما في مصارع المشاق .
 (٤) هو عبد الله بن قيس ، أو قيس بن عبد الله ، من بني جملة بن كعب بن ربيعة وكان =

ويهبجوها ، فيبلغ التابعة ذلك فخرج هارباً عائداً بعيد الملك بن مروان فاتبعته فهرب إلى قتيبة بن مسلم^(١) بخراسان فاتّبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة ، فماتت بقوميس^(٢) ويقال بجلوان^(٣) .

(ذكر السبب في وفاتها)

وقد ذكر في وفاتها أمرٌ عجيب يخالف ما في هذه الرواية ، وأنا بعون الله ذاكر ما حضرني منه ومتبعه البيان عما يشكل من غريب هذا الخبر إن شاء الله .

= ممرأ ، ويقال إنه عاش أكثر من مائة وثمانين عاماً ، ونامد المنذر أبا النعمان ، ثم عاش حتى أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم . انظر الأثافي ١/٥ - ٣٤ ، المعمرين ٨١ ، الشعر والشعراء ٢٤٧ .

وكان التابعة شاعراً متقدماً ، أوصف الناس لفرس ، ولكنه كان مغلياً ما هاجى قط إلا غلب ، هاجى أوس بن مفرأ وليل الأغيلية وكعب بن جعيل فغلبوه جميعاً ، وكان سبب المهاجاة بينه وبين ليل الأغيلية ، أن رجلاً من قشير يقال له ابن الحيا هجاء وسب أخواله من أزد في أمر كان بين قشير وبين بني جمعة وهم بأصيهان متجاورون ، فأجابته التابعة بقصيدته التي يقال لها القفاصة ، سميت بذلك لأنه ذكر فيها مساوي قشير وعقيل وكل ما كانوا يسيرون به ، فغضبت بينهما ليل الأغيلية وهاجيته ودانت عن قومها ، فهاجها وأنفست ثم استمر الهجاء بينهما إلى أن غلبته ، انظر بعض أشعارها في ذلك في الأثافي ١٥/٥ - ١٧ .

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي عامل الحجاج على الري ثم خراسان ، قام بأعمال جليلة في الافتوح الإسلامية وقتل بفرغانة سنة ٩٦ هـ غدرأ ، فقال فيه بعض الأعاجم : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة ! والله لو كان قتيبة منا فمات فينا جملناه في تابوت ، فكنا نستفتح به إذا غزونا ، انظر للماروف ٤٠٦ ، وتاريخ الطبري ، حوادث سنة ٩٩ هـ .

(٢) قومس بكسر الميم : كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقري ووزراع ، وهي في ذيل جبال طبرستان وقصبتها الشهيرة دامنغان وهي بين الري ونيساپور ، انظر معجم البلدان ٢٠٧/٤ .

(٣) حلوان : بلدة في آخر حدود السواد ما يلي الجبال من بغداد ، وكانت مدينة كبيرة عامرة ، المعجم ٣١٧٢ .

فكما رويناه من وفاة ليلي الأخيلية ما حدثناه محمد بن أحمد بن أبي
الثلج ، قال : حدثنا حسين بن فهم ، قال : حدثني محمد بن يحيى الأزدي ،
عن القتيبي قال : قال توبة بن الحمير :

ولو أن ليلي الأخيلية سلمت
لسلمت تسليم الباشاة أوزقا
إليها صدى من جانب القبر صائح
وأغبط من ليلي بما لا أناله
بلى كل ما قرّت به العين صالح

قال : فلما قُتل توبة وأبي بعد مقتله دهر ، اجتاز زوج ليلي الأخيلية
وهي معه على قبر توبة ، فقال لها : يا ليلي ! هذا قبر توبة الذي يقول :

لسلمت تسليم الباشاة أوزقا
إليها صدى من جانب القبر صائح

ناديه حتى يجيبك كما زعم ، قالت : اذهب عنك ^(١) ، فأبى وألح
وحلف عليها أن تناديه ، قال : فاستعبرت ثم نادت : يا توبة ، قال :
ويزقو ثعلب ^(٢) كان إلى جانب القبر فخرج يصبح ويفوت ناقة ليلي ،
فسقطت عنها فارتاعت لذلك واحتملها زوجها فذهب بها فكان ذلك سبب
موتها ، عاشت أياماً ثم ماتت .

(خبر ثان في ذلك)

ومن ذلك ما حدثناه محمد بن القاسم الأتباري ، قال : حدثني أبي ،

(١) اذهب عنك : أي اترك هذا الأمر .

(٢) يزقو : يصيح .

قال : حدثني أبو العباس الأزدي قال : خرج زوج ليلى الأخيلية بليلى ،
فمرّاً على قبر توبة بن الحُمَيْر ، فقال لها : يا ليلى هذا الذي يقول فيك :

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلمت عليّ وفوقي ثُربة وصفائحُ
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

فقال : أنت طالقٌ إن لم تُسلمي عليه حتى أنظر ما يرد عليك ،
فقلت : وما دعائك إلى عظام قد رُمّت ، قال : هو ما سمعت ، فدنّت
منه ، فقالت : السّلامُ عليك يا توبة ففى الفتیان وسيد الشبان ، قال :
وكانت قِطاعة^(١) قد عَشَشَتْ في جانب القبر ، فلما سمعت الصوتَ
تَفَرَّتْ وخرجت تقول : قِطَاطًا قِطَاطًا^(٢) ، فلما سمعت ناقةً ليلى الصوتَ
تَفَرَّتْ بليلى فسقطت فاندقت عَشَشُها ، فدنفت إلى جانبهِ .

(خبر آخر عجيب في ذلك)

ومن أعجب ما روى لنا في هذه القصة ، ما حدثنا أبي رضي الله
عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد الحُمَيلي ، قال : أخبرنا عمر بن محمد بن
الحكم التّسائي ، قال : حدثني إبراهيم بن زيد النّيسابوري : أن ليلى
الأخيلية بعد موت توبة تزوجت^(٣) ، ثم إن زوجها بعد ذلك مر بقبر توبة
وليلي معه ، فقال لها : يا ليلى تعرفين هذا القبر ؟ فقالت لا ، قال : هذا قبر
توبة فسلمني عليه ، فقالت : امض لشأنك فما تريد من توبة وقد بكيتُ

(١) القِطَاطة : واحد القِطَاط ، وهو نوع من الياقوت يؤثر الحياة في الصحراء ويتخذ أنحوميه في
الأرض ، ويظهر جماعات ويقطع مسافات شاسعة ويبيض مرتفع .

(٢) قطت القِطَاطة : صوتت .

(٣) المعروف أن ليلى الأخيلية تزوجت في حياة توبة، فهذه شيب بها أولاً ثم تقدم بغيرها،
وكالمادة المروقة عند العرب ، رفض أبوها ذلك وزوجها رجلاً من بني الأدلج ، انظر
الأغاني ٢٠٤/١١ .

عِظَامَهُ ، قال : أريد تكذيبه ، أليس هو الذي يقول :

ولو أنَّ ليلي الأخييلة سلمت
على ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا
إليها صدى من جانب القبر صائح

فوالله لا برحتُ أو تسلَّمي عليه ، فقالت : السلام عليك يا توبة
ورحمك الله وبارك لك فيما صرت إليه ، فإذا طائر قد خرج من القبر حتى
ضرب صدورها فشبهت شهقة فماتت فدفنت إلى جانب قبره فبنيت على
قبره شجرة وعلى قبرها شجرة فطالتا فالتفتا^(١) .

(التعليق على الخبر بأكمله)

قال القاضي : قول ليلي الأخييلة في هذا الخبر الذي قدمنا روايته :
أصابتنا سنون مجحفة مبطلطة ، فمجحفة التي قد جهَّدهتْهم وأصارتهم إلى
اختلال أحوالهم ، والنقص البين في وفهمهم وأمورهم ، قال الشاعر :

لو قد نزلت بهم تُريدُ قِرَاهُهمُ مَنَعُوكَ من جُهْدٍ ومن إجحافٍ
والمبطلطة على نحو هذا المعنى ، وهي التي فرقت جماعتهم ، وشَتَّتَتْ شملهم ،
وفرقتهم للقط الذي لا مقام معه ، والجذب الذي لا صبر عليه ، وقد حدثنا
المظفر بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن محمد بن بشر المرثدي ، قال :
أخبرني أبو إسحاق طلحة بن عبد الله الطلحي قال : أخبرني أحمد بن
إبراهيم ، قال : أخبرني القرمطي الوالي : الإبلاط غابة الجهد والحاجة ،
قد أبلط الرجل ، والسنة المبطلطة التي قد أكلت كل شيء فلم تدع شيئا .

(١) ثمة خبر آخر أورده أبو الفرج في الأغاني ٢٤٤/٣١ ، يقول : إن ليل هي التي سلمت
على قبر توبة بنية تكذيبه ، وأن زوجها نأها من ذلك فلم تنته ، قال : وهو الصحيح من
الأخبار عن ذلك .

وقولها : لم تدع لنا هُبْعاً ولا رُبْعاً : الربع من الإبل التي تأتي في أول
النتاج والميع التي تأتي في آخره ^(١) ، قال الشاعر :

ولا وجد ثكلى كما وَجِدْتُ ولا أمٌ أضلها رُبْعُ
وقال الأعشى :

تلوي بعِدقٍ خضابٍ كُلُّما خَطَرْتُ
عن فَرَجٍ مَحْقُومَةٍ لم تَتَّبِعْ رُبْعاً ^(٢)

ويقال له رباعي ، قال الشاعر :

إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَبِيئُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ ^(٣)
وقال آخر :

لِذِي هِيَ أَحْوَى مِنَ الرَّبْعِيِّ ، حَاجِبُهُ
وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِ الْحَارِيَّ مَكْحُولُ

وروي أن دراهم أصحاب الكهف كانت كأخفاف الرُّبْع ^(٤) ،
ويروى أن يونس عليه السلام لما جعل النبوة تفسخ تحتها كما يفسخ الرُّبْعُ
تحت الحِمْلِ الثقيل ^(٥) .

(١) زاد في اللسان هذه العبارة توضيحاً ، فقال : القميص ينتج في الربع ، وهو أول النتاج ،
والميع : القميص الذي ينتج في الصيف .

(٢) البيت في ديوانه ١٠٧ ، وهو يصف فيه ناقته ، وقيل :
بذات لوث عفروسة إذا عثرت فالتبس أدنى لها من أن أقول لها
والمدق : قنر النخلة ، والخضاب : النخلة الكثيرة الحلل ، والمقومة : الناقة التي لم
تلد ، والمعنى أن هذه الناقة تمصر علق النخلة حين تغاه بأقدامها وهي تهتز وتبخر ،
وكونها لم تحمل ولم تلد أدعى لقوتها .

(٣) سبق هذا البيت وما بعده وتفسيرهما .

(٤) أي كبيرة ثقيلة ، انظر هذه العبارة في قصص الأنبياء ٣٨٢ .

(٥) يروى عن يونس عليه السلام أنه كان قليل الصبر على قومه والمداواة لهم ، ولذا نهى

وقولها : ولا عافطة ، تريد الواحدة من الضأن ، ولا نافطة : الواحدة من المعز ، يقال : ففطت العنزة وعفطت الضبانة ، وهما منهما كالامتخاط والاستنثار من الناس ، فكأنها قالت : لم تدع لنا عنزاً ولا ضأناً ، ومثل هذا قولهم : « مآله سبد ولا لبّد ، يريدون شاة ولا ناقة » ، وقد يقال للصوف : لبّد ، والسبد : الشعر ، ونظير هذا قولهم : لم تبق له ثاغية ولا راغية ، أي شاة ولا يعير ، فالثغاء صوت الغنم والرغاء صوت الإبل ، ومن الرغاء قول الشاعر :

رَعَا فوقهم سَقَبُ السَّمَاءِ قَدْ أَحْيَصُ
يَشْكُتُهُ لَمْ يُسْتَلَبْ فَسَلَيْبُ^(١)

يعني سقب ناقة صالح ، ومثله قول الشاعر :

فلما رأى الرحمن أن ليس فيهم
رشيد ولا ناهٍ أخاهُ عن القَدْرِ
وصَبَّ عليهم تغليبَ ابنةِ وائلٍ
فكان عليهم مثلُ راغيةِ البَكْرِ

= رسول الله صل الله عليه وسلم أن يكون مثله ، قال الله تعالى : (واصبر صبر أولو العزم من الرسل) وقال تعالى : (ولا تكن كصاحب الحوت) ، ويقول رسول الله صل الله عليه وسلم : « لما حمل يونس بن متى إغياه النبوة تقسّخ تحتها تقسّخ الريح تحت الحمل الثقيل ، ولذلك السبب ذهب مغاضباً » .

انظر قصص الأنبياء ٣٦٦ .

(١) السقب : ولد الناقة الذكر سامة يولد ، ورغا : صاح وصوت فصيح ، ويعني بسقب السماء ولد ناقة صالح ، ونسبه إلى السماء لأنه كان معجزة ، إذ رفع إلى السماء لما عقرت أمه في قول ، وأنه فر راغياً ، وصاح برغائه كل شيء له صوت فكذلك ثمود فصرته العرب مثلاً في الاستئصال والهلكة ، وداحس أي فاحص للأرض برجليه كالملبوح ، فمن هؤلاء من أخذ سلبه ومنهم من لم يؤخذ ، والبيت لمقمة الفحل ، انظروا في ديوانه ٤٦ والسان « دحس » .

ومن السَّبَد قول الشاعر :

أما الفقير الذي كانت حلوبتهـ

وَفَقَى الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدٌ^(١)

وفي الطير طائر يقال له السبد لوفور ريشه^(٢) .

وقولها : فَمَا وَلَدَ الْأَبْكَارِ وَالْعُونُ مِثْلُهُ ، العون : جمع عون وهي التي بين الكبيرة والصغيرة ، قال الله تعالى ذكره في صفة بقرة بني إسرائيل ﴿لَئِنْهَا بِقَرَةٌ لَا تُقَارِضُ وَلَا يَكْزُرُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(٣)، ويقال : حَرَبَ عَوَانٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ مُبْتَدَأَةً ، وحاجة عون إذا لم تكن بكر الحاج ، قال الشاعر^(٤) :

قَعُودًا لَدَى الْأَبْوَابِ طَالِبُ حَاجَةٍ

عَوَانٌ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٍ بِكْرٍ

ومما نستحسنه لبعض المحدثين^(٥) في معابة بعض ذوي الحيانة من

الإخوان :

(١) البيت للرامي ، وقال أورده الأشمعي في الإبل ٧٤ ضمن قوله : ماله هبع ولا ريع وماله رابية ولا نافية ، ولا عافطة ولا فافطة ، فالعافطة : الفائلة ، والنافطة : الماعزة ، ولا سعة ولا معة أي ماله قليل ولا كثير ، وماله سبد ولا ليد ، قال الراعي ... الخ ، وانظر اللسان ٣٦٧/٦ ، ٢٦٣/١٢ .

(٢) في القاموس : السبد : طائر غطط الريش واسع الفم مفلطح الرأس والمنقار ، إذا أصابه الماء جرى عنه سريعاً لأن لين الريش ، والمرب تشبه به الفرس إذا عرق .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٦٨ .

(٤) البيت للفززدق ، انظره في الديوان ١٨٨/١ ، وقد ورد البيت في اللسان ١٤٥/٥ منسوباً لذي الرمة ولا يوجد في ديوانه ، والرواية في اللسان ، وتقوفاً بدل قعوداً ، وفيه وفي الديوان طلاب بدل طالب ، والرواية التي هنا وردت في طبقات فحول الشعراء ٣١٤/١ .

(٥) هو إبراهيم بن العباس الصولي يقولها في محمد بن عبد الملك الزيات ، وبين البيتين بيت آخر ، هو :

وكنْتَ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّمَانِ فلما انقضى صرت حرباً عَوَانَا
وكنْتُ أَعْدَاكَ لِلنَّائِبَاتِ فها أنا أطلب منك الأمانَا
ونظير هذا قول الشاعر الآخر :

أيا مولاي صرت قذياً لعميني وسيتراً بين جفني والمتام
وكنْتَ من الحوادثِ لي مَلَاذَا فصرت مع الحوادثِ في نظام
وكنْتَ من المصائبِ لي عَزَاءً فصبت من المصيباتِ العِظَام
وقال آخر (١) :

هَبِ الزَّمَانِ زَمَانِي الشَّانُ فِي الْخُلَانِ
يَا مَنْ رَمَانِي لِمَا رَأَى الزَّمَانَ رَمَانِي
وَمَنْ ذَخَرْتُ لِنَفْسِي فَعَادَ ذُخَرَ الزَّمَانِ
لَوْ قِيلَ لِي خُذْ أَمَانًا مِنْ أَعْظَمِ الْخَدَّانِ
لِمَا أَخَذْتُ أَمَانًا إِلَّا مِنْ الْإِخْوَانِ
وقال ابن الرومي :

تَخَذْتُكُمْ ظَهْرًا وَعَوْنًا لَتُدْفَعُوا نبال العدا عَنِّي فصرْتُم نِصَابُهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو مِنْكُمْ خَيْرَ صَاحِبٍ عَلَى حِينِ خَذْلَانِ الْيَمِينِ شِمَالُهَا
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا لِمُودَّتِي فَكُونُوا كِفَافًا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا
قِفُوا مَوْقِفَ الْمُعْتَدِرِ عَنِّي بِمَعَزِلٍ وَخَلُّوا نِبَالِي وَالْعِدَا وَنِبَالَهَا
وما يضارع هذا النوع بعض المضارعة قول ابن الرومي (٢) :

— وكنْتَ أَدَمُ إِلَيْكَ الزَّمَانُ فقد صرت نيك أَدَمُ الزَّمَانَا
انظر ديوانه ١٦٦/١٦٧ ضمن الطرائف الأدبية للبيهقي ، وانظر المراجع التي أوردتها في
هاتح .

(١) هو إبراهيم بن العباس الصولي ، انظر ديوانه ١٦٦ .

(٢) ديوانه ٤٦ ، هجعة المجالس ١/٦٩٣ .

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْبِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ
وَأَعْجِبْهُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ (١) :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْبِرَنَّ مِنَ الصَّدِيقِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الْمُسَوِّغِ فِي الْحُلُوقِ

وهذا باب إن استقصيناه طال جداً ونجاوز بنا حد المجلس الواحد من مجالس كتابنا هذا ، ولم يبن هذا الكتاب على استيفاء أبواب أنواعه ، وإنما جعلناه موشحاً بمتراجاً ، بمنزلة الحدائق المشتملة على أنواع مختلفة ، يقع الأتس بمشاهدتها ، والالتذاذ بمتابها ، والانتفاع بشمرها .

وقول توبة : وأشرف بالقَوْرِ الْيَقَاعِ ، القَوْرُ : الواحد من أقوار الرمل وهو ما علا وأشرف منه ، وكذلك اليفاع ما ارتفع ، وقال : أيفع الغلام فهو يافع إذا ارتفع ، وهو من نوادر أبواب العربية ، لأنه جاء على أفعل فهو فاعل ، وله أخوات معدودة منها : أورف الظل فهو وارف ، وأورس الرمث (٢) فهو وارس ، وقد قال النابغة :

كَلْبِي لِيهِمْ يَا أُمِيمةً ناصِبٌ وَلَيْلِ أَقاسِيه بَطِيءِ الْكواكِبِ (٣)
بمعنى مُنْصَب ، كما قال في كلمة أخرى :

-
- (١) ديوانه ١١٠ ، المصنوع ١٥٢ ، بهجة المجالس ١/٦٩٥ .
(٢) الرمث : نبات بري من الحشيش يكثر في بادية الشام ، وأورس : أصفر ورقه بعد الإدراك فصار عليه مثل الخلق الصفر .
(٣) ديوانه ٥٤ ، وكلبني : ذهبي ، هذا وقد نصب الشاعر : يا أمية وهو متأدى مفرد سقته البناء على الضم ، وقال الخليل وأبو صبيدة والأصمعي في ذلك : إن عادة العرب أن ينصبوا الاسم المؤنث على الترخيم مثل يا طلح ويا أسيم ، فلما احتاج إلى الماء لقوام الوزن جاء بها ، وتكلم على عادته في الحلات فنصب .

تَعَنَّكَ هَمْ^١ من أمة مُنْصِب^(١)

وقوله : أرى نار ليلي أو يراني بصيرها ، أي يراني المبصر بها ، والعرب تقول : ليل نائم وسر كاتم أي منوم ومكتوم^(٢) ، قال جرير^(٣) :

لقد لُمْتَنِيَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى
وَنِمْتِ ، وما ليلُ المَطِيِّ بِنَامٍ

ومثل هذا كثير .

(أعطنا حقنا الذي في هذا المصحف)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا القاسم بن اسماعيل ، قال : حدثنا أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلي ، عن أبيه ، قال : حدثني من حضر مجلس السفاح وهو أحشد ما كان بيني هاشم والشيعه ووجوه الناس ، فدخل عبد الله بن حسن بن حسن^(٤) ومعه مصحف ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف ، فأشفق الناس أن يجعل السفاح بشيء إليه فلا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم في وقته ، أو يعيا بجوابه فيكون ذلك نقصاً وعاراً عليه ، قال : فأقبل عليه غير مغضب ولا مترعج ، فقال : إن جدك علياً رضي الله عنه وكان خير أمتي وأعدل ، وكري هذا الأمر فأعطى جدك الحسن والحسين رضي الله

(١) لم أعر على الشطر التالي في ديوانه التابعة .

(٢) فهذا من استعمال فاعل بمعنى مفعول ، إلا أن ما ذكره المؤلف من كون بصيرها بمعنى المبصر بها ليس من هذا الباب ، فبصير يمكن أن يقال فيها أنها فعل بمعنى فاعل ، وليست من باب فاعل بمعنى مفعول ، فتأمل .

(٣) البيت في ديوانه ٤٥٤ .

(٤) عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، كان من العباد ، وكان ذو شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكانت له منزلة لدى عمر بن عبد العزيز ، توفي سنة ١٤٥ هـ ، انظر تهذيب التهذيب .

عنهما وكانا خيراً منك شيئاً ، وكان الواجب أن أعطيك مثله ؛ فإن كنت فعلت فقد أنصفتك ، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك ، قال : فما ردّ عبدُ الله جواباً ، وانصرف الناس يتعجبون من جوابه له ^(١) .

(حكمة على محبرة)

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو العباس بن مسروق قال : رأيت على محبرة مكتوباً :

تَمَكَّنَ فِي الْفَوَادِ فَمَا أَبْصَالِي أَطَالَ الْمَجَرَ أَمْ مَتَّحَ الرِّصَالَا ^(٢)

• • •

(١) انظر هذه القصة في أخبار الأذكياء ٤٨ ، وتاريخ بغداد ٤٩/١٠ .
(٢) ورد التعبير في تاريخ بغداد ١٠٢/٥ مرويّاً عن أبي العباس بن مسروق بالرواية التالية : قال : أصبحت في مجلس الزعفراني فبحث وهو يحدث ، وليس معي محبرة فطلبت من أجلس إليه فأكتب من محبرته ، فرأيت شيئاً وشاباً جالساً في باب فطلعت إليهما وبينهما محبرة فاستأذنت الشيخ فقلت : أكتب من المحبرة ؟ فقال الشيخ للشاب : يا حبيب يكتب من المحبرة ؟ فقال الشاب : يا محب الأمر لك ، فقال لي : أكتب ، فعجبت من كلامهما ، فطلعت رأسي فرأيت على المحبرة مكتوباً غريباً :

تَمَكَّنَ فِي الْفَوَادِ فَمَا أَبْصَالِي أَطَالَ الْمَجَرَ أَمْ مَتَّحَ الرِّصَالَا
قال فصحت وأهمني علي ، فما أفقت حتى انقضى المجلس .

المجلس الثاني عشر

(امرؤ القيس يحمل لواء الشعر إلى النار)

حدثنا أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير القاضي ، قال : حدثنا سليمان بن سيف ، قال : حدثنا حيان أبو عبد الله جار أبي عاصم ، قال : حدثني هشام بن محمد بن السائب ، قال : حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدي كرب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : « بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه وفد من اليمن ، فقالوا : يا رسول الله ! لقد أحيانا الله عز وجل ببيتين من شعر امرئ القيس ، قال : وكيف ذلك ؟ قالوا : أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثاً لا نقدر عليه ، ففترقنا إلى أصول طلع وسمر^(١) ليموت كل رجل منا في ظل شجرة ، فبينما نحن بآخر رمق إذ ركب يُوضِعُ علي بغير^(٢) مُعْتَمٍ ، فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

لما رأتُ أن الشريعةَ همها وأنّ البياضَ من قرائنها دامي^(٣)

(١) الطلع والسمر : شجر ذو شوك ترعاه الإبل .

(٢) يوضع على بغير : أي يحته على السير السريع ..

(٣) الشريعة : مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، =

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلَّ عَرَمَضُهَا طَامِي^(١)

قال الراكب : من يقول هذا الشعر ؟ وقد رأى ما بنا من الجهد ، قال : قلنا : امرؤ القيس بن حجر ، قال : ما كذب وإن هذا لضارج^(٢) أو ضارج عندكم ، فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين ذراعاً ، فحبونا إليه على الركب ، فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرمض يفيء عليه الظل ، فقال رسول الله ﷺ : « ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة ، شريف في الدنيا خامل في الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

(رواية أخرى للخبر)

حدثنا أحمد بن علي بن السكن البلدي ، قال : حدثني أبو داود سليمان بن سيف الحراشي ، قال : حدثنا حيان بن هلال أبو عبد الله البصري جار أبي عاصم ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن السائب ، قال : حدثنا فروة بن عفيف أو قال : عفيف بن معدّي كرب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كنتُ عند النبي ﷺ فأثابه قوم من الأعراب حُمْصَةً عُرَاةً ، فقالوا : يا رسول الله لقد أتجانا الله ببئتين من شعر امرئ القيس بن حجر ، قال : وكيف ذاك ؟ قالوا : يا رسول الله ! أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أضللتنا ثلاثاً لا نقدر عليه ، فبينما نحن كذلك عمد كل

= والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء دائماً لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً مميئاً لا يسقى بالرشاء ، والقرائن : جمع فريضة ، وهي حمة عند نفث الكتف عند منبسط القلب ، وهما فريستان ترتدّان عند التفرع .

(١) ضارج : جبل ، كما في سفة جزيرة العرب ١٧٨ ، وفي اللسان أنه موضع ببلاد عيس ، العرمض : يفتح العين والميم : الطلعب ، وقال في اللسان ١٣٩/٣ : همها : طلبها ، والضمير في رأيت الحمير ، يريد أن الحمير لما أرادت شريعة الماء غاشت على أنفسها من الرماة أن تدمي فرائصها من سهامهم فمدلت إلى ضارج لعدم مرالرماء على العين التي فيه ، وطامى : مرتفع ، وانظر اللسان ٥٠/٩ أيضاً ففيه كبر هذا البيت .

رجل منا إلى ظِلِّ شجرة أو سمرة ليموت تحتها ، فإذا راكب على بعير له يوضع ، فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

لما رأتُ أن الشريرةَ همُّها

تيممَتِ العَيْنَ التي عند ضَارِحٍ^١ ،
بِقِيٍّ عليها الظل عَرَمَتْهُ طامي

قال : فقال الراكب : يا عبد الله ! من يقول هذا الشعر ؟ قال : امرؤ القيس بن حجر ، قال : والله ما كذب وإن عنده الآن لضارجاً عليه العرمض ينيء عليه الظل ، قال : فنظرنا فإذا ليس بيننا وبينه إلا قدر عشرين ذراعاً ، فقال النبي ﷺ : « ذاك رجل مذكور في الدنيا ، متَّسِيٍّ^٢ في الآخرة ، يده لواء الشعراء يقودهم إلى النار »^(١) .

(١) ورد هذا الخبر في الأغاني ١٢٣/٧ بإسناد آخر عن عبد الله بن جعفر ، وفي غزاة الأدب ٣٣٥/١ ، وفي اللسان ١٣٩/٣ ، وأورده ابن قتيبة مرة في عيون الأخبار ١٤٤/١ ، ومرة في الشعر والشعراء ١١١/١ ، ١٢٧ ، وقد علق الشيخ أحمد محمد شاكر في تحقيقه للشعر والشعراء على ذلك بتعليق أوضح فيه مدى الصحة في هذا الحديث ، بقوله : هذا من أشهر الأخبار لدى الإخباريين والأدباء ولكنها غير معروفة عند المحدثين وهم الحجة فيما ينسب إلى الرسول من أخبار ، فإني لم أجِد أحداً منهم رواهاً أو أشار إليها ، إلا حديث « امرؤ القيس صاحب لواء الشعر إلى النار » فقد رواه أحمد في المستدرك ٢٢٨/٢ من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث ضعيف جداً ، ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢١٨/٢ من المستدرك ، فقال : هذا منقطع وورد من وجه آخر عن أبي هريرة ، ولا يصح من غير هذا الوجه ، ورواه أيضاً البزار كما في جميع الزوائد ١١٩/٨ ، وجميع القوائد ١٦٨/٢ ، وإسناده عند أحمد : ثنا هشيم ، ثنا أبو الجهم الواسطي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وأبو الجهم هذا يذكر في بعض كتب الرجال باسم أبي الجهم الإيادي ، وهو مجهول ، وضغفه أبو زرعة الرازي ، وقال ابن عدي : شيخ مجهول لا يعرف له اسم ، وغيره منكر ، ولا أعرف غيره ، وقال ابن عبد البر : لا يصح حديثه ، وفيه علة أخرى : أنه موقوف على أبي هريرة ، فقد رواه البخاري في كتاب الكنى المطبوع في حيدر أباد سنة ١٣٦٠ هـ صفحة ١٠ برقم =

قال القاضي : قوله في هذا الخبر والشعر : وأن البياض من فرائصها دامي (الفرائص) جمع فريضة وهو الموضع الذي يَرْعَد من الدابة ، قال النابغة الذبياني ^(١) :

شَكََّ الفريضةَ بالمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا
شَكََّ المَبْطِرَ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَصْدِ

ومن ها هنا أخذ قولهم : فلان تَرَعَدُ فرائصه إذا وصف بشدة الخوف ، ومن ذلك الخبر المروي أن النبي ﷺ صلى بأصحابه ورأى رجلين تَرَعَدُ فرائصهما ^(٢) .

وأما قوله : تيممت العين ، فمعناه قصدت وتعمدت ، يقال : يمعت ، كذا وكذا إذا قصدته ، ومن ذلك قول الله عز وجل ﴿ فَنَيْمُوا صَعِيداً

= ١٤٥ ، قال : ثنا أبو الجهم الإيادي ، قال سعد ، ناعثم ، قال : ناشئ يَكُنْ أبا الجهم ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . قال : « صاحب لواء الشعر إلى النار امرؤ القيس ، لأنه أول من أحكم الشعر » ، وفي مجمع الزوائد ١١٩/١ : عن عفيف الكندي ، قال : بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن فذكروا امرأ القيس بن حجر الكندي وذكروا بيتين من شعره فيها ذكر ضارح (ماء من مياه العرب) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك رجل مذكور في الدنيا مشى في الآخرة ... الخ » رواه الطبراني في الكبير عن طريق سعد بن فروة بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده ولم أر من ترجمهم . وانظر تمجيد المنفعة ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ولسان الميزان ١٨١/٣ ، ٣٥٩/٦ ، ورواه والكنى والأسماء للدولابي ٢٣٧/١ ، والمناوي عل الجامع الصغير ١٨٦/٢ ، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٧/٩ ، بإسناده عن أبي هفان المهزبي الشاعر ، عن الأصمعي ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار » وهو خير باطل ، كما قال ابن حجر في لسان الميزان ٤٩/٣ ، ٢٥٠ ، ٤٤٩/٦ .

(١) ديوانه ١٠ ، وشك : نظم ، والممدى : القرن ، أراد فأنفذ القرن في جنب الكلب ، والمبطر : البطار ، ويشفى : يبرئ ، والمعد : داء يأخذ الإبل في اعضادها من ثقل الحمل ، يقال : عضد البعير يعضد عضداً إذا اشتكى عضده .

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٢٢/٣ ، والنص فيه « فجيها ترعد فرائصهما »

طَيِّبًا ﴿^(١)﴾ يعني اقصدا ، وذكر أنها في قراءة عبد الله بن مسعود .
 فأقول : والمعنى واحد ؛ أمت وتيممت مثل عمدت وتعمدت ، ويقال :
 أمت ، قال الله عز وجل ﴿ وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ ^(٢) يعني قاصدين
 وعامدين ، وقال عز ذكره : ﴿ وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ ^(٣) ،
 وقرأ مسلم بن جندب : ^(٤) (وَلَا تَتِمَّمُوا ^(٥)) أي توجهوا ، ومن هذا الباب
 قول الشاعر :

إني كذاك إذا ما ساءتني بلدٌ
 يَمَّمْتُ صَدْرَ بَعِيرِي غَيْرَهُ بَلَدًا ^(٦)

ويروي : أمت ، قال الأعشى :

تَيَمَّمْتُ قِيسًا وَكَمْ دُونَهُ
 من الأرض من مَهْمَةٍ ذِي شَرَن ^(٧)

وقال آخر :

(١) الآية ٤٣ من سورة النساء .

(٢) انظر البحر المحيط ١٩٢/٢ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٢ .

(٤) أبو عبد الله الجليلي مولاهم المدني القاصي ، تابعي مشهور ، وهو الذي أدب عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر يقول عنه : من سره أن يقرأ القرآن غشاً فليقرأه على قراءة مسلم ؛ وكان من فضحاء أهل زمانه ، توفي بالمدينة عام ١٣٠ هـ ، انظر غاية النهاية ٢٩٧/٢ .

(٥) انظر تفسير القرطبي ١١٣٤ ، وفي اللقطة لغات ، منها : أمت الشيء خففة الميم الأولى ، وأمته بتشديدها ، ويممته وتيممته ، وحكى أبو عمرو أن ابن مسعود قرأ : ولا تؤموا ، بجمزة بعد التاء المضمومة وتشديد الميم المكسورة .

(٦) البيت دون نسبة في القرطبي ١٨٠٢ .

(٧) البيت من قصيدة له -يلجح بها قيس بن معلى كرب الكندي ، انظره في الديوان ٢٠٧ هـ والمهمه : المغازاة البعيدة ، والشزن : التليظ من الأرض ، وفي الأصل : يزن ، تحريف .

تَيَمَّمْتُ هَمْدَانَ الَّذِينَ هُمُ هُمُ
إِذَا نَابَ خَطْبُ جَنَّتِي وَسِهَامِي^(١)

وَقَالَ خَفَافٌ بْنُ نُدْبَةَ^(٢) :

فَإِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أَصِيبَ صَمِيمُهَا
فَعَمْدًا عَلَى عَيْتِي تَيَمَّمْتُ مَالِكَا

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ : أَمْرُ أَمِّمْ أَيْ قَصْدٌ ، قَالَ الْأَعَشَى :

أَنَا عَنْ بَنِي الْأَحْرَا رِ قَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَمًا^(٣)

وَقَالَ ابْنُ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ :

كُوفَةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتُهَا لَا أَمِّمْ دَارُهَا وَلَا صَقْبُ

الْأَمِّمْ : الْقَصْدُ ، وَالصَقْبُ : الْقَرَبُ ، وَمَنْهُ : الْجَارُ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ^(٤) ،
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ نَارُ لَيْلِي بِالْعَدِيدِ بَدَتْ لَنَا
لَحَبَّتْ إِلَيْنَا دَارٌ مِنْ لَا يُصَاقِبُ

(١) البيت لسيدنا علي كرم الله وجهه من قصيدة قالها يوم صفين ، انظرها في المدة ٣٤/١ .

(٢) خفاف بن ندبة السلمي الأنصاري ، كانت أمه ندبة أمة سوداء حبشية نسب إليها ، وكان شاعرًا فارسًا في الجاهلية ، وأسلم قبل فتح مكة وشهد مع الرسول صلوات الله عليه غزوتي حنين والطائف ، ثم كان معه لواء بني سليم في فتح مكة ، توفي من زمن عمر بن الخطاب ، ترجمته في الإصابة ٤٤٨/١ ، والمؤتلف ١٠٨ .

والبيت في ديوانه ٦٦ ، وهو يقوله حين قتل مالك بن حمار الشامي سيده بني شمع ثاراً بمعاوية بن الشريد السلمي . والتحليل في البيت يعني بها الفرسان ، والصميم : الشريف الخالص . ودل عيني : أي عمداً ويحذف ويقرن .

(٣) البيت من قصيدة له يفخر فيها بيوم ذي قار ، انظر ديوانه ١٩٣ . وهو يعني ببني الأحرار : الفرسان ، والأمم : الواضع .

(٤) أي بما يليه ويقرب منه ، وهم يقولون ذلك في الشفعة .

وقال الأعشى :

فما أنسَ ميلَ الأشياءِ لا أنسَ قولَها
لَعَلَّ التَّوَى بعدَ التَّفَرُّقِ تُصِيبُ^(١)

وهذا باب يكثر ويتسع جداً ، وفيما ذكرنا منه ما هنا بل في بعضه
كفاية .

ومعنى قوله : يفيء عليها الظل ، معنى يفيء : يرجع ، يقال فاء
الظل أي رجع قبل الزوال ، ولا يقال له حينئذ فيءٌ ، وإنما يقال له فيء
بعد الزوال لرجوعه ، وكلا الوجهين ظِلٌّ ، قال حميد بن ثور
الهلالى :

فلا الظلُّ من بَرَدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ
ولا الفَيءُ من بَرَدِ العَشِيِّ تَدُوقُهُ^(٢)

ومن هذا سُمِّيَ ما رَدَّ اللهُ على المؤمنين من مال المشركين فَيْئاً ،
وقال الله عز وجل : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾^(٣) ، وقال :
﴿ وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾^(٤) ، وقال تقدس
اسمه : ﴿ ففَاتِلُوا آلِي تَبَّعِي حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾^(٥) ، وقال :
﴿ فَإِنْ فَاءَ وَأُ ﴾^(٦) أي رجعوا إلى غشيان من آلوا من نساءهم ، وهذا الباب
أيضاً واسع بين .

(١) البيت في ديوانه ١١ ، وتصقب : تنقي .

(٢) البيت في ديوانه ٤٠ برواية :

فلا الظل منها بالضحى تستطيعه ولا الفيم منها بالعشي تذوق
وما هنا موافق لرواية اللسان والأغاني .

(٣) سورة الحشر الآية ٦ .

(٤) سورة الحشر الآية ٦ .

(٥) سورة الحشر الآية ٧ .

(٦) سورة الحجرات الآية ٩ .

وقول امرئ القيس : عرّضها طامي ، العرّض : الطحلب الذي يكون في الماء ويقال له عرّض وعكّفت وتورّ ، وقوله : طامي ، يعني أنه عال يقال : طما الوادي إذا امتلأ وعلا ماؤه ، قال الأعشى (١) :

ما جعل الجُدُّ الظنُّون الذي
جُنَّب صَوَّبَ اللَّجَبِ المَطِيرِ (٢)
مثلُ النَّوَاتِي إِذَا مَا طَمَا
يَعْدِفُ بالبُوصِيِّ والمَاهِرِ (٣)

(من مصارع العشاق) (٤)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا محمد بن مرزبان ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الطائف ، قال : حدثنا يوسف بن محمد الصيمري ، قال : حدثنا محمد بن مسعدة الأخفش ، قال : حدثنا أبو محظورة الوراق ، قال : حدثنا أبو مالك الراوية قال : سمعت الفرزدق يقول : أبى غلامان لرجل من بني نهمش يقال له الخضر . فحدثني الخضر قال : خرجت أبعيهمما وقصدت ناحية اليمامة على ناقة لي عيساء كوما ، قال ابن الأنباري : العيساء : البيضاء ، والكوما : العظيمة السنام — فنشأت سحابة فرعدت

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٦ .

(٢) البيتان التاليان في ديوانه ٩٣ من قصيدة يحجو بها علقمة بن علاثة ويملح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما ، وانظرهما في اللسان ٣٤/٧ ، ٣٥ .
الجُد : بضم الجيم والدال : الليث ، والظنون : الذي لا يؤمن بمائها والمقفرة ، واللجب : الموج المضطرب ، ورواية الديوان : الزاخر بدل المطر .
(٣) رواية الديوان واللسان : الثفاني بدل النواتي أي المنسوب إلى الفرات ، والبوصي : الملاح ، والماهر : السابح .
(٤) القصة التالية في الأغاني ٤٤/٨ - ٤٦ ، مع اختلاف في بعض الرواية وترتيب الأبيات .

وبرقت وحلت عزّاليتها^(١) ، فملت إلى بعض ديار بني حنيفة وقصّدت داراً وطلبت القرى ، فقيل لي : ادخل فأنحت ناقي ودخلت وجلست تحت ظلة من جريد - قال ابن الأنباري : الجريد ما جرد من النخل - وفي الدار جويرية سوداء فدخلت جارية كأنها سبيكة فضة ، وكان عينيها كوكبان ، فقالت : لمن هذه الناقة ؟ قالت السوداء : لضيفكم هذا ، فسلمت عليّ وقالت : مِمّن الرجل ؟ قلت : من بني حنظلة ، قالت : من أيهم ؟ قلت : من بني دارم ، قالت : من أيهم ؟ قلت : من بني نَهشل ، قال : وأنت من الذي يقول فيهم الفرزدق^(٢) :

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ
بيتاً بناه لنا المليكُ وما بُنى ملك السماء^(٣) فإنه لا يُنقلُ
بيتاً زُرارةٌ مُحْتَبٍ بِنائِه ومُجاشِعٌ وأبو القوارس نهشلُ

فأعجبني ذلك من قولها : فقالت : إلا أن ابن الحطّطي^(٤) نقض عليه ، فقال :

أخزى الذي سمك السماء مجاشعاً
وبنى بناءك بالحضيض الأسفل
بيتاً يحسم قينكم بِنائِه
دكساً مقاعدُه خبيث المدخل^(٥)

(١) العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من القرية ونحوها ، ويقال : أرسلت السماء عزاليتها : انهمرت بالمطر الغزير .

(٢) البيهقي التاليف في ديوانه ١٥٥/٢ .

(٣) رواية الديوان : حكم السماء .

(٤) ابن الحطّطي : تعني به جرير ، وهو جده فهو جرير بن عطية بن الحطّطي ، انظر البيهقي في ديوانه ٣٥٧ .

(٥) يحسم : يشعل فيه فيسوده بالدخان ، والتّين : الحداد ، وفي الأصل بيتاً يحسم فيكم ببنايه وهي تحريف .

فخرجت واستحييت ، ثم قلت لها : أَيْمٌ أَنْتِ أَمْ ذَاتُ بَعْلٍ ؟
فَقَالَتْ :

إِذَا رَقَدَ النَّيَامُ فَإِنْ عَمَرَا تُؤَرِّقُهُ الْمُمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
تَقْطَعُ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَمَا هُوَ بِالْخَلِيبِ وَلَا بِصَاحِ
سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٍ بِهَا عَمَرُوا تَحْنُ إِلَى الرَّوَاحِ

فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ عَمَرُو هَذَا ؟ فَقَالَتْ :

سَأَلْتُ وَلَوْ عَلِمْتَ كَفَفْتَ عَنْهُ وَمَنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سِوَى الْخَبِيرِ
فَإِنْ تَكِ سَائِلًا عَنْهُ فَعَمَرُو مَعَ ^(١) الْقَمَرِ الْمَظِيءِ الْمُسْتَبِيرِ
ثُمَّ قَالَتْ : أَيْنَ تَتَوَّمُ ؟ قُلْتُ : الْيَمَامَةَ ، فَتَنْفَسَتِ الصُّعْدَاءُ ، ثُمَّ
قَالَتْ :

تُدَسِّكُرُّنِي بِلَادًا حَلَّ أَهْلِي ^(٢) بِهَا أَهْلُ الْمُدَّةِ وَالْكَرَامَةِ
أَلَا فَسَقِيَ الْإِلَهَ أَجَشَّ صَوْبٍ يَسِيعُ يَدْرَهُ بِلَدَ الْيَمَامَةِ
وَحَيًّا بِالسَّلَامِ أَبَا نُجَيْدٍ وَأَهْلًا لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ
ثُمَّ قَالَتْ :

يُخَيِّلُ لِي أَبَا عَمْرٍو بِنَ كَعْبٍ ^(٣) بِأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
فَإِنْ يَكُ هَكَذَا يَا عَمْرٍو إِنِّي مُبَكَّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ

ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَمَاتَتْ ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا ، فَقِيلَ لِي : هِيَ مِنْ وَلَدِ مُحَرَّقِ
ابْنِ التَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْتَرِ ، وَعَمَرُو بِنَ كَعْبِ هَوًى لَهَا بِالْيَمَامَةِ ، فَرَكِبْتُ نَاقَتِي

(١) فِي الْأَغَانِي : هُوَ بَدَلُ مَعَ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : غَيْرِ بَدَلِ حَلَّ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : يُقِيلُ لِي هِيَ عَمْرٍو بِنَ كَعْبِ .

فصرت إلى اليمامة . فسألت عن عمرو بن كعب ، فخبَّرتُ أنه مات في ذلك الوقت الذي قالت الجارية فيه ما قالت .

(أعطيه لكل بيت ألف دينار)

حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد ، أبو علي الكلبي ، قال :
حدثني إبراهيم بن محمد الدجاجي ، قال : حدثني عمرو بن سعيد بن سلم
الباهلي ^(١) ، قال : كنتُ في حَرَسِ المأمونِ بِحُلوان حين قُتل من
خُرَاسان أو حين قُتل من العراق ، — أبو علي يشك — قال القاضي :
والصواب قُتل من خراسان أو قُتل إلى العراق ، والقول الرجوع لا ابتداء
السفر ، والمأمون رجع من خراسان إلى العراق بعد قتل الأمين واستتباب
الخِلافة له ، قال : فخرج لينظر إلى العسكر في بعض الليل ، ففرقه ولم
يعرفني فأغفلته ، فجاء من ورائي حتى وضع يده على كتفي ، فقال لي : من
أنت : قلت : عمرو عَمْرَك الله ، ابن سعيد أَسْعَدَك الله ، ابن سَلَم
سَلَمَك الله ، فقال : أنت الذي كنتَ تكلِّمُنَا في هذه الليلة ؟ فقلت :
الله يكلِّمُك يا أمير المؤمنين ، فأنشأ المأمون يقول :

إن أخاك الحقَّ من يسعَى مَعَكَ ^(٢)
ومن يضُرُّ نفسه ليشعل
ومن إذا رَيْبُ زمان صدَعَكَ
فرق من جميعه ليجْمَعَكَ ^(٣)

(١) عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي ، من أسرة كلها ولاء ، فقد ولي هو على الري وبلغ ، وكان
جده مسلم والياً على البصرة مرتين ، مرة لابن هبيرة ومرة لأبي جعفر المنصور ، وكان
سيد قومه ، هذا وقد ذكر ابن قتيبة في «المعارف» أن سعيداً هو أخو عمرو لا أبوه ، انظر
صفحة ٤٠٧ من المعارف .

(٢) الخبر في المستطرف ٥٦/١ ، عيون الأخبار ٤/٣ ، وجميع الأشكال ٣٤/١
(٣) رواية هذا البيت في عيون الأخبار :

إن أخاك الصدق من كان معك

ثم قال : يا غلام ! أعطه لكل بيت ألف دينار ، فوددت أن تكون
الآبيات طالت علي فأجد الغنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتاً من
عندي ، فقال : هات ، فقلت :

وإن غدوت ظالماً غدا معك ^(١)

فقال : أعطه لهذا ألف دينار ، فما برحتُ من موقعي حتى أخذتُ
خمسة آلاف دينار .

(التعليق على الخبر)

قال القاضي : فلإن قال قائل : كيف أعطى المؤمن عن قوله :

فلإن غدوت ظالماً غدا معك

ولم وافقه على تصويب مساعدة الظالم وممالأته ، قيل : إنه لم يظهر في
قول هذا القائل ما يوجب مظاهرة الظالم في عمله ، وقوله : غدا معك ،
يتجه فيه أن يكون معناه غدا معك ليكشفك عن الظلم ، بالوعظ لك والرَّفق
بك والاستعطاف على ما تُسَوَّلُ لك نفسك ظلمه ، فيصرفك عن الظلم ،
ويتننّيك عن معرفة الإثم .

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « انصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً »
فقيل له : يا رسول الله ! أنصُرْه مظلوماً فكيف أنصُرْه ظالماً ؟ ، قال :
« تحجبه عن الظلم فذلك نُصْرُك إياه » ^(٢) .

= وفي جميع الأمثال : إن أخا إلهي جاء من يسى معك .

(١) وفي العيون : وإن رآك ظالماً سى معك .

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري ، كتاب المغالمة ، باب « آمن أخاك ظالماً أو مظلوماً »

١٦٨/٣ ، وفي صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب « نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً »

١٩/٨ .

وفي جميع الأمثال ٣٣٤/٢ ، عن أبي عبيد قال : أما الحديث فهكذا ، وأما العرب فكان =

(الأمر لا حيلة له)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو عجلان ، قال : سمعت الفضل بن مروان يقول : كان ابن المقفع يقول : إذا نزل بك أمر منهم^١ فأنظر فإن كان له حيلة فلا تنزع .

(ضَعُفَ قلبي عن الرد)

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج ، قال : حدثنا حسين بن فهم ، قال : قال ابن الموصلي^(١) ، حدثني أبي ، قال : أثبت يحيى بن خالد بن

مذهبها في المثل نصرته على كل حال .

قال الفضل : أول من قال ذلك جندب بن الدبير بن تميم بن عمرو ، وكان رجلاً دميماً فاحشاً ، وكان شجاعاً ، وأنه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان فلما أخذ الشراب فهما قال جندب لسعد وهو يمازحه : يا سعد ، لشرب لبن القنّاق وطول النكاح وحسن المزاج ، أحب إليك من الكفاح وديس الرماح . قال سعد : كذبت ، والله إني لأعمل العامل ، وأحرم البازل ، وأسكت القاتل . ثم تلاها ، فقال سعد - وكان عاتقاً - : أما والذي أحلف به لأمرتك طيبة ، بين المريئة والبعينة ، ولقد أغبرني طيري ، أنه لا يفكك غيري ، فقال جندب : كلا ، إنك جبان ، تكره الطمان ، وتحب القيان ، فظرفاً على ذلك ، فغبراً حيناً ، ثم إن جندباً خرج على فرس له يتصيد ، فأتى على أمة لبني تميم ، يقال إن أصلها من جرهم ، فقال لها : لتسكني مسرورة ، أو تقهرين بعبودة ، ثم نزل عن فرسه مدلاً ، فلما دنا منها قبضت على يده فما زالت تمصرهما حتى صار لا يستطيع تحريكهما ثم كتفته بثمان فرسه وراحت به مع شتمها ، فبينما هو كذلك إذ مر به سعد في إبله فقال : يا سعد أغضي ، قال سعد : إن الجبان لا يغيث ، فقال جندب :

يا أيها المرء الكريم المشكوم انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

فأقبل إليه سعد فأطلقه ، ثم أتبعه سعد إلى المرأة فقال لها : لولا أن يقال قتل امرأة لفظطك ، فقالت : كلا ، لم يكن ليكذب طيرك ، ويصدق غيرك ، قال : صدقت . . . وقوله : انصر أخاك ظالماً ، يجوز أن يكون ظالماً أو مظلوماً سألين من قوله أخاك ، ويجوز أن يكونا حالين من الضمير المستكن في الأمر ، يعني : انصره ظالماً إن كنت غصمه أو مظلوماً من جهة غصمه ، أي لا تسلمه في أي حال كنت .

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، أعظم الخنثيين في العصر العباسي ، يروى القصة عن أبيه -

برمك فشكوت إليه ضيقته ، فقال : ويحك ! ما أصنع بك ، ليس عندنا في هذا الوقت شيء ، ولكن ها هنا أمر أدلك عليه فكن فيه رجلاً ، فقد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني ^(١) أن أستهدي صاحبه شيئاً ، وقد أبيت عليه ذلك فألح عليّ ، وقد بلغني أنك أعطيت في جاريك ثلاثة ألف دينار ، فهذا أستهديه إياها وأخبره أنها قد أعجبتني ، فإياك أن تُنقصها عن ثلاثين ألف دينار ، وانظر كيف تكون ؟ قال : فوالله ما شعرت إلا بالرجل قد وافاني فساومني الجارية ، فقلت : لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار ، فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف ^(٢) دينار ، فلما سمعتها ضَعَفَ قلبي عن ردّها ، فبعته وقبضت المال العشرين ألفاً ، ثم صرت إلى يحيى بن خالد ، فقال لي : كيف صنعت في بيعك الجارية ، فأخبرته وقلت : والله ما ملكت نفسي أن أجبت إلى العشرين حين سمعتها ، فقال : إنك لخسيس ، وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا ، فخذ جاريك فإذا ساومك بها فلا تنقصها عن خمسين ألف دينار ، فإنه لا يد أن يشتريها منك بذلك ، قال : فجاءني الرجل فاستتمت عليه خمسين ألف دينار ، فلم يزل يساومني حتى أعطاني

= إبراهيم بن ميمون الموصلي المعني العظيم ، وإبراهيم لم يكن موصلياً في الحقيقة فأصله من فارس ، من بيت شريف في المعجم ، لكن قيل له الموصلي لأنه لما نفى وأدرك صاحب الفتيان واشتهى الفناء فطلبه ، فاشتد أهله عليه في ذلك فهرب منهم إلى الموصل ومكث سنة ، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتى الموصلي بقي عليه ، ولد الموصلي سنة ١١٥ وتوفي ببغداد سنة ١٨٨ هـ ، انظر الأغانى ١٥٣/٥ - ١٥٥ ، والخبر الذي هنا وارد في صفحة ١٩٤ من الجزء ، وانظره أيضاً في أخبار الأذكياء ٤٩ ، ونهاية الأرب ٣٣٩/٤ مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية .

(١) في الأغانى ونهاية الأرب : خليفة صاحب اليمن والثاني خليفة صاحب أرمينية ، وإن كان صاحب النهاية قد عكس ، فقدم صاحب أرمينية على صاحب اليمن . وتتفق الرواية في في أخبار الأذكياء مع ما هنا .

(٢) في الأصل : عشرون ألف ، وهي خطأ نحوي كما لا يخفى .

ثلاثين ألف دينار ، فضعف قلبي عن ردّها ولم أصدق بها وأوجبتها له ، ثم صرت إلى يحيى بن خالد فقال : بكم بيعت الجارية ؟ فقلت : بثلاثين ألف دينار ، فقال : ويحك ! ألم تؤدّ بك الأولى عن الثانية ؟ قال : قلت : ضَعُفْتُ والله عن ردّ شيء لم أطمع فيه ، قال : فقال : هذه جاريته فخذها إليك ، قال : فقلت : جارية أفدتُ بها خمسين ألف دينار ثم أملكها ! أشهدك أنها حرّة وأنا قد تزوّجتها .

(نصيحة أعرابي)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن صه الأصبغي ، قال : رأيت أعرابياً يعظ آخر ويحدّره ، وقال : إن فلاناً وإن ضحك لك فإنه يضحك منك ، وإن أظهر الشفقة عليك إن عقابه تسري إليك ، فإن لم يجعله عدواً لك في علانيتك ، فلا يجعله صديقاً لك في سريرتك .

(قریش أسخى أم أمية)

حدثنا عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا سليم بن حرب ، قال : حدثنا أبو هلال الرباضي ، عن حميد بن هلال ، قال : تفاخر رجلان رجل من قریش ورجل من بني أمية ، فقال هذا : قومي أسخى من قومك ، وقال هذا : لا ، قومي أسخى من قومك ، فقال : سئل في قومك حتى أسل في قومي ، فافترقا على ذلك ، فسأل الأموي عشرة من قومه فأعطوه مائة ألف عشرة آلاف عشرة آلاف ، قال : وجاء الهاشمي إلى عبيد الله بن عباس فسأله فأعطاه مائة ألف ، ثم أتى الحسن بن علي فسأله فقال له : هل أتيت أحداً قبلي ؟ قال : نعم ، عبيد الله بن عباس فأعطاني مائة ألف ، فأعطاه الحسن مائة ألف وثلاثين ألفاً ، ثم أتى الحسين بن علي فسأله ،

فقال : هل سألت أحداً قبل أن تأتي ، قال : نعم ، أخاك الحسن فأعطاني
مائة ألف وثلاثين ألفاً .

فقال ، لو أتيتني قبل أن تأتيه أعطيتك أكثر من ذلك ، ولكن لم أكن
لأزيد على سيدي ، فأعطاه مائة ألف وثلاثين ألفاً ، قال : فجاء الأموي
بمائة ألف من عشرة ، وجاء الهاشمي بثلاثمائة وستين ألفاً من ثلاثة ، فقال
الأموي : سألت عشرة من قومي فأعطوني مائة ألف ، وقال الهاشمي
سألت ثلاثة من قومي فأعطوني ثلثمائة ألف وستين ألفاً ، قال : فقهر
الهاشمي الأموي فرجع الأموي إلى قومه فأخبرهم الخبر ، فرد عليهم المال
فقبلوه ، ورجع الهاشمي إلى قومه فأخبرهم الخبر فرد عليهم المال فأبوا أن
يقبلوه ، وقالوا : لم نكن لرتجع شيئاً قد أعطينا .

(سمي الله المستهزئ جاهلاً)

حدثنا يعقوب بن محمد بن صالح الكريري ، قال : حدثني عبد الجليل
ابن الحسين ، قال : كان مما عُرِفَ عن أحمد بن المعدّل ^(١) وهو صبي
له ذؤابة في مجلس أبي عاصم ^(٢) ، ومروا بآبي عاصم حديث فيه فقهه ،
فقال أحمد : إنه مما أُلْحِصَ إلينا ^(٣) عن مالك بن أنس في هذا الخبر ،

(١) هو أحمد بن المعدل بن غيلان ، قال عند الحافظ في البيان ١٠٣/١ : كان يذهب مذهب
مالك رحمه الله ، وكان ذا تبحر في المالكي ، وتصرف في الألفاظ ، وقال عنه أبو الفرج
في الأغانى ٥٤/١٢ : هو أخو عبد الصمد بن المعدل ، كلاهما كان شاعراً ، وكان أحمد
عفيفاً ذا مروءة ودين وتقدم في المئزلة ، وجاء واسع في بلده وعند سلطانه ، لا يقاربه
عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوّه فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشمرهما .

(٢) هو أبو عاصم النبيل ، الفساحك بن غلث الشيباني البصري ، كان فقيهاً ثقة ، كثير
الحديث ، وكان فيه مزاج ، وله سنة ١٢٢ هـ وتوفي سنة ٢١٣ ، انظر تهذيب التهذيب
وتذكرة الحفاظ ٣٢٣/١ .

(٣) أُلْحِصَ إلينا : لعل يعني ما نقل إلينا من رأي فاستقر في عقولنا ، كما تحمل الريح حبوب
اللقاح من عضو التذكير إلى عضو التأنيث ، وقد يكون من قولهم : جرب الأمور فلطعت =

فسمع أبو عاصم ، فقال : لازرعك الله ، فحجل أحمد ، قلنا كان المجلس الثاني مرّ لأبي عاصم حديث فيه فقه ، فقال : أين أنت يا منقوص ؟ أنس^١ ألحق إليكم عن مالك ، قال : فحجل أحمد ثم وثب ، فقال : يا أبا عاصم ! إن الله خلقك جَدًّا فلا تهزلن^٢ ، فإن الله عز وجل سمى المستهزئ في كتابه جاهلاً فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَن تَدْخُلُوا بَكْرَةَ ، قَالُوا : أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا ؟ ۚ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١) قال : فحجل أبو عاصم وكان لا يحدث حتى يحضر أحمد فيقعده إلى جنبه .

(أخبار أصحاب الغلمان)

(النويحي وزرر المغني)

حدثنا عبيد الله بن محمد الكاتب ، قال : كان علي^٣ بن العباس النويحي^٤ مع جماعة من أهله على سطح دار أبي سهل النويحي في ليلة من ليالي الصيف يشربون ومعهم لإبراهيم بن القاسم بن زُرَّار المغني ، وكان إذ ذاك أمرد حسن الوجه ، وكان في السماء غيم ينجاب مرة ويتصل أخرى ، فانجاب الغيم عن القمر فانبسط فقال علي^٣ بن العباس ، وأقبل على إبراهيم :

لَمْ يَطْلُعِ الْبَدْرُ إِلَّا مِنْ تَشَوُّقِهِ
إِلَيْكَ حَتَّى يُؤَفِّيَ وَجْهَكَ النَّظَرَ

ولم يتمم البيت حتى استر القمر ، فقال :

... عقله ، أو قولهم : النظر في العواقب تلقيح للمقول ، ويكون المعنى : ما استنارت به عقولنا من آراء مالك رضي الله عنه .

(١) سورة البقرة الآية ٦٧ .

ولا تَغِيبَ إِلَّا عندَ خَجَلَتِهِ
لَمَّا رَأَىكَ تَوَلَّى عَنْكَ فَاسْتَقَرَّ

(المعتز ويونس بن بغا) ^(١)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عباد ، قال : حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك ، قال : شرب المعتز ويونس بن بغا بين يديه يسقيه والجلساء والمغنون حضور قد أعد الخليج والجوائز ، إذ دخل بغا فقال : يا سيدي ! والدة عبدك يونس في الموت وهي تُحِبُّ أن تراه ، فأذن له فخرج ، وفتر المعتز لبعده وتعمس ، فقام الجلسة وتفرق المغنون إلى أن صليت المغرب وعاد المعتز إلى مجلسه ، ودخل يونس وبين يديه الشموع فلما رآه المعتز دعا برطل فشربه وسقى يونس رطلا ، وغنى المغنون وعاد المجلس أحسن ما كان ، فقال المعتز :

تَغِيبُ فَلَا أَفْرَحُ فَلَيْتَكَ لَا تَبْرَحُ
فَإِنْ جِئْتَ عَدَّتْ بَيْتِي فَإِنَّكَ لَا تَسْمَحُ
فَأَصْبَحْتُ مَا بَيْنَ ذَيْنِ مِنْ وَلِيٍّ كَيْدٍ تُجْرَحُ
عَلَى ذَلِكَ يَا سَيِّدِي دُنُوكَ لِي أَصْلَحُ ^(٢)

ثم قال : غنوا فيه فجعلوا يفكرون ، وقال المعتز لابن القصار الطنبوري ^(٣) : ويلك ألحان الطنبور أملح وأخف فغن لنا ، فغن فيه لحناً ، فقال : دنابر الخريطة ، وهي مائة دينار فيها مائتان ^(٤) مكتوب على

(١) الغير التالي في مختار الأغاني ٣٩٦/٦ ، ٣٩٧ .

(٢) في مختار الأغاني : أروح .

(٣) اسمه في مختار الأغاني : سليمان القصار الطنبوري .

(٤) هكذا في الأصل ولعلهما كانا كيتين في كل منهما مائة .

كل دينار. منها ضرب هذا الدينار الحسنيني^١ لخريطة أمير المؤمنين ، ثم دعا بالخلع والحوائر لسائر الناس ، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس .

(وفاسك يقتله الوجد)^(١)

حدثنا جعفر بن محمد بن النضير بن القاسم الخوَّاص ، قال : حدثنا أبو العباس بن مسروق ، قال : حدثني فضل الزيدي^(٢) ، عن إسحاق بن إبراهيم ابن المهدي عن عمر الهلالي ، قال : شهدتُ أبا يحيى التميمي ، يقول : كان يختلف معنا رجل من التُّسَّاك يقال له أبو الحسن إلى مسعر بن كدام^(٣) ، وكان يختلف معه فتى حسن الوجه يفتن الناس إذا رأوه ، فأكثر الناس القول فيه وفي صحبته إياه ، فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلمه ، فذهل عقله حتى خشي عليه التلف ، فبلغ ذلك مسعراً ، فقال : قولوا له : ألا يقرئني ولا يأتي مجلسي ، فإني له كاره ، فلقبته فأخبرته ذلك ، ففتنس الصُّعَداء وأنشأ يقول :

يا من بدائع حسن صورته تخني إليهِ أعنةُ الحَدَقِ
لي منك ما للناس كلهم نَظَرٌ وتسليم على الطرقِ
لكنهم سعدوا بأمنهم وشقيتُ حين أراك بالفرقِ

قال : ثم صرخ صرخة وشخص بصره نحو السماء ، وسقط فحرَّكته فإذا هو ميت .

(١) الخبر التالي في مصارع المشاق ١٤٠ .

(٢) سند الرواية في مصارع المشاق يختلف في هذا الجزء ، ففيه : حدثنا جعفر بن محمد ، قال : حدثنا فضل الزيدي ، وحذف منه أبو العباس بن مسروق .

(٣) هو مسعر بكسر الميم وفتح العين ، بن كدام بكسر الكاف ، بن ظهير الهلالي أبو سلمة الكوفي ، من رجال الحديث الأفاضل الأثبات ، وفيه يقول ابن المبارك :

من كان حليماً جليلاً صالحاً فليأت حلقة مسعر بن كدام

توفي حوالي سنة ١٥٥ هـ . انظر الماروف ، تهذيب التهذيب .

(لو أمر الله العباد بالجزع)

حدثنا الحسن بن أحمد الكلبي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال :
حدثني مهدي بن سابق ، قال : قال يحيى بن خالد : لو أمر الله تعالى العباد
بالجزع دون الصبر لكان قد كلفهم أشد المعنيين على القلوب ، وقال
الشاعر :

بكى جزءاً لفقدان الحبيب . وأسبَل دمع مكهُوفٍ كثيبٍ
وكان الصبرُ أجملَ لو تعرَّى وأشقى للصدور من التحبيبِ
فلو جعل الإله الحزنَ فرضاً لكان الصبرُ من جُلِّ الخطوبِ
لكان الحزنُ فيه غير شكٍّ أشدَّ المعنيين على القلوبِ

(الأمين يتوجع لإصابة خادمه كوثر)

حدثنا الصولي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد ، قال :
حدثني محمد بن عمر ، قام كوثر خادم الأمين محمد ليرى الحرب ،
فأصابته رجمة في وجهه فجلس يبكي فوجهُ محمد من جاء به ، وجعل
يمسح الدمع عن وجهه ، ثم قال :

ضَرَبُوا قُرَّةَ عَيْنِي ولأجلي ضَرَبُوا
أَخَذَ اللَّهُ لِقَلْبِي من أناسٍ أَحْرَقُوا

فأراد زيادة في الأليات ، فقال للفضل بن الربيع : من هاهنا من
الشعراء ؟ فقال : الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمي ^(١) . فقال : عكّي
به ، فلما دخل أنشدته البيتين وقال : قل عليهما ، فقال :

(١) أبو محمد ، مولد بني تميم ، من شعراء الدولة العباسية ، وأحد العلماء المجان الوصائين
للخمر ، كان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وقدنياً لهما ، ثم انفصل بالبراسة
ومدحهم ، وقد استنفذ شعره أو أكثره في وصف الخمر ، انظر الأغاني ٤٤/٢٠ .

ما لَمَنْ أَهْوَى شَبِيهَ فِيهِ الدُّنْيَا تَتَبِعُهُ
وَصَلُّهُ حُلُوٌّ وَلَكِنْ هَجَرُهُ مَرٌّ كَرِيهَ
مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ الْفَضْلَ لَمْ عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ
مِثْلَ مَا قَدْ حَسَدَ الْقَتَا ثُمَّ بِالْمَلِكِ أَخُوهُ

فقال : قد أحسنت ، هذا والله خير مما أردت ، يجاني عليك يا عباسي^(١) إلا نظرت فإن كان جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء في زورق ملأته له ، فأوقر له ثلاثة أبغسل دراهم^(٢) .

(المأمون يعاتبه بسبب هذا البيت فيلجأ إلى الفضل بن سهل)

قال الصولي : فحدثنا الحسن بن علي العتريّ ، قال : حدثني محمد بن إدريس ، قال : لما قتل الأمين خرج أبو محمد التيمي إلى المأمون فامتدحه ، فلم يأذن له فصاب إلى الفضل بن سهل ورجأ إليه وامتدحه ، فأوصله إلى المأمون ، فلما سلم عليه ، قال له : يا تيمي :

مثل ما قد حسد القتا ثم بالملك أخوه ؟

فقال أبو محمد التيمي :

نُصِرَ المأمونُ عبدُ الله لما ظكَمُوهُ
نَقِصَ العهدُ الذي كان قَدِيماً أَكْدُوهُ^(٣)
لم يعاملْهُ أخُوهُ الذي أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة امتدحه بها أولها :

(١) المزاد بالعباسي ألفعل بن الربيع .

(٢) انظر هذا الخبر والذي يليه في الأغاني ٤٨/٢٠ ، ٥٠ ، تاريخ بغداد ٣/٣٢٩ .

(٣) في الأغاني : نقصوا وكانوا .

جَزَعَتْ ابْنَتَيْمُ أَنْ عَلَكَ مَشِيبُ^(١)
 وبان الشَّيْبُ والشَّيْبَابُ حَبِيبُ
 فلما فرغ منها قال المأمون : قد وهبتك لله ولأخي أبي العباس^(٢) ،
 يعني الفضل بن سهل ، وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

(خمسة آلاف في تفسير كلمة)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن الأصمعي ،
 قال : دخلتُ على الرشيد هرون ومجلسه حافل ، قال : يا أصمعي ! ما
 أغفلاك عنا وأجفاك لحضرتنا ! قلت : والله يا أمير المؤمنين ما ألاقئتُني
 بلاداً بعدك حتى أتيتك ، قال : فأمرني بالجلوس فجلستُ حتى خلا
 المجلس فجلستُ وسكت عني حتى تفرق الناس إلا أقلهم ، فنهضتُ للقيام
 فأشار لي أن أجلس ، فجلست ولم يبقَ غيري وغيره ومن بين يديه من
 الغلمان ، فقال لي : يا أبا سعيد : ما ألاقئتُني؟ قلت : أمسكتني^(٣) يا أمير
 المؤمنين :

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تَلِيْقُ دَرْهَمًا
 جُودًا وَأَخْرَى تُعْطِ السَّيْفِ الدَّمَ
 أي ما تمسك درهماً ، فقال : أحسنت وهكذا فكن وفترنا في الملازم
 وعلمنا في الخلاء ، وأمر لي بخمسة آلاف دينار .

(١) في الأغاني : أناك .

(٢) في الأغاني : لأخي العباسي ، يعني الفضل بن سهل ، وهو الصحيح .

(٣) انظر هذا التفسير في مجالس ثعلب ٥٩٣/٢ ، واللسان (ليق) ، وانظر البيت في الإنصاف
 ٣٨٧/١ ، والقرطبي ٣٣٢٥ ، وفيه شاهد آخر ، وهو حذف الياء من الفعل المضارع
 (تمعل) دون أن يتقدمه جازم مجتزأ بالكسرة التي قبلها دالة عليها ، وهم يملكون ذلك
 بكثرة الاستعمال مثل قولهم : لا أدر يخذل الياء ، قال الزجاج : والأيود في النمر إثبات
 الياء ، ولا يجوز التماس على ما ورد منه .

(أبيات غزلية)

أنشدنا الصولي ، قال أنشدنا المبرد :

أَنْتَ لَأَفُّ الْعِيُّو ن فَاتَكْحَلِي أَوْ تَمَرِّهِي ^(١)
لَسْتُ عَنْكُمْ وَلَوْ قَتَلْتُ سْتُ بَدَا الدَّهْرُ أَنْتَهِي
فَقَادَتْنِي نَحْوُكَ الشَّقَا ءُ كَذَا كُنْتُ أَشْتَهِي

• • •

(١) تمرهي : لا تكحلي ، يقال : مرهت العين أي غلت من الكحل .

المجلد الثالث عشر

(حديث الغار)

حدثنا محمد بن نوح بن عبد الله المعروف بالحندي ساويري ، إمام
في يوم السبت لليلتين خلتا من المحرم سنة عشرين وثلثمائة ، قال : حدثنا
علي بن حرب الجندي ساويري قال : حدثنا عثمان بن أبي مقسم ، عن نافع ،
أن ابن عمر أخبره أن نبي الله ﷺ حدثهم : أن ثلاثة نفر انطلقوا يمشون
فأصابهم المطر فأووا إلى غار في جبل ، فوَقَعَتْ عليهم صخرة ، فقال بعضهم
لبعض : ادْعُوا الله أن يُفَرِّجَ عنا فَرَجَةً نرى منها السماء ، فقال أحدهم :
اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان وكان لي امرأة وصبيوة ، وكنت أرى
عليهما فإذا مشيت حلبتُ لهما في إناهما ثم سَقَيْتُهُما ، وأنتي جئتُ ذات
ليلة وقد ذنا السحر وقد ناما ، وكنت قد حلبتُ لهما في إناهما فقمْتُ على
رؤوسهما والصبيوان يَتَضَاغَتُونَ عند رجلي أكرهُ أن أوقظهما وأكره
أن أسقي الصبيوان قبلهما ، اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلتُ ذلك من
خافتك فأفرجْ عنا فرجة نرى منها السماء ، قال : فأفرجت منها فرجة
رأوا منها السماء .

قال : وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم وأني

راودتها عن نفسها فأبت علي حتى أتيتها بمائة دينار ، فلما قعدتُ بين رجلها ، قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تكسر الخاتم إلا بحقه ، فقمْتُ عنها وتركته لها ، اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك مخافتك ، فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء ، فأفرجت فرجة أخرى فرأوا منها السماء .

قال : وقال الثالث : اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيراً يعمل لي في فَرْقٍ من زيت ، فلما عمل أُناني يطلب أجره ، فقلت : اعمد إلى هذا الفَرْقِ الزيت فخذهُ ، فرغبتُ عنه نفسه ، فعدتُ إليه ، فجمعتهُ فبعت منه حتى كان بِقَرّاً ورُعَاتِها ، فأُتاني فقال : يا عبد الله اتق الله وأعطني أجرتي ، فقلت : املك هذه البقرات ورعاتها . فاستاقها ، اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك مخافتك فأفرج عنا الحَجَبَر ، فأفرج عنهم الحَجَبَر ، فخرجوا يتماشونَ إلى أهاليهم ^(١) .

حدثنا محمد بن نوح ، قال : حدثنا علي بن حرب الجنديسابوري ، قال : حدثنا سليمان ، قال : أخبرنا جرير ، عن عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ نحوه .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي :. حديثُ الغار هذا معروفٌ عند أهل العلم ، وقد ورد الخبر به عن رسول الله ﷺ من وجوه ، وكتبناه من طرق شتى عن الشيوخ ، وأتينا بهذا لأنه حَضَرنا في هذا الوقت دون غيره .

وفيه ما يدعو إلى فعل الخير واصطناع المعروف والإشفاق من الظلم ، والحلدر من وخيم مَغَبَّتِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ ، وفيه بيان أن أكثرَ فعل البرِّ

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث نافع ، انظر المستد ١١٦/٢ ، وانظر رواياته المختلفة في تاريخ بغداد ٢٠٨/٦ ، ٢٠٩ ، وانظر كذلك جميع الأشكال ٢٩٦/٢ .

عُدَّة لصاحبه ، وذخر يورثه النجاة من المَحْوَفات ، ويعطيه الإغاثة عند الزبات^(١) .

وقد حدثنا محمد بن حمدان بن سفيان الطراقي ، قال : حدثنا محمد ابن العباس بن النصور التتيسي ، قال : حدثنا عمر بن أبي سلمة ، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي ، عن الأصمغ ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : « صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وصنائعُ المعروف تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ ، وأكثرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ »^(٢) .

(كثير من أصحاب الحديث لا يضبط اللغة)

وروى لنا الجُنْدِيسَابُورِي هذا الخبر ، فقال فيه : الصَّبُوة والصَّبُوان كأن الالفاظ اعتبر فيه لفظ الصَّبُوة . وقولهم : صبا يصبو ، والسائر في كلام العرب الصَّبِيَّة في جمع صبي والصبيان ، وأصحاب الحديث لا يضبط كثير منهم مثل ذلك فيحيله ولا يضبطه ، ورسول الله ﷺ أفصح العرب ، وكلامه جارٍ على أوضح الإعراب ، وأعلى مراتب الصواب .

(إعراب المفعول له)

وقول من حكى عنه في هذا الخبر : إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ خَافَتَكَ ، المعنى به لمخافتك ومن مخافتك ولأجل مخافتك ، وهذا الذي ينتصب عند النحاة

(١) الزبات : الشدائد .

(٢) أخرج الترمذي عن أنس : « أن الصدقة لطفي غضب الرب ، وتبلغ مئة السوء » ، انظر تحفة الأحوذى ، أبواب الزكاة ، باب « ما جاء في فضل الصدقة » ، الحديث رقم

٦٥٨ - ٣٢٩/٢ - ٣٣٠ .

لأنه مفعول له ، يقال : دنوت ابتغاءَ الخير ، ونأيتُ حذار الشر ، قال الله عز وجل : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾^(١) أي لحذر الموت ، أو من حذره ، وقد قيل إن المعنى ، أنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم حذر الموت ، وأن حذر الموت منصوب لأنه مفعول ثان ، فقولك : جعلت مالك في بيتك عدة لزمانك ، وسلاحك في رحلك جنةً من عدوك^(٢) ، ومن هذا النحو ، قول الشاعر^(٣) :

وأغفرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادَّخْرَهُ
وأعرض عن ذَنْبِ اللَّيْمِ تَكْرُمًا

(غار آخر ينطبق على تسعة إخوة)

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن جعفر الختلي ، قال : حدثنا عبد الله - يعني ابن عمرو البلخي - قال : حدثني إبراهيم بن عبد الله الختلي ، قال : حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثني أبو عمرو العمري ، قال : أخبرني حسين بن حسن بن سلمة بن مزيعة العامري ، عن أبيه : أن امرأة من بني عامر كان لها بنون عشرة ، فخرج تسعة منهم في بعض حاجتهم ، فأصابتهم السماء فابتدروا كهفًا فتحدّرت صخرةٌ فردمت عليهم باب الكهف ، فمكثوا فيه لا يقدرون على الخروج منه حتى ماتوا عن آخرهم ، فلما طال ذلك على أمهم ، قالت لابنها العاشر : انطلق فاقتفُ آثار إخوانك فما أراني إلا وقد رزيتهم ، قال :

(١) سورة البقرة الآية ١٩ .

(٢) فكلمتا عدة وجنة مفعول ثان لجل ، لأنها تنصب مفعولين ، لكن ذلك لا ينطبق على بيت الشعر التالي ، لأن غفر لا تنصب مفعولين ، وهذا وقد ذكر الفراء في إعراب حذر الموت أنها تمحيز ، انظر تفسير القرطبي ١٩٠ .

(٣) البيت لحاتم المالح وهو في ديوانه ٨١ ، ورواية الشعر الثاني فيه :

وأصفح عن شَمِّ اللَّيْمِ تَكْرُمًا

وانظره في الكتاب لسبويه ١٨٤/١ وتفسير القرطبي بالرقم السابق .

يقول ابنها : كيف ذاك يا أمه ؟ قالت : يا بني إني والله أجد كيدي تحترقُ احتراقاً ، كلما قلت قد سكن عاد تلهياً ، فانطلق هل تحس لهم أثراً ، أو تعلم لهم خبراً ، قال : فخرج الفتى يقفوا آثار إخوته حتى انتهى إلى ذلك الكهف فاطلع فيه فإذا إخوته موتى مُجدلين ، فرجع يريد أمه باكياً ، فلما أتاها قالت : ما وراءك يا قيس ؟ قال : خيبرُ يا أمه ، قالت : عليّ ذلك يا بني ، قال :

لا تأسفينَّ على شيءٍ فُجِعتَ به
إنَّ المنايا خِلالَ الوعثِ والحدِّدِ^(١)
رَبَّيتُهُمْ سَعَةً حَتَّى إِذَا اتَّسَقُوا
أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ كَفَرْنَ الْأَغْضَبِ الْفَرْدِ
وَكُلَّ أُمَّ وَإِنْ سُرْتُ بِمَا وَلَدْتُ
يَوْمًا سَتَكِيلُ مَا رَيْتُ مِنَ الْوَلَدِ

قال : فنحبت العجوزُ نحيباً شديداً ، ثم قالت :

بُنيَّ لا صبرَ لي فيما فُجِعتُ به
عن تسعةٍ مثلهم غرَّاءُ لم تَلِدِ
زُهرٌ جَحَاجِحَةٌ بيضٌ خضارمةٌ
وفي الهزاهيزِ والرَّوْعَاتِ كَالْأَسَدِ^(٢)

(الأَعْضَبُ وما قيل فيه من اللُغة والفقه)

قال القاضي : الأعْضَبُ القرن : المكسور ، وقيل : إنه المكسور

(١) الوعث : الطريق الخشن للعليط المسير ، والجدد : الطريق السهل الواضح ، ومنه قولهم : « من لزم الجدد أمن التَّار » .

(٢) الخضارمة : جمع خضارم بضم الخاء ، وهو السيد الحمول الجواد ، الكثير العطاء والمعروف ، والهزاهيز : الفتن يهتز فيها الناس .

نصفه ، وقيل : ثلثه ، وبين الفقهاء خلاف في جواز الأضحية بالمعصوب
القرن ، وفي القدر المانع من تجويز الضحية به كاختلاف أهل اللغة ،
ويقال لذي الزمّانة والكسر^(١) من الناس : المعصوب ، ومن هذا الباب
قول ليبد بن ربيعة يرثي أربد أخاه^(٢) :
يا أربد الخبير الكرامُ جُدودُهُ
خلّيتني أمشي كقرنٍ أعصَبِ

(شعر لا يستنكر إنشاده في المسجد)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي
عبدة ، قال : قدم أعرابي من اليمن فدخل مسجد رسول الله ﷺ
فجلس في حلقة فيها الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقال : هل فيكم من
يُشَدُّ ، فقبل له : إنك لجاهل ، أنشد ابن رسول الله ﷺ ، فقال :
والله لأنشدن ما لا يُشكره ، ثم إن أحب قال ، وإن أحب سكت ، ثم
أنشأ يقول :
رُبَّ أمورٍ قد برئت لحاهها
وقومت من أصلاها ثم رشتها^(٣)

(١) الزمّانة : المرض الذي يدوم ، والكسر : الانكسار والمفرقة .

(٢) هو أربد من جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب أخو ليبد من أمه ، وكان أربد قد ذهب
هو وعامر بن الطفيل في وفد بني جعفر بن كلاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفق
معه عامر على قتل الرسول الكريم ، إلا أنهما لم يتكئتا من ذلك ، ودعا الرسول صلى الله
عليه وسلم على عامر بقوله : اللهم اكفني عامراً بما شئت بيننا وما عائدان إذ أصابت
أربد صاعقة فقتله وأصيب عامر بالطاعون فمات في بيت امرأة ملوية ، انظر سيرة
ابن هشام وتفسير الطبري ٨٠/١٣ - ٨٥ ، والبرصان والبرجان ٢٥٧ .

(٣) اللحاء : قشر كل شيء ومعنى براه أي جملة أسهما ، ورشتها : أي جعل فيها ريشاً وهو
يعني هذا البيت أنه ينظم الأمور ويديرها إدارة حسنة ، ويقال في المثل : فلان يري
ويريش : أي أنه ينظم الأمور ويديرها إدارة حسنة ، أو يضر وينفع ، ولا يزي ولا
يريش : لا يضر ولا ينفع .

أقيمُ بدار الصدق ما لم أهن بها
 وإن خِفْتُ من دارٍ هَوَانَا تَرَكَتُهَا
 وَأَصْبَحُ خَالِي الْمَالِ حَتَّى تَخَالُثِي
 بِحِيلَةٍ وَإِنْ حَقَّ عِرَانِي أَهْنَتْهَا
 وَلَسْتُ بَوْلَاحٍ لِلْبُيُوتِ لِفَاقَةِ
 وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا
 إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعَلَا
 مَدَدْتُ يَدِي بَاعًا إِلَيْهَا فَنِلْتُهَا
 وَمَكْرَمَةٍ كَانَتْ سَجِيَّةً وَالْيَدِي
 فَعَلِمْتُهَا وَالَّذِي فَعَلِمْتُهَا
 وَقَدْ عَلِمْتُ أَعْلَامُ قَوْمِي أَنْتِي
 إِذَا نَالَ أَطْفَارِي صَدِيقًا قَلَمْتُهَا
 رَجَاءَ غَدٍ أَنْ يَعْطِفَ الْوُدُّ بَيْنَنَا
 وَمُظْلَمَةٍ مِنْهُمْ يَجْنِي عَرَكَتَهَا
 وَإِنِّي سَأَتِي اللَّهَ لَمْ أَرْمِ حُرَّةً
 وَلَمْ تَأْتِنِي سِرٌّ قَوْمٍ فَخُنْتُهَا
 وَلَا بَاغِيًا خَمْرًا وَأَسْمَاعَ قَيْنَةٍ
 وَلَا قَاتِلًا فِي الشَّعْرِ أَنِّي شَرَيْتُهَا
 وَلَا غَائِرًا مَا لَمْ تُغَيِّرْني حَلِيلَتِي
 مَنَى مَا أَغَيَّرَ إِن لَمْ تُغَيِّرْني ظَلَمْتُهَا
 فَقَالَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ شَعْرًا أَرْضَنَ ، وَأَمْرًا لَهُ
 بَصَلَةٌ لَمْ يَقْبَلْهَا ، وَانْصَرَفَ .

(أَكَلَهُ كُلَّهُ)

حدثنا محمد بن إبراهيم بن عروة الملهبي ، قال : حدثني أبو عتبة

البصري ، قال : قدم عمارة بن عقيل ^(١) البصرة ، فأناه الناس يكتبون عنه ، فقال لرجل حضره : أنشدني بعض ما قاله الفرزدق لجدي ، وبعض ما قال جدي للفرزدق ، فأنشده قول الفرزدق ^(٢) :

حلقتُ بربِّ مكة والمُصَلَّى وأعناق الهدي مُتَلَدَاتٍ ^(٣)
لقد قلدتُ جِلْفَ بَنِي كَلْبٍ قَلَادَةً فِي السَّوَالِفِ بِأَقْيَاتٍ ^(٤)
قَلَادَةً لَيْسَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَكِنْ قَلَادَةً مِنْ جَهَنَّمَ مُنْضِجَاتٍ ^(٥)
حتى أتى عليها فجعل يُلْطَى ، ثم قال : هات ما قال له أبي ، فأنشده ^(٦) :

تُعَلَّلُنَا أَمَامَهُ بِالْعِدَاتِ وَمَا يَشْفِي الْقُلُوبَ الصَّادِيَاتِ
وَلَوْلَا حُبُّهَا وَلِلَّهِ مُوسَى لَوَدَعْتُ الصَّبَا وَالْعَانِيَاتِ
إِذَا رَضِيتُ رَضِيتُ وَتَعْتَرِينِي إِذَا غَضِبْتَ كَهَيْضَاتِ السَّبَاتِ ^(٧)
وَمَا صَبَّرَنِي عَنِ الدَّلَامِ إِلَّا كَصَبْرِ الْحُوتِ عَنِ مَاءِ الْفَرَاتِ

- (١) هو عمارة بن عقيل بن يلال بن جرير بن عطي بن الخلفي ، كان شاعراً فصيحاً ، قدم من اليمامة فمدح للمأدون ووجوه قواده ، واتصل بإسحاق بن إبراهيم المصمعي وله فيه مدح كثير ، واجتمع الناس وأخذوا شعره ونحوه علماء اللغة ، وبقي إلى أيام الواقي ومدحه ، انظر معجم الشعراء ٢٤٧ ، الأغاني ١٨٣/٢٠ - ١٨٨ .
- (٢) الأبيات في ديوانه ١٠٨/١ ، والتقايف ٧٦٨ .
- (٣) المصل : يريد به المسجد الحرام ، والمقلدات : الهدى المقلدة بالنمال ليلم أنها هدية إلى البيت الحرام .
- (٤) الجلف : الجبان النخب الجوف ، والسوالف : صفاة الأعناق ، الواحدة سالفة وهي عرض العنق من جانبيه .
- (٥) الرواية في الديوان والتقايف : مواسم بدل قلائد التي في الشطر الثاني ، ولعلها جنع ميسم وهي ما يكوى به ، ومنضجات : محرقات .
- (٦) الأبيات التالية وما يندعها في ديوان جرير ٦٩ ، التقايف ٧٧٥ ، من قصيدة هجوم بها الزبرقان بن بدر وبني طهية ويحجب الفرزدق على قصيدته السابقة .
- (٧) الهيفة : التكسير والتفتير ، وفي الأصل : الليضات تحريف ، والسيات : النوم .

ثم قال : ماذا ؟ قد قطع الفرزدقُ عِرْضَه وهو في أمانة ؟
حتى إذا بلغ إلى قوله :

رَجَوْتُمْ يَا بَنِي وَقَبَانَ ^(١) مَوْتِي وَأَرْجُو أَنْ تَطُولَ لَكُمْ حَيَاتِي
إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَيَّ فَخُلَّ عَنْهُمْ وَعَنْ بَارِئِ يَصُكُّ حُبَارِيَاتِ
إِذَا طَرِبَ الْحَمَامُ حَمَامُ نَجْدٍ نَعَى جَارَ الْأَقَارِعِ وَالْحَتَاتِ ^(٢)
فَقَامَ يَجْلُ طَرَبًا ، وَقَالَ : أَكَلَهُ كُلَّهُ .

(أبشر بطول سلامة يا مِرْبَع)

قال أبو عبد الله بن عرفة : وقد تمثل بهذا البيت الحسن بن قحطبة ^(٣)
حين همَّ أبو جعفر المنصور بالبيعة للمهدي أبي عبد الله ، فدخل عليه
الحسن بن قحطبة فقال : يا أمير المؤمنين ! ما تنتظر بالقي المُقبل
المبارك ، جدّدْ له البيعة فما أحد ممنوعٌ وراء هذا السُّتر ، ومن أبى
فهذا سيفي ، وبلغ الخبر عيسى بن موسى ^(٤) ، فقال : والله لئن ظفّرتُ
به لاشرب البارد ، وبلغ الحسن بن قحطبة الخبر والمنصور فدخل الحسن

(١) بنو وقبان : هم مجاشع ووط الفرزدق .

(٢) الأقارِع : يريد بهم الأفرع وفراساً أبي حابس ، والحاتات لقب له ، انظر التناقض ٧٧٠ .

(٣) هو الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي ، من كبار القواد العباسيين ، كان أبو مسلم
الخراساني بعد أن ضيغ خراسان قد بحث أباه قحطبة في جميع كثير إلى العراق ليقاثل من بها
من أصحاب مروان بن محمد ، فسار قحطبة وفرض جموعهم في كل بلد صادفها ، حتى دخل
واسط فقتل بها من أتباع يزيد بن عمر ، فتولى ابنه الحسن قيادة الجيوش فسار بها حتى
دخل الكوفة ، وكان له أثر كبير في القضاء على الأمويين ، انظر المعارف ٣٧١ ،
٣٧٢ .

(٤) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد الولاة العباسيين وقوادهم ،
وهو أن أخى السفاح والمنصور ، وكان ولياً لمهد المنصور إلا أن هذا عزله عن ولاية
المهد وجعلها لابنه المهدي ، انظر المعارف ٣٧٦ ، ٣٧٥ .

ابن قحطبة على المنصور وعنده عيسى بن موسى ، فتمثل المنصور بقول جرير :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا
أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَع

مربع رجل من بني جعفر بن كلاب ^(١) ، كان يروى شعر جرير
فندر الفرزدق دَمَهُ ، فقال جرير ^(٢) :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا
أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ
إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ تَبَيَّنَ لَوُؤْمُهُ
حَيْثُ التَّقَى حُشَّاشَاؤُهُ وَالْأَخْدَعُ ^(٣)

فلما خلع المنصور عيسى بن موسى مَرَّ في موكب ، فقال إنسان :
من هذا ؟ فسمعه مَخْتَثٌ ، فقال : هذا الذي أراد أن يكون غداً فصار
بعد غد ، وقد رَوَيْنَا في خير آخر : أن عيسى بن موسى قال لمَخْتَثٍ
يَتَهَدَّدُهُ : أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ فقال : بلى ، أنت الذي كنت غداً فصرت
بعد غد ^(٤) .

وقول جرير : حيث التقى حُشَّاشَاؤُهُ ، الحُشَّاشَاوَانِ : هما العظمان
الناشزان وراء الأذنين ، والواحد حُشَّشَاءُ وهما لغتان إحداهما هذه

(١) مربع لقبه واسمه وعوة من بني جعفر بن كلاب ، كذا ذكر في اللسان (ربع) ، وفي
جمهرة الأنساب ٢٨٢ : أنه مربع بن وعوة بن سويد بن قرظ بن عبد الله بن أبي بكر
ابن كلاب .

(٢) البيهقي التاليف في ديوانه ٢٧٢ .

(٣) الأخدع : أحد عرقين في جانيي العنق ، وهما أهدمان .

(٤) انظر أخبار الطوائف والمتصوفين ٢٢ .

مثل فُعلاء ، والآخرى حشاء على فُعْلال مثل قسطاس ^(١) وفُسْطَاط من الصحيح ، وكذلك قُوياء وليس في الأسماء على هذا الوزن غيرهما .

وأما فُعَلٌ فقد حكى الفراء ويعقوب وغيرهما فيه ثلاثة أحرف ، وحكى غيرهما فيه رابعاً وخامساً وسادساً ، فأما الأحرف الثلاثة فأدْمَى اسم مكان ^(٢) ، وأرَبَى من أسماء الداهية ، كما قال الشاعر :

هِيَ الْأَرَبَى جَاءَتْ بِأَمْ حَبَوْمَكَرَى ^(٣)

وشُعْبَى اسم بلدة ، قال جرير :

أَعْبَدَا حَلَّ فِي شُعْبَى غَرِيْبَا
أَلُوْمَا لَا أَبَا لَكَ وَاغْتَرَابَا ^(٤)

وأما الحروف الآخر فحكاها فيما رَوَى لنا أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي ،

حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد ^(٥) ، قال : أخبرنا ثعلب ، قال : جاءت حروف لم يأت بها يعقوب ولا الفراء ، أتى بها أبو عمرو الشيباني

(١) الصحيح أن يقول مثل قرطاط وفسطاط ، ذلك لأن قسطاس مكسور الفاء فلا ينطبق على ما يريد أن يشبهه ، انظر كتاب سيبويه ٣٢١/٢ ، وانظر خلق الإنسان للأصمعي ١٦٩ .

(٢) أدْمَى : قيل هي اسم جبل ، وقيل : أرض ذات حجارة في بلاد قشير ، وقيل إنها من بلاد بني سعد ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ١٧٠/١ .

(٣) عجز بيت لعمرو بن أحمر الباهلي ، وصدوره :

فلما عسى ليل وأيقنت أنها

انظر اللسان ٢٣٤/٥ .

(٤) قاله جرير في هجاء العباس بن يزيد الكتني ، وشعبي اسم موضع في جبل طبرستان ، انظر ديوانه ، واللسان ٤٨٥/١ ، وسيبويه ١٧٠/١ ، والخزانة ١٨٣/٢ ، ١٨٩ .

(٥) في أ : أبو عمرو ، وهو خطأ ، فهو أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد .

وابن الأعرابي ، وهي : جُمُدى اسم موضع وجُسُى اسم بلد ، وجُبُى اسم جبل ^(١) .

(دَخَّ اللَّهُ إِحْدَاهُمَا تِلْ الْأُخْرَى)

حدثنا علي بن محمد بن الجهم ، أبو طالب الكاتب ، قال : حدثنا العباس بن الفضل الربيعي ، قال : وحدثني علي بن محمد بن خلف العطار ، قال : حدثني الحسن بن الحسين الأشقر ، قال : كنت أطوف مع عبد الله بن حسن بن حسن فإذا نحن بامرأة حسناء تطوف ، قال : فقال لها عبدُ الله بن حسن بن حسن :

أَهْوَى هَوَى الدِّينِ وَاللَّذَاتُ تُعْجِبُنِي

فكيف لي بهوى اللذاتِ والسدِّينِ

فقالت : يا ابن رسول الله دَخَّ اللَّهُ إِحْدَاهُمَا تِلْ الْأُخْرَى ، فقال : هل من زوج ؟ قالت : كانَ فدُعِي ، قال : مُنْذُ كم ؟ قالت : منذ سنة ، فقال : الحمد لله على تمام النعمة ، قال : هل لك في التزويج ؟ قالت : والله ما كان ذاك رأيي ، ولكن لك فنعم ، فتزوَّجها .

(عبد الله بن طاهر يميز العتّابي ثلاث مرات)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : حدثني أبو هفان ، قال : حدثني أبي ، قال : دخل العتّابي ^(٢) على عبد الله بن طاهر فأنشده :

(١) ذكر السيوطي في المزهَر أن الذي زاده أبو عمر الزاهد هو : جنني اسم موضع ، وقال أبو حيان : وينظر أهر بلاء أو باليم ، وحلّى : دوية . انتهى ، وزاد القالي في المقصور : أرى . حية تطرح في اللبن فتغثره ، والأدس : حجارة حبر في بلاد بني قشير وهو غير الأدسي السابق ، والجبي : عظام النمل التي تمض ولها أفراء واسعة .

(٢) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابي ، جده السابع هو عمرو بن كلثوم صاحب المعلّقة =

حُسْنُ ظَنِّي وَحُسْنُ مَاعَوْدَا له سُؤائِي بِكَ الْغَدَاةَ أَتَى بِي
أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ سِرِّ يَقِينِ حَدًّا إِلَيْكَ رِكَائِي

فأمر له بجائزة ، ثم دخل عليه مرة أخرى فأنشده :

جُودُكَ يَكْنِفُنِيكَ فِي حَاجَتِي ورُؤْيَايَ تَكْنِفِيكَ مِنِّي السُّؤَالُ
كَيْفَ أَخْتَشِي الْقَصْرَ مَاعِشَتُكِي وَإِنَّمَا كَفَّكَ لِي بَيْتٌ مَالٍ

فأجازه أيضاً ، ثم دخل عليه اليوم الثالث فأنشده :

أَكْسُنِي مَا يَبِيدُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ - فَلِئَلِّي أَكْسُوكَ مَا لَا يَبِيدُ
فأجازه وكساه وحمله ^(١) .

(قصة أبياتٍ من الشعر لعبد الله بن طاهر)

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، أبو عبد الله الكاتب ،
قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن هشام ، قال : كُنَّا عِنْدَ أَبِي
العباس محمد بن عبد الله بن طاهر ^(٢) يوماً ، ودخل محمد بن عيسى
الكاتب ، فقال أبو العباس : أعطوه قدحاً ، فأبى واعتذر ، فقبل صدره
وجلس وغَتَبْنَا وشربنا ، ثم تغى كُنُزَ دُبَّةٍ ^(٣) صوتاً فالتفت أبو العباس

- وهو شاعر مرسِلٌ بليغ مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البراسكة
فوصفوه الرشيد ووصلوه به فبلغ عنده منزلة عظيمة ، وكان يحيى بن خالد البرمكي يقول
لولده : إن قدركم أن تكتبوا أنفاس كل قوم بن عمرو ، فضلاً عن رسائله وشعره ،
فلن تروا أبداً مطه ، ترجمته في الأغاني ١٣/١٠٩ - ١٢٥ ، وانظر الخبر في ١١٦ م .
(١) انظر هذا الخبر رواية عما هنا في تاريخ بغداد ٤٨٧/٩ .

(٢) محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ، كان شيعياً فاضلاً وأديباً شاعراً ، وهو أمير ابن أمير
ابن أمير ، ولي إمارة بغداد أيام المترك ، وكان بآلئاً لأهل العلم والأدب ، توفي سنة
٢٥٣ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٤٢٢/٥ .

(٣) كنز دبة : مكنٍ اشتهر بالخلق في صناعة الغناء ، وروى الخليل بن أحمد ، وكان يحضر -

فنظر إلى قَدَحٍ فيه أربعةُ أرطالٍ في يد محمد بن عيسى فقال ، ما هذا يا أبا جعفر ؟ فقال : أعز الله الأمير ، لي ولهذا الشعر حديث ؛ كنتُ مع أبي العباس عبد الله بن طاهر ^(١) جالسا فشكا إليَّ وجدّه وعِشْقَه لإنسان فقال :

أَعْيَانِي الشَّادِنُ الرَّيْبُ

فقلت : دَارِه ، فقال :

أَكْتُبُ أَشْكُو فلا يُجِيبُ

فقلت : دَاوَه ، فقال :

فَكَيْفَ أَرْجُو دَوَاءَ دَائِي وَإِنَّمَا دَائِي الطَّيِّبُ
ثم افترقنا فلم أسمع أحداً يذكره حتى سمعتُ هذا يُعْني به الساعة ^(٢) .

— مجالس المقتدر العباسي ، وله أخبار ، توفي سنة ٣٠٦ هـ ، انظر ابن الأثير حوادث ٣٠٦ ، والأخالي ٢٢١/٥ ، ٢٢٢ .

(١) من الملاحظ أن كنية عبد الله بن طاهر وكنية ابنه محمد واحدة وهي أبو العباس وهذا صحيح كما ذكرت المراجع ، وليس خطأ كما قد يتبادر إلى الذهن .

(٢) وردت هذه القصة في المنتظم ١١٩/٥ ، ونشوار المحاضرة نقلا عنه في ١١٧/٤ ، برواية أخرى هي :

سَدَثُ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَعَاذٍ ، قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى نِسَابُورَ إِبرَاهِيمَ بْنِ شَيْبَةَ الشَّاعِرِ الْبَصْرِيِّ فَأَنْزَلَنِي عَلَى ، فَجَاءَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ مَكْرُوبٌ قَدْ هَاجَ ، فَجَعَلَ يَصْيحُ بِي : يَا أَبَا أَيُّوبَ ، يَا أَبَا أَيُّوبَ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غَشِيَتْهُ بَلِيَّةٌ ، فَقُلْتُ : مَا تَشَاءُ ؟

فَقَالَ : أَعْيَانِي الشَّادِنُ الرَّيْبُ .

فَقُلْتُ : بِمَاذَا ؟

فَقَالَ : أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَا يُجِيبُ .

فَقُلْتُ : دَاوَهُ وَدَاوَهُ .

فَقَالَ :

سَنَ أَيْنَ أَبْيِي دَوَاءَ دَائِي وَإِنَّمَا دَائِي الطَّيِّبُ

(أبيات ثلاثة لأبي نواس تُساوي شعر أبي العتاهية كله)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربيعي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن مطهر الكوفي ، قال : قال أبو العتاهية ، قال : قلت عشرين ألف بيت في الزهد ووددتُ أن لي مكانها الأبيات الثلاثة التي لأبي نواس ^(١) :

يا نواسي تَوَقَّرْ ^(٢) وَتَعَزَّى وَتَصَبَّر
إِنْ يَكُنْ سَاءَكَ دَهْرٌ ^(٣) فَلَمَّا سَرَّكَ أَكْثَرُ
يَا كَثِيرَ الذَّنْبِ عَقُو السِّلَّةِ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ

قال الحسن بن عبد الرحمن ، قال أبو مسلم الكاتب : هذه الأبيات مكتوبة على قبر أبي نواس ، فزادني أبي فيها بغير هذا الإسناد :

أَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ فِي ^(٤) أَصْبَحَ عَفُو اللَّهِ يَصْنُفُ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرَ
لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ تَدْيِيرٌ سِرُّ بَلِّ اللَّهِ الْمُدَبَّرُ

= فقلت : إذن يفرج الله عز وجل .

فقال :

يا رب فرج إذن وعجل فليكن السامع المجيب

فقال : ثم انصرف .

- (١) انظر هذا الخبر مروياً عما هنا في تاريخ بغداد ٤٤٦/٧ ، ٤٤٧ ، والأبيات وما قبلها في ديوان أبي نواس ١٩٦ ، وما عدا الأخيرين في البيان والتبيين ٢٠٠/٣ والثاني والثالث في الموشح ٤٢٥ ، مع اختلاف في الرواية .
(٢) رواية المراجع السابقة كلها : تفكر .
(٣) رواية هذا الشطر في المراجع : ساءك الدهر بشي .
(٤) في الديوان : عز بدل في .

(ربيعةُ الرشيد في النمري)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عون بن محمد ، أن سعيد ابن سلم قال : حضرتُ النمري^(١) يُشَدُّ الرشيدَ شِعْراً فمر فيه وصفٌ لسيوفه :

لَيْسَتْ كَأَسْيَافِ الْحُسَيْنِ وَلَا
بَنِي حَسَنِ وَلَا آلِ الرَّبِيعِ الْكَلْبِ
هَرُونُ فِي الْخُلَفَاءِ مِثْلُ مُحَمَّدٍ
فِي الْأَنْبِيَاءِ مَفْضَلُ مَفْضَلٍ
فقال له الرشيد : ما يولعك بذكر قوم لا ينالهم ذمٌ إلا شاطرهم
إياه ، قد رايتني منك هذا وفيك ، لا تعدُّ له ، وإنما نفارقهم في الملك
ثم لا افتراق في شيء بعده .

(شعر يعزّل قاضياً عن القضاء)^(٢)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ ، قال : أخبرنا مسيح بن حاتم ، قال : أخبرني يعقوب بن إسرائيل ، قال : أخبرني محمد بن علي بن أمية ، قال : كنا بحضرة المأمون بدمشق فغنى عكويه^(٣) :

(١) هو منصور بن الزبير كان بن سلمة النمري ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو المتابي وراويته وهو الذي وصله بالرشيد ، فخطبته عنده ، وكان يتقرب إليه بهجاء الملوك ، مع أنه كان يتشيع في الباطن ، وقد حدثت بينه وبين المتابي جفوة فسعى به المتابي لدى الرشيد وذكر له قصيدة هجا فيها بني العباس ، فطلبه الرشيد وأرسل إليه من يقتله ، فوجده قد مات ، انظر الأغاني ١٤٠/١٣ - ١٥٧ ، أمالي المرتضى ٢/ ٢٧٧ .

(٢) الخبر التالي في الأغاني ٣٤٠/١١ ، ومجمع الشعراء ٢٢٥ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف المروفي بملويه ، كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً محسناً وصانعاً متفنناً وضارباً متقدماً ، مع خفة روح وطيب مجالسة وملاحة نوادر ، وكان =

بَرِّتُ من الإسلام إن كان ذا الذي
 أَنَاكَ بهِ الواشُونَ حَقًّا كما قالوا
 ولكنهم لما رَأَوْكَ سَرِيعَةً^(١)
 إِلَيَّ تَوَاصَوْا بالنميمة واحتالُوا
 فقد صِرْتُ أَذْنًا للوشاةِ سَمِيعَةً
 ينالون من عِرْضِي ولو شئتُ ما نالوا

فقال المأمون لعلو به : لمن هذا الشعر ؟ قال : للقاضي ، قال : أي
 قاض ؟ قال : قاضي دمشق^(٢) ، فأقبل على أخيه المعتصم ، فقال له :
 يا أبا إسحاق اعزله ، قال : قد عزلته ، قال : فليحضر الساعة ، فأحضر
 شيخاً خضيباً ربيعة من الرجال ، فقال له المأمون : من تكون ؟ فنسب
 نفسه ، فقال : تقول الشعر ؟ قال : قد كنت أقوله ، قال : يا علويه
 أنشدك الشعر فأنشده ، فقال : هذا شعرك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ،
 ونسأؤك طوالق وعبيدك أحرار ومآله في سبيل الله إن كان قال شعراً
 إلا منذ ثلاثين سنة وإلا في زهد أو معانبة صديق ، قال : يا
 أبا إسحاق اعزله ، فما كنت لأولئك الحكم بين المسلمين من يبدأ في
 هزله وجدّه بالبراءة من الإسلام ، ثم قال : اسقوه ، فأتي بقدر فيه
 شراب فأخلده بيده وهي ترعد ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! الله الله ما

= إبراهيم الموصلي علمه وخرجه وعني به جداً ، فبرع وعنى لمحمد الأمين وعاش إلى أيام
 المتوكل ، انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ٣٣٣/١١ - ٣٦٣ ، البرصان والعرجان
 ١٠٨ ، ١٠٩ .

(١) في الأغاني : غربة .

(٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني أن هذا القاضي هو عبد الله بن محمد الخننجي ، وأنه كان ابن
 أخت علويه وكان علويه يماذيه لمنازعة كانت بينهما ، فاستقى الخننجي من القضاء بفساد
 وسأل أن يولي بعض الكور البيعة فولى جند دمشق أو حمص ، وكان ذلك زمن الأمين ،
 فلما ولي المأمون الخلافة غناه علويه هذا الشعر وأن صاحبه هو القاضي عمرو بن أبي بكر
 أبا عمر بن أبي بكر المؤملي الذي يروي عنه الزبير بن بكار .

ذَقَّتْهُ قَط ، قال : أفرحرام هو ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال
المأمون : أولئكَ لك بها ، أي تجوت . ثم قال لعلويه : لا تقل برئتُ من
الإسلام ، ولكن قل :

حُرِّمْتُ منائبي منك إن كان ذا الذي
أثاك به الواشون حقاً كما قالوا

قال محمد بن الحسن المقرئ : هذا القاضي هو عمر بن أبي بكر
الموصلي ، روى عنه الزبير بن بكار وإبراهيم بن المنذر ^(١) .

(تعليق نحوي : مد المقصور وقصر الممدود)

قال القاضي : مدّ المأمون المُنَى في هذا وهو مقصور ، وكان نخاة
البصرة من متقدميهم ومتأخريهم لا يُجيزون ذاك في شعر ولا نثر ،
إلا الأخفش فإنه كان يميزه في الشعر ، وهو مذهب متقدمي نخاة
الكوفيين ، وكان الفراء يميزه في بعض الوجوه ويأباه في بعضها ، فأما
قصر الممدود في الشعر فجائز عند جميع النحويين ^(٢) ، ولو جعل مكان

(١) إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة المدني ، أبو إسحاق الخزامي محدث روى
عن مالك وابن عيينة وغيرهما ، وولّته ابن معين والنسائي والدارقطني ، صنف كتاب
المغازي في الحديث ، توفي عام ٢٣٦ هـ ، انظر الباب ٢٩٦/١ ، تهذيب التهذيب ١/١٦٦ ،
١٦٧ .

(٢) وذلك ما عدا الفراء أيضاً ، فعليه علم جواز قصر الممدود أو مد المقصور إلا بشرط
مميّنة ، وقد ذهب إل أنه لا يجوز أن يمد من المقصور ما لا يميّنه في بابه ممدود ، نحو قمل
تأنيث فعلان نحو سكرى وعطش ، فهذا لا يجوز أن يمد لأن مذكره سكران وعطشان ،
وفعل تأنيث فعلان لا يميّنه إلا مقصورة . كذلك لا يجوز أن يقصر من الممدود ما لا يميّنه
في بابه مقصور ، نحو تأنيث أمل نحو يفساه وسوداء فهذا لا يجوز أن يقصر ، لأن مذكره
أبيض وأسود ، وقملاء تأنيث أمل لا يكون إلا ممدوداً ، وكذلك حكم كل ما يقتضي
القياس أن يكون ممدوداً ، فأما ما عدا ما يوجب القياس أن يكون مقصوراً أو ممدوداً من
المقصور والممدود فإنه يجوز أن يمد منه المقصور ويقصر منه الممدود إذا كان له نظير من -

هذا : حُرِّمَتْ رَجَائِي أَوْ شَفَائِي أَوْ مَا أَشْبَهَهَا لَكَانَ وَجْهًا صَحِيحًا لَا يَنْكَرُ وَلَا يَخْتَلَفُ فِي جَوَازِهِ .

(عمر رضي الله عنه يعزل واليًا بسبب شعره) ^(١)

ونظيرُ عزل هذا القاضي عن عمله لما أنكره إمامه من القول السيئ في شعره ، الخبر الوارد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عزله النعمان ابن عدي بن نَضْلَةَ ، وذلك ما حدثناه علي بن محمد بن الجهم أبو طالب الكاتب ، قال : حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، قال : أنبئت أن عَدِيَّ بن نَضْلَةَ بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ^(٢) ممن هاجر إلى أرض الحبشة ومات بها ، وكان معه ابنه النعمان بن عدي وهو الذي استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مَيْسَانَ ^(٣) ، فقال أبياتاً من الشعر فعزله ، فقال :

المقصود أو المملود ، فيجوز عنده مد « رضى » وهدى ، وحجى « لأنها إذا مدت صارت إلى مثال سماء ودعاء ورداء ، ويجوز عنده قصر « سماء » ودعاء ، ورداء » لأنها إذا قصرت صارت إلى مثال رضى وهدى وحجى ، فأما با لا مثال له من المقصور والمملود إذا مد وقصر فلا يخرج عن يابه من المد والقصر ، فهذا تفصيل المذهب ، انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٧٤٥ ، ٧٤٦ .

(١) انظر التالي بنصه في سيرة ابن هشام ٣٦٦/٢ ، ومع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية في أمالي القائل ١٢١/٢ ، وسبط اللاتي ٧٤٥ ، ومعجم البلدان مادة ميسان ٧١٤/٤ ، ٧١٥ ، والسند الفريد ٣٣٩/٤ ، ونهاية الأرب ١٠١/٤ .

(٢) انظر ترجمته في الإصابات ، الاستيعاب ، السيرة لابن هشام ٣٦٥/٢ .

(٣) ميسان بالفتح ثم السكون : كورة واسعة كثيرة القري والنخل بين البصرة وواسط قصبها ميسان ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما فتحت في أيامه ولاها النعمان بن عدي بن نضلة ، انظر معجم البلدان .

- ألا هل أتى الحسناء أن حليلها
 بميسان يسقى في زجاجٍ وحيتم^(١)
 إذا شئتُ عادتني دهاقينُ قريسة
 ورقاصة تجدو على كل منسم^(٢)
 فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقيني
 ولا تسقيني بالاصغر المتكلم^(٣)
 لعل أمير المؤمنين يسوءه^(٤)
 تتادمننا بالجوسق المتهدم^(٥)

فلما بلغت عمر الأبيات ، قال : أجل والله إن ذلك ليسوءني ، فمن لقيه منكم فليخبره أنني قد عزلته ، فقدم علي عمر فاعتذر ، وحلف ما صنع مما قال شيئاً ، ولكني كنت امرأة شاعراً وجدتُ فضلاً من قول كما يقول الناس ، فقال عمر : والله لا تعمَل لي عملاً ما بقيتُ وقد قلتُ ما قلتُ (٦) .

(تعليق لغوي وبلاغي)

قال القاضي : قوله يجذو على أطراف أصابع رجلها : أي تقوم ، يقال منه : جدا يجذو على أصابع رجله ، وجثا يجثو على ركبتيه .
 وسمى الرجل منسماً استعارة وهو في الأصل للبعير ، كما روى

- (١) الحليل : الزوج ، والحتم : جرار ممدحة يخضرة تقرب إلى الحبرة .
 (٢) في كل المراجع : غنتني بدل عادتني ، والنهاتين : جميع دهقان وهو العارف بأمور القرية وأهلها ، وفي الأمالي والسمط : وصناعة بدل رقاصة ، والصناعة التي تقرب بالصنع .
 (٣) الجوسق : البنيان المالي ، وقيل : الحسن ، وفي معجم البلدان : أن هذه الأبيات كتبها الثمان إلى امرأته فيعطها ، إذ كان قد أرادها على الخروج معه إلى عمله فأبت عليه .
 (٤) انظر نص الرسالة التي أرسلها سيدنا عمر إليه في معجم البلدان ، وفيه أن عمر رضي الله عنه لم يول أحداً من قومه بني عدي غيره لما كان في نفسه من صلاحه .

عن النبي ﷺ أنه قال في المستحاضة « لتستفر »^(١) ، وهو في الأصل للدواب ذوات الحافر ، وكما قال : « من حفظ ما بين فَمَمَيْهِ وما بين رجله دخل الجنة »^(٢) يريد القم والفرج ، وأصل القم للحية ، ومن المنسم قول زهير^(٣) :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويوطأ بِمِنْسَمٍ
والذي يسمى من الإنسان الظفر يقال له من ذوات الحُفَّ المنسم .

(من الشعر العفيف)^(٤)

حدثنا يعقوب بن محمد بن صالح الكريزي ، قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل القيسي ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب المدني ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : أنشدنا عبد الله بن مُصعب نخيرة بنت أبي ضَيْغَم البَلَوِيَّة^(٥) :

وَبِتْنَا خِيَالَفَ الْحَيَّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ
وَلَا نَحْنُ وَالْأَعْدَاءُ مُخْتَلَطَانِ^(٦)
وَبِتْنَا يَقِينَا بِأَرْدِ الْطَّلِّ^(٧) وَالنَّدَى
مِنَ اللَّيْلِ بِرُودَا يَمْنَةَ عَطِيرَانِ

(١) تستفر : أي تأخذ خرقة حريضة بين فخذيه تشدها في حزامها ، وأصل الظفر : سير في مؤخر السرج ونحوه يشد على عجز الدابة تحت ذنبها ، انظر اللسان « ففر » والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٢٢ .

(٢) الحديث الشريف في مستند الإمام أحمد ٤/٣٩٨ ، رواية عن أبي موسى الأشعري .

(٣) ديوانه ١٢ .

(٤) الغرر الثاني في أمالي القاضي ٨٢/٢ .

(٥) في الأصل حبرة والتصحيح من الأمالي ، قيل : وكانت نخيرة هذه تهوى ابن عمها فحببها أبوها عنه .

(٦) في الأمالي : بالأعداء .

(٧) في الأمالي : ساقط الطل .

نذودُ بذكر الله عتاً من الخنأ^(١) إذا كان قتلنا بنا يسردان
ونصدر عن ريِّ العفاف وربما نقعنا غليل الصنذر بالرشقان^(٢)

(أبيات تمثل بها ابن الزبير منصرفه يوم الحمل)

حدثنا عبد الباقي بن قانع ، قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن صالح بن شيخ ، قال : حدثنا الرياشي ، قال : حدثنا محمد بن الحكم الجلي ، قال : حدثنا محمد بن حلحلة القرشي ، عن أبي ربحانة ، قال : لما انصرف الزبير يوم الحمل تمثل :^(٣)

أمرتهُمُ أمري بمنعرج اللوى
ولا أمر للمعصي إلا مضيعة^(٤)
فقلت لكأسٍ أنجمها فإنما
حككت الكتيب من زرود لأفزعاه^(٥)

(١) في الأمالي : من الشدى ، وهو الأذى ، قال : وفي رواية من الصبا .

(٢) في الأمالي : أمر العفاف ، وفيها : نقعنا غليل النفس .

(٣) الأبيات التالية للكلمية العربي : هيرة بن عبد مناف بن عوف بن ثعلبة بن يربوع ، وكان الكلمة قد نزل بزورود وهي أرض بني مالك بن سنانة وهو رجل من يربوع ، فأغارت بنو ثعلب على بني مالك ، وقد سقيت فرس الكلمة الفراغ أجمع وهو حوض عظيم من آدم ، فأخبر بشرب فرسه ، والماء ما يعوق الخيل عن البحر . لكن الكلمة لم جاءه النكير أمر ابنته كأس بلإمام فرسه ، وكانت تسمى المرادة ، ثم ركب فاستنفذ ما أخذ القوم ، وأفلته خزيمة بن طاروق رئيس القوم ، وذلك لبطء فرسه حين شربت ، فقال الكلمة قصيدته هذه التي منها الأبيات وأولها :

فإن تنج منها يا غزيم بن طاروق فقد تركت ما خلف ظهرك بلعما

انظرها في المفضليات ٢٠ - ٢٣ ، وانظر نوادر أبي مسهل ١٥٣ ، والأشهاد لابن الأنباري ٩٠ .

(٤) رواية المفضليات : أمرتكم أمري ، يريد أنه أمرهم بشيء فلم يقبلوا منه ، ومنعرج : اللوى : انثناء الرمل وانطفائه : فالوى مقصور : هو الرمل .

(٥) كأس : اسم ابنته وقيل جاريته ، ورواية المفضليات نزلنا .. لنفزعها ونفرغا : أي =

كَأَنَّ بِلَيْتَيْهَا وَبَلَدَةَ نَحَرَهَا
 مِنَ التَّبَلُّرِ كُرَاتُ الصَّرِيمِ الْمُنَزَّعَا^(١)
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتَغَشَّ الْكَرْبَةَ أَوْشَكَتْ
 حَيْثَالُ الْمُؤَيَّنَا بِالْفَى أَنْ تُقْطَعَا
 قَالَ الرِّيَاشِي : اللَّيْتَانِ صَحَفَتَا الْعِنَقَ مِنَ النَّاقَةِ ، وَهَمَا تَحْتَ الْقُرْطِ
 مِنَ الْمَرْأَةِ ، قَالَ الْقَاضِي : مِنَ اللَّيْتِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 وَفَرَعٍ يَصِيرُ الْجَلِيدَ وَحَفٍ كَأَنَّهُ
 عَلَى اللَّيْتِ قِنَوَانُ الْكُرُومِ الدَّوَالِحِ^(٢)
 وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا هِيَ قَامَتْ تَقَشَّعُ شَوَاتُهَا
 وَيَبْرُقُ بَيْنَ اللَّيْتِ مِنْهَا إِلَى الصُّفْلِ^(٣)
 قَالَ الرِّيَاشِي فِي قَوْلِهِ وَبَلَدَةَ نَحَرَهَا : الْبَلَدَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ اللَّتْبَةُ ، وَمِنْ
 الْبَعِيرِ الْكِرْكِرَةُ ، وَكُرَاتُ الصَّرِيمِ : نَبْتُ لَهُ ثَلَاثَةُ عُرُوقٍ يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ
 فَإِذَا أُخْرِجَ كَانَ أَسْفَلُهُ كَأَنَّهُ قَدْ ذُذَّ السَّهْمِ ، فَشَبَّهَ النَّبْلَ بِذَلِكَ ، وَالصَّرِيمُ :
 الرَّمْلُ ، وَأَنْشَدَ الرِّيَاشِي :

-
- ١- نَفِثَ مِنْ اسْتَفَاثَ بَنَى ، وَالْفَزْعُ مِنَ الْأَضْدَادِ : الْفَزْعُ : الْمُسْتَعِثُ ، وَالْفَزْعُ : الْمَغِثُ .
 (١) اللَّيْتَانِ : صَفَحَتَا الْعِنَقِ وَلَيْسَا خَاصِمَيْنِ بِالنَّاقَةِ كَمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ، فَالشَّاعِرُ هُنَا يَقْصِدُ عِنَقَ
 فَرَسٍ الَّذِي رَشَقَ بِالنَّبْلِ ، وَالصَّرِيمُ : قَطْعٌ مِنَ الرِّمْلِ ، الْوَاسِطَةُ سَرِيعَةٌ ، وَالْكُرَاتُ :
 نَبْتُ الْوَاسِطَةِ كِرْكِرَةً ، وَهِيَ ثَلَاثُ وَرَقَاتٍ تَنْبُتُ قَدْ ذُذَّ السَّهْمِ ، وَإِنَّمَا عَصَ الصَّرِيمِ لِأَنَّ
 الْكُرَاتَ لَا يَنْبُتُ إِلَّا فِي الرَّمْلِ ، وَإِنَّمَا قَالَ الْمُنَزَّعَا لِأَنَّ سَاقَ الْكِرْكِرَةِ تَكُونُ غَالِبَةً فِي الرَّمْلِ
 فَلِذَا نَزَعَتْ أَشْبَهَتْ النَّبْلَ بِكَامِلِهِ ، وَجَعَلَ النَّبْلَ يَلْتَمِزُ الْفَرَسَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَقْبَلٌ فِي الْحَرْبِ وَلَوْ
 كَانَ مَنُحَرَفًا أَوْ مُوَلِّيًا لَمْ يَعْصِبْ لَيْتَهَا .
 (٢) الْبَيْتُ فِي الْأَضْدَادِ ١/٤١٩ ، وَالْوَسْفُ : الْكَثِيرُ الْأَسْوَدُ وَهُوَ صِفَةُ الْفَرَسِ ، وَالتَّنَوُّانُ
 جِنْسٌ قَنُوهُو الْمَلَقُ بِمَا فِيهِ مِنَ السَّحَرِ ، وَالذَّوَالِحُ : الثَّقَلَةُ بِحَمْلِهَا مِنَ الْبَحْرِ .
 (٣) الْبَيْتُ فِي خُلُقِ الْإِنْسَانِ لِلْأَسْمَعِيِّ ٢١٤ ، وَالرَّوَابِيَةُ فِيهِ : تَشْرِقُ بَدَلُ يَجُوقُ .

أُنِيخَتْ فَأَلْقَتْ بِلَدَةٍ فَوْقَ بِلَدَةٍ قَلِيلٌ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بُغَامُهَا^(١)
 يقال لصوت البعير بُغَامٌ ، قال الشاعر :
 حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَّا قَدْ وَمَا هِيَ وَيَبَّ غَيْرُكَ بِالْعَنَّا^(٢)

• • •

(١) البيت لدي الرمة ، انظره في ديوانه ، وسبويه ٣٧٠/١ ، والمفني ١٠٦ ، واللسان ٦٣/٤ ، وقال فيه : البلدة : بلدة النحر وهي ثغرة النحر وما حولها وقيل وسطها ، وقيل : هي الفلكة الثالثة من فلك زور القوس وهي ستة ، وقيل : هو المصدر من ذي الخف والحافر ، والمفني الذي يقوله الشاعر : هو أن ناقة بركت فألقت صدرها على الأرض ، وأراد بالبلدة الأولى ما يقع على الأرض من صدرها ، وبالثانية الفلاة التي أُلغ فيها ناقة ، وقوله : إلا بغاماً صفة للأصوات على حد قوله تمال : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) أي غير الله ، والبغام : صوت الناقة ، وأصله اللبني فاستعاره للناقة .

(٢) أنشد ابن منظور هذا البيت ومنه بيت آخر في اللسان (عق) مرويين عن ابن الأعرابي ونسبهما لقريظ يصف الذئب فالخطاب له ، ثم أورده وحده في (بم) ونسبه لدي الجرق الطهوي ، وهو كذلك في نوادر أبي مسحل ١١٦ ، وانظره في مجالس ثعلب ٩١/١ ، والإنصاف ٣٧٢/١ . والبغام : صوت الناقة لا تفصح به ، وهو كذلك صوت الظبية ، والناق : الأثني من المزم ، ومعنى البيت أن الشاعر يخاطب الذئب فيقول له : حسبت صوت راحلتي صوت عناق ، فحذف صوت الثانية للدلالة الأولى عليها ، إذ لا يصح تشبيه صوت الناقة بالناق نفسها ، وذلك موجود في كلامهم مثل : بنو فلان يظفون الطريق أي أهل الطريق .

المجلس الرابع عشر

(الصاحب مسئول عن صاحبه)

حدثنا محمد بن هرون ، أبو حامد الحضرمي ، قال : حدثنا زيد بن سعيد ، قال : حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا مروان بن سالم ، عن يحيى بن الحكم ، عن عبد الله ، قال : « صحب النبي ﷺ صاحباً فدخل رسول الله ﷺ غَيْضَةً فَقَطَعَ غُصْنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَعْوَجُ وَالْآخَرُ مُسْتَقِيمٌ ، فَدَفَعَ إِلَى صَاحِبِهِ الْمُسْتَقِيمَ وَأَمْسَكَ الْأَعْوَجَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا ، فَقَالَ : كَلَّا ، مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً إِلَّا وَهُوَ مُسْئِلٌ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » .

حدثنا أحمد بن عيسى بن السكن البلدي ، قال : حدثنا أبو سهل أحمد ابن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم اليمامي ، قال : حدثنا عمر بن يونس ، قال : حدثنا أبي ، عن حمزة بن عبد الله بن عمر ، قال : كان ابن عمر يحدث أن رسول الله ﷺ دخل غَيْضَةً وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ ، فَأَخَذَ مِنْهَا مَسْوَكَيْنِ أَرَاكَ ، أَحَدُهُمَا مُسْتَقِيمٌ وَالْآخَرُ مُعْوَجٌ ، فَأَعْطَى صَاحِبَهُ الْمُسْتَقِيمَ وَحَسِبَ الْمُعْوَجَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنْتَ أَحَقُّ بِالْمُسْتَقِيمِ مِنِّي ، قَالَ : كَلَّا ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ

إلا سأله الله عز وجل يوم القيامة عن مصاحبته إياه ، فأجبتُ ألا أستأثر عليك بشيء .^(١)

(العبرة من الحديث)

قال القاضي : تأملوا — رحمكم الله — ما في هذا الخبر من ذكر ما أتى به من أخلاق رسول الله ﷺ الشريفة العلية ، وعشرته لمن صاحبه الكريمة الرضية ، والإفضال والإيثار ، وعزوفه عن الاستبداد والاستئثار ، ومن أولى بذلك مِمَّن القرآن العظيم أدبه ، ومُتَرَلُّ الوحي الحكيم مؤدبه ، وقد روى أن عائشة رضي الله عنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ »^(٢) .

قال القاضي : وأعظم يقول الله عز وجل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣) بُنْيَانًا وَمَجْدًا وَقَضِيًّا وَجَدًّا ، وقد جاء في الأثر : أنه كان أحيا من عذراء في خدرها ، وأنه كان أشد الناس فيما كان من أمر الله عز وجل ، فيرضى أحسن الرضا حين التواضع ، ويعطي أجزل العطاء عند السَّامَةِ والأسرفاد ، ويغضب لله عز وجل أشد الغضب عند ظهور الغيِّ والعناد ، والعَبَثِ والفسَاد ، وكان في أمره ونصرته دينه كالحسام الباتر ، والضَّرغام الحادِر ، فأكرم بنفسه السمحة الزكية الشريفة الآية ، وسجاياه السهلة الرضية ، وعطاياه الفاضلة السنية ، اللهم فَكَلِّكَ الحمدُ على توفيقك إيانا لتصديقه ، وهدايتك لنا به ، اللهم فَاسْعِدْنَا بِاتِّبَاعِ أوامره ، والوقوف عند زواجه ، والاستمرار على سنته ، والسعادة بشفاعته .

(١) لم أشر على هذا الحديث والذي قبله فيما بين يدي من مراجع .

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٥٤/١ ، ٩١ .

(٣) سورة القلم ، الآية ٤ .

(جد أعشى همدان وصاحبه)

حدثنا ابن دريد ، قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوانة بن الحكم ، قال : حدثني شيخان من همدان ، قالا : كان نظام بن جشم بن عمر بن مالك بن عبد الجن الهمداني ، وهو جد أعشى همدان ، واسم الأعشى عبد الرحمن بن الحارث بن نظام^(١) ، مؤاخياً لأشوع بن أبي مرثد الهمداني وكانا مغوارين فاتكين قرضويين جوادين — قال ابن دريد : القرضوب : الذي يأخذ كل ما لاح له — لا يلبقن شيئاً ، قال القاضي : يقال للصوص : قراضبة ، ويقال للفقير : قرضوب ، قال الشاعر :

قومٌ إذا صرحت كحلّ قد أروهم
كهف الضعيف وماوى كل قرضوب^(٢)

رجع الحديث : لا يلبقان شيئاً ، فخرجا يريدان الغارة على مهرة ابن حيدان^(٣) ، وكان يختلسان الصرمة^(٤) ثم يشلانها مجاهرة^(٥) ، فإن

-
- (١) ويقال إنه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام ، كما في الأغاني ١٣٨/٥ ، والمؤتلف والمختلف ١٤ ، وما جاء هنا متفق مع ما ورد في الباب ١٠٧/٢ .
(٢) البيت لسلامة بن جندل ، انظره في اللسان ٣٤٣/٣ ، ١٠٤/١٤ ، جميع الأمثال ٤٥٥/١ ، والرواية فيها كلها : بيوتهم بدل فداهم ، وماوى الضريك بدل كهف الضعيف ، وصرحت كحل : مثل يقال إذا أصابت الناس سنة شديدة ، يقال صرح بفسم الرأه صراحة وصروحة إذا غلص ، وكذلك صرح بالتشديد ، وكحل : السنة والجلب ، معرفة لا تدخلها الألف واللام ، فإذا قيل : صرحت كحل كان معناه غلصت السنة في الشدة والجلبوبة ، وقيل : كحل اسم السماء ، يقال : صرحت كحل إذا لم يكن في السماء غيم .
(٣) مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، قبيلة تنسب إليهم الأبل المهرية ، ولهم باليمن غلات يسمى مهرة بإسقاط المضاف إليه ، بينه وبين عمان نحو شهر ، وكذلك بينه وبين حضرموت ، انظر معجم البلدان ٧٠٠/٤ .
(٤) الصرمة بكسر الصاد : القطعة من الإبل .
(٥) مثل الدابة : طردها وسأتها .

أدركا رميًا فلم يَسْقُطْ لهما سَهْم ، قال ابن الكلبي : قال أبي ، قال عوانة : سمعتُ من أُنثى به من رجال همدان يخبر أن السرب من القطا كان يمرُّ بهما طائرًا فيقولان : أيُّها تريدون ؟ فيوماً إلى الواحدة منها فيرميانها فلا يخطئان ، وكذلك الظباء ، وبين بلاد همدان وبلاد مَهْرَة مَقَاَزَة مُتَكَرَّة ، لا تسلكها الخيلُ وتسوخُ ^(١) فيها أخفاف الإبل ، فتصب فيها أودية مَهْرَة وأودية الحُوف ^(٢) ، وهي سبعة ملحمة نشاشة ^(٣) ، لا تُنبت عوداً ليس العُكُرش ^(٤) ، قال : فقَوَزُوا أياماً وشَوَّلَ ماؤهما ^(٥) وخافا الهلاك ، فأبصرا يوماً مع ذرور الشمس طيراً تَحُوم على غَمَضٍ من الأرض ^(٦) ، فقال أحدهما لصاحبه : ألا ترى ما أراه ، فقال : بلى والله إنها لتحوم على لحم أو ماء ، وأياها كان فهو مَمْلُوكٌ أو وشَل ^(٧) فقصدوا الجهة حتى هبطا غائطاً ذا خَبَرَاوات ونُفَعَان ^(٨) ، فأناخا وشربا وسَقَيَا وعَضَدَا لراحليهما ^(٩) ، واستظلَّ ببعض تلك الشجر ، فبيناهما كذلك إذ مر بهما أَمْعُوز ، وهو جماعة من الظباء ، فرمياه فصرعا ظَبْيَيْن وأورقا وأوريا واشتَوِيَا وقعدا يرقبان الليل

(١) تسوخ فيها الأقدام أي تنوص ، وفي أ : تسوق تحريف .

(٢) الحوف يطلق على حوف مراد وحوف همدان غلاتان باليمن ، ويرويان بالميم فيقال الحوف ، انظر معجم البلدان ١/٣٦٥ .

(٣) النشاشة : التي جفت وذهب ماؤها .

(٤) العكُرش : نجيل شيطاني معمر متيسط مداد يشمو في الزرور ، ويشرب فيها بجلور تنبت من عقد ، تخرج منها سيقان هوائية وأوراقه رحيمة ، ونوره سنبلة على هيئة الرأس .

(٥) شول ماؤهما : بقيت ، به بنية قليلة .

(٦) الغمض من الأرض : للتنفص انخفاضاً شديداً .

(٧) المملك : ما تملكه إليه من مال وغول ، والوشل : الماء المتجمع في غدير أو سفرة .

(٨) الخبرَاوات : جمع خبر ، وهو جمع الماء في الجبل ، والنفعان جمع نفع ، وهو الماء المتجمع في الغدير .

(٩) عضدا لراحليهما : أي قطعاً لما بالعقد وهو آلة تقطع بها فروع الأشجار بمض مسا تأكله .

ليستدلاً بالنجوم ، فإذا سواد مقبل فأخمرًا راحلتها ، قال ابن دريد :
أي واريها تحت الشجر ، قال القاضي : وهو الخمر ، قال الشاعر :

ألا يا زَيْدُ والضَّحَّاكُ سَيِّراً فقد جَاوَزْتُما خَمْرَ الطَّرِيقِ
وطلعا دوحه فتغيبا في شعابها فإذا صِرْمَةٌ زُهرٌ كالصَّوَارِ (١) يَمَحْدُوها
عبدٌ أسود وهو يقول :

رُوحِي إِلَى خَيْرِ أَبِي المَعَارِكِ لم يرك من أرحب الميَارِكِ
فإن بَيَّتَ أَضْيَافَهُ هُنَا لَسَكِ فأبْشِرِي بوقع عَضْبٍ بِتَائِكِ (٢)
يَبْرُ مِنْكَ أَسْوَقُ البَوَائِكِ (٣)

فما غاب الأول عن أعيننا حتى بدت صِرْمَةٌ أخرى يحدوها عيد
أسود ، وهو يقول :

رُوحِي إِلَى مَبْرَكِ الدَّمَائِرِ إِلَى فَتَى كُهَيْانِ والمُهَاجِرِ (٤)
وعَصْمَةِ المَعْتَرِ والمُهَاجِرِ والَّتِي فِي اليَوْمِ العَمَاسِ الخَادِرِ (٥)

— قال ابن دريد : العماس الشديد —

فإن مُنِيَّتِ بِمُضَافِ زَائِرِ فَأَيُّقِنِي بوقع عَضْبٍ بِتَائِرِ
ثم اعترَاقِي بِشِفَاكِ جَزَارِ مُخْطَرَفِ لِلجِلَّةِ البَهَائِرِ (٦)
فلما غاب الراعيان عن أعيننا خرجنا فقتني آثار الإبل ، حتى قربنا من

(١) الزهر : الحسة الألوان ، والصوار : بضم الصاد وكسر ها : التقطيع من البقر .

(٢) العضب : السيف القاطع ، وكذلك البائك .

(٣) البوائك : جمع باتك وهو السمين .

(٤) الدمائير بضم الدال : السهل من الأرض ، والكهبة : الدعنة أو غيرة مشربة بحمرة .

(٥) الخادر : المستتر في أجسته ، وهو صفة الليث .

(٦) المخطوف : السريع في مشيته ، أو الذي يسير خطوتين في خطوة من سرعته ، والمخلة بكسر الميم : المسان من الإبل ، والبهازو جمع بهزرة كتفلة وهي الناقة السميكة .

الحلة فأغنا فلما هدأت الرجل خرجنا مصلتين حتى انتهينا إلى المبارك
فاستقرنا من إطراره صرمة فشكّلناها ليلتنا ، حتى إذا انحسر خدرُ
الليل ^(١) وذرّ الشروقُ إذا شبحُ يهوى إلينا هوىّ العقاب ، فما ارتدّ
الطرفُ حتى أثبتناه نظراً ، فإذا رجل على ناقة كأنها ظبي صرّ ، قال
القاضي : الصرّ الذي بين الكبير والصغير ، قال الأعشى يصفُ وعلاً :

قد يترك الدهرُ في خلْقَاءَ راسية
وهياً ويُترِلُ منها الأعصمَ الصرّعا ^(٢)

فأيةً بالصرمة ^(٣) فانكفأت راجعة ، فأقبلنا ننبورها أي نعطفها
ونملّيها كما قال الشاعر :

وفرعٍ يصيرُ الجيدَ وحفٍ كأنه
على الليثِ قنوانُ الكرومِ الدوالحُ ^(٤)

وقال الشاعر : ^(٥)

وجاءتْ خلعةٌ دهنٌ صفّيا
يصورُ عنوقها أحوى زعيمُ

(١) خدر الليل : ظلمته .

(٢) ديوانه ١٠٦ ، والخلقاء : الحظبة الملباء ، والواهي : الضعيف ، والبيت شديد التحريف
في الأصل .

(٣) أيه بالصرمة : أي صالح بها ونادها .

(٤) سبق البيت وشرحه .

(٥) هو المثل بن جمال الطائي ، كما في اللسان ١٤٥/٦ ، ٢٩٢/٧ ، ٤٣٣/٩ ، ١٩٧/١٥ ،
والخلعة بضم الخاء وكسر ها : غيار المال ، والنس : جمع دعاء وهي من النسان ما كان
لونها مشرباً بحمرة ، ويصور : يميل ، وعنوقها : جمع عناق وهي الأنثى من ولد المعز
والنسان من حين الولادة إل تمام حول ، وأحوى يعني به تيساً غالط حمرته سواد ،
والزعيم : ذو الزمة وهي ما يقطع من أذن الشاة فيترك معلقاً .

ويقال أيضاً : صار يصير كما قال الشاعر : وفرع يصير ... البيت
وقد قرئ : (فُصِّرْهُنَّ لِإِلَيْكَ وَقَصِّرْهُنَّ ...) ^(١) المعنى الميل ، وقيل :
القطع ، وبيان هذا في كتبنا في علوم القرآن مستقصاة .

رجع الحديث ، وهي سُرِعَ إلى تأييده ، فلما دنا منا قال : حَلَّيَا عنها
لا أم لكما ، فقلنا : ولا نُعْمَى عَيْنٌ ، وبَوَّأْنَا له سَهْمَيْنِ فَأَقْحَمَ عن
راحلته كالوعل المدعور ، وانتفض سيفه وثَنَّى رأسه في دَرَكته ، فوالله
ما أرسلنا سهمينا حتى خالطَنا ، فضرب عُرْقُوبِي ناقةً صاحبي فغادرها
نُكُوس ^(٢) ، وأهوى للأخري فبتر عُرْقُوبَهَا وهو يقول :

عَلَّامٌ أَسْتَمِي رَسَلَهَا ^(٣) وَأَمْنَحُ
وَأُشْبِعُ الضَّيْفَ بِهَا وَأُجْرَحُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْ دُونَهَا وَأُضْرَحُ
عنها إذا خام الكَمِيُّ الشَّحْشَحُ ^(٤)

ثم قال : استأسرا ، فتدأمرنا ^(٥) وإن أنفُسنا لتنازعنا إلى ما قال ،
فكررنا عليه بأسيا فإنا فوئب وثبات الفهد ، فوقف حُجْرَةٌ ^(٦) وفَرَّتْ
النَّيْلُ ثم كرّ راجعاً ، فضرب درقة صاحبي فاقتدَّها ، فلما رأينا ذلك
استسلمنا وقلنا : عياداً بك بابن الكرام ، فقال : بمعاذِ عَدُوِّنَا ، وسألنا
عن أنسابنا فأخبرنا ، فقال : ارتدفا على راحلتي وأصرفا وجهكما شطر
مطلع الشمس تبلغكما الحي ^(٦) ، فخبَّتْ بنا الناقةُ تهوي لا تُمَلِّكُنَا من

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٠ .

(٢) نكوس : أي مقلوبة .

(٣) الرسل : البعير اللين السير .

(٤) الكمي : المقدام الشجاع الجري والشحشع كذلك .

(٥) تدأمرنا : حفن بضمنا بعضاً على قتاله .

(٦) وقفه حجرة : أي ناحية .

أمرنا شيئاً حتى وردت بنا الحَيّ ، فكلا ولا إذ أقبل ضاحكاً كأنه لم تَمَسَّهْ مشقة ، وقد مشى مسيرة ليلة للراكب المُجِدِّ ، فقال : دونكما الصرمة التي اطرُدْتُماها وناقَتين من سُرِّ إيلي برحليهما^(١) وحملنا وسرَحنا ، فقال : اسمعا ما أقول لكما ، فقال :

أقول لِحَارِيَّتِي هَمْدَان لَمَّا	أثَّاراً صِرْمَةً حُمُرَا وَعِيَسَا ^(٢)
ألم تعلمَا أَن لَنْ تَقُوتَا	وَأَنْ لَنْ تُعْجِزَا اللَّيْثَ الْهَمُوسَا ^(٣)
فظنُّ عَاجِزٌ أَنْ تَسْلُبَانِي	وَمَنْ ذَا يَسْلُبُ اللَّيْثَ الْفَرِيَسَا
وَمَنْ دُونَ الَّذِي أَمْلَتْمَا	ضِرَابٌ يَقْطُرُ الْبَطْلَ الْبَلِيَسَا ^(٤)
إِذَا أَنَا لَمْ أَذِدْ عَنْ مَدْفَاتٍ ^(٥)	فِيحْدُو بِدَها الحَرْزَنَ الشَّرِيَسَا
فَمِمَّ أَجَنَّبُ الْأَضْيَافَ دَمِي	إِذَا النُّكْبَاءُ أَوْجَفَتِ الْبَيْتِيَسَا ^(٦)
وَمِمَّا أَحْسَبُ الْجُمُومَ اللَّوَاتِي	يَظَلُّ لَهَا الرِّجَالُ إِلَيَّ شُوسَا
وَمَا أَنُعِيشُ الْمُتَى إِذَا مَا	تَرَاهِي وَجْهٌ دَهْرَهُمْ عُبُوسَا
أَهْيَا خَارِيَّتِي هَمْدَان مِنْهَا	بِزُهرٍ تَطْرُدُ الْفَقْرَ الضَّرُوسَا
وَأُوبَا سَالِمِينَ بِهَا وَلَمَّا	أُثِرَ لَكُمَا النَّادِ الْمَرْمَرِيَسَا ^(٧)

قال ابن دريد : يريد الداهية ، قال القاضي : أحسب الجعم معناه أنيلهم ما يكفيهم يقال : أحسبني الطعام وغيره يحسبني أي كفاني ، وقولهم

(١) بر كل هي : أكرمه وخالسه .

(٢) الخارب : اللص ، وعيسا أي ييضاً ، ويقال : هي كرائم الإبل ، وهذا البيت وحده في اللسان ٢٠/٨ .

(٣) الممون : الأسد الخفي الوطء .

(٤) يقطر : يصرح .

(٥) المدفات من الإبل : ما زادت على مائة .

(٦) أوجفت : أسرمت ، والبيت : الفقير .

(٧) الناد : الداهية ، المرميس : الشديدة .

حسبك معناه كافيك، وقيل في قوله تعالى : ﴿عَطَاءٌ حَسَابًا﴾ ^(١) معناه عطاء كافياً يحسبهم أي يكفيهم وقوله : الجُمم جمعُ جُمّة وهم القوم يسألون في الدية ، وقوله : شوساً جمع أشوس وهو الذي ينظر نظراً شديداً ، قال الشاعر :

خَلَا أَن الْعِثَاقَ مِنَ الْمُطَلَّيَا أَحْسَنَ بِهِ فَهَنَ إِلَيْهِ شُوسٌ ^(٢)

وقوله : ومما أنعش العنقى ، معنى أنعش أرفع ، وقولهم : نعشك الله أي رفعك إما بسد خللك أو بإقالة عثرتك وما أشبههما ، ومنه قيل لسرير الميت نعش لأنه يُرفع عليه ، وقوله : العنقى جمع عاف وهو السائل للحاجة وطالبها ، يقال : عفا فلان فلاناً يعفوه إذا سأله ورغب إليه في حاجته ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال يوم أحد « لولا أن يُحزَن ذلك نساءنا لتَرَكْنَا حَمْرَةَ الْعَرَاء تَأْكُلُهُ عَافِيَةُ الطَّيْرِ » ^(٣) يقال : عافٍ وجماعة عافية مثل كاف وجماعة كافية ، ويقال للعافي : معترف ، وهو مفعل منه قال الشاعر :

تَرَى حَوَلَهُنَّ الْمُعْتَقِينَ كَأَنَّهُمْ
عَلَى صَتْمٍ فِي الْجَاهِلِيَةِ عَكْفٌ

وجمع العافي أيضاً عفاة ، مثل كاف وكفاة وساق وسقاة وقاض

(١) سورة النبا ، الآية ٣٦ .

(٢) البيت لأبي زيد الطائي ، انظره في ديوانه ٩٦ ، وأما القالي ١٧٦/١ ، اللسان ٣٤٩/٧ ، وتفسير القرطبي ٤٢٨٣ ، وأحسن به أصله أحسن ، فحلف إحدى السنين ، ويروى : حسين به ، ويقول الفراء : تقول : من أين حشيت هذا الخير يريون من أين تقيته ، وحشيت بالخبر وأحسنت به أي أيقنت ، قال : وربما قالوا : حشيت بالخبر وأحسيت به يبدلون من السين ياء .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد عن أنس ، المسند : ١٢٨/٣ ، والترمذي في أبواب الجنائز ، باب « ما يجاء في قتل أحد وذكر حمزة » ، انظر تحفة الأحرفي ، الحديث ١٠٢١ : ٩٦/٤ .

وقضاة في أشباه لهذا كثيرة جداً ، ومن هذا قول الأعشى ^(١) :

تَطَوَّفُ العفاة بأبوابه كَطَوَّفِ التَّصَارِي بيتَ الوتنِ

وجمع العافي في الشعر الذي بلغ في هذا الخبر عَفَى على وزن فَعَلَ مثل غَازَ وَغَزَى وَهَادَ وَهَدَى ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَوْ كَانُوا غَزًى ﴾ ^(٢) ومثله في الصحيح رَاكَعَ وَرُكَّعَ وَسَاجِدَ وَسُجِّدَ ، قال الراجز يخاطب النبي ﷺ :

إِنْ قَرَيْشًا أَخْلَصُواكَ التَّوْعِدَا وَتَقَضُّوا مِيثَاقَكَ التَّوَكُّدَا
وَقَتَّلُونَا رُكْعًا وَسُجِّدَا

وقال الله تعالى : ﴿ الرُّكْعَ السُّجُودَ ﴾ ^(٣)

(غير مقتل أبي مسلم صاحب الدولة) ^(٤)

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة ، قال : حدثنا أبو العباس المنصوري ، قال : لما قتل أمير المؤمنين المنصور أبا مسلم ، قال : رحمك الله أبا مسلم ، بَايَعْتَنَا وَبَايَعْنَاكَ ، وعاهدتْنَا وعاهدناكَ ، ووفيت لنا ووفيتنا لك ، وإنا بَايَعْنَاكَ على ألا يَخْرُجَ علينا أحدٌ في هذه الأيام إلا قتلناه فخرجت علينا فقتلناكَ .

(١) البيت من قصيدة يملح بها قيس بن مدي كرب الكندي ، انظر الديوان ٢٠٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٣) هو عمرو بن سالم الخزاعي ، يقوله مستنصرًا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تظاهرت بنو بكر وقريش على خراعة ونقصوا ما كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من العهد بما استحلوا من خراعة وكانوا في عقده وعهده ، انظر الخبر والأبيات في سيرة ابن هشام ٣/٣٩٤ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٢٦ .

(٥) الخبر التالي في تاريخ الطبري ١٦٢/٩ ، تاريخ بغداد ٢٠٩/١٠ ، أسئلة المتتالين من الأثراف ١٩٣ .

ولما أمر المنصور بقتله وقد دَسَّ له رجالاً من خاصته ، وقال لهم :
إذا سمعتم تصفيقي فاضربوه ، فضربه شبيب بن داج ثم ضربه القواد ،
فدخل عيسى بن موسى وقد كان كلّم المنصور في أمره ، فلما رآه قتيلاً
استرجع ، فقال له المنصور : أحمد الله تعالى فإنك هجمت على نعمة ولم
تهجم على مصيبة ، فقال أبو دلامة :

أبا مُسْلِمٍ ما غَيَّرَ اللهُ نِعْمَةً
على عَبْدِهِ حَتَّى يُغَيِّرُهَا الْعَبْدُ
أبا مُسْلِمٍ خَوَّفَتْنِي الْقَتْلُ فَأَنْتَ حَيٌّ
عليكَ بِما خَوَّفَتْنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ

(خبر للمؤلف مع بعض الرؤساء في شأن أبيات لأبي تمام)

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : أخبرني أحمد بن
الحسين بن هشام قال : أنشدني أبو تمام ^(١) :

يقولون هل يَبْكِي الْفَتَى لِيَحْرِدَ
مَتَى ما أَرَادَ اعْتِصَافَ عَشْرٍ أَمْكَانَهَا
وهل يستعِضُ المرءُ من خَمْسٍ كَفَّةً
ولو بَدَلَتْ حُرَّ اللَّجِينِ بَنَاتَهَا
وكيف عَكَى نارَ اللَّيَالِي مُعَرَّسِي
إذا كان شَيْبُ الْعَارِضِينَ دُخَانَهَا

قال القاضي : كان بعض رؤساء الزمان أنشد بعض هذه الأبيات ،
فامتحنسها جداً ، وقال — ونحن بحضرته جماعة — : أتعرفون لهذه الأبيات
أولاً ؟ فقلت له : هذه كلمة لأبي تمام مشهورة أولها :

(١) ديوانه ١٤٢/٤ و ١٤٣/٥ ، والبيت الثالث هنا هو الثالث في الديوان ، والأول والثاني هنا
ترتيبهما في الديوان السابع والثامن .

ألم تَرَنِّي خَلَّيْتُ نَفْسِي وَشَأْنَهَا
 فلم أَحْفَلِ الدُّنْيَا وَلَا حِدَثَاتِهَا
 لقد خَوْفَتِي الْحَادِثَاتُ صُرُوفُهَا
 ولو آمَنْتَنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا
 وأنشدته منها :

يقولون هل يبكي الفتي لخريدة
 إذا ما أراد اعتاض عשרاً مكانها
 وهل يستعيف المرء من خمسين كفه
 ولو صاغ من حر اللجين بناتها
 فطرب عند الانتهاء إلى هذا وجعل يردده ويتعايا فيه إلى أن حفظه ،
 وقال : هذا اللدُّ من كل شراب وغناء .

(الحسين يرفض تزويج زينب من يزيد)

حدثنا محمد بن القاسم الأتباري ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي الفضل
 العباس بن ميمون ، قال : حدثني سليمان بن داود المقرئ الشاذلي كوفي ،
 قال : أخبرني محمد بن عمر بن واقد السلمي ، عن عبد الله بن جعفر
 المدني ، عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة ، قال : سمعتُ أبي يقول :
 كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة أن يزوجه ابنة يزيد بن معاوية
 زينب بنت عبد الله بن جعفر ، وأما أم كلثوم بنت علي وأم أم كلثوم
 فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ويقضي عن عبد الله بن جعفر دَيْنُهُ ، وكان
 دَيْنُهُ خمسين ألف دينار ، ويعطيه عشرين ألف^(١) دينار ، ويصدقها أربع

(١) في أ : غسئون ألف دينار ويعطيه عشرون ألف .. الخ ، وهي خطأ من جهة النحو كما لا
 يخفى .

مائة دينار ويكرمها بعشرة آلاف دينار . فبعث مروان بن الحكم إلى عبد الله بن جعفر فأجابه ، واستثنى عليه رضا الحسين بن علي رضي الله عنه ، وقال : لن أقطع أمراً دونه مع أنني لست أولى بها منه وهو خال ، والخالُ والد . قال : وكان الحسين رضي الله عنه يبيع^(١) ، فقال له مروان : ما انتظارك إياه بشيء ، فلو حَزَمْتَ ؟ فأبى وتركه ، فلم يلبثوا إلا خمس ليال حتى قدم الحسين رضي الله عنه ، فأتاه عبد الله بن جعفر ، فقال : كان من الحديث ما تسمع وأنت خالها ووالدها ، وليس لي معك أمر فأمرها بيديك ، فأشهد عليه الحسين جماعةً بذلك ، ثم خرج الحسين رضي الله عنه فدخل على زينب فقال : يا بنت أخي إنه قد كان من أمر أبيك أمر ، وقد ولائي أمرَك وإني لا آلوك حسن النظر إن شاء الله ، فإنه ليس يخرج منا غريبة فأمرَك بيدي ، قالت : نعم بأبي أنت وأمي ، فقال الحسين رضي الله عنه : اللهم إنك تعلم أنني لم أُرِدْ إلا الخير ، فقيضْ لهذه الجارية رضاك من بني هاشم ، ثم خرج حتى لقي القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب^(٢) ، فأخذ بيده فأتى المسجد ، وقد اجتمعت بنو هاشم وبنو أمية وأشراف قريش وهبتوا من أمورهم ما يصلحهم ، فتكلم مروان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن يزيد بن أمير المؤمنين يُريد القرابة لطفلاً والحق عطفاً ، ويريد أن يتلافى ما كان صلاح هذين الحيتين مع ما يُحِبُّ من أثره عليهم ، ومع المعاد الذي لا غناء به عنه مع رضا أمير المؤمنين ، وقد كان من أمر عبد الله بن جعفر في ابنته ما قد حسن فيه رأيه ، وولّى أمرها خالها الحسين ابن علي رضي الله عنهما ، وليس عند الحسين خلافٌ لأمر المؤمنين إن شاء

(١) يبيع : حسن به تخيل وماء وزرع ، وبها وقوف لملي بن أبي طالب يتولاهما ولده ، وهذا أحد الأقوال في هذه البلدة ، انظر معجم البلدان ١٠٣٩/٤ .

(٢) ذكر ابن قتيبة أن التي تزوجها القاسم بن محمد هي أم كلثوم بنت عبد الله وأُمها زينب بنت علي ، عل حين ذكر المؤلف ألفاً عكس ذلك فقد ذكر أنها تسكن زينب بنت أم كلثوم ، انظر المعارف ٢٠٧ .

الله . فتكلّم الحسين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الإسلام يرفع
 الخسيسة ويُمّ القيصّة ويذهب الملامة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلاّ في
 مآثم ، وإن القرابة التي عَظّم الله حَقّها وأمر برعايتها ، وسأل الأجر في
 المودة عليها والمحافظة في كتاب الله عز وجل قرابتنا أهل البيت ، وقد
 بدا لي أن أزوج هذه البخارية من هو أقرب إليها نسباً والطف سبباً ، وهو
 هذا الغلام ، يعني القاسم بن محمد بن جعفر ، ولم أرد صَرَفُها عن كثرة
 مال نازعتها نفسها ولا أبوها إليه ، ولا أجعل لامرئٍ في أمرها متكلماً ،
 وقد جعلتُ مهرها كذا وكذا ، فلها في ذلك سعة إن شاء الله . فغضب
 مروان ، وقال : أَعْدَرَأ يا بني هاشم ؟ ثم أقبل على عبد الله بن جعفر ،
 فقال : ما هذه بأبادي أمير المؤمنين عندك ، وما غبت عما تسمع ، فقال
 عبد الله : قد أخبرتك الخبرَ حيث أرسلت إليّ وأعلمتُك أنّي لا أقطع
 أمراً دونه ، فقال الحسين : على رِسْلِكَ أَقْبِلْ عليّ ، فأول الغَدْرُ
 منكم وفيكم ، انتظر رويداً حتّى أقول ، تشدّتكم الله أيها النّفَرُ ثم أنت
 يا مِسُورُ بن غرمة ، أتعلم أن حسن بن علي خطب عائشة بنت عثمان
 حتّى إذا كنا بمثل هذا المجلس من الإشفاء على الفراخ ، وقد ولّتكَ يا
 مروان أمرها ، قلت :. إنه قد بدا لي أن أزوّجها عبد الله بن الزُّبَيْر ، هل
 كان ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ يعني المِسُور ، قال : اللهم نعم ، فقال
 مروان : قد كان ذلك وأنا أجيبك وإن كنت لم تسألني ، قال الحسين :
 فأنتم موضعُ الغَدْرِ .

(عمرو بن حُرَيْث يتزوج ابنة عديّ بن حاتم على حكمه)

حدثنا ابن دريد : قال : حدثني عمي ، عن أبيه ، عن ابن الكلبي ،
 عن محمد بن سليم أبي هلال الراسي ، عن حميد بن هلال الخُدْري ،

قال : خطب عمرو بن حريث ^(١) إلى علي بن حاتم ^(٢) فقال : لا أزورك إلا على حكمي ، فرجع عمرو وقال : امرأة من قريش على أربعة آلاف درهم أعجب إلي من امرأة من طيبي على حكم أبيها ، فرجع ثم أتت نفسه فرجع إليه ، فقال : علكي حكمي ؟ قال : نعم ، فرجع عمرو بن حريث فلم يزل يخافه أن يحكم عليه بما لا يطيق ، فلما أصبح بعث إليه أن عرفتني ما حكمت به علي ، فأرسل إليه : إني حكمت بأربع مائة درهم وثمانين درهما سنة رسول الله ﷺ ، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم وكسوة فردّها وفرّق الثياب في جلسائه ، وقال :

يرى ابن حريث أن هبمي ماله	وما كنت موصوفاً بحب الدارهم
وقالت قريش لا تحكّمه إنسه	على كل ما حال عدي بن حاتم
فيذهب منك المال أول وهلة	وحسامتها والنخل ذات الكمام
فقلت معاذ الله من ترك سنة	جرت من رسول الله والله عاصمي
وقلت معاذ الله من سوء سنة	يحدثها الركبان أهل المواسم

(بين حفص بن غياث القاضي وأبي الديك المعتوه)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ ، قال : أخبرنا القنات بالكوفة ^(٣) ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، قال : كنت جالساً عند حفص بن

(١) ذكره ابن قتيبة بقوله : هو من بني غزوم ، وتزوج بنت علي بن حاتم على حكم علي ، فحكم علي بأربعمائة درهم ، وتزوج بنت جرير بن عبد الله البجلي ، وله عقب بالكوفة وذكر عظيم ، انظر المعارف ٢٩٣ .

(٢) هو أبو طريف علي بن حاتم الطائي ، قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأكرمه ، وشهد مع علي رضي الله عنه يوم الجمل ففقت عينه وقتل ابنه محمد يومئذ ، ثم شهد يوم صفين ومات في زمن المختار بن أبي عبيد ولو مائة وعشرون سنة ، المعارف ٢١٣ .

(٣) في أ : الثقات ، وصحته كما أثبتنا ، فهو أبو عمر الثقات الكوفي ، محمد بن جعفر بن محمد بن حبيب بن أزهر ، قدم بغداد وحدث بها عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، وأحمد

غياث بعد أن ولي القضاء ، فدخل عليه أبو الديك المتعوه وكان ذاهب العقل
مُحتالاً للمعاش ، وكان دخوله في يوم من أيام الشتاء شديد البرد فراه
حافياً حاسراً فرحمه ، فدعا الجارية فسارَها فجاءته بعمامة وخفين ،
فقال : ارفعيه إلى أبي الديك ، قال : فلفَّ العمامة على رأسه ولبس الخفَّ
ثم قام بين يديه فأخذ قميصه وكان خَلِقاً رَثّاً فَجَلَّ بإصبعه ثم قال : أيها
القاضي ! جزاك الله عن الأطراف خيراً ، وحرك قميصه بإصبعه أي
انظر إلى قميصي ورقته وراثته ، فضحك حفصُ بن غياث ثم قام فدخل
ثم خرج وقد خلع الخُبة التي عليه وقميصها ، ولبس غيرها وأمر بدفعهما
إلى أبي الديك فلبسهما أبو الديك ثم قال : أيها القاضي ! يحكى أن عبد الملك
ابن عمروان قال لبعض ولده : أي الثياب أعجب إليك ؟ قال : ما رأيتهُ
على غيري يا أمير المؤمنين ، قال : فأبى الرجال اخترت لنفسك ؟ قال :
أحسنهم اختياراً يا أمير المؤمنين . وقد اخترت لنفسك أيها القاضي الثواب
وحسن الثناء وسررت أبا الديك كل السرور إلا قُطيرة ، فقال له حفص :
يا أبا الديك ! وما القُطيرة ؟ قال : شيء أنصرف به إلى عيالي ، قاله
حفص : حباً وكرامة ، والله ما في منزلي ذهبٌ ولا فضة ولكن أستقرضُ
لك ، يا غلام ! قل لفلان أقرضنا ديناراً أدفعه إلى أبي الديك ، قال : يقول
له أبو الديك : أيها القاضي ! والله ما أجِدُ لك مثلاً إلا قول الشاعر :

يُعِيرُنِي بِالذَيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا

تَقَرَّضْتُ فِي أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُمْ مَسْجِدًا^(١)

وقول صاحبه :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالْأَصَمِّ بْنِ جَعْفَرٍ

رَأَى الْمَالَ لَا يَبْتِغِي فَأَبْتِغَى بِهِ حَمْدًا^(٢)

١- ابن يونس وشجاع بن الحارث ، روى عنه إسماعيل بن علي الخطابي ومحمد بن عبد
الطاهر وغيرهما ، وكان ضعيفاً ، توفي سنة ٣٠٠ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٢٩٨ .

(١) البيت المقتنع الكندي ، وقد سبق برواية : قدأيت بدل تقرضت .

(٢) البيت في الفاضل للبرد ٣٣ دون نسبة ، والرواية فيه : كالأعر ابن جعفر بدل الأصم .

المجلس الخامس عشر

(قول الرسول في مخاطبة قتلى بدر)

حدثنا علي بن عبد الله بن مبشر الواسطي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال :- حدثنا نصر بن حماد البجلي ، قال : حدثنا شعبة ، عن السدي ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : وقف رسول الله ﷺ على قتلى بدر فقال : « جَزَاكُمْ اللَّهُ عَنِّي مِنْ عَصَابَةِ شَرٍّ ، فَقَدْ خَوَّنْتُمُونِي أَمِينًا وَكَذَّبْتُمُونِي صَادِقًا ، ثُمَّ التَفْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ : هَذَا أَعْنَى عَلَى اللَّهِ مِنْ فِرْعَوْنَ ، إِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا أُيْقِنَ بِالْمُلْكَةِ وَحَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنْ هَذَا لَمَّا أُيْقِنَ بِالْمُلْكَةِ دَعَا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى (١) » .

قال القاضي : وفي هذا الخبر ما ينبه أولى الألباب من المؤمنين على نعمة الله عز وجل عليهم في هدايته إياهم إلى الإيمان به ، وتوفيقهم لتصديق نبيه ، والإقرار بصحة نبوته ، والاعتراف بوقور أمانته ، والإذعان لاتباعه

(١) لم أشر على هذا الحديث بنصه فيما بين يدي من مراجع ، والذي في سيرة ابن هشام ٢/٦٣٩ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على أهل القليب فقال : يا أهل القليب ، يس عشيبة النبي كتم ليبيكم ، كذبتموني وصغيتي الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقتلتموني ونصرني الناس ، ثم قال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا .. الخ .

والجد في طاعته ، وأنْ بَصَّرَهم من دينه ما عَمِيَ عنه أَعْدَاؤُهُ ، وعَصَمَهم من الضلالة التي هلك فيها عَصَاة عبادِهِ ، وعتاة خلقِهِ ، فالحمد لله على نعمته علينا في ديننا ودنيانا ، وله الشكر على إحسانه إلينا في جميع شئوننا ، ونظره لنا فيما يصلحنا ، ويعود علينا بالفوز في معادنا ، والنجاة من العطب يوم حشرنا .

(جارية ظريفة ترد على أبي الشعثاء حين أخبرها بحبه)^(١)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا الرياشي ، عن ابن سلام ، قال : أخبرني علي بن هشام أو من أخبرني عن علي بن هشام ، قال : كان بالكوفة رجل يكنى أبا الشعثاء ، عفيفاً مَرَّاحاً ، وكان يدخل على سرة أهل الكوفة ، فمزح مع جارية لبعضهم وأخبرها أنه يهواها ، وكانت شاعرة ظريفة ، فقالت :

لأبي الشعثاء حبٌّ باطِنٌ	ليس فيه تهنئةٌ للمتَّهِمِ ^(٢)
يا فؤادي فازدَجِرْ عَنَّهُ وَإِنْ	عَبَّتِ الحُبُّ بِهِ فاقْعُدْ وَقُمْ
جاءني منه كلامٌ صائبٌ	ورسالاتُ ^(٣) المحيِّينَ الكلم
صائدٌ تأمنه غزْلانُهُ	مثل ما تأمن غزْلانُ الحَرَمِ
صلِّ لَأَنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُعْطَى الْمَتَى	يا أبا الشعثاء لله وصُّم
ثم ميعادُكَ بعدَ الموتِ ^(٤) فسي	جَنَّةُ الخُلْدِ إِنْ اللهُ رَحِيمٌ
حيثُ نلقاك غلاماً ناشِئاً	كاملاً ^(٥) قد كَمَلَتْ فَيْك النِّعَمُ

(١) يرد الخبر التالي في الأغاني ٣٤٥/١٣ ، وفيه أن هذه الجارية كانت جارية محمد بن كنانة الشاعر وكانت شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة بالكوفة يقصدونها للذاكرة والمساجلة في الشر .

(٢) في الأغاني : نهضة بدل تهمة .

(٣) في الأغاني : ووسيلات .

(٤) في الأغاني : يوم الحشر .

(٥) رواية الأغاني : يانماً .

(ابن الزبير يغضبُ من ابني العباس بن عبد المطلب)^(١)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي ، قال : دخل عبد الله بن صفوان على
عبد الله بن الزبير ، فقال : أنت والله كما قال الشاعر :

فإن تُصَبِّك من الأيام جَائِحَةً

لم تَبْكِكَ منكَ على دُنْيَا ولا دِينِ^(٢)

قال : وما ذلك ؟ قال : هذان ابنا العباس بن عبد المطلب^(٣) ، أحدهما
يُقَيِّم الناس في دينهم والآخر يطعم فما بَقِيََا لك ، فأرسل إليهما : إنكما
تريدان أن ترفعا رايةً قد وضعها الله ، ففرقا مَن قَبْلَكُما من مُرَاقٍ
العراق ، فقال عبد الله : أي الرجلين نَظَرْدُ عَنَّا ؟ أقَابِس علم أم طاب
نَسِيل ، وبلغ الخبر أبا الطفيل^(٤) ، فقال^(٥) :

لادرَّ دَرُّ اللبالي كيف يُضْحِكُنَا

منها عجائبُ أنبَاءٍ وتُبْكِينَا

(١) الخبر التالي في الأغاني ١٥٢/١٥ ، وخزانة الأدب ٩٢/٢ .

(٢) البيت لذي الإصبع المدوائي ، انظر ديوانه ٨٩ ، وقد ورد في هامش عيون الأخبار
٣١/٢ لذي الإصبع أيضاً ، وقال الملقن : هو من قصيدة شهيرة له في المفضليات ، ولكن
هذا البيت لم يرد فيها ، وانظره دون نسبة في المقد الفريد ٢٩٦/٥ ، والمصون ٢١ .

(٣) يعني بهما عبد الله بن عباس المير الجليل ، وأخاه عبيد الله ، وكان كريماً سخياً ، وهو
أول من فطر جيرانه ، وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأول من حيا على الطعام
وأول من أهبه ، انظر المقد الفريد ٢٩٤/١ .

(٤) هو أبو الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه ، له صحيفة يرسل الله صل الله عليه وسلم
ورواية عنه ، وكان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وروى عنه ، وله محل خاص
منه ، انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ١٤٧/١٥ - ١٥٦ وانظر الإصابة قسم الكنى ٦٧٠ ،
وجمهرة الأنساب ١٨٣ .

(٥) ترد الأبيات التالية في المراجع التي ذكرت مع اختلاف كثير في ألفاظ الرواية فلتراجع ثمة .

مثل ما تَحَدِّثُ الأيامُ من عَجَبٍ
 وابن الزُّبَيْرِ عن الدنيا يُلْهِنُنا
 كنا تَجِيءُ ابن عباسٍ فَيُقْبِسُنا
 علماً ويُكْسِبُنا أجراً ويَهْدِيُنا
 ولا يَزَالُ عُبَيْدُ الله مُتَرَعِّعاً
 جِفَانُهُ مُطْعِماً ضَيْفَاً وَمِسْكِيْنَا
 فالدِّينُ والعلمُ والدنيا يبابُها
 ننالُ منها الذي شِئْنَا إِذَا شِئْنَا
 ففيمَ تَمَنَّعْنَا منهم وتَمَنَّعُهم
 منا وتؤْذِيهم فينا وتؤْذِنُنا
 إن الرسولَ هو النور الذي كَشَفَتْ
 به عِمَايَةَ ماضِيَا وبَاقِيَا
 وأهْلُهُ عصمةٌ في دِيننا ولهم
 حَقٌّ عَلَيْنَا وَحَقٌّ وَاجِبٌ فينا
 ولستَ فاعِلُ بالآوَلَى به تَسِيَا
 يابن الزُّبَيْرِ ولا الآوَلَى به دِينَا
 لن يَجْزِيَ الله من أَجْزَى لِبُغْضِهِم
 في الدين عِزّاً ولا في الأرض تَمَكِينَا

(زواج شرحبيل بن الحارث الغساني من مية بنت عمرو ثم تطليقه لها بأمر أبيه)

حدثنا ابن دريد ، قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ،
 عن ابن الكلبي ، قال : قدم شرحبيل بن الحارث الغساني - وكان من أهل
 بيت الملك - موسماً من مواسم العرب ، وحضرت ذلك العام بكر بن
 وائل ، فخطب شرحبيل مِئَةَ بَنت عمرو بن مسعود بن عامر بن عمرو

ابن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان وهو أصم بني ربيعة ، فقال له أبوها :
هي لك وقومها بيدك ، فوالله ما في غسان ملك أحب إليّ صهراً منك ،
فأنكحه إياها ، فاحتملها شرحبيل إلى أبيه الحارث بن مرة ، فكانت معهم
وانقطعت إليهم بكر بن وائل وذلك في أيام الطوائف قبل ملك بني نصر
بالحيرة ، فبينما هو نائم ذات ليلة وهي بين يديه ، إذ أقبل أسودُ صالح يهوى
إلى الفتى فأنحأ فاه والسرّاج تزهر ، حتى إذا أهوى إليه أخذت بحلقه
فخنقته حتى مات ، ثم جعلته بين أثناء الفراش ، وكان أبوه إذا أصبح غداً
عليه هو وأمه تعظيماً له ، ثم يأتيه الناس فيسلمون عليه فلما اجتمع الناس
أهوت إلى الأسود فأخرجته ميتاً ، فذعر الشيخ فقال : من قتل هذا ؟
فقال : أنا قتلته ولو كان أشدّ منه لقتلته ، فقال : يا شرحبيل خك
عنها ، فهي - وأبيها - للرجال أقتل ، فكره شرحبيل أن يعصي أباه
فسار بها وبما لها حتى إذا دنا من أرض بكر بن وائل بعث معها من يلحقها
بقومها ، فقالت : لو مضيت إليّ أبي كان أحب إليّ ، فقال : واسوءناه !
أنظر إلى أبيك وقد طلقك في غير ذنب ، فقدمت على أبيها ، فدعا قبيصة
ابن هانيء بن مسعود فأنكحها إياه ، فقال شرحبيل :

أزوّجتني غرّاء من خيبر نسوة
نماها إلى العلياء عمرو وعامر
فلما ملأت صدري سروراً وبهجة
عزمت بحقّ ليس لي فيه عاذر
فطلقتها من غير ذنب أنت به
إليّ سوى أنني بميّة غادر
سرّى في سواد الليل أسودُ صالح
إليّ وقد نامت عيون سوامر
فأهوت له دون الفراش بكفها
فأصبح مقتولاً فهل أنت شاكِر

فقال أبوه :

لَعَمْرِي لئن طلقتهما إن مثلها
إذا طلب القوم النساء قليل
ولكني حاذرتُها أن تُعَيِّدَها
فتصبحَ محجوباً وأنتَ قَيل
وأصبحَ في غسان أبكي بعبْرةٍ
عليك ورزِّي عند ذاك جليل

(من مخارج أبي يوسف الفقهية)

حدثنا محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي ،
قال : حدثني أبي ، قال : حدثني بشر بن الوليد وسألته من أين جاء ؟
قال : كنت عند أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي ، وكنا في حديث
طريف ، قال : فقلت له : حدثني به قال : قال لي يعقوب : بينا أنا
البارحة قد أويتُ إلى فراشي ، فإذا داقٌ يدق الباب دقاً شديداً ، فأخذتُ
عليّ لأزاري وخرجتُ ، فإذا هرثمةٌ بن أعينٍ فسَلَّمْتُ عليه فقال : أجبْ
أمير المؤمنين ، قلت : يا أبا حاتم ! لي حُرمةٌ وهذا وقتٌ كما ترى ، ولستُ
آمن أن يكون أمير المؤمنين دعائي لأمر من الأمور ، فإن أمكنك أن تدفع
بذلك إلى غَدٍ فلعلَّه أن يَحْدُثَ له رأي ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ،
قلت : فما كيف كان السبب ؟ قال : خرج إليّ مسرور الخادم فأمرني
أن آتي أمير المؤمنين بك ، قلت : تأذن لي أن أصبَّ عليّ ماءً وأتحنَّط ،
فإن كان أمرٌ من الأمور كنت قد أجدت وأحكمت أمري ، وإن رَزَقَ
الله تعالى العافية فلن يضرَّ ، فأذن لي فدخلت فلبست ثياباً جُوداً وتطيبتُ بما
أمكن من الطيب ، ثم خرجنا حتى أتينا دارَ أمير المؤمنين الرشيد ، فإذا
مسرور واقفٌ فقال له هرثمةٌ : قد جئتُ به ، فقلت لمسرور : يا
أبا هاشم ! خدمتي وحُرمتي وميلي ، وهذا وقتٌ ضيقٍ ، قد ترى ليمَ طلبني

أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قلت : فمن عنده ؟ قال : عيسى بن جعفر ، قلت : ومن ؟ قال : ما عنده ثالث ، قال : مرّ ، فإذا صرت في الصبح فأنته في الرواق وهو ذاك جالسٌ ، فحرّك رجلك بالأرض فإنه سيسألك ، فقل له : أنا ، فجيئتُ ففعلت ، قال : من هذا ؟ قلت : يعقوب ، قال : ادخل ، فدخلتُ فإذا هو جالسٌ وعن يمينه عيسى بن جعفر ، فسلمت فرد عليّ السلام ، وقال : أظننا رَوَّعناك ؟ قلت : إي والله وكذلك من خلّفي ، قال : اجلس فجلستُ حتى سكن رَوْعِي ، ثم التفت إليّ فقال : يا يعقوب ! تدري لم دَعَوْتُكَ ؟ قلت : لا . قال : دعوتُكَ لأشهدك على هذا ، إن عنده جارية سألتُه أن يَهَبَهَا لي فامتنع ، وسألتُه أن يبيعها فأبى ، ووالله لئن لم يفعل لأقتلنّه ، قال : فالتفتُ إلى عيسى ، فقلت : وما بلغ الله بحجاري تمنعها أمير المؤمنين وتُزل نفسك هذه المترلة ؟ قال : فقال عَجِلْتَ عليّ في القول قبل أن تعرف ما عندي ؟ قلت : وما في هذا الجواب ؟ قال : إن عليّ يميناً بالطلاق والعِتاق وصدقة ما أملك ألاّ أبيع هذه الجارية ولا أهبها ، فالتفت الرشيدُ فقال : هل له في ذلك من مَخْرَجٍ ؟ قلت : نعم ، يَهَبُ لك نِصْفَهَا وَيَبِيعُكَ نِصْفَهَا ، فيكون لم يهب ولم يبع ، قال عيسى : ويَجُوزُ ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : فأشهدك أنّي قد وهبتُ له نِصْفَهَا وبعتهُ النصف الباقي بمائة ألف دينار ، فقال : الجارية ، فأتيي بالجارية وبالمال ، فقال : خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها ، قال : يا يعقوب ! بقيت واحدة ، قلت : وما هي ؟ قال : هي مملوكة ولا بدّ أن تُسْتَبْرَأَ ، ووالله لئن لم أبت معها ليلتي إني لأظنّ نفسي ستخرج ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! تَعْتَقُهَا وتزوّجها فإنّ الحرّة لا تُسْتَبْرَأُ ، قال : فإنتي قد عتقتها فمن يُزوّجها ؟ قلت : أنا . قال : فافعل ، فدعا بمسرور الخادم وحسين فخطبتُ فحمدت الله وزوّجته على عشرين ألف دينار ، ودعا بالمال ودفعه إليها ، ثم قال : يا يعقوب ! انصرف ، ورفع رأسه إلى مسرور فقال : يا مسرور ! قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال :

احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين نخاً ثياباً ، فحُمِلَ ذلك معي . قال : فقال بشر بن الوليد : فالتفت إليَّ يعقوب فقال : هل رأيتَ بأساً فيما فعلتُ ؟ قلت : لا ، قال : فخذُ منها حَقَّكَ ، قلت : وما حَقِّي ؟ قال : العُشْر . فشكرتُه ودعوتُ له ، وذهبتُ لأقوم فإذا بعجوز قد دخلتُ فقالت : يا أبا يوسف ! ابتك تَقَرُّكَ السلام وتقول لك : والله ما وصل إليَّ في ليلتي هذه من أمير المؤمنين سوى المهر الذي قد عرفته ، وقد حملتُ إليك النصف منه وخلقتُ الباقي لما أحتاج إليه ، فقال : ردَّ به فوالله لأقبِلْتُها ، أخرجتُها من الرِّق وزوجتها أمير المؤمنين وترضى لي بهذا ، فلم تَزَلْ تَطْلُبُ إليه أنا وعمتي حتى قبِلها وأمر لي بألف دينار .

(إسقاط استبراء الأمة وقولية عقد نكاحها)

قال القاضي : إسقاط أبي يوسف الاستبراء في هذه المسألة هو مذهبه ومذهب من تقدمه ومن اتبعه من أصحابه ، فأما مذهب الجمهور من الحجازيين وغيرهم فعلى أن الاستبراء ها هنا باقٍ بحاله ، وأما تَوَلِّيهِ عَقْدَ نكاح هذه المعتقد فإن مذهب أبي يوسف ومقدمي أصحابه من أهل العراق ومتأخريهم أن مولى الأمة المُعْتَق لها أولى بعقد النكاح له ولغيره عليها ، ومذهب عامة أهل العلم من الحجازيين وغيرهم من الشاميين والعراقيين — وكان الشافعي يرى أنه يَعْقِدُ عليها النكاح لغيره ولا يعقده لنفسه — وأنه إذا أراد أن يتزوجها تَوَلَّى العَقْدَ له عليها الحاكم ، ورأيت أبا جعفر شيخنا رحمه الله قد أفى بهذا في مسائله ، والقول الأول أولى بالحق عندي وأشبه بقوله ، ويان هذا الباب وشرحه مستقصى فيما رسمناه من كتبنا. في الفقه ، وبالله التوفيق .

(عمة محمد بن أحمد بن عيسى تستشفع له لدى المعتضد)^(١)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : كان مع المعتضد أعرابيٌ فصيح يقال له شعله بن شهاب اليشكري ، وكان يأنسُ به فأرسله إلى محمد بن عيسى بن شيخ وكان عارفاً به ليرغبه في الطاعة ويحثه العصبان ويرفق به ، فقال شعله بن شهاب فصرت إليه فخاطبته أقرب خطاب فلم يجيبني ، فوجهت إلى عمته أم الشريف فصرت إليها فقالت : يا أبا شهاب ! كيف خلقت أمير المؤمنين ، فقلت : خلقتُه والله أماراً بالمعروف فتعالا للخير ، متعزراً على الباطل متذللاً للحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فقالت لي : أهل ذلك هو ومستحقه ومستوجبه ، وكيف لا يكون كذلك وهو ظلُّ الله عز وجل المملود على بلاده ، وخليفته المؤمن على عبادته ، وأعز به دينه ، وأحيا به سنته ، وثبت به شرائعه ، ثم قالت : يا أبا شهاب فكيف رأيت صاحبنا ؟ قلت : رأيت حذكاً معجباً قد استحوذ عليه السفهاء واستبدَّ بآرائهم وأنصت لأقوالهم ، يزخرفون له الكذب ويوردونه الندم ، فقالت : هل لك أن ترجع إليه بكتابي قبل لقاء أمير المؤمنين ، فلعلك تحلُّ عقدة السفهاء ؟ قال : قلت : أجل ، فكتبتُ إليه كتاباً حسناً لطيفاً معجباً أجزأت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة بهذه الأبيات :

اقبل نصيحة أم قلبها وجِلْ

عليك خوفاً وإشفاقاً وقُلْ سَدِّدَا

واستعمل الفكر في قولي فلنك إن

فكرت ألفت في قولي لك الرشدَا

(١) كان عمه بن أحمد بن عيسى قد خرج حل الخلافة وتخصم يأده ، فخرج إليه المعتضد وحاصرها بجندته ونصب المجانيق عليها واقتتلوا ، فبث رئيسها يطلب الأمان ، فأنته فخرج إليه فطلع عليه ، وقد أورد ابن الجوزي القصة التالية في المنتظم ١٥/٦ - ١٧ ، حوادث سنة ٢٨٦ ، رواية عن أبي بكر الصولي كما هنا .

ولا تشق برجال في قلوبهم
 ضغائن تبعث الشنآن والحسدا
 مثل النعاج خمولا في بيوتهم
 حتى إذا أمنوا ألفتهم أسندا
 ودأب داءك والأدواء ممكنة
 وإذا طيبك قد ألقى إليك يدآ
 أعط الخليفة ما يرؤيه منك ولا
 تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا
 واردد أنا يشكر ردآ يكون له
 ردآ من السوء لا تشمت به أحدآ

قال : فأخذت الكتاب وصرت به إلى محمد بن أحمد بن عيسى ، فلما
 نظر فيه رمى به إليّ ثم قال : يا أنا يشكر ما بآراء النساء ثم الأمور ، ولا
 يعقون يسأس الملك ، ارجع إلى صاحبك . فرجعت إلى أمير المؤمنين
 فأخبرته الخبر على حقه وصدقه ، فقال : وأين كتاب أم الشريف ؟
 فدفعته إليه فقرأه وأعجبه شعرها ، ثم قال : والله إنني لأرجو أن أشفعها في
 كثير من القوم ، فلما كان من فتح آمد ما كان ، أرسل المعتضد فقال :
 يا شعله ! هل عندك علم من أم الشريف ؟ قال : قلت لا والله يا أمير
 المؤمنين ، قال : فامض مع هذا الخادم فإنك ستجدها في جملة نساءها ،
 قال : فمضيت فلما بصرت بي من بعيد سقرت عن وجهها ، وأنشأت
 تقول :

رَبِّ الزمان وصرفه
 فأذل بعد العزّ منا الـ
 ولكم نصحت فما أظعد
 فأبى بنا المقدار إلّا
 يا ليت شعري هل ترى
 معتّادة كشف القناعا
 صعب والبطل الشجاعا
 ت وكم حرصت بأن أطاعا
 أن نقتسم أو نباعا
 يوماً لفرقتنا اجتماعا

قال : ثم بكت حتى علا صوتها وضربت يديها على الأخرى ، وقالت :
يا أبا شهاب إننا لله وإنا إليه راجعون ، كأني والله كنت أرى ما أرى ،
فقلت لها : إن أمير المؤمنين وجهه بي إليك وما ذاك إلاّ بحميل رأيه فيك ،
فقلت ، هل لك أن توصل لي رقعة إليه ، قلت : فدفعَت إليّ رقعة فيها :

قل للخليفة والإمام المرتضى	ابن الخلائف من قريش الأبطح
عَلَّمَ الْهُدَى وَسِرَّاجَهُ وَمَنَّارَهُ	مِفْتَاحُ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَمْ تُفْتَحْ
بِكَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا	بَعْدَ الْفَسَادِ وَطَالَ مَا لَمْ تَصْلَحْ
فَتَزَحَّزَحْتُ بِكَ هَضْبَةُ الْعَرَبِ الَّتِي	لَوْلَاكَ بَعْدَ اللَّهِ لَمْ تَتَزَحَّزَحْ
أَعْطَاكَ رَبُّكَ مَا تَحِبُّ فَأَعْطَاهُ	مَا قَدْ يُحِبُّ وَجُدْ بِعَفْوِكَ وَأَصْنَحْ
يَا بِهِجَةَ الدُّنْيَا وَبَدْرَ مَلُوكِهَا	هَبْ ظِلَّ الْإِمِّيِّ وَتُفْسِدِ يَاصْلِحِي

قال : فأخذت الرقعة وصرت بها إلى المعتضد ، فلما قرأها ضحك ،
وقال : لقد نصحت لو قبل منها فأمر أن تحمل إليها خمسون ألف درهم
وخمسون تَخْتًا من الثياب ، وأمر بأن يحمل مثل ذلك إلى محمد بن أحمد
ابن عيسى .

(حكم ما بعد لولا من الضمير المتصل)

قال القاضي : قول أم الشريف له في هذا الشعر :

لَوْلَاكَ بَعْدَ اللَّهِ لَمْ تَتَزَحَّزَحْ

جائز عند جميع متقدمي النحاة ومتأخريهم ، كوفيهم وبصريهم إلا
أبا العباس محمد بن يزيد فإنه كان لا يميزه ويطعن فيما ورد في الشعر
منه ، وينسب قائله إلى الشذوذ ومفارقة السماع والقياس ، ومما جاء في
الشعر من هذا قول ابن أم الحكم ^(١) :

(١) هكذا في أ ، وصحة هذا الاسم يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي ، وبهذه من =

وأنت امرؤٌ لولائي طيحت كما هوى
بأجرامه من قلّة النّيقِ مُنْهَوِي^(١)

وقال آخر :

تقول لي من داخلِ المودّجِ لولاك هذا العام لم أحجج
وقول الآخر :

أُتْطَمِعُ فينا من أراقَ دماءَنا
ولولاك لم يطمع بأحساننا حسن^(٢)

وقد اختلف النحويون في موضع ما يلي لولا من المضمّر المتصل من الإعراب ، وكان سيبويه والكسائي يقولان : هو مجرور وإن كان الظاهر إذا حلّ محله رفع ، وكان الفراء والأخفش يحكما على موضعه بالرفع ، وإن كان آتياً على الصورة التي صيغت في الأصل إلى ضمير المجرور للغة الاشتراك في صيغة المضمّر بينه وبين المنفصل وهو كثير في هذا الباب ، ومنه قول الشاعر :

= قصيدة شهيرة له في الأغاني ٢٧٦/١٢ ، وجمجمة المجالس ٤١١/١ ، والبيت الوارد هنا منها من شواهد سيبويه ٣٨٨/١ ، وشرح المفصل لابن يمين ٤٣٧ ، والخزانة ٢٦٢/٤ ، وعمل الشاهد فيه قوله لولاك ، حيث وضع الضمير المتصل الذي حقه أن يكون في موضع الجر أو موضع النصب بعد لولا ، وهو وارد كثيراً في كلام العرب المصحح بكتابهم ، ورد هذا على المبرد الذي ينكر ذلك ، انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٦٩١ .
(٢) معنى طامع : سقط وهلك ، وهوى : سقط من أجل إلى أسفل ، والأجرام : جميع جرم ، وجرم كل شيء جثته ، والقلّة ومثلها القنّة : أمل الجبل ، والنّيق : أرفع مكان فيه .
(٣) ينسب هذا البيت لعمرو بن العاص ، يقوله لماوية بن أبي سفيان في شأن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، وقيل لبيت قوله :

ماوي إليّ ، لم أباليك فلتة وما زال ما أسررت مني كما علن
والبيت من شواهد ابن يمين في المفصل ٤٣٨ ، والأشعراني ٥٢٤ ، والخزانة ٢٦٠/٣ ، انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٦٩٣ .

فأَحْسَنُ وَأَجْمَلُ* في أسيرك إنَّه
ضَعِيفٌ ولم يَأْسِرْ كَيْتَاكَ أَسِيرُ^(١)

وقالوا : أنت كأننا وأنا كأنك ، ولاستقصاء هذا الباب والاحتجاج فيه موضع هو أولى به من هذا الموضع ، والأفصح والأوضح في العربية سماعاً وقياساً : لولا أنا ولولا أنت ، والقضاء^(٢) على موضع هذا المضمهر المنفصل فإنه في موضع رفع كما هو في الظاهر كذلك ، كقولك : لولا زيد ولولا عبد الله ، غير أن الوجه الآخر جائز ، كما قال جمهور النحويين لروايتهم إياه عن العرب وما استشهدوا به من أشعارها ، وليس بمطَّرَحٍ لاحق باللحن المرغوب عنه كما زعم أبو العباس محمد بن يزيد^(٣) .

(عظة واعتبار)

حدثنا أبو الحسين أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي المعروف بمحظة ، قال : قال لي صافي الحرمي^(٤) : لما مات المعتضد بالله كَفَّتْهُ وَاللَّهِ فِي ثَوْبَيْنِ قُوْهِيَّيَ قِيمَتُهُمَا سِتَّةَ عَشَرَ قِرَاطًا^(٥) .

(خبر مقدّم وكيع وابن إدريس وحفص على الرشيد)

حدثنا ابن مخلد ، قال : حدثنا حماد بن المؤمل ، أبو جعفر الضريير الكلبي ، حدثني شيخ على باب بعض المُحَدِّثِينَ ، قال : سألت وكيعاً

(١) البيت دون نسبة في مجالس ثعلب ١٣٣/١ ، والمراغة ٢٧٤/٤ .

(٢) القضاء : الحكم .

(٣) انظر الآراء في الحكم على ما بعد لولا بالتفصيل في الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري صفحات ٦٩١ - ٦٩٢ .

(٤) صافي الحرمي : كان مولد المعتضد ، وكان صاحب الدولة كلها وإليه أمر دار الخليفة ، توفي سنة ٢٩٨ هـ ، انظر المنتظم ١٠٨/٦ .

(٥) انظر هذا الخبر مروياً عن ما هنا في تاريخ بغداد ٤٠٧/٤ .

عن مَعْدَمِهِ وهو ابن إدريس وحفص على هارون الرشيد ، فقال لي : ما سألتني عن هذا أحدٌ قبلك ، قدمنا على هارون أنا وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ، فأقعدنا بين السريرين فكان أول من دعا به أنا ، فقال لي هارون : يا وكيع ! فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين قال : إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وسموك لي فيمن سموا ، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي وصالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة ، فخذ عهدك وامض . فقلت : يا أمير المؤمنين ! وإحدى عيني ذاهبة والأخرى ضعيفة ؟ فقال هارون : اللهم غفراً ، خذْ عهدك أيها الرجل وامض ، فقلت : يا أمير المؤمنين والله لئن كنت صادقاً إنه لا ينبغي أن تقبل مني وإن كنت كاذباً فلا ينبغي أن تؤكِّد القضاء كذاباً ، فقال : اخرج ، فخرجت ، فدخل ابن إدريس فكان هارون قد وُسم له من ابن إدريس واسم ، يعني خَشُونَةُ جانبه ، فدخل فسمعنا صوت رُكْبتيه على الأرض حين بَرَكَ ، وما سمعناه يُسلم إلاّ سلاماً خفياً ، فقال له هارون : أتدري لم دعوتك ؟ قال : لا ، قال : إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وأنهم سموك لي فيمن سموا ، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي وأدخلك في صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة ، فخذْ عهدك وامض ، فقال له ابن إدريس : لست أصلح للقضاء ، فنكث هارون بإصبعه وقال له : وددت أني لم أكن مثلك ، قال له ابن إدريس : وأنا وددت أني لم أكن رأيتك ، فخرج ثم دخل حفص بن غياث ، فقال له كما قال لنا ، فقبل عهده وخرج ، فأتانا خادم معه ثلاثة أكياس في كل كيس خمسة آلاف دينار ، فقال : إن أمير المؤمنين يقرئكم السلام ويقول لكم : قد لزمتمكم مؤونة في شخوصكم فاستعينوا بهذه في سفرتكم ، قال وكيع : أقرئ أمير المؤمنين السلام وقُل : قد وقعت مني بحيث يحب أمير المؤمنين وأنا عنها مُستغفر ، وفي رعية أمير المؤمنين من هو أحوج إليها مني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يصرفها إلى من أحب ، وأما ابن إدريس فصاح به : مَرَّ من ها هنا

وقبلها حفص ، وخرجت الرُّقعة إلى ابن إدريس من بيننا : عافانا الله وإياك
سألتك أن تدخل في أعمالنا فلم تفعل ، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل ، فإذا
جاءك ابني المأمون فحدّثه إن شاء الله ، فقال للرسول : إذا جاء مع
الجماعة حدثنا إن شاء الله ، ثم مَضَيْنَا ، فلما صرنا إلى الياسرية ^(١)
حضرت الصلاة فترلنا نتوضأ للصلاة ، قال وكيع : فنظرتُ إلى شُرَطيَّ
محموم نائم في الشمس عليه سَوَاكُده فطرحتُ كسائي عليه ، وقلت :
تَدَقُّا إلى أن نتوضأ ، فجاء ابن إدريس فاستلبه ثم قال : رَحِمَته لا
رحمك الله ، في الدنيا أحد رحم مثل ذا ؟ ثم التفت إلى حفص وقال : قد
علمتُ حين دخلت إلى سَوَقِ أُسد ^(٢) فخفضتُ لِحْيَتِكَ ودخلت الحِمَامُ
أُلك سَتَكِي القضاء ، ولا والله لا كَلِمَتُكَ حَتَّى تَمُوتَ ، فما كَلِمَته
حَتَّى مات ^(٣) .

(المأمون يتركُ جاريته الحبيبة إلى بلاد الروم) ^(٤)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن
مالك النحوي ، قال : أخبرنا يحيى بن أبي حماد الموكبي ، عن أبيه ، قال :
لما وصفت للمأمون جارية بكل ما توصف به امرأة من الكمال والجمال ،
فبعث في شرائها فأتى بها وقت خروجه إلى بلاد الروم ، فلما هَمَّ بلبس

(١) الياسرية : منسوبة إلى ياسر اسم رجل ، قرية كبيرة على شفة نهر عيسى بينها وبين
بغداد ميلان ، وعليها قنطرة مليحة فيها بساطين ، انظر معجم البلدان ١٠٠٢/٤ .

(٢) سوق أُسد : بالكوفة ، تنسب إلى أُسد بن عبد الله القسري ، أخي خالد بن عبد الله أمير
المراقين ، انظر معجم البلدان ١٩٢/٢ .

(٣) ترد هذه القصة كما هنا في تاريخ بغداد ١٩/٩ ، وترد في ١٨٩/٨ منه برواية أخرى
ملخصها أن الثلاثة دخلوا على الرشيد فعرض عليهم القضاء فأما وكيع فقال : والله يا أمير
المؤمنين ما أبصرت بها منذ سنة ووضِعَ إصبعه على عينه ، وعُيَّ إصبعه ، فأعفا ، وأما
حفص فقال : لولا غلبة الدين والعيال ما وليت .

(٤) الخبر التالي في مصارع المشاق ٢٥٧ .

دعوه خطرت بباله فأمر فأخرجت إليه ، فلما نظر إليها أعجب به
وأعجبت به ، فقالت : ما هذا : قال : أريد الخروج إلى بلاد الروم :
قالت : قَتَلْتَنِي والله يا سيدي ، وجَرَّتْ دموعها على خدها كنظماً
الؤلؤ ، وأنشأت تقول :

سَادَعُوْ دَعْوَةَ الْمَضْطَرِ رَبَّاً
يُثِيبُ عَلَى الدَّعَاءِ وَيَسْتَجِيبُ
لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكْفِكَ حَرْباً
وَيَجْمَعَنَا كَمَا تَهْوِي الْقُلُوبُ

فضمها المأمون إلى صدره وأنشأ متمثلاً يقول :

فِيَا حُسْنَهَا إِذْ يَغْسِلُ الدَّمْعُ كُحْلَهَا
وَلِإِذْ هِيَ تَذَرِي الدَّمْعَ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
صَبِيحَةٌ قَالَتْ فِي الْعَتَابِ قَتَلْتَنِي
وَقَتَّلَنِي بِمَا قَالَتْ هُنَاكَ مُحَاوِلُ

ثم قال لخادمه : يا مسرور احتفظ بها وأكرم محلها وأصلح لها كل ما
تحتاج إليه من المقاصير والخدم والجواري إلى وقت رجوعي ، فلولا ما قال
الأخطل حين يقول :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَا زَرَهُمْ
دُونُ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ

ثم خرج فلم يزل يتعهدُها ويُصلِّح ما أَمَرَ به ، فاعتلت الجارية
علّةً شديدةً أشفق عليها منها وورد نعي المأمون ، فلما بلغها ذلك تنفست
الصعداء وتوفيت ، وكان مما قالت وهي تجود بنفسها :

إِنَّ الزَّمَانَ سَقَانَا مِنْ مَرَاتِهِ
بَعْدَ الْجَلَاوَةِ أَنْفَاساً فَأَرْوَانَا

أَبْدَى لَنَا تَارَةً فَأَضْحَكُنَا	نَمْ أَنْتَى تَارَةً أُخْرَى فَأَبْكَانَا
إِنَّا إِلَى اللَّهِ فِيمَا لَا يَزَالُ لَنَا	مِنْ الْقَضَاءِ وَمِنْ تَلْوِينِ دُنْيَانَا
دُنْيَا نَرَاهَا تُرِينَا مِنْ تَصَرُّفِهَا	مَا لَا يَدُومُ مَصَافَاةً وَأَحْزَانَا
وَنَحْنُ فِيهَا كَأَنَّا لَا نَزْكَلُهَا	لِلْعَيْشِ أَحْيَاؤُنَا يَبْكُونُ مَوْتَانَا

• • •

المجلس السّاس عشر

(حديث : ما ذُبان جائعان في حظيرة)

حدثنا محمد بن إسماعيل بن إسحاق الفارسي ، قال : حدثنا أحمد بن زهير أبو بكر بن أبي خيثمة ، قال : حدثنا قطبة بن العلاء ، قال حدثني سفيان الثوري ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ذُبان جائعان في حظيرة وثيقة يأكلان ويفترسان ، بأضرّ فيها من حبّ المال والشرف في دين المرء المسلم » ^(١) .

(تعليق المؤلف)

قال القاضي : هذا خبر صحيح مشهور ، قد رويناه من غير وجه ،

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد عن كعب بن مالك ، انظر المستد ٤٥٦/٣ ، ٤٦٠ ، والترمذي في أبواب الزهد ، في تحفة الأحوي ، الحديث ٢٤٨٢ : ٤٦/٧ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ويروى عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح إسناده .
ومعنى الحديث ، ليس ذُبان جائعان أرسلوا في جماعة من جنس التّم بأشدّ إفساداً لتلك التّم ، من سرّص المرء على المال والجاء ، فإنّ إفساده لدين المرء أشدّ من إفساد الدّينين الجائعين بجماعة من التّم .

وفي جملة ألفاظه اختلاف في اللفظ دون المعنى ، في بعضها : ما ذُثبان
ضاريان ، وفيه تنبيهٌ على أن أوّل الأمور بالمرء حفظه دينه ، وإشفاقه
من دخول الخلل فيه ، فإن حب المال والشرف والسعي في اكتسابهما ،
والحرص على حيازتهما والانهماك في مسابقة أهلها إليهما ، ومغالته
عليهما ، مما يؤدي إلى هدم الدين وتوهين أركانه ، وطمس معالمه وحط
بنيانه ، مع ما فيه من حمل المرء منه على أسباب الهلكة ، وجده فيما يورطه
في حبال الرذائل ، وبُعده عن شريف الفضائل ، فقلّ من سلم ممن
وصفنا حاله من البغي والعدوان والحسد والظفیان ، وقد يحرم مع هذا مما
أمل إدراكه ، وطمع في بلوغه ، فحصل من الكد والجِد ، والعناء والشقاء
ولاستيلاء النحوس عليه والمحطاط الجِد ، فنسأل الله تعالى توفير حفظنا من
رحمته وعصمته ، وأن يتمم ما ابتدأنا به من نعمته ، فلقد هلك من هلك
من الناس في ركوبهم ما حدّر منه رسول الله ﷺ ، وأوضح البيان عنه .

وقد ذكر عن الحجاج بن أُرطاة ^(١) وكان من المشهورين بالفقه
والقضاء والرواية والتصرف في الآراء ، أنه قال : أهلكني حب الشرف .
وروى عنه أنه كان لا يشهد جمعة ولا جماعة ويقول : أكره مزاحمة
الأندال .

(أمر الحجاج بن علاط السلمي وحيلته في جمع ماله من مكة)

حدثنا أحمد بن إيزاهم الخليل الكاتب النهرواني ، قال : حدثني
أبو عبد الله عبد العزيز بن علي بن المنتصر ، قال : حدثني أحمد بن محمد بن
المنتصر ، قال حدثنا هرون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي

(١) هو الحجاج بن أُرطاة ، أبو أُرطاة النخعي الكوفي ، كان مع أبي جعفر المنصور وقت
بناء مدنته ، ويقال إنه بن تول غنطليها ونصب قيلة جامعها ، وهو أحد العلماء بالحديث
الحفاظ له ، وكان شريفاً سريعاً فيه تيه ، أخرجه أبو جعفر مع ابنه المهدي إلى خراسان
فلم يزل معه حتى توفي بالري ، في خلافة أبي جعفر . انظر تاريخ بغداد ٢٣٠/٨ .

الكوفي ، قال : حدثنا جعفر بن محمد الميعدي ويعقوب ، قالاً : حدثنا يوسف بن بهلول ، قال : حدثني ابن إدريس ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ انصرف حتى قدم المدينة في آخر صفر ، وكان افتتاح خيبر في عقب المحرم ^(١) ، قال : ولما أسلم الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي ^(٢) شهد خيبر مع رسول الله ﷺ ، قال أحمد بن إبراهيم : وأخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن مزيد النحوي بإسناد له ، قال : ولما أسلم حجاج بن علاط السلمي وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه ، فاستأذن رسول الله ﷺ يوم خيبر في أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال ، وقال الهاشمي في حديثه : قال الحجاج : يا رسول الله ! إن لي مالا بمكة عند أبي طلحة ، وعلى التجار ، وعند صاحبي أم شيبه بنت أبي طلحة أخت بني عبد الدار ، وأنا أتحوف إن علموا بإسلامي أن يذهب ، فأذن لي بالحق به لعلني أخلصه .

وقال أبو العباس في حديثه : فاستأذن رسول الله ﷺ في يوم خيبر بأن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال بها ، وكانت له أموال متفرقة وهو رجل غريب فيهم ، إنما هو أحد بني سليم بن منصور ثم أحد بني بهز ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إني أحتاج إلى أن أقول ، قال : فقل . وقال الهاشمي في حديثه : لا بد لي من أن أقول ، قال : قل وأنت في حل . قال أبو العباس : وهذا كلام حسن يقال على جهة الاحتيال غير الحق ، فأذن له فيه رسول الله ﷺ لأنه من باب الحيلة

(١) وذلك سنة سبع من الهجرة ، حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، انظر سيرة ابن هشام ٣٢٨/٣ .

(٢) هو الحجاج بن علاط بن خالد بن ثوير السلمي البهزي ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وهو يخبر فأسلم ، ثم سكن المدينة واختط بها داراً ومسجداً ، ترجمته في الإصابة ١٦/٧ ، طبقات ابن سعد ٢٦٩/٤ .

وليس من باب الفساد والشر ما يقال في هذا المعنى ، يقول كما قال الله عز وجل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ﴾^(١) . وقال الهاشمي في حديثه : فخرج الحجاج ، قال : فلما انتهيت إلى ثنية البيضاء^(٢) وجدت بها رجلاً من قريش يتسمعون الأخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ قد سار إلى خيبر ، وكانوا قد عرفوا أنها أرض الحجاز وبها منعة ورجال . وقال أبو العباس في حديثه : فلما أبصروني قالت قريش : هذا لعمرك الله عنده الخبر ، أخبّرنا يا حجاج فقد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر .

وقال أبو العباس في حديثه : وقال الهاشمي في حديثه وهي بلد يهود وريف الحجاز قال : قلت : قد بلغني أنه قد سار إليها وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبّطوا بمنّيتي ناقي^(٣) يقولون : هي يا حجاج ، قال : قلت : همّز هزيمة لم تسمّعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمّعوا بمثلها قط ، وأخذوا محمداً أسيراً ، وقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصحابهم من رجالهم ، فقاموا فصاحوا بمكة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، هذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدّمَ به عليكم ، وهذا الكلام كله من حديث الهاشمي . قال : فقلت : أعينوني على جمع مالي بمكة على غرّمائي فإني أبادر خيبر فأصيب من قتل^(٤) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هناك ، قال : فجمعوا مالي كله كأحسّ جمع سمعتُ به ، وجئتُ صاحبتي ، فقلت : مكالي قبّل أن يسبقني التجار^(٥) ، فلما سمع العباس بن عبد المطلب

(١) سورة الطور الآية ٣٣ .

(٢) قال ياقوت : والبيضاء : ثنية التنعيم بمكة ، لما ذكر في كتب السيرة ، انظر معجم البلدان ٧٩٢/١ .

(٣) التبطلوا بمنّيتي ناقي : أي مشوا إلى جنبها ملازمين لها ، معطينين بها كشي الفرجان لأزدسالمهم حولها .

(٤) القل : يعني بها غنائم الهزيمة .

(٥) زاد في السيرة قوله : وكان لي عندها مال موصوع .

ذلك ، حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار ، وقال أبو العباس في حديثه : فأتاني العباسُ وهو كالمرأة الواهية فقال : ويحك يا حجاج ! ما تقول ؟ قال : فقلت : أأنت عليّ خبيري ؟ وقال الهاشمي في حديثه : فقال : يا حجاج ! ما هذا الذي جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظٌ لما يوضع عندك ؟ قال : نعم . قال : استأخر حتى ألقاك على خلاءٍ فلاني في جمعٍ مالي كما ترى ، وقال أبو العباس في حديثه : وقلت : فالبث عني شيئاً يخفّ موضعي ، فانصرف عني حتى إذا فرغتُ من كل شيء وأجمعتُ أمري على الخروج لقيته فقلت : احفظ عليّ حديثي فلاني أخشى الطلب ، قال : أفعلُ قال : إني والله تركتُ ابن أخيك عروساً على ابنة ملكهم صفية بنت حييٍّ ، وقال أبو العباس في حديثه : خلقتُ رسول الله ﷺ قد فتح خيبر ، وخلفته عروساً على ابنة ملكهم وما جئتمكم إلاّ مسلماً . وقال الهاشمي في حديثه : ولقد افتتح خيبر ونقل ما كان فيها وساقٍ وصارت له ولأصحابه . وقال أبو العباس في حديثه : فاكتمُ الخبر ثلاثاً حتى أعجز القوم ثم أشعتهُ فإنه والله الحق . قال الهاشمي في حديثه : فاكتم عليّ ثلاثاً ، وما جئتُ إلاّ لأخذ مالي فركاً من أن أغلبَ عليه ، فإذا مضت ثلاثة فأظهرُ أمرك ، والأمر والله على ما نحب ، قال : فلما كان اليوم الثالث لبس العباس الحُلّة ونحَلَّقَ ثم أخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت ، فلما رآته قريش قالت : يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحجّرِ المصيبة ، قال : كلاّ ومن حلفتم به ، لقد افتتح رسول الله ﷺ خيبر فتزل عروساً على ابنة ملكهم ، قالوا : ومن جاءك بهذا الخبر ؟ قال : قلت : الذي جاءكم بما جاءكم ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ما له وانطلق فلحق برسول الله ﷺ يصحبُه ويكون معه ، قالوا : أفلت عدوُ الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر .

وقال هارون في حديثه ، قال صالح ، قال محمد بن حميد ، حدثنا جرير ، عن شيخ ، قال : لما أخبر العباس يوم خيبر أن النبي ﷺ حيٌّ

أعق غلامه الذي خبّره ، وقال في رواية أخرى : فلما سمع بذلك العباس أراد أن يقوم فلم يقدر ، ودعا باين له يقال له قُثم ، وكان شبيهاً برسول الله ﷺ وجعل يرتجز وينشد ، ولأعداء الله يقول :

ابني قُثمُ ذو الأثف الأشمُ
شبيهُ ذي الكرم برغم من رغم
نبيي ذي النعم

وقال هارون في حديث آخر : حدثنا أبو مسلم ، عن علي بن المديني ، عن زيد بن عياض بن جعدة ، قال : ولما فتح الله عز وجل لرسوله ﷺ خير خرج الحجاج بن علاط السلمي إلى مكة وقد أسلم ليأخذ مالا له عند امرأته ، وكان مكثراً له من ماله معادن الذهب بأرض سليم ، وذكر كلام الحجاج بطوله ، وبلغ العباس فأراد التهورض فلم يقدر ، وأمر بباب الدار ففتح ثم دعا غلامه أبا رافع فقال : انطلق إلى الحجاج فقل له : إن الله أعلى وأجل من أن يكون الذي تبلغ حقاً ، فأبلغه وأشار إليه ، قل لأبي الفضل عندي ما تُسرُّ به ، فرجع فلم يستطع أن يكتم الخبر فرحاً ، فقام إليه العباس فقبل ما بين عينيه . فقال هارون في حديثه : أخبرنا أبو الفضل الربيعي ، قال : حدثني أحمد بن محمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعيد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان مع النبي ﷺ في يوم حنين من أهل بيته سبعة ثامنهم مولى لهم : العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ^(١) وزيد بن حارثة ، وأسامة بن زيد ، وعقيل بن أبي طالب ، وثامنهم أيمن بن أم أيمن ، وكان العباس آخذاً بعنان بغلة النبي ﷺ وأبو سفيان آخذاً بفورها ^(٢) ،

(١) ذكر في سيرة ابن هشام ٤٤٣/٣ أن ابن أبي سفيان بن الحارث واسمه جعفر كان من ثبوتوا مع الرسول ، ولم يذكر فيهم زيد بن حارثة .

(٢) الثفر : سير في مؤخر السرج ونحوه يشد على عجز الدابة تحت ذنبها .

فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال : من هذا يا عم ؟ فقال له العباس : أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث . قال : نعم أخي وخير أهلي . وقال العباس في ذلك اليوم ^(١) :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْحَرْبِ سَبْعَةً
وَقَدْ فَرَّ مِنْ قَدَرٍ عَنْهُ فَأَقْشَعُوا ^(٢)
وَنَامُنَا لَأَقَى الْحِمَامِ بِنَفْسِهِ
لَا مَسَّةٌ فِي اللَّهِ لَا يَتَوَجَّعُ
وَقَوْلِي إِذَا مَا الْفَضْلُ شَدَّ بِسَيْفِهِ
عَلَى الْقَوْمِ أُخْرَى يَا بُنَيَّ فِيرْجِعُوا
قال القاضي : هكذا هو في كتابي فإن يكن في أصل الشيخ على هذا ،
فتقدير الكلام أشدد أخرى فيرجعوا فدخلت الفاء جواباً ، وإن كانت
الرواية في الأصل فيرجع على الخبر عن الواحد بالمعنى فهو يرجع .

(الحجاج وفراشة التي كانت تجهز الخوارج)

حدثنا ابن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، وذكره
أبو حاتم عن العتيبي أيضاً ، قال : كانت امرأة من الخوارج من الأزدي يقال لها
فراشة ، وكانت ذات نَبَهٍ في رأي الخوارج تُجَهِّزُ أصحاب البصائر
منهم ، وكان الحجاج يطلبها طلباً شديداً ، فأعوزته فلم يظفر بها ، وكان
يدعو الله أن يمكنه من فراشة أو من بعض من جهزته ، فمكث ما شاء الله

(١) ورد البيتان الأولان من الآيات الثلاثة الآتية في تفسير القرطبي ٢٩٣٧ في تفسير سورة
التوبة ، والرواية فيه : تسعة بدل سبعة في البيت الأول ، وعاشروا بدل ثامننا في البيت
الثاني ، وذلك على أساس أن الذين صنعوا مع الرسول كانوا عشرة فعلا ، هم أبو بكر
وعمر ثم سبعة من أهله ومولى لهم وهم الذين ذكرهم المؤلف ، وقد استشهد واحد منهم
هو أيمن بن أم أيمن مولاهم ، انظر سيرة ابن هشام ٤٤٣/٣ .
(٢) أقدموا : تفرقوا .

ثم جيء برجل فقال : هذا بمن جهّزته فراشة ، فمخّر ساجداً ثم رفع رأسه ، فقال له : يا عدوّ الله ، قال : أنت أولى بها يا حجاج ، قال : أين فراشة ؟ قال : مرت تطير منذ ثلاث . قال : أين تطير ؟ قال : تطير ما بين السماء والأرض ، قال : أعن تلك سألتك عليك لعنة الله ؟ قال : عن تلك أخبرتك عليك غضب الله ، قال : سألتك عن المرأة التي جهّزتك وأصحابك ، قال : وما تصنع بها ؟ قال : دلنا عليها ، قال : تصنع بها ماذا ؟ قال : أضرب عنقها . قال : ويحك يا حجاج ، ما أجهلك ! تريد أن أدلك وأنت عدو الله على من هو وليّ الله؟ قد ضللتُ إذأً وما أنا من المهتدين . قال : فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : على ذاك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين ، قال : ولم لا أم لك ؟ قال : إنه أخطأ خطيئة طبقت بين السماء والأرض ، قال : وما هي ؟ قال : استعماله إياك على رقاب المسلمين ، فقال الحجاج لجلسائه : ما رأيكم فيه ؟ قالوا : نرى أن تقتله قتيلاً لم يقتل مثلها أحد ، قال : ويحك يا حجاج ، جلساء أخيك كانوا أحسن مجالسة من جلسائك ، قال : وأي أخويّ تريد ؟ قال : فیرعون حين شاور في موسى فقالوا : أرّجيه وأخاه ^(١) ، وأشار عليك هؤلاء بقتلي ، قال : وهل حفظت القرآن ؟ قال : وهل خَشِيتُ فراه فأحفظه ؟ ، قال : هل جمعت القرآن ؟ قال : ما كان متفرقاً فأجمعه ، قال : أقرأته ظاهراً ؟ قال : معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه ، فقال : فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك ؟ قال : ألقاه بعلمي وتلقاه بدمي ، قال : إذأً أعجلّك إلى النار ، قال : لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واثقيت عذابك ولم أبغ خلافتك ومنافضتك ، قال : إني قاتلك ، قال : إذأً أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك ، قال : نَقِمْ عُنْكَ عن الكلام السيء ، يا حيرسي ! أضرب عنقه ، وأومى إلى السياف ألا يقتله ، فجعل يأتيه من

(١) سورة الأعراف الآية ١١١ .

بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف ، فلما طال ذلك عليه رَسَّحَ جبينه ، قال : جَزَعَت من الموت يا عدوَّ الله ؟ قال : لا يا فاسق ، ولكن أبطأت عليَّ بمالي فيه راحة ، قال : يا حرسِيَّ أعظم جرحه ، فلما أحس بالسيف قال : لا إله إلا الله ، ووالله لقد أتممتها ورأسه في الأرض ^(١) .

(حمدان البرتي يهيم بامرأة طقطق الكوفي) ^(٢)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد القمري ، قال : حدثنا أحمد بن الصلت ، قال ، كان حمدان البرتي على قضاء الشرقية ، فقَدِمَت امرأة طقطق الكوفي طقطقاً إليه فادعت عليه مهراً أربعة آلاف درهم ، فسأله القاضي عما ذَكَرَتْ ، فقال : أعر الله القاضي ، مهرها عشرة دراهم ، فقال لها البرتي : أسْقِرِي ، فَسَقَرَتْ حَتَّى انْكَشَفَ صَدْرُهَا ، فلما رأى ذلك قال لطقطق : ويلك ! مثل هذا الوجه يستأهل أربعة آلاف دينار ليس أربعة آلاف درهم ، ثم التفت إلى كاتبه فقال له : في الدنيا أحسن من هذا الشئ ^(٣) على هذا النحر ؟ فقال له طقطق ، فدينتك ، إن كانت قد وقعت في قلبك طلقتها ، قال له البرتي : تَهْدِدُهَا بالطلاق وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ ^(٤) ، إن طلقتها كان ها هنا ألف ممن يتزوجها ، فقال طقطق : إني والله ما قضيتُ وَطَرِيَّ منها ، وأنا طقطق ليس أنا زيد ، فأقبل البرتي على المرأة : فقال لها : يا حبيبي ما أدري كيف كان صبرك على مباضعة هذا البغيض ؟ ثم أنشأ يقول :

(١) ترد هذه القصة باختصار عما هنا في البيان والتبيين ١٤٩/٢ ، وترد عبارة : إن وزراء

أخيلك فرعون .. الخ على لسان امرأة من الخوارج حرويرية في المقد الفريد ١٧٥/٢ .

(٢) القصة التالية في مصادر ٢٧٦ .

(٣) الشئ : اللؤلؤ الصغار .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

تَرَبَّصْ بِهَا رَبِّبَ الْمَتُونِ لَعَلَّهَا
تُطَلَّقُ يَوْمًا أَوْ يَمُوتَ حَلِيلُهَا

فقام طفقط فتعلق به وصيف غلام البرقي فصاح به : دعه يذهب عنا
في سقر ، ثم قال لها : إن لم يصبر لك إلى ما تريدن فصيري إلى امرأة
وصيف حتى تُعَلِّمَنِي فَأُضْعَهُ فِي الْجِسِّ ، فكتب صاحبُ الخبر بما كان ،
فعلّق به البرقي وصانعه على خمس مائة دينار على ألاّ يرفع الخبر بعينه ،
ولكن يكتب أن عجوزاً خاصمت زوجها فألط^(١) فاستغاثت بالقاضي فقال
لها : ما أصنع يا حبيبتِي هو حُكْمٌ ولا بدّ أن أقضي بالحق ، وانصرف
البرقي متيمماً ، فما زال مُدْتَفِئاً يبيكي ويهيم فوق السطوح ، ويقول الشعر
فكان مما قاله :

وَاحْسَرَّتْني عَلَى مَا مَضَى لِيْني لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ الْقَضَا
أَحْبَبْتُ امْرَأَةً وَخِفْتُ اللَّـهَ هَ حَقًّا فَمَا تَمَّ حَتَّى انْقَضَى
وغير ذلك من شعر لا وزن له ولا روى ، إلى أن ارعوى ورجع .

(لَطَّ وَالطَّ وَأَيُّهُمَا أَصَحُّ)

قال القاضي : هكذا في الخبر أَلَطَّ ، والمعروف في العربية لَطَّ ، وقالوا
في اسم الفاعل ملط على غير القياس لأن قياس أَلَطَّ ملط وقياس لَطَّ لاط ،
غير أن السماع لا اعتراض لأحد فيه ، ولا يترك للقياس بل يترك
القياس له .

(بَيْنَمَا يَبُولُ مِنْ فِرْعَةٍ إِذْ يَبُولُ عَلَى قَبْرِهِ)^(٢)

حدثنا أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي المعروف بمحظفة ، قال :

(١) أَلَطَّ به : جعله حقه ، أو اشتد في مرأته وخصومته .

(٢) الخبر التالي في الفرج بعد الشدة ٩٥ .

قال لي ميمون بن هرون الكاتب : جرد شعيب بن عجيّف رجلاً ليضربه بالسياط في مال اختانه منه ، فبال الرجل لما رأى السياط فجرى بوله من بائكة سراويله فأطلقه ، وشخص مع المعتصم يريدون بلاد الروم ، فمات شعيب بن عجيّف في الطريق ، وخرج الرجل خلف العسكر يطلب الرزق ، فغمزّه البول في السحر وهو ببعض القرى ، فرأى ركماً فبال عليه فقال له رجل من القرية : بشما فعلت ، بلت على قبر شعيب بن عجيّف ، فقال الرجل : لا إله إلا الله ، بينا أنا أبول من فزعه إذ بلت على قبره .

(إلا يكن أخاً بالنسب فإنه أخ بالأدب)^(١)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا موسى بن محمد بن موسى ابن حماد ، قال : سمعت علي بن الجهم ، وقد ذكر دعبلاً وكفّره ولعنه ، وقال : كان قد أغرى بالطعن على أبي تمام وهو خير منه ديناً وشعراً ، فقال له رجل : لو كان أبو تمام أخاك ما زاد على كثرة وصفك له ، فقال : إلا يكن أخاً بالنسب فإنه أخ بالأدب والدين والمروءة ، أما سمعت قوله فيّ :

لأن يكْدَ مطْرِفُ الإخاءَ فلأنا	نَعْدُو ونَسري في إخوان تالِد
أو يَخْتَلِفُ ماء الوصالِ فماؤُنَا	عَدْبٌ تَحْدُرُ من زُلْالٍ باردٍ
أو يَفْتَرِقُ نسبٌ يؤلّفُ بيننا	أدبٌ أقمناه مقام الوالدِ

(أبيات متفاضلة في المدح لبعض الشعراء)

حدثنا محمد بن أحمد الحكيمي ، قال : حدثنا عبد الله بن عمرو الوراق ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن بشر ، قال : أنشد أبو السمط بن أبي الجنوب بن أبي حفصة لرؤبة :

(١) الطبري التالي في تاريخ بغداد ١/٨ هـ : رواية عما هنا .

إن جئت أعطاني وإن أنا لم أجبي
تَتَفَقَّدَ أَمْرِي فوق ما كنت أَرْتَجِي^(١)

فقال : لي والله أجودُ من هذا في عبد الله بن طاهر ، وهو متوجه إلى
نصر بن شيث^(٢) فوجه إليّ بعشرين ألفاً ، فقلت^(٣) :

لَعَمْرِي لنعم الغيثُ غيثُ أصابنا يغداد من أرض الجزيرة وأبله
ونعم القتي واليدُ بيني وبينه بعشرين ألفاً صَبَحَتْنا رائله
وكنا كحي صَبَحَ الغيثُ أهله ولم يَحْتَمِلْ أظعانه وحائله

وأنشدنا هذا الشعر عمارة بن عقيل ، فقال : لي - والله - في خالد بن
يزيد^(٤) أحسن من هذا ، ثم أنشد :

لم أستطع سيراً لِدِحَةِ خالد فجعلتُ مَدْحِيهِ إليه رَسُولا
فليرحَلَنَّ إليَّ نائلُ خالِدٍ وليكفَيْنَّ رواجلي التَرْخِيلا^(٥)

وأنشد هذه الشعر المسمعي ، فقال : أنشدني الأصمعي أجود من
هذا :

-
- (١) لم يرد هذا البيت في ديوان ربيعة ولا في زيادات شعره .
(٢) من بني عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، خرج عل المأمون بكسوم
من نواحي الجزيرة وظل يحاربه خمس سنوات حتى أرسل إليه المأمون عبد الله بن طاهر
فاستأذنه من حصنه وأمنته ثم أرسله إلى المأمون ، انظر جمهرة الأنساب ٢٩١ ، المعارف
٢٩٠ ، كامل ابن الأثير حوادث سنة ٢٠٩ هـ .
(٣) أورد الشريف المرتضى في أماليه ٤٢/٢ بيتين من الأبيات الثلاثة الآتية ضمن هذه القصة ،
ونسبهما لروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة .
(٤) هو خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني ، أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي ،
ولاه المأمون مصر ثم الموصل ، مات في طريقه إلى أرمينيا لإخماد ثورتها سنة ٢٢٣ هـ ،
انظر الأعلام ٣٤٢/٢ والمراجع التي في هامشه .
(٥) البيتان في ديوانه ٧٠ نقلا عن أمالي المرتضى .

جزى اللهُ خيراً - والجزاءُ بكفّة -

بني السَّمَط أخذانَ السَّماحة والحمد^(١)
أثنائي وأهلي بالعراقِ جدّاهُم^(٢)
كما انقضَّ غيثٌ في تِهامةٍ أو تَجِدَ

(زيارة حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص)^(٣)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
أبو بكر محمد بن يعقوب الدينوري ، قال : حدثنا حَسَّانُ بْنُ أَبَانَ البجلي ،
قال : لما قدم سعد بن أبي وقاص القادسية أميراً أتته حرقة بنت النعمان بن
النضر في جَوَارٍ في مثل زِيَّها ، تَطْلُبُ صِلَتَهُ ، فلما وقفت بين
يديهِ ، قال : أيتكن حرقة ؟ قلن : هذه ، قال : أنت حرقة ؟ قالت : نعم ،
فما تكرارك استفهامي ؟ إن الدنيا دار زوال وإنها لا تدوم على حال ،
تنتقل بأهلها انتقالاً ، وتُعَقَّبُهُمْ بعد حال حالاً ، إنا كنا ملوكَ هذا
المَصْرِ قبلك ، يُجئني إلينا خَرْجُهُ ، ويُطِيعنا أهلُهُ ، مدة المدة وزمان
الدولة ، فلما أدبر الأمر وانقضى ، صاح بنا صائحُ الدهر ، فصُدِعَ عَصَانَا
وَشَقَّتْ مَلَأُنَا ، وكذلك الدهر يا سعد ، إنه ليس من قوم بحيرة إلّا والدهر
مُعَقَّبُهُمْ عِبْرَةً ، ثم أنشأت تقول^(٤) :

فبينما تَسُوسُ الناصِ والأمرُ أمرنا إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نَتَنَصِّفُ

(١) في أمالي المرتضى : والمجد .

(٢) في أمالي المرتضى : هم وصلوني والمهامه بيننا .

(٣) يرد الخبر الثاني في هجته المجالين لابن عبد البر ٢/٢٩٠ ، كما يرد في معجم البلدان مادة
« دير هند » فقد ذكر ياقوت أن اسمها هند المشهورة بالحرقة ، كما ذكر أن هذه القصيدة
حدثت بينها وبين خالد بن الوليد رضي الله عنه .

(٤) البيتان بالإضافة إل المراجع السابقة في حساسة أبي تمام ١٤٣ ، والأول في معنى اللبيب
٥٢٤ ، واللسان ١١/٢٤٦ ، وفيه : نصفه إصناً ونصفه ينصفه نصفاً ونصافاً ونصافاً :
خده ٥ وتنتصف أي تخد ، قالت الحرقة الخ .

فَأَفْتُ لِلدُّنْيَا لَا يَدُومُ سُرُورُهَا تَقَلَّبُ قَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ
فَقَالَ سَعْدٌ : قَاتِلَ اللَّهِ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ^(١) كَأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا حَيْثُ
تَقُولُ :

إِنِّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةٌ فَاحْذَرْنَهَا لَا تَبِينَنَّ قَدْ أَمِنْتَ الشُّرُورَا
قَدْ بَيَّتَ الْفَقِي مُعَاْفَى فَبُرْزَا وَلَقَدْ كَانَ آمِنًا مَسْرُورَا
وَأَكْرَمَهَا سَعْدٌ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهَا فَلَمَّا أَرَادَتْ فِرَاقَهُ ، قَالَتْ : حَتَّى
أَحْيِيكَ نَجْمَةً أَمْلَأُكِهَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا : لَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ إِلَيَّ لَيْمٌ حَاجَةٌ ،
وَلَا زَالَ لَكَرِيمٍ عِنْدَكَ حَاجَةٌ ، وَلَا نَزَعَ مِنْ عَبْدٍ صَالِحٍ نِعْمَةً إِلَّا جَعَلَكَ سَبَبًا
لِرُدِّهَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا خَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ تَلَقَّاهَا نِسَاءُ الْمَيْصَرِ فَقُلْنَ لَهَا : مَا صَنَعَ
بِكَ الْأَمِيرُ ؟ قَالَتْ :

حَاطَ لِي ذِمَّتِي وَأَكْرَمَ وَجْهِي إِنَّمَا يُكْرِمُ الْكَرِيمُ الْكَرِيمَا

(المَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ يَعْرِضُ عَلَيْهَا الزَّوْاجَ فَتَرَفُّضُ)

وَقَدْ رَوَيْنَا بِإِسْنَادٍ لَمْ يَحْضُرْ إِلَّا وَلَعْلُهُ يَأْتِي فِيمَا بَعْدَ ، أَنَّ الْمَغِيرَةَ بْنَ
شُعْبَةَ خَطَبَ حُرَّةً هَذِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّمَا أُرِدْتُ أَنْ يَقَالَ : تَزَوَّجْ ابْنَةَ
النَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ وَإِلَّا فَأَنْتِ حَظٌّ لَأَعُورٍ فِي عَمِيَاءَ .

(أُمُّ جَعْفَرِ الْبَرَمَكِيِّ وَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهَا حَالَتُهَا مِنْ عِظَةِ وَعَبْرَةٍ)^(٢)

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الضَّرِيرُ
وَجْهَ الْمَرَّةِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي غَسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاضِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَاشَعِيِّ صَاحِبِ صَلَاةِ الْكُوفَةِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّي فِي يَوْمٍ

(١) الْبَيْهَقِيُّ التَّالِيَانِ فِي دِيْوَانِهِ : ٥٦ .

(٢) الْمَغْرِبُ التَّالِي فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ١٥٦/٧ يَنْقُلَانِ عَمَّا هُنَا

أضحى وعندها امرأة برزة ^(١) في أثواب دنسة رثة ، فقالت لي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، قالت : هذه عبادة أم جعفر بن يحيى بن خالد ، فسلمت عليها ورحبت بها وقلت لها : يا فلانة ! حدثني ببعض أمركم ، قالت : أذكر لك جملة كافية فيها اعتبار لمن اعتبر ، وموعظة لمن فكر ، لقد هجم عليّ مثل هذا العيد وعلى رأسي أربع مائة جارية ووصيفة وأنا أزعج أن جعفر ابني عاق بي ، وقد أتيتكم في هذا اليوم والذي يقنعني جلد شاتين أجعل أحدهما شعاراً والآخر دناراً .

(زُبَيْرِي يَقْتُ بِهَاشِم)

حدثنا إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع أبو إسحاق السبيعي ، قال : حدثنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : لما قال الزبيري للرشيذ فيما أغراه بيحيى بن عبد الله بن حسن وعند الرشيذ يحيى ، فقال : إن هذا يخبرني عنك بأمور إن صحّت وجب عليّ تأديبك وإن أتى التأديب على نفسك . قال يحيى : يا أمير المؤمنين ! إنما الناس نحن وأنتم ، فإن خرجنا عليكم فيما أكلم وأجتمعتونا ، ولبستم وأعريتمونا ، وركبتم وأرحلتمونا ، فوجدنا بذلك مقالاً فيكم ووجدتم بخروجنا عليكم مقالاً فينا يتكافأ فيه القول ، ويعود أمير المؤمنين فيه على أهله بالفضل ، يا أمير المؤمنين ! فلم تجرئ هذا وضرباؤه على أهل بيتك ؟ يسعى بهم عندك ، والله ما يسعى بنا إليك نصيحة منه لك ، وإنه ليأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا ، يريد أن يباغذ بيننا ويشتفي من بعض ببعض ، والله يا أمير المؤمنين إنه للخائن بن الخائن ، يسقط بين اللحاء والقضيب ، يريد أن يوهنهما جميعاً حسداً وبغياً وغلاً ، ثم التفت إلى الزبيري متمثلاً بقول الشاعر :

وقد يسودّ عصرُ السوءِ مثلكم
وقد يعودُ رموسُ الناسِ أذنانا

(١) امرأة برزة : أي تركت الحجاب وجالت الناس .

وقد قال بعض أهلك :

أليس من القاء الزمان على استه
إذا ما رآهم كأن همزاً ولا مزاً
لأعراضهم مئيناً وبغيماً لحازماً

قوله : بقت معناه ينيم ، وقال : « لا يدخل الجنة قتات »^(١)
وروى عن النبي ﷺ أنه لعن القتات يعني النمام .

(رجاء يرجىء ما أمر به)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو الفضل أحمد بن
أبي طاهر ، قال : مدحت الحسن بن مخلد^(٢) فأرسل إلي أني قد أمرت لك
بمائة دينار ، فالحق رجاء^(٣) ، فلقيت رجاء فقال : لم يأمرني بشيء ،
فكتبت إليه :

أما رجاء فأرجى ما أمرت به
بأمر بحدوثه فأتى
وكيف إن كنت لم تأمره بأمر
فليس في كل حال أنت مقتدر

-
- (١) الحديث الشريف أخرجه البخاري ومسلم عن حليفة ، انظر البخاري كتاب الأدب ، باب « ما يكره من التهمة » ٥٥ / ٢١/٨ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان غلط تحريم التهمة » : ٧١/١ .
- (٢) الحسن بن مخلد بن الجراح ، كان يخلف إبراهيم بن العباس الصولي حل ديوان الصلياح في عصر المتوكل ، ثم صار وزيراً لعمه ، انظر إعتاب الكتاب ١٥١ ، ١٦٢ .
- (٣) هو رجاء بن أبي الفجاءة ، كان حل الخراج في خلافة المعتصم وكان شاعراً ، انظر الفهرست لابن النديم ٢٣٦ ، تهذيب ابن عساكر ٣١٦/٥ .

المجلد السابع عشر

(حديث : فليقل خيراً أو لينصت)

حدثنا محمد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عمر القاضي ، قال : حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري ، قال : حدثنا مهمل بن سعيد ، قال : حدثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو لينصت » .

قال القاضي : هذا حديث غريب ، والأخبار متظاهرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو لينصت » . وفي بعض الروايات : أو ليسكت ^(١) . ولما أملّ علينا أبو عمر هذا الخبر

(١) الحديث في البخاري ، كتاب الأدب ، باب « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » : ١٣/٨ ، وباب إكرام الضيف : ٣٩/٧ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخبر » : ٤٩/١ . هذا وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣/٢٧٠ - ٢٧٤ ، أن محمد بن معاوية النيسابوري أحد رواة الحديث الأول ، له روايات منكّرة عن الليث بن سعد وأبي عوانة وسليمان بن بلال وشريك بن عبد الله وغيرهم ، وقد أجمعوا على أنه متروك الحديث غير ثقة .

أقبل على من يليه كالمبتسم وإلى جنبه أبو بكر التيسابوري كالمتعجب المستغرب لهذه اللفظة ، ومعنى هذه الألفاظ تتفق .

وتحسّ منه ما ورد الخبر به من قوله : « رحم الله امرأةً تكلمت فغم أو سكت فسليم » .

وفي الكلام مما هو خير وصدق وعدل ، وحق الأجر والفائدة ، والغنيمة الباردة ، وفي الصمت في مواطن الصمت الراحة والسلامة ، والتزهد عما عاقبته المكروه والتندامة ، وقد ذكر في فضل النطق ومدح الصمت ثراً ونظماً ما يطول إتيانه ويكثر تعداده ، وليس هذا موضع الإتيان به ، وجملة القول أن لكل واحد من الأمرين موضعاً هو فيه أولى من صاحبه ، وقد يعتدلان في بعض الأحوال ويتقاربان ، وإن كانا في بعضها يتفاوتان ويتفاضلان . وقد حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقيقي قال : حدثنا الحسن بن عمر السبيعي ، قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : الصبر هو الصمت ، والصمت هو الصبر ، ولا يكون المتكلم أروع من الصامت إلا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه .

(خالد بن الوليد وعبد المسيح بن عمرو الغساني في فتح الحيرة)^(١)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا العكلي ، قال : حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا هشام بن محمد بن السائب ، عن عوانة بن الحكم ، وشرقي بن قطامي وأبي عَنُف قالوا : لما انصرف خالد بن الوليد من اليمامة ، وضرب عسكره على الجُرعة^(٢) التي بين الحيرة والنهر ،

(١) انظر الخبر التالي في البيان والتبيين ١٤٦/٢ ، والمعمرين ٤٧ ، وأمالى المرتضى ٢٦٠/١ ، مع اختلاف في ألفاظ الرواية .

(٢) الجرعة : الأرض ذات الخزونة تشاكل الرمل .

وَيَحْصَنُ مِنْهُ أَهْلُ الْحَيْرَةِ فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ ^(١) وَقَصْرَ ابْنِ بَقِيلَةَ ^(٢) وَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَقْدَرَتْ ، ثُمَّ رَمَوْهُ بِالْخَرْفِ مِنْ أَيْتِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ ضَرَارُ بْنُ الْأَزُورِ : مَا لَكُمْ مَكِيدَةً أَعْظَمَ مِمَّا تَرَى ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ : ابْعَثُوا إِلَيَّ رَجُلًا مِنْ عُمَّالِكُمْ أَسْأَلُهُ وَيُخْبِرُنِي عَنْكُمْ ، فَبَعَثُوا لَهُ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنِ عَمْرٍو بْنَ قَيْسِ بْنِ حِيَانَ بْنَ بَقِيلَةَ الْفَسَافِي ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ خَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ سَنَةٍ ، فَأَقْبَلَ بِمَشْيٍ إِلَى خَالِدٍ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : مَا لَكُمْ أَخْزَأَ اللَّهُ بَعَثُوا إِلَيَّ رَجُلًا لَا يَفْقَهُ ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ : أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَقَالَ خَالِدٌ : قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِغَيْرِ هَذِهِ التَّحِيَّةِ ، بِالسَّلَامِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ خَالِدٌ : مَنْ أَنْتَ أَقْصَى أَثْرُكَ ؟ قَالَ : مَنْ ظَهَرَ أَبِي . قَالَ : مَنْ أَينَ خَرَجْتَ ؟ قَالَ : مَنْ بَطْنِ أُمِّي . قَالَ : عَلَى مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : عَلَى الْأَرْضِ . قَالَ : فِيمَ أَنْتَ وَبِحُكِّ ؟ قَالَ : فِي ثِيَابِي . قَالَ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَأَقِيدُ ، قَالَ : ابْنُ كَمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : ابْنُ رَجُلٍ وَاحِدٍ . قَالَ خَالِدٌ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ وَيَنْحَوِي فِي غَيْرِهِ ، قَالَ : مَا أَجِيبُكَ إِلَّا عَمَّا سَأَلْتَ عَنْهُ : فَاسْأَلْ عَمَّا يَدُلُّكَ ، قَالَ : كَمْ أَتَى عَلَيْكَ ؟ قَالَ : خَمْسُونَ وَثَلَاثَةَ سَنَةٍ ، قَالَ : أَخْبِرْنِي مَا أَنْتُمْ ؟ قَالَ : عَرَبٌ اسْتَنْبَطْنَا وَنَبَطٌ اسْتَعْرَبْنَا ^(٣) ، قَالَ :

(١) القصر الأبيض من قصور الحيرة ذكر بالفتوح أنه كان بالرقعة ، وقال ياقوت : أظنه من أبنية الرشيد ، وجد على جدار من جدرانه مكتوباً : حصن عبد الله بن عبد الله ولاسر ما كتبت نفسي وغيببت بين الأسماء اسمي في سنة ٣٠٥ هـ الخ ، انظر معجم البلدان ١٠٦/٥ .

(٢) هو قصر بني بَقِيلَةَ ، ببناء بالحيرة ، وأُنشئ السجستاني والمرقسي لعبد المسيح :

لقد بنيت للحدثان قصرًا لو أن المرء تنغمه الحصون
رفيع الرأس أقص مشمخراً لأنواع الرياح به حنين

(٣) التبط : قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين : أصلهما آرامي والأخر عربي ، كانت لهم دولة في القرن السابع قبل الميلاد ، وسقطت في القرن الثاني بعد الميلاد ، وأمدت أملاكهم من الجزء الجنوبي الشرقي من فلسطين إلى رأس خليج العقبة ، وكانت عاصمتهم =

فحرباً أنتم أم سلّمْ ؟ قال : بل سلّمْ . قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها لتحبس السفه حتى ينهّاه الحليم ، قال : ومعه سَمّ ساعة يقلّبه في يده ، فقال له : ما هذا معك ؟ قال : هذا السم ، قال : وما تصنعُ به ؟ قال : أتيتُك فإن رأيت عندك ما يسرني وأهل بلدي حمدت الله تعالى ، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ضيماً وبلاءاً فأكله وأستريح ، وإنما بقيتُ من عمري اليسير ، فقال : هاته فوضعه في يد خالد ، فقال : بسم الله وبالله ربّ الأرض ورب السماء ، الذي لا يضرُّ مع اسمه داء ، ثم أكله فتجلّته غَشِيّة ففُضِرَ بِلَقْنِهِ على صدره ثم عرق وأفاق ، فرجع ابن بَقِيلَةَ إلى قومه ، فقال : جئتُ من عند شيطان أكل سَمّاً ساعة فلم يَضرَّهُ ، أخرجوهم عنكم ، فصالحوهم على مائة ألف ، فقال له خالد : ما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تخرج إلى الشام في قُرى متواترة ما تزودُ رقيقاً ، وقد أصبحت خراباً يباباً ، وكذلك دأب الله في العباد والبلاد ، وقال عبد المسيح حين رجع :

أبعد المُتَنَدِرِينَ أرى سَوَامَا	تَرَوُّحُ بِالْخَوَرِيقِ وَالسَّادِسِرِ (١)
تَحَامَاهَا فَوَارِسُ كُلِّ حَسِيٍّ	تَخَافَةُ ضَمِيغِمْ عَالِي الرُّثِيرِ
وبعد فوارس النعمان أروعى	رياضاً بين ذروة والخفير (٢)
فصرنا بعد هلك أبي قبيس	كنث الشاء في اليوم المطير
تَقَسَّسَهَا الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ	عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ (٣)

== سلح أي الصخرة ، وهي التي سماها اليونان بطرة ، وسماها البلاد كلها « آريابطره » أي بلاد العرب الصخرية . والنبط أيضاً : المشتغلون بالزراعة .
انظر المعجم الوسيط .

- (١) السوام : الرعاة ، والخوَرِيق والسدير : قصران كانا بالحيرة زمن المناذرة .
(٢) الرواية في المميرين : بين مرة والخفير ، وفي أمالي المرتضى : مراعي ثمر مرة ، وانظر معجم البلدان في هذه المادة .
(٣) أيسار الجزور : قطعه للمقصة يقال : يسر القوم البحر : إذا جزروه ، وقطعوه بينهم .

وكنّا لا يباح لنا حرّيم^١ فنحن كضرة الناب الفخّور
كذلك الدهر دولته سجال^٢ تصرّف بالتساقط والسُرور

قال القاضي : قول عبد المسيح لخالد لما سأله ما أنتم ؟ قال : عرب
استنبطنا ونبط استعربنا ، معناه أنا عرب ونبط خالط بعضنا بعضاً وجاوره ،
فأخذ كل فريق منا من خلّاتق صاحبه وسيرته .

حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرجال الصالحى ، قال :
حدثنا العباس بن محمد الدوري ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا
فضيل الخياط ، عن جعفر بن أبي جعفر : أنه كان يتعوذ من النبط إذا
استعرب والعربي إذا استنبط ، فقيل له : كيف يستنبط العربي ؟ قال :
يأخذ بأخلاقهم ويتأدّب بأدابهم .

(خير الغضبان بن القتيعة مع الحجاج)^(١)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا

(١) الغضبان بن القتيعة الشيباني ، كان من زعماء مروانية أهل العراق الذين كان عبد الملك
يرعى جانبهم ، انظر الطبري ١٨٤/٧ ، وانظر نص الخطاب الذي أرسله معه الحجاج في
الكمال للمبرد ٨٣/٢ .

ويلاحظ أن المبرد ذكر أن الكتاب كان مرسلًا إلى قطري بن الفجاءة على حين يذكر
المؤلف هنا أنه إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأعمش .

انظر أيضاً الخبر الوارد كما هنا في ثمرات الأوراق ٢٣٢/٢ ، عل أنه من الملاحظ أن
القصة كما وردت يصورتها هنا تنوزع عناصرها على قصص شتى في مختلف المراجع سوف
نشير إليها عند كل عنصر ، وثمة صورة أخرى للقصة ساقها الميداني في مجمع الأمثال ٧٧/٢
مؤداهما أن الغضبان كان مع عبد الله بن الجارود حين غلب هو وأهل البصرة الحجاج
وانتهبوه ، وقال سينتد كلته الشهيرة : يا أهل العراق تمشوا إلحدي قبل أن يفتداكم ،
فلما قتل الحجاج ابن الجارود أخذ الغضبان وجماعة من نظرائه فحبسهم وكتب إلى عبد الملك
بقتل ابن الجارود وأخذهم ، فأرسل عبد الملك عبد الرحمن بن سمود الرازي وأمره أن
يؤمن كل غائب وأن يخرج المحبوسين فأرسل الحجاج إلى الغضبان فلما دخل عليه قال له =

أحمد بن عبيد بن ناصح ، قال : حَدَّثْتُ أَنَّ الْحِجَاجَ بْنَ يَوْسُفَ بَعَثَ
الغَضْبَانَ بْنَ الْقَبْرِثِي لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ وَهُوَ
بِكَرْمَانَ ، وَبَعَثَ عَلَيْهِ عَيْنًا وَكَانَ كَذَلِكَ يَفْعَلُ ، فَلَمَّا انْتَهَى الْغَضْبَانُ إِلَى
عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : شَرٌّ ، تَعَدَّ بِالْحِجَاجِ قَبْلَ أَنْ
يَتَعَثَّى بِكَ ، وَانصَرَفَ الْغَضْبَانُ فَتَزَلَّ رَمْلَةً كَرَمَانَ وَهِيَ أَرْضٌ شَدِيدَةٌ
الرَّمْضَاءُ ، فَبِينَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ عَلَى
فَرَسٍ لَهُ يَسْقُودُ نَاقَةً ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ ، قَالَ الْغَضْبَانُ : السَّلَامُ كَثِيرٌ
وَهِيَ كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : أَخَذَ . قَالَ :
أَفْتَعِطِي ؟ قَالَ : لَا أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي اسْمَانُ ، قَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبِلْتِ ؟
قَالَ : مِنَ الذَّلُولِ ، قَالَ : وَأَيْنَ تَزِيدِ ؟ قَالَ : الْمَشْيَ فِي مَنَاكِبِهَا ، قَالَ :
مَنْ عَرِضُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : عَرَضُ الْمُتَقَوْنَ . قَالَ : فَمَنْ سَبَقَ ؟ قَالَ :
الْفَائِزُونَ ^(١) ، قَالَ : فَمَنْ غَلَبَ ؟ قَالَ : حَزَبُ اللَّهِ ، قَالَ : فَمَنْ حَزَبُ
اللَّهِ ؟ قَالَ : هُمُ الْغَالِبُونَ ، قَالَ : فَعَجِبَ الْأَعْرَابِيُّ مِنْ مَنْطِقِهِ ، قَالَ : أَمَا
تَقْرَضُ ؟ قَالَ : إِنَّمَا تَقْرَضُ الْقَارَةَ ، قَالَ : أَسْمَعُ ؟ قَالَ : إِنَّمَا تَسْمَعُ
الْقَيْنَةَ ، قَالَ : أَفَتَشُدُّ ؟ قَالَ : إِنَّمَا تَشُدُّ الضَّالَّةَ ، قَالَ : أَفَتَقُولُ ؟ قَالَ :
إِنَّمَا يَقُولُ الْأَمِيرُ ، قَالَ : أَفَتَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : كُلُّهُ مُتَكَلِّمٌ ، قَالَ : أَفَتُنْطَلِقُ ؟
قَالَ : إِنَّمَا يَنْطَلِقُ كِتَابُ اللَّهِ ، قَالَ : أَسْمَعُ ؟ قَالَ : حَدَّثَنِي أَسْمَعُ ، قَالَ :

= الْحِجَاجُ : إِنَّكَ لَسَمِينٌ ، فَقَالَ الْغَضْبَانُ : مَنْ يَكُنْ غَنِيْفَ الْأَمِيرِ يَسْمَنُ ، فَقَالَ : أَأَنْتَ
قُلْتَ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ : تَشْتَوِ الْخَيْلَ قَبْلَ أَنْ يَتَنَادَكُمُ قَالَ : مَا نَفَعْتُ قَائِلَهَا وَلَا شَرْتُ مِنْ
قِيْلَتِ فِيهِ ، فَقَالَ الْحِجَاجُ : أَوْ فَرَقًا خَيْرٌ مِنْ حُبِّ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، فَغَضِبَ فِي مَوْضِعٍ :
رَهْبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَحْمَتِ أَيٍّ لِأَنَّهُ يَفْرُقُ مِنْكَ فَرَقًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَحُبَّ .

(١) هَذِهِ الْإِجَابَاتُ كُلُّهَا مِنْ أَسْلُوبِ الْحَكِيمِ ، وَهُوَ أَنْ يَتْرَكَ جَوَابَ لَفْظِ السَّائِلِ إِلَى خَيْرٍ هُوَ
أَنْفَعُ ، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ أَتَتْ فِي كَلَامِ بِلَالٍ بْنِ رِيَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَقْبَلَ مِنْ جِهَةِ الْحَبَلَةِ
فَسَأَلَهُ رَجُلٌ : مَنْ سَبَقَ ؟ فَقَالَ : سَبَقَ الْمُقْرَبُونَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا سَأَلْتُكَ عَنِ الْخَيْلِ ، قَالَ :
وَأَنَا أَجِيبُكَ عَلَى الْخَيْرِ . انْظُرْ الْبَيَانَ ٢٨٢/٢ ، ١٦٠/٣ ، وَتَدَبَّرِ الْقَوْلَ إِلَى عَامِرِ بْنِ
عَبْدِ قَيْسٍ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٣٧/١ .

أَتَسْمَعُ ؟ قال : إنما تسجع الحمامة ، قال الأعرابي : تالله ما رأيت كاليوم قط ، قال : بلى ولكنك نسيت ، قال الأعرابي : فكيف أقول ؟ قال : لا أدري والله ، قال الأعرابي : كيف ترى فرسي هذه ؟ قال الغضبان : هو خير من آخر شر منه وآخر خير منه وأخر منه ، قال الأعرابي : لاني قد علمتُ ذلك ، قال : لو علمت لم تسألني ، قال ، قال الأعرابي : إنك لمنكر ، قال الغضبان : إنك لمعروف . قال : ليس ذاك أريد ، قال : فما تريد ؟ قال : أردتُ إنك لمعقل ، قال : أفتعقل بعيرك هذا ؟ قال الأعرابي : أفتأذن لي فأدخل عليك ؟ قال الغضبان : وراؤك أوسع لك ، قال الأعرابي : قد أحرققني الشمس ، قال : الساعة يفني عليك الفناء ، قال الأعرابي : إن الرمضاء قد آذنتني ، قال : بُلْ على قدميك^(١) ، قال : قد أوجعني الحر ، قال الغضبان : ما لي عليه سلطان ، قال الأعرابي : إني لا أريد طعامك ولا شرابك ، قال : لا تعرض بهما فوالله لا تلوقهما ، قال الأعرابي : سبحان الله ، قال : من قبل أن تطلع رأسك ، قال الأعرابي : أما عندك إلا ما أرى ؟ قال : بلى ، هيرأوتان أضرب بهما رأسك^(٢) ، فقال الأعرابي : الله ، قال : ظَلَمَك أحد ؟ فلما رأى الأعرابي ذلك قال : إني لأظنك مجنوناً ، قال الغضبان : اللهم اجعلني ممن يرغِب إليك ، قال : إني لأظنك حرورياً ، قال : اللهم اجعلني ممن يتخير الخير ، ثم قال له الغضبان : أهذا بعيرك يا أعرابي ؟ قال : نعم فما شأنه ؟ أرى فيه داء فهل أنت بائعه ومشتري ما هو شر منه . فولى الأعرابي وهو يقول : والله إنك

(١) وهذه العبارة مأخوذة مما ورد عن أزهري بن عبد الحارث وقد أتاه رجل من بني يربوع ، فقال : ألا أدخل ؟ قال : وراك أوسع لك ، قال : قد أحرققت الشمس رجلي ، قال : بل عليهما تبرداً ... إلخ ، انظر البيان ١٤٨/٢ ، وانظر جميع الأمثال ٣٧١/٢ .

(٢) وهذه تشبه ما ورد عن الحليفة وكان يرضي غنماً له وفي يده عصا فمر به رجل فقال : يا راعي الغنم ما عندك ؟ قال : عصاء من سلم ، يعني عصاء ، قال : إني ضعيف قال : للضعيفان أعددتها ، انظر البيان ١٤٧/٢ .

لمرح أحمق . فلما قدم الغضببان على الحجاج قال : كيف تركت أرض كرهاً ؟ قال : أصلح الله الأمير ، أرض ماؤها وشل ، وثمرها دقل^(١) ولصها بطل ، فالجيش فيها ضعاف ، إن كثروا فيها جاعوا ، وإن قلوا بها ضاعوا^(٢) ، فقال الحجاج له : أما إنك صاحب الكلمة التي بلغتني عنك حين قلت تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك ؟ قال الغضببان : أما إنها — جعلني الله فداءك — لم تنفع من قبلت له ، ولا تضر من قبلت فيه ، فأمر الحجاج به إلى السجن ، فلما ذهب به مكث فيه حتى إذا بنى الحجاج خضراء واسط أعجبتة كما لم يعجبه بناء قط فقال لمن حوله : كيف ترون قبتي هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ، ما بنى ملك قط مثلها ، وما نعلم للعرب مأثرة أفضل منها ، قال الحجاج : أما إن لها عيباً ، وسأبعث إلى من يخبرني به ، فبعث إلى الغضببان فأقبل يرسف في قيده ، فلما دخل عليه سلّم ، فقال الحجاج : كيف ترى قبّتي هذه ؟ قال : أصلح الله الأمير هذه قبة بنيت في غير بلدك لغير ولدك ، لا يسكنها وارثك ولا يلوم لك بقاؤها كما لم يثم هالك ولم يبق فان ، وأما هي فكان لم تكن ، قال : صدقت ، ردّوه إلى السجن فإنه صاحب الكلمة التي بلغتني عنه ، قال : أصلح الله الأمير ، ما ضرت من قبلت فيه ولا نفعت من قبلت له ، قال : أتراك تنجو مني لأقطعن يديك ورجليك ولأكون عينيك ، قال : ما يخاف وعيدك البريء ولا يقطع منك رجاء المسيء ، قال : لأقتلك إن شاء الله ، قال : بغير نفس ، والعفو أقرب للتقوى ، قال له الحجاج : إنك لسمين ، قال :

(١) الوشل : القليل ، والدقل : الضعيف الرديء .

(٢) وهذه العبارة مأخوذة بنصها مما روى عن عبد الله بن عمر أن عمر رضي الله عنه قال : من يخبرنا عن قنديل ، فقام رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، ماؤها وشل وثمرها دقل ولصها بطل ، إن كان بها الكثير جاعوا وإن كان بها القليل ضاعوا ، قال عمر : لا يسألني الله عن أحد بعثه إليها أبداً ، انظر حيون الأخبار ١٩٩/٢ ، وانظر ما يشبه هذا أيضاً في البيان ٢٨٥/١ .

لمكان القيد والرتبة ^(١) ومن يكن جارا الأمير ^(٢) يسمن . قال الحجاج
رُدُّوه إلى السجن، قال : أصلح الله الأمير ، قد أثقلني الحديد فما أطيق
المشي ، قال : احملوه لعنه الله ، فلما حملته الرجال على عواتقها قال :
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ ^(٣) ، قال :
أنزلوه أخزاه الله ، قال ﴿ اللَّهُمَّ أَنْزِلْنِي مَنْزِلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْمُنْزِلِينَ ﴾ ^(٤) ، قال : جرَّوه أخزاه الله ، قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِبُهَا
وَمُرْسَاها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٥) ، قال : ويحكم ، اتركوه فقد
غلبني بحُبِّه .

(معنى الوشل في اللغة)

قال القاضي : قول الغضبان في وصفه للحجاج كرماني : ماؤها وشل ،
يعني به الماء القليل كماء الأنهار الصغار والجداول التي ليست كالبحور
والأودية العظيمة يريد الخبر عن قلته كما قال الشاعر : ^(٦)

اقرأ على الوشَل السلام وقُلْ له كُلُّ المِشَارِبِ مُنْذُ فَقِدْتِ دَمِيمُ
وقال جرير :

إن الذين غدوا بلبسك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا ^(٧)

(١) الرتبة : الاتساع في المنصب ، وأول من قال : « القيد والرتبة » هو يزيد بن عمرو بن
الصق الكلابي ، وكان قد أسر في بني شاعر ، فلما رجع إلى قومه رجع بادئا وقد كان
شعيفا فسألوه مالك عدت بادئا ؟ فقال : القيد والرتبة ، انظر جميع الأمثال ١٠٠/٢ .

(٢) انظر هذه العبارة في عيون الأخبار ٨٠/١ ، ٣٢٥/٣ ، فصل المقال ٥٠

(٣) سورة الزخرف ، الآية ١٣ .

(٤) سورة يوسف ، الآية ٥٩ .

(٥) سورة هود ، الآية ٤١ .

(٦) البيت لأبي القتيق الأسدي ، انظر اللسان « وشل » : ٢٥٢/١٤ ، وقد ذكر أن الوشل
في هذا البيت اسم موضع يميته .

(٧) ديوانه ٤٧٦ ، والمعين : الظاهر .

وجمع الوشل أو شال ، كما قال امرؤ القيس :
عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَجَالٌ كَانَ شَأْنُهُمَا أَوْشَالٌ^(١)
وفسر قوم أو شال بأنه ما قطر من الجبل .

(جعفر بن محمد يزوج حسين بن زيد ويوصله إلى الثراء)

حدثنا محمد بن أحمد بن سعيد الكوفي ، قال : حدثني أحمد بن يوسف
ابن يعقوب بن حمزة بن زياد الجعفي ، قال : حدثني سليمان بن مقبل
أبو أيوب الهاشمي المدني ، قال : حدثني سلم بن جعفر الجعفري ، عن
حسين بن زيد ، أنه كان نشأ في حجر أبي عبد الله يعني جعفر بن محمد^(٢) ،
فلما بلغ مبالغ الرجال قال له أبو عبد الله : ما يمنعك أن تتزوج فتاة من
فتيات قومك ؟ قال : فأعرضت عن ذلك فأعاد علي غير مرة ، فقلت له :
من ترى أن أتزوج ؟ قال : كلُّكم بنت عبد الله الأرقط ، فإنها ذات جمال
ومال ، قال : فأرسلت إليها فثارت على رسولي وضحكت منه وتعجبت
كلَّ العجب لإقدامي وجرائتي على خطبتها ، فأتيت أبا عبد الله فأخبرته ،
فقال لمعتب : أتني بثوبين يَسْتَتِيحِينَ مَعْلَمِينَ^(٣) فأتي بهما فلبستهما ، ثم

(١) ديوانه ١٨٩ ، في الأصل : عَيْنِكَ ، وهي تخالف رواية النديان التي أثبتناها هنا ،
وإن كانت تصح على أنها مفعول لفعل علوف ، إلا أنها لما كانت مطلق قصيدة فقد رأينا
أن إثباتها بالرواية الشهيرة أول .
والسجال : جمع سجل ، وهو يعني أنها تصب سببا بعد صب ، وقوله : كان شأنهما ،
الفتون : ملاقي قبائل الرأس ، الواحدة قبيلة وشان ، والأوشال : جمع وشل : وهو الماء
القليل كما سبق القول .

(٢) هو أخو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ذكره ابن
قتيبة في المعارف ٢١٦ وذكر أنه أبو ميمونة زوج المهدي ، وله ولد ، أما جعفر بن محمد
فهو ابن عمه محمد بن علي بن الحسين ، وهو الإمام الكبير الحكيم الذي تنسب إليه فرقة
الجعفرية ، توفي بالمدينة سنة ١٤٦ هـ ، وله عقب ، انظر المعارف ٢١٥ .

(٣) أعلم الثوب : جعل له علما (سة) من طراز وغيره .

قال : تعرّض أن تمرّ قرب منزلها وتستسقي ماء واحرص على أن تعلم بمكانك ، قال : فوقفْتُ بالباب فعلمت مكاني ففتحت منظرًا لها فأشرفتُ علي وأنا لا أعرفها فنظرتُ إليَّ وقالت : تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه — قال القاضي : أكثر الكلام : تسمع بالمعيديّ لا أن تراه ، ثم انصرفتُ فأتيْتُ أبا عبد الله فأخبرته ، وكنتُ ربما غيبتُ عن المدينة أنصبتُ ، فقال لي : إذا شئتُ ، فغيبتُ عن المدينة أياماً ثم نزلتُ المدينة فإذا مولاةٌ لها قد أتتني ، فقالت : نحن نريد أن نَعْمُرَكَ للعُرْس^(١) وأنت تطلب الصيد وتضجعي للشمس^(٢) ، قد جئتُ طلبتُك غيرَ مرة ، وبعثتُ معي ألف دينار وعشرة أبواب وتقول لك : تقدّم إذا شئتُ فاخطبني وأمهرنيها ، فإن لك عندي عشرة جميلة ومواتاة ، قال : فغدوتُ فملكتهُ وبعثتُ إليها بالآلف الدينار وأمرتها بالتهبُّ ، ثم أتيتُ أبا عبد الله فأخبرته فقال : تهبّا للسفر وانظر من يخرُجُ معك من مواليك على جَبَلٍ عليه زادُك ، فسميتُ له الموالي ، فقال : إذا كان ليلة الخميس فادخلِ إلى مسجد النبي ﷺ فسلم على جدِّك وودِّعْهُ ينتظرك بعيرٌ زياد بن عبد الله ، ففعلتُ ما أمرني به ، فأتيته فأجده والقاسم بن إسحاق بن إبراهيم بن حسن ، فلما وقفتُ عليه أمر لي بشباب السفر وخلا في فقال : استشعر تقوى الله تعالى ، وأحدِث لكلِّ ذنب توبة ، للذنوب السرّ توبة وللذنوب العلانية توبة ، وامض لوجهك ، فقد كتبتُ لك إلى معن بن زائدة^(٣) كتاباً ، وغيبتُك في سفرك ثلاثة

(١) نمرڪ للعرس : أي نجعلك أهلاً له .

(٢) يضجى للشمس : يعصيه حرها .

(٣) ملكها : تزوجها .

(٤) هو من بن زائدة الشيباني ، أحد أجداد العرب وفرسانهم ، وكان في أيام بني أمية متقلداً بين الولايات ومستقلاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة القزاري أمير المراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وقتل يزيد هرب من غوغاء من المنصور ثم دخل بغداد في شعبة المنصور وصار من غوامسه ، ثم قتل بسجستان إذ كان والياً عليها سنة ثمان وخمسين ومائة . انظر الأغاني في غير موضع وتاريخ بغداد .

أشهر إن شاء الله ، فإذا قدمت صنعاء فانزل منزلاً ولا تحمل^(٥) على مَحْنٍ بأحد ، وتأت له أن تدخل عليه بإذن عام مع الناس ، فإذا دخلت عليه فعرّفه من أنت ، فإن رأيت منه جشوة أو نبوة فاغفرها وأعرض عنها ، فلذلك ستصيب منه عشرين ألف دينار سوى ما تصيب من غيره ، فخرجت حتى قدمت صنعاء ، ففعلت جميع ما أمرني به ودخلت عليه بإذن عام ، فإذا أنا به قاعداً وحده وإذا برجل جهّم الوجه مُحْتَضِبٌ بالسواد والناس سباطان^(٦) قيام ، فأقبلت حتى سلّمت عليه فردّ السلام ، فقال : من أنت ؟ فأخبرته بنسبي ، فصاح : لا والله ، ما أريد أن تأتوني ، ولَبَّابُ أمير المؤمنين أعوذُ عليكم من باي ، فقلت له : على رسلك ، أنا أستغفر الله من حسن الظن بك ، وانصرفت من عنده ، فأدركني رجل من أهل البلد فأخبرته خبري ، فقال : قد عَزَّصَكَ اللهُ خَيْرًا مما فاتك ، ثم بعث غلاماً فأناه بثلاثة آلاف دينار فدفعها إليّ ، وسألني عما أحتاج إليه من الكسوة فكتبها له ، فلما كان بعد العشاء دخل إلى صاحب المنزل فقال : هذا الأمير معن بن زائدة يدخل إليك ، فلما دخل أكبّ على رأسي ويدي ، ثم قال : سيدي وابن سادقي اعدلني فلّني أعرف ما أداري ، فلما قرّر قراره أعلمته بالكتاب الذي معي من أبي عبد الله فقبله وقرأه ، ثم أمرني بعشرة آلاف دينار ، ثم قال : أي شيء أقدمك ؟ فأخبرته خبري ، فأمرني بعشرة آلاف دينار أخرى وبعشرة من الإبل وثلاث نجائب برجالها وكسائي ثلاثين وثشيًا وغيرها وقال لي : جعلت فداك ، إني أظن أبا عبد الله متطلباً إلى قُدُومك ، فإن رأيت أن تُخَفَّ الوقفة وتحمي فعلت ، وودّ عني ، فتلومت^(٧) بعد ذلك أياماً ، وقضيت حوائجي ثم خرجت حتى قدمت مكة موافياً لعُمرة شهر رمضان ، فلّني لفي الطواف حتى لقيت

(٥) تحمل بفلان على فلانة بالشفاعة والحاجة أي اعتمد .

(٦) السباط : الصف ، يقال : سبى بين سباطين من الجنود وغيرهم .

(٧) تلوم : أي انتظر قضاء حاجته .

مَعْتَباً مَوْلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَسَأَلَتْهُ ، فَقَالَ : هُوَذَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَافَى وَإِنْ أَحْدَثَ مَا ذَكَرَكَ الْبَارِحَةَ ، فَمَضِيَّتُ حَتَّى آتَيْتُهُ فَبَسَلَمْتُ عَلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ وَقَبِلْتُ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : تَرَكْتُ مَعْنًا ؟ فَأَخْبَرْتَهُ بِسَلَامَتِهِ ، فَقَالَ : أَصَبْتَ مِنْهُ بَعْدَ مَا جَبَّهَكَ وَصَاحَ عَلَيْكَ عَشْرِينَ أَلْفًا سِوَى مَا لَقِيتَ مِنْ غَيْرِهِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، جَعَلْتَ فِدَاكَ . قَالَ : فَإِنَّ مَعْنَا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِكَ وَمَوَالِكَ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ لَكَ وَيَذْكُرُونَكَ فَمَرَّ لَهُمْ بِشَيْءٍ ، قُلْتُ : ذَلِكَ إِلَيْكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : فَأَعْطَهُمْ مَا رَأَيْتَ ، كَمْ فِي نَفْسِكَ أَنْ تُعْطِيَهُمْ ؟ فَقُلْتُ : أَلْفَ دِينَارٍ ، قَالَ : إِذَا تُجْجَفَ نَفْسُكَ ، وَلَكِنْ فَتَرَّقَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَخَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ لَمَنْ يَعْتَرِيكَ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَعَلْتُ ذَلِكَ ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَاسْتَخْرَجْتُ عَيْنِي بِذِي الْمُرَّةِ وَبِالْمَضِيقِ ^(١) بِالسَّقِيَا ، وَبَنَيْتُ مَنَازِلِي بِالْبَقِيعِ ، فَتَرَوْنِي أُوَدِّي شُكْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَوَلَدِهِ أَبَدًا ، وَضَمَمْتُ إِلَيَّ أَهْلِي وَرَزَقْتُ مِنْهَا عَلِيًّا وَالْحَسَنَ ابْنَيَّ وَالْبَنَاتِ .

(مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَتِمُّثَلُ عِنْدَ هَزِيمَتِهِ بِيَتِي شَعْرٍ)

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَبِي الْيَسَعِ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا زُبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَمْزَةَ ، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْ مُصْعَبٍ جُنْدُهُ ، قَالَ لَهُ أُوْدَّأُوهُ : لَوْ اعْتَصَصَتْ بَعْضُ الْقَلَاعِ وَكَاتَبَتْ مِنْ قَدْ بَعُدَ عَنْكَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ كَهَلِّ الْمُهْلَبِ وَابْنَةِ الْأَشْثَرِ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ فَلِذَا اجْتَمَعَ لَكَ مِنْ تَرْضَاهُ لَقِيتَ الْقَوْمَ بِأَكْفَأِهِمْ ، فَقَدْ ضَعُفَتْ جِدًّا وَاخْتَلَّ أَصْحَابُكَ . فَلَبِسَ سِلَاحَهُ وَخَرَجَ فِيمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَتِمُّثَلُ بِشَعْرِ قَبِيلٍ إِنَّهُ لِيَطْرِيفُ

(١) ذُو الْمُرَّةِ : قَرْيَةٌ بِوَادِي الْقَرْيِ ، وَقِيلَ هِيَ بَيْنَ غَشْبٍ وَوَادِي الْقَرْيِ ، وَوَادِي الْقَرْيِ : وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ ، انْظُرْ مَجْمَعُ الْبُلْدَانِ ١٢/٤ هـ ، ٨٧٨ ، وَالْمَضِيقُ : قَرْيَةٌ فِي لُحْفِ آفَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، الْمَجْمَعُ ٥٦٠/٤ .

العنبري ، وكان طريفُ العنبري يُعدُّ بألف فارس من فرسان خراسان :^(١)
 علام تقولُ السيفُ يُثْقِلُ عاتقي
 إذا أنا لم أركبْ به المركبَ الصَّعبا
 سأحْمِيكُمْ حتَّى أموتَ ومن يَمُتْ
 كَرِيحاً فلا تَوَمُّ عليه ولا عَتَبَا

(جمع القلعة قلاع خلافاً لابن الأعرابي)

قال القاضي : في هذا الخبر ، أنه قيل لمصعب : لو اعتصمت ببعض القلاع وهي جمع قلعة ، وهذا صحيح في القياس ومثله في قياس العربية رقة وراقب وعقبة وعقاب في أحرف كثيرة ، وقد جاء في الأخبار عن السلف الذين كلامهم حُجَّة في اللغة لسببهم اللحن ، وزعم ابن الأعرابي أن القلعة لا تجمع قِلاعاً ، والذي قاله خطأ من جهة السماع والقياس معاً ، وقد حكى القلاع في جمع القلعة عددٌ من علماء اللغويين منهم أبو زيد وغيره.

(نديم ينتقم من صاحب بيت المال)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عمرو بن محمد الرومي ، قال : كان على بيت مال المعتصم رجلٌ من أهل خراسان يكنى أبا حاتم ، فخرجت لي جائزةٌ فمطلني بها ، وكان ابنه قد اشترى جارية مغنية تسمى قاسم بستين ألف درهم ، قال : فعملت فيه شعراً وجلست لألعاب المعتصم

(١) المعروف أن طريفاً العنبري هذا كان من فرسان العرب في الجاهلية وذلك قبل فتح خراسان ، وهو طريف بن تميم بن ثامية من بني عدي من جندب بن النخبر ، وكان يسمى ملقى القناع إذ كان فرسان العرب في المواسم والبطوح وفي أسواق العرب يتقنون غمافة أن يعرفهم أعدائهم أما هو فلا ، وكان قد قتل شراييل الشيباني أخا حمصية ، وكان حمصية قد وافى عكاظ فمرف طريفاً وتوعد ، ثم قتله بعد ذلك في يوم مباحض ، انظر البيان ١٠١/٣ ، معاملة التنصيص ٧١/١ .

بالشطرنج في يوم الخمار ، وكان يشرب يوماً ويستريح يوماً فيلعب فيه
ونلعب بين يديه ، فجعلت أنشد :

لتنصفتني يا أبا حاتم أو لتصيرنَّ إلى حاكمٍ
فتمطي الحقَّ على ذلَّةٍ بالرغم من أنفك ذا الراغم
يا سارقاً مال إمام المدي سيظهر الظلم على الظالم
ستين ألفاً في شيراً قاسمٍ من عكِّ هذا الملك الفقيم

فقال له : ما هذا الشعر ؟ فتنازعت كأني أنشدته ساهياً ولجلجت ،
فقال : أعدده فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يُعفيني ، وإنما أريدُ أن
يحرص على أن يسمعه ، فقال : أعدده وذاك ، فأعدته ، فقال : ما هذا ؟
فقلت : أظن صاحب بيت المال مظل بعض هؤلاء الشعراء بشيء له فعمل
فيه هذا الشعر ، قال : فما معنى قاسم ؟ قلت : جارية اشتراها ابنه بستين
ألف درهم ، قال : وأراني أنا الملك التأمم صدق والله قاتل هذا الشعر ،
والله لو عرفته لوصلته لصدقه ، رجل مُملِك ولتيته بيت المال ليعيش
برزقه منذ ستين ، من أين لابنه هذا المال ؟ ثم قال لإيتاخ : قيد صاحب
بيت المال وابنه حتى تأخذَ منهما مائتي ألف درهم وول بيت المال غيره .

(حِكْم من كلام الخليل بن أحمد)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ ، قال : أخبرنا عبد الله محمد بن
المروزي بمرو ، قال : أخبرنا يحيى بن أكثم ، قال : أخبرنا النضر بن
شميل ، قال : سمعتُ الخليل بن أحمد يقول : التواني لإضاعة ، والحزم
بضاعة ، والإنصاف راحة ، واللجاج وكفاحة .

(ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

حدثنا الحسن بن علي بن زكريا البصري ، قال : حدثنا الهيثم بن عبد الله

الرماني ، قال : حدثني المأمون ، قال : حدثني الرشيد ، قال : حدثني المهدي ، قال : حدثني المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس ، قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : من الدَّهَاءِ حسنُ اللقاء .

(صحبة لطيفة)

حدثنا محمد بن القاسم الأتباري ، قال : حدثني أبي ، عن المغيرة بن محمد المهلهي ، قال : حدثني مروان بن موسى بن عبد الله المدني مولى عثمان بن عفان ، قال : حدثني موسى بن جعفر بن أبي نعيم مولى زريق ، قال : بعثني علي بن المهدي من مصر إلى الرشيد هرون أمير المؤمنين على البريد فلحقتهُ شيخاً في طريقي على دابة دميم ، فقال لي : يا هذا ، إن دابتي هذه قد أتميتني فهل لك أن أسايرك وتحبس عليّ ، فإن عندي والله ظاهراً وباطناً ، قال : قلت له : أفعل ، قال : فقلت له يوماً : أما ظاهرك فحسُنُ محادثتك وظرفك ، فما باطنك ؟ قال أغتني والله أحسنَ غناء في الأرض ، قال : فغفناي :

بزيب ألم قبل أن يرحل الرَّكب
وقلْ إن تَمَلَّيْنَا فما مَلَكِ القَلْبُ

قال القاضي : الشعر لنصيب .

• • •

المجلس الثامن عشر

(حديث : جالس الكبراء)

حدثنا إبراهيم بن حماد ، قال : حدثنا محمد بن يحيى الجنبسي ، قال :
حدثنا حسن بن قتيبة المدائني ، قال : حدثني عبد الملك بن حسين أبو مالك
النخعي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي جحيفة ، قال : قال رسول الله
ﷺ : « جَالِسُ الْكِبَرَاءِ ، وَسَائِلُ الْعُلَمَاءِ ، وَخَاطِبُ الْحُكَمَاءِ » .

حدثنا محمد بن سليمان بن محمد ، أبو جعفر الباهلي ، قال ، قال ،
حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الجرجاني ، قال : أخبرنا طلق بن غنام ،
قال : حدثنا أبو مالك ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي جحيفة ، قال :
قال رسول الله ﷺ : « جَالِسُوا الْكِبَرَاءَ ، وَخَالَطُوا الْحُكَمَاءَ ، وَسَاءَلُوا
الْعُلَمَاءَ » .

(تعليق المؤلف)

قال القاضي : وفي هذا الخبر إرشاد من النبي ﷺ أمته إلى مخالطة
ذوي الفضل في مخالطتهم ومعاشرتهم ، فحقيق على كل ذي لب
تقبل ذلك والرجوع إليه ، والعمل عليه ، ففيه امثال أمر النبي ﷺ والأنخذ

بسنته والتأدب بأدبه ، وفيه السلامة من مَعَرَّة الجُهاَل ، ومضرة الضلال ، واكتساب الآداب والقوائد ، وحيازة المصالح والمرشد ، وحسن الثناء والمحامد ، والأمن في العواقب ، والتتره عن المعايب ، ونسأل الله توفيقاً لما نغتنط به في ديننا ودنيانا وآخرتنا .

(عبد الملك يوجه نظر الحجاج إلى إسرائه ورد الحجاج عليه)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : أخبرنا أبو عبيدة ، قال : لما قتل الحجاجُ ابنَ الأشعث وصفت له العراقُ قَدَّم قيساً واتسع له في إنفاق الأموال ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفقُ في اليوم ما لا يتفقُ أمير المؤمنين في الأسبوع ، وتنفقُ في الأسبوع ما لا يتفقهُ أمير المؤمنين في الشهر ، عليك بتقوى الله في الأمر كله وكن لوعيدته تخشياً وتضرع ، ووفر خراج المسلمين وقيامهم ، وكن لهم حصناً ينجيهم ويمنع ، فكتب إليه الحجاج :

لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم	قراطيس تملئ ثم تطوى فتطبع
كتاب أتاني فيه لسين وغلظة	وذكرت والذكرى الذي اللب تنفع
وكانت أمور تعتريني كثيرة	فأرضخ أو أعتل حيناً فأمنع
إذا كنت سوطاً من عذاب عليهم	ولم يك عندي في المنافع مطعم
أرضى بذلك الناس أم يسخطونه	أم احمد فيهم أم ألام فأقعد
وكانت بلاداً جثتها حيث جثتها	بها كل نيران العداوة تلمع
فقايست فيها ما علمت ولم أزل	أصارع حتى كدت بالموت أصرع
فكم أرجفوا من رجفة قد سمعتها	ولو كان غيري طار مما يروع
وكنت إذا هموا بإلحدي هتاتيهم	حسرت لهم رأمي ولا أتقنع
فلو لم يزد عني صنديد منهم	تقسّم أعضائي ذئاب وأضيع

فكتب إليه عبد الملك : اعمل برأيك .

(الحجاج يؤمن الناس إلا أربعة)

حدثنا عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني علي بن الحسن بن موسى ، عن عبد الله بن حمد التيمي ، قال : حدثني محمد بن حفص ، عن عبيد الله بن عبد الله بن فضالة الزهراني ، قال : نادى منادي الحجاج بن يوسف يوم رستقا باذ^(١) : آمن الناس كلهم إلا أربعة : عبد الله بن الجارود وعبد الله بن فضالة^(٢) وعكرمة بن ربعي^(٣) وعبد الله بن زياد بن ظبيان^(٤) ، قال : فأتى برأس عبد الله بن الجارود فلم يصدق فرحاً به ، وقال : عمموه لي أعرفه فلاني لم أراه قط إلا معمماً فعمم له فعرفه ، فأمر المنادي فنادى : آمن الناس إلا ثلاثة : عبد الله بن فضالة وعبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن ربعي ، فأما عبيد الله بن زياد فإنه انطلق إلى عمان فأصابه الفالج بها فمات ، وأما عكرمة ابن ربعي فإنه لحقته خيل الحجاج في بعض سكك المريد فعضط عليهم فقتل منهم نيماً وعشرين رجلاً^(٥) ثم قتلوه ، وأما عبد الله بن فضالة فإنه أتى خراسان فلم يزل بها حتى ولي المهلب خراسان فأمر بأخذه حيث أصابه ، وقيل له : أكين ذلك ولا تبده فيحذر ويحرز^(٥) فأحرص على أسره دون قتله ،

(١) رستقباد : بلدة بنو اسبي دستور بلاد فارس ، وكان عبد الله بن الجارود المدي رأس مبد القيس واجتمعت عليه القبائل من أهل البصرة وأهل الكوفة فولوه أمرهم برستقباد ، فقاتلوا الحجاج فظفر بهم ثم أعاده فصلبه ، انظر الماروف ٣٣٩ .

(٢) الزهراني ، ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٤٨٤ بقوله : كان من رجال الأردن في دهره . (٣) هو عكرمة بن دحي بن عمير بن صبيح بن لؤي بن مائلة ، كان من أجواد الإسلام بل كان واحداً من ثلاثة أجواد بالكوفة ، الثاني عتاب بن ورقاء والثالث أسماء بن غارية ، وانظر المحبر ١٥٤ ، والمقد الفريد ١/٣٤٠ ، ٩٨/٦ ، وعمل كاتباً لبشر بن مروان بالكوفة ، انظر الأغاني ١٧٨/٧ .

(٤) هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي ، كان فاتكاً من الشجمان ، وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان ، وهو الذي قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك ، انظر الطبري ١٨٦/٧ .

(٥) يحرز : يمتنع ويحتمن .

قال : فبعث المهلب ابنه حبيبا أمامه فساق من سوق الأهواز إلى مرو على بغلة شهباء في سبع عشرة ليلة فأخذه غارا^(١) بمرو وهو لا يشعر ، ثم كتب إلى الحجاج يعلمه ذلك ، فجاء المغيرة بن المهلب إلى منزل حبة ابنة الفضل امرأة عبد الله بن فضالة وهي ابنة عم عبد الله ، فأرسل إليها أن حبيبا قد أخذ عبد الله ، وقد كتب إلى الحجاج يعلمه بذلك ، فإن كان عندك خير فشأنك وعولي علي من المال ما بدا لك ، فأرسلت إليه : لا ولا كرامة ، تقتلونهم وأخذ منكم المال ، هذا ما لا يكون ، فتحولت إلى منزل أخيها لأنها خولت بن مالك الراسبي وأرسلت إلى بني سعد فاشترى لها باب عظيم وألقته على الخندق ليلاً ثم جازت عليه فغشي عليها ، فلما أفاق قالت : إنني لم أكن أتعب ، فمضى أصابني هذا فشدوني وثاقاً ثم سيروا بي ، فخرجت مع خادمها وغلماها ودليلها ، لا يعلم بها أحد ، فسارت حتى دخلت دمشق على عبد الملك بن مروان ، فأتت أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ، وكانت أمها بنت ذؤيب بن حليمة الخزاعي ، قالت : يا أم أيوب قصدتك لأمر بهظي وغم كظمني وأعلمتها الخبر وقصت عليها القصة ، فقالت أم أيوب : قد كنت أسمع أمير المؤمنين يكثر ذكر صاحبك ويظهر التلظي عليه ، قالت : وأين رحلتي إليك ؟ قالت : سأدخلك مدخلًا وأجلسك مجلساً إن شفعت ففيه ، وإن رددت فلا تنصبي ، فلا شفاعة لك بعده فأجلسها في مجلسها الذي كانت تجلس فيه للدخول عبد الملك ليلاً ، وجلس أم أيوب قريباً منها فقالت لها : إذا دخل فشأنك ، فدخل عبد الملك ليلاً مغتراً^(٢) ، فلما دنا أخذت بجانب ثوبه ثم قالت : هذا مكان العائد بك يا أمير المؤمنين ، ففزع عبد الملك وأنكر الكلام ، فقالت أم أيوب : ما يفزعك يا أمير المؤمنين من كرامة ساقها الله عز وجل إليك ! فقال : عدت معاذاً ، فمن أنت ؟ قالت : تؤمن يا أمير المؤمنين من جنتك فيه من كان من خلق الله

(١) غارا : أي غافلاً .

(٢) مغترأ : غافلاً .

تعالى ممن تعرف أو لا تعرف ، ممن عظم ذنبه لديك أو صغر شامياً أو عراقياً أو غير ذلك من الآفاق ؟ قال : نعم ، هو آمن ، قالت : بأمان الله عز وجل ثم أمانك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، فمن هو أيتها المرأة ؟ قالت : عبد الله بن فضالة ، قال : أرسلني ثوبى أثبتك عنه ، قالت : أغدرأ يا بني مروان ؟ قال : لا ، أرسلني ثوبى أحذرك ببلاتني عنده وهو آمن لك ولعاذك قالت : فحدثني يا أمير المؤمنين ببلاتك عنده ، قال : ألم تعلمي أنني وليته السوس وجندي سابور^(١) وأقطعت كذا وكذا وفرضت له كذا ونوهت بذكره ورفعت من قدره ؟ قالت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، أفلا أحذرك ببلاته عندك ؟ قال : بلى ، قالت : أتعلم يا أمير المؤمنين أن داره هدمت ثلاث مرات بسببك لا يستتر من السماء بشيء ، قال : نعم ، قالت : أفتعلم يا أمير المؤمنين أنك كتبت إلى وجه أهل البصرة وأشرافها وكتبت إليه فلم يكن منهم أحد أجابك ولا أطاعك غيره ، قال : نعم ، قالت : أفتعلم أنه كان قبل زلته سيفاً لك على أعدائك وسلماً وبساطاً لأوليائك قال : نعم ، حسبك قد أجبت وأبلغت ، قالت : أفيلهب يوم من إسمائه بصالح أيامه وطاعته وحسن بلاته ، قال : لا ، هو آمن ، قالت : يا أمير المؤمنين إنه الدما وإنه الحجاج وإنه إن رآه قتله ، قال : كلا ، قالت : فالكتاب مع البريد يا أمير المؤمنين ، قال : فكتب لها كتاباً مؤكداً : إياك وإياه أجسن جائزته ورفده وخل سبيله ، ثم وجه به مع البريد ، ثم أقبل عليها فقال : ما أنت منه ؟ قالت : امرأته وابنة عمه ، قال : فضحك وقال : أين نشأت ، قالت : في حجر أبيه ، قال : فوالله لأنت أعرب منه وأفصح لساناً ، فهل معه غيرك ؟ قالت : نعم ، ابنة عبيد بن كلاب ،

(١) السوس : بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي ، انظر معجم البلدان ١٨٩/٢ ، وجندي سابور مدينة بخوزستان أيضاً بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه واسكنها سبي الروم . وطائفة من جنده ، وكانت مدينة حصينة واسعة بها التخل والزروع والمياه ، معجم البلدان ١٣٠/٣ .

قال : النميري ^(١) قالت : نعم ، وكذا وكذا جارية ، قال : فأنا أوليك طلاقها وعتق جواريه ، قالت : بل تهنيه نساءه كما هنأته دمه ، فأقبل على أم أيوب فقال لها : يا أم أيوب لانساء إلا بنات العم . ثم قال : أقيمي عند أم أيوب حتى يأتيك الكتاب بمحبتك إن شاء الله ، وقدم الكتاب وقد قدم به على الحجاج من خراسان ، فأقامه للناس في سراويل وقد كان نزع ثيابه قبل ذلك وعرضه على الناس في الحديد ليعرفوه ، فلما أمسى دعا به الحجاج فقال له عبد الله : أتأذن لي في الكلام ؟ قال : لا كلام سائر اليوم ، قال : فكساه وحمله وأجازه وخلّى سبيله ، وانصرف إلى أهله فسألهم عن حبة ، فأخبر بأمرها وقيل له : ما ندري أين توجهت ، ثم بلغه ما صنعت ، فكتب إليها : إنك قد صنعت ما لم تصنعه أننى فأعلميني بمقدمك أتلقتك ويتلقاك الناس معي ، فلم تعلمه حتى قدمت ليلاً وهو عند ابنة عبيد بن كلاب ، فقالت : لا والله لا يؤذن لي الليلة ، فلما أصبح ، أخبر بمكانها فأتاها .

(خبر الحجاج بن عبد الله الثعلبي مع عبد الملك)

حدثنا عدد من الشيوخ منهم محمد بن عبد الواحد أبو عمر ^(٢) هذا الخبر على لفظه ، قال : أخبرنا ثعلب ، عن عبد الله بن شبيب ، قال أخبرني

(١) ويسى أيضاً أبو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة التميمي ، انظر جمهرة أنساب العرب ٢٨٢ .

(٢) هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الطبري المعروف بفلان ثعلب ، وذلك لأنه صاحب الإمام أحمد بن يحيى ثعلب حتى لقب بذلك ، وهو أحد أئمة اللغة المكثرين من التصنيف ، وأمل من حفظه في اللغة نحو ثلاثين ألف ورقة ، من كتبه المطبوعة : المداخل والبشرات وجزء في الحديث والأدب ، توفي سنة ٣٤٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣٥١/٢ ، تذكرة الحفاظ ٩٦/٣ .

زير^(١) ، قال أخبرني عمي^(٢) ، قال : كان عبد الله بن الحجاج التلملي^(٣) من أشد الناس على عبد الملك بن مروان في طاعة ابن الزبير مع القيسية ، فلما قتل ابن الزبير أرسل عبد الملك يطلب عبد الله بن الحجاج فلم يظفر به ، فلما خاف عبد الله بن الحجاج أن يظفر به أقبل فدخل على عبد الملك في اليوم الذي يطعم فيه أصحابه فمثل بين يديه ثم ، قال :

منع الفرار فجئت نحوك هارباً جيش يمر ومقنب^(٤) يتلمع

فقال : أي الأخابث أنت ؟ فقال :

ارحم أصيبي هذيت فلهم حجل تدرج بالشرية جوع^(٥)

فقال : أجاع الله بطونهم ، فقال :

مال لهم فيمن يظن جمعتهم يوم القلب فحيز عنهم أجمع

فقال : أحسبه كسب سوء ، فقال :

(١) المقصود به الزبير بن يكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ، وهو عالم بالأنساب وأخبار العرب ، ولد بالمدينة وولى قضاء مكة ، وتوفي بها عام ٢٥٦ هـ ، له تصانيف كثيرة منها الموفقيات نسبة إلى الموفق العباسي وكان مؤدبه في سفره ، انظر تاريخ بغداد . ٤٦٧/٨ .

(٢) هو مصعب بن عبد الله الزبيري ، أبو عبد الله ، كان علامة بالأنساب غزير المعرفة بالتاريخ ، وكان ثقة في الحديث ... شاعراً ، ولد بالمدينة وسكن بغداد ، وتوفي بها سنة ٢٣٦ هـ ، له كتاب نسب قريش ، انظر طبقات ابن سعد ١١٧/٥ ، الكامل لابن الأثير . ٤٩/٤ .

(٣) هو عبد الله بن الحجاج بن محسن بن جندب المازني التلملي الخطافي .

(٤) المقنب : الجماعة من الفرسان والخيال ذوي المائة تجتمع للفارة .

(٥) الحجل جمع حجلة يفتح الحاء والجيم وهي طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم ، والشرية : موضع بين السليطة والربلة ، وقيل : إذا جاوزت النقرة وماوان تريد مكة وقمت في الشرية ، ولها ذكر كثير في أيام العرب وأشعارهم ، انظر معجم البلدان .

أدنو لرحمني وتقبل توبتي وأراك تدفعني فأين المدفع
قال : إلى النار ، فقال :

ضابت ثياب الملبسين ونفعهم عني فألبسني فتوبك أوسع
قال : فترع مطرفا^(١) كان عليه فطرحة عليه ، ثم قال له : آكل ؟
قال : كل . فلما وضع يده على الطعام قال : أمنت ورب الكعبة ، قال :
كن من كنت إلا عبد الله بن حجاج ، قال : فأنا عبد الله بن حجاج ،
قال : أولى لك .

وقد روى لنا هذا الخبر عن طريق آخر ، وفيه : أن عبد الله قال له :
لا سبيل لك إلى قتلي ، قد جلست في مجلسك وأكلت طعامك ولبست من
ثيابك^(٢) .

(من جود خالد بن عبد الله القسري)

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد الختلي ، قال : أخبرنا
أبو حفص يعني النسائي ، قال : وقرأت في كتاب عن عبد الملك بن قريب
الأصمعي ، قال : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري^(٣) ، فقال :
أصلح الله الأمير ، إني قد امتلحتك بيتين ولست أنشدكهما إلا " بعشرة

(١) المطرف بضم الميم أو كسرهما : رداء أو ثوب من خبز مربع ذو أصلام .
(٢) الثبر كما هنا في تهذيب ابن عساكر ٣٤٨/٧ ، وانظره مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية
في المفضليات ١١٠ ، ١١١ ، عيون الأخبار ١٠٣/١ ، ١٠٤ ، اللسان ١٣/١٥١ .
(٣) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ، أبو الهيثم ، أمير المراتين وأحد خطباء
العرب وأجوداهم ، يماني الأصل من أهل دمشق ، ولي مكة سنة ٨٩ هـ لوليد بن عبد الملك
ثم ولاء هشام المراتين الكوفة والبصرة سنة ١٠٥ هـ فأقام بالكوفة وعالت مدته ثم عزله
هشام سنة ١٢٠ هـ ، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه ، فسجنه يوسف
وعليه ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ ، انظر الأغاني ١٩/٥٣ ، ٦٤ ، تهذيب
ابن عساكر ٧٧/٥ - ٨٠ ، الكامل لابن الأثير ٢٠٥/٤ .

آلاف وخادم ، فقال له خالد : قل . فأنشأ يقول :

لزمت نعم حتى كأنك لم تكن
سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم
وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن
سمعت بها في سالف الدهر والأمم

فقال خالد بن عبد الله : يا غلام ! عشرة آلاف وخادماً يحملها .

ودخل عليه أعرابي : فقال : إني قد قلت فيك شعراً ، فأنشأ يقول :

أخالد إني لم أزرك لحاجة سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد إن الأجر والحمد حاجتي فأبهما أثنائي فأنت عماد

فقال له خالد بن عبد الله : سل يا أعرابي ، قال : وقد جعلت المسألة
إليّ أصلح الله الأمير ؟ قال : نعم . قال : مائة ألف درهم ، قال :
أكثر يا أعرابي ، قال : فأحطك أصلح الله الأمير ؟ قال : نعم ، قال :
قد حططتك تسعين ألفاً ، قال له خالد : يا أعرابي ما أدري من أي
أمريك أعجب ؟ فقال : له : أصلح الله الأمير : إنك لما جعلت المسألة إليّ
سألتك على قدرك وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحط حططت
على قدرتي وما أستأهله في نفسي ، فقال له خالد : والله يا أعرابي لا
تغلبني ، يا غلام ، مائة ألف . فدفعها إليه ^(١) .

(شعر لبشار بن برد في قينة) ^(٢) .

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا العباس بن الفضل
الربيعي ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : كانت بالبصرة

(١) انظر هذين الخبرين في تهذيب ابن عساكر ٧٠/٥ .

(٢) الخبر التالي في الأغاني ١٦٥/٣١ ، ومصادر المشاق ٢٩٣ .

لرجل من آل سليمان بن علي جارية ، وكانت محسنة بارعة الظرف والجمال ، وكان بشار بن برد صديقاً لمولاهما ومداحاً له ، فحضر مجلسه والجارية تغنيهم ، فشرب مولاهما وسكر ونام ونهض للانصراف من كان بالحضرة ، فقالت الجارية لبشار: أحب أن تذكر مجلسنا هذا في قصيدة مليحة وترسل بها إليّ على ألا تذكر فيها اسمي واسم سيدي ، فقال بشار وبعث بها مع رسوله إليها :

<p>وذا دل كأن الشمس صورتها (إن العيون التي في طرفها حور فقلت : أحسنت يا سؤلي ويا أملي (يا حبذا جبل الريان^(١)) من جبل قالت : فهلا قد نك النفس أحسن من (يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة فقلت : أحسنت أنت الشمس طالعة فأسمعنا غناء مطرباً هزجاً يا ليتني كنت تفاحاً تمخضه حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها فحركت عودها ثم انثنت طرباً أصبحت أطوع خلق الله كلهم فقلت : اطربينا يا زين مجلسنا فغنت الشرب صوتاً مؤثناً رصفنا</p>	<p>باتت تغني عميد القلب^(١) سكرانا قتلتنا ثم لم يحين قتلانا^(٢) فأسمعي جزاك الله إحسانا وحبنا ساكن الريان من كانا هذا لمن كان صب القلب حيرانا والأذن تعشق قبل العين أحياناً أضربت في القلب والأحشاء نيرانا يزيد حبا محباً فيك أشجانا وكنـت من قصب الرمان رمانا وكنـت في خلوة مثلت إنسانا تبدي الترم لا تخفيه كتماناً^(٤) نفساً لأكثر خلق الله عصياناً فغنتنا ، أنت^(٥) بالإحسان أولانا يُذكر السرور ويبيكي العين أحياناً</p>
--	--

(١) عميد القلب : مريضه ، يقال : قلب عميد إذا هده المشق وكسره .

(٢) هذا البيت والبيت الرابع لبرير بن عطية ، وقد ضمنهما بشار قصيدته .

(٣) الريان : جبل في ديار طبرستان لا يزال يسيل منه الماء ، وهو في مواضع كثيرة منها .

(٤) رواية الأغانى : تشكو به ثم لا تخفيه كتماناً .

(٥) رواية الأغانى : فهات إنك .

لا يقتل الله من دامت مودته والله يقتل أهل الغدر من كانا

قال القاضي : قول بشار في هذا الشعر : حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها ، على لفظ التذكير والريح مؤنثة ، وقد يكون فعل هذا في ضرورة الشعر وجعل الضمير الذي في « فأعجبها » عائداً على الريح وهي مؤنثة ، إما لأن تأنيثها ليس بحقيقي ، وإما لأنه أراد بقوله : ريحي نسيمي ونحوه ، وقد جاء في الشعر مثله كما قال الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل أبقالها ^(١)

وقد اختلف النحويون ^(٢) في الفرق بين التأنيث الحقيقي والتأنيث الذي هو غير حقيقي فقال بعضهم : التأنيث الذي هو حقيقي ما لا يطلق لفظه على مذكره لاختصاص مؤنثه بلفظه كامرأة وناق ، وأما التأنيث الذي ليس بحقيقي ، فكقولهم شاة للذكر من هذا النوع والأنثى ، كما قال الأعشى ^(٣) :

فلما أضاء الصبحُ قام مبادراً وكان انطلاق الشاة من حيث خيما

قيل إن الشاة ها هنا الثور ، وقوله دابةً وحيةً لذكرهما وأنثاهما ، وهذا مذهب الكوفيين ، فأما البصريون فيرون الفصل بين هذين التأنيثين ومقابلتهما من التذكيرين من قبل اختلافهما من جهة الفروع المختلفة فيهما ، كرجل وامرأة وجمل وناق وفئ وفتاة ، وفي تذكير بشار المضمّر في قوله « فأعجبها » وجه آخر حسن ليس فيه ما في الوجه الذي قدمنا ذكره من الضرورة ، وهو جائز مطّرد في النثر والشعر ، ولم أر أحداً ممن يتعاطى هذا الشأن من أهل العلم والأدب أتى به وهو أن يكون

(١) سبق البيت وشرحه في صفحة

(٢) انظر الإيضاح في مسائل الخلاف ١٤٠/١ .

(٣) البيت التالي في ديوانه ١٨٨ .

لما قال : وجدت ريحي فلم يستوله التأنيث متى رد الضمير إلى الريح لثلاث ينكسر الشعر ويفسد الوزن ردّه إلى الوجود ، كأنه قال : وجدت ريحي فأعجبها وجود ريحي ، واعتمد على دلالة الفعل الذي هو وجدت وعلى المصدر الذي هو وجود ، وهذا صحيح مستفيض في كلام العرب ، وقولهم : من كذب كان شرّاً له ، فدل قولهم كذب على الكذب ، وقد قال الله تعالى جده : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ﴾^(١) المعنى : لا تحسبن البُخل ، فدلّ يبتخلون على البخل ، ومن هذا الباب : قول الشاعر :

إذا نهي السفيه جري إليه وخالف والسفيه إلى خلاف^(٢)
أراد جرى إلى السّفه ، فدل قوله السفيه على السفه ، وهذا باب واسع جداً .

(عبّيد الله بن يحيى بن خاقان يتنبأ بالأحداث)

حدثنا علي بن محمد بن الجهم ، أبو طالب الكاتب ، قال : حدثني أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر ، قال : حدثني أبي ، عن أحمد بن إسرائيل ، قال : صيرتُ يوماً إلى عبّيد الله بن يحيى بن خاقان^(٣) فلما صرت في صحن الدار رأيته مضطجعاً على مُصلّاه مؤلياً ظهره باب مجلسه ، فهممتُ بالرجوع ، فقال لي الحاجب : أدخُلْ فإنه منتبه ، فلما سمع حِسِّي جلس ، فقلت : حَسْبُكَ نائماً ، قال : لا ، ولكني

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .

(٢) البيت دون نسبة في غزاة الأدب ٣٨٤/٢ ، وشرح الكافية ٤/٢ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ١٤٠/١ .

(٣) هو عبّيد الله بن يحيى بن خاقان ، أبو الحسن ، وزير من المقيمين في العصر العباسي ، استوزره المتوكل والمتحد ، وكان عاقلاً حازماً ، استمر في الوزارة إل أن توفي عام ٢٦٣ هـ ، انظر الطبري ٢٣٦/١١ ، الديارات ٨٢ ، المنتظم ٣٤/٥ .

كُنْتُ مُفَكِّرًا ، قلت : فيماذا أعزَّكَ الله ؟ قال : فكرتُ في أمر الدنيا وصلاحيها في هذا الوقت واستهوائها ودُرُور الأموال وأمنِ السبيل وعِزِّ الخلافة فعلمتُ أنها أَمَكْر وأَكْثَر وأَعْدَى من أن يدوم صفتاؤها لأحد ، قال : فدعوتُ له وانصرفت ، فما مضت أربعون ليلةً منذ ذلك اليوم حتى قُتِلَ المتوكل ونزل به من النقيي ما نزل .

(وتنبؤ آخر للإمام أبي جعفر الطبري)

حدثني بعضُ شيوخنا : أن بعضهم حدثه : أنه لما كان من خلعت المُقْتَدِر في المرة الأولى ما كان ، وبُوع عبد الله بن المعتز بالخلافة ، دخل على شيخنا أبي جعفر الطبري رضي الله عنه فقال له : ما الخبر ، وكيف تركت الناس ؟ أو نحو هذا من القول ، فقال له : بُوع عبد الله بن المعتز ، قال : فَمَنْ رُشِّع للوزارة ؟ قال : محمد بن داود بن الجراح ، قال : فمن ذُكِر للقضاء ؟ قال الحسن بن المثنى ^(١) ، فأطرق مَكِيًّا ثم قال : هذا أمرٌ لا يَمُ ولا يَنْتَظَم ، قال : قلت له : فكيف ؟ فقال : كل واحد من هؤلاء الذين سَمِيت مُتَقَدِّمٌ في معناه على الرتبة من أبناء جنسه ، والزمان مُدَبِّر والدُّنْيَا مُوَكَّلِيَّة ، وما أرى هذا إلاّ إلى اضمحلال وانتفاص ولا يكون لمدته طول ، فكان الأمر كما قال ، ورأيت صحة قوله في أسرع وقت ^(٢) .

(صدَّقه حين كذب وكذَّبه حين صدق)

حدثني شيخ من أهل بغداد بجسر الشَّهْرَوَان يُعرف بالقُدَّامِي ذهب عني اسمه ، وكان ذا أدب ومعرفة ، بإسنادٍ ذهب عني حفظه :

(١) صفة هذا الاسم هو : أبو المثنى أحمد بن يعقوب القاسمي ، كما ذكر في تاريخ الطبري

١٩٦/١٢ ، والفرج بعد الشدة ، وشرارات الذهب ٢٢٤/٢ .

(٢) أنظر هذا الخبر نقلًا ضا هنا في تاريخ بغداد ٩٩/١٠ ، معاهد التنصيص ١٤٧/١ .

أن إسحاق بن إبراهيم الطاهري^(١) ، قال لمحمد بن شجاع الثلجي^(٢) :
أريد أن تُوجّه إليّ رجلاً من أفاضل أصحابك أستكفيه شيئاً من أموري ،
قال : فأرسلتُ إليه بعضَ من كان يَلْزِمُ مجلسي ويأخذُ الفقه عني ، وله
دينٌ وعِلْمٌ فمضى إليّ ثم عاد إليّ فأخبرني أنه كَلّفه تفرقة مال دفعه
إليه فصرفه في وجوه البر ، فلما كان في العام القابل سأل إسحاق أيضاً
أبا عبد الله بن شجاع إنفاذ الرجل إليه ففعل ، فلما كان من الغد أرسل
الرجل إلى ابن شجاع يذكر أن إسحاق حبسه ، فارتاع لذلك وأتى إسحاق
فقال له : لم حبست صاحبتنا ؟ قال : هذا رجلٌ خائنٌ ، وكان ابن شجاع
قبل أن يَلْقَى إسحاق قد دخل على صاحبه في بحسه فسأله عن قصته ،
فقال له : أعطاني في العام الماضي عشرة آلاف درهم وقال : اصرفها في
ذوي الحاجة بها ، وفكرتُ في الذي آتيتُ فيها ، فحدّثتُ نفسي أن
أخذها لنفسِي وأسَدتُ بها خَلَّتِي وأنفقها على عِيَالِي وأرُمُ بها حالي ،
إذ كنتُ في عُسرةٍ وضيقٍ من المعيشة وعلى حدٍّ من الفاقة ، وقلت تارة :
إن كنتُ أصرفها فيما يَخْصُنِي موافقاً لجملة ما رسمه لي على طريقة من
الخيانة إذ لم يأمر لي بهذا المال ، فكان ما قاله يقتضي دفعه إلى غيري ، ثم
قلت : إن غيري إنما أَرْجَحُ أنه محتاجٌ أو مستحقٌ إلى ظاهر وطنٍ غالب ،
وأنا من صورة أُمري على يقين وعلم بالباطن ، وغَلَبتُ هذا على عزمي ،
فصرفتُ المال في صلاح شئونِي وقضاء ديوني والتوسعة على عِيَالِي ، ثم
رجعتُ إليه فقال لي : ما صنعت ؟ فأخبرته أنني أثبتُ بما كلفنيهِ وامثلتُ
أمره فيه ، فقال : امض جزاك الله خيراً ، فلما كان هذا العام أعطاني مثل

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي ، والي بغداد من قبل المأمون ، توفي سنة ٢٣٥ هـ ،
انظر المنتظم ٤٦/٥ .

(٢) محمد بن شجاع الثلجي ، حدث عن يحيى بن آدم وابنِ عليّ ووكيع ، وصحب الحسن بن
زيد اللؤلؤي ، إلا أنه كان رعيه الملقب في القرآن ، قال عنه أحمد بن حنبل : التلميذ
مبتدع صاحب هوى ، وبث الخليفة المتوكل إلى أحمد يسأله في تولية الثلجي القضاء ، فقال :
لا ولا على حارس ، توفي سنة ٢٦٦ هـ ، انظر المنتظم ٧٥/٥ .

نفسى لا عذر لك في أداء الأمانة واستفراغ الجهد والطاقة والنتزه عن
السفسفة أو الخيانة ، فأتمعت نفسى وأعملت فكري وكددت جسمي في
تحري أهل المسكنة وتوخي ذوي الحاجة حتى بلغت الغاية ، وصرفت المال
بأسره في هذه الطبقة ، ولم آخذ لنفسي منه مثقال ذرة ثم جثته فقال : ما
صنعت ؟ فأخبرته أنني أتيتُ ما أمرني به ، فقال : كذبت وأمرني إلى
السجن ، فقال له ابن شجاع : أهكلنا كان الأمر ؟ قال : نعم قال : فهل
كان غير هذا ؟ قال : لا ، قال ابن شجاع : فقلت لإسحاق : إن عندي
في هذا شيئاً أذكره لك ، وقصصت عليه القصة على وجهها ، فنكت في
الأرض وقال : قد صدق الرجل فيما ذكره وأمر بتخليته ، فقلت له :
كيف علمت بصدقه بعد ما كان منك ؟ قال : أمرتُ هذا جاري على
الإدغال ^(١) وخلاف الصّحة ، فإذا عوّلنا بمثل عملنا سكّنتنا إليه
وأحسنّا الظّنّ بعامله ، وإذا أتى ما يخالفه أنكرناه ونفرنا عنه ولم نصدق
صاحبه .

قال القاضي : حدثني الشيخ بهذه الحكاية بلفظ غير هذا عبّرت عنه
بلفظي ولم أحل بمعناه ، وبالله التوفيق .

• • •

(١) الإدغال : إفساد الأمر أو إدخال ما يفسده ويثقله فيه .

المجلس التاسع عشر

(ائتوني بسكين أشقه بينكما)

حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد أبو بكر النيسابوري ، قال : حدثنا أحمد بن حفص ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « بينا امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بأحدهما : فقالت هذه لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فتحاكتا إلى داود فقضى للكبرى ، فخرجتا إلى سليمان فأخبرناه ، فقال: ائتوني بسكين أشقه بينكما ، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها ، فقضى للصغرى به » (١) ، قال أبو هريرة : والله إن سمعتُ بالسكين قطُّ قبل ذلك اليوم وما كنتُ أقول إلا المدية .

قال القاضي : السكين والمدينة معاً اسمان لهذه الأداة التي تذيب

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن طريق أبي الزناد ٢/٣٢٢ ، ٣٤٠ ، وكذلك أخرجه البخاري عن أبي الزناد في كتاب الثرائف ، باب « إذا ادعت المرأة ابناً » : ١٩٤/٨ ، ١٩٥ ، ومسلم ، كتاب المساجد ، باب « بيان اختلاف المجتهدين » : ١٣٢/٧ .

الحيوان ويُشعر بها وهما موجودان في كلام العرب ، ولعلَّ أبا هريرة لم يعرف السكين ولم تكن من لغة قومه ، فأما المَدْيَةُ فمؤنثة بحرف التانيث الذي فيها وهو الهاء وجمعها مَدَى مثل زَبِيَّة ^(١) وزَبَى ورُقِيَّة ورُقَى وكُنِيَّة وكُنَى ، قال الشاعر :

من كل كوءاء سَحُوف إذا
جَفَّتْ من اللحم مَدَى الجَاوِرِ ^(٢)

وقد اختلف أهل العلم بالعربية في تذكير السكين وتأنينه ، فذكر بعضهم وأنكر تأنينه ، وأنه آخرون وأبوا تذكيره ، وأجاز فريق الوجهين معاً فيه ، وهذا أولى الأقوال بالصواب عندنا فيه ، لأنَّ أولي المعرفة بهذا الباب قد حَكَمُوا وأتوا بشواهد رَدُّوها فيها ، وأنا ذاكرٌ ما ورد في ذلك عنهم بمشيئة الله وتوفيقه .

قال أبو حاتم السجستاني : السكين تُذكر ، قال : وسألت أبا زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهما ممن أدركنا فكلُّهم يذكره وينكر التانيث ، قال : أنشدني الأصمعي للهذلي ^(٣) :

يُرى ناصحاً فيما بَدَأَ وإذا خَلَا
فذلك سِكِّينٌ على الخَلْبِ حَازِقٌ

وقال أبو هفان : قال أبو عمر الجرمي في تذكير حاذق : هذا كما

(١) الزببة : الرابية لا يملؤها الماء ، وسفيرة يشتوى فيها وينخبز ، أو حفرة في موضع عال تغطي فوهتها فإذا طمها الأسد وقع فيها ، الجمع : زَبَى ، وفي المثل : « بلغ السيل الزبى » يضرب للأمر إذا اشتد حتى تجاوز الحد .

(٢) البيت التالي للأعشى ، وهو في ديوانه ٩٥ ، والكوءاء : الناقة العظيمة ، والسحوف : السمينة التي يقشر اللحم عن ظهرها ، وفي الأصل : سحوق وهي تحريف .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلي ، انظر ديوان الهذليين ١/١٥١ ؛ واللسان ١١/٣٢٣ ، ١٨/٧٢ ، وتفسير القرطبي ٣٤٠٨ ، والحاذق : القاطع أو الماضي المجيد .

يقول شَفْرَة قاطع وحاذق ، وامرأة حائض وعافر ، قال أبو بكر بن الأتباري : وهذا عندي ليس بمثقلة ذلك ، لأن الحيض لا يكون إلا للنساء ، والحذقُ يكون للمذكر والمؤنث فلا بدّ فيه من الماء إذا وصف به المؤنث ، وهذا البيت يدل على تذكير السكين (١) .

قال القاضي : الذي ذكره ابن الأتباري في تذكير لفظ حائض من العلة هو مذهب أصحابه الكوفيّين ، وقد خالفه فيه البصريّون على اختلاف بينهم على تعيين العلة سوى أبي حاتم السّجستاني فإنه اختار فيه قول الكوفيّين ، ولشرح هذا موضع هو أولى به . ولو سلّم إلى ابن الأتباري اعتلاله في حائض لكان ما احتج به أبو عمر الجرمي من قولهم شفرة قاطع وحاذق كافياً فيما استدلّ به ولم يقلّ أبو بكر في هذا شيئاً ولا عرض للمعتل بظمن في اعتلاله ، وهذا يدلّ على لزومه لإياه وعجزه عن الانفصال منه ، وقد قالت العرب : امرأة عاشق وهذا مثل حاذق والعشق يكون للرجال والنساء .

وحدثنا أبو بكر الأتباري (٢) ، قال : وأخبرنا أبو العباس ، عن سلمة ، عن الفراء ، أنه قال : السكين ذكر وقد أنثت ، وأنشد في التأنيث :
فَعَيَّتْ فِي السَّامِ غَدَاةَ قُرٍّ يَسْكِينُ مَوْثِقَةَ النُّصَابِ (٣)
وأنشد في التأنيث أيضاً :

إِذَا أَعْرَضَتْ مِنْهَا عَنَّا^(٤) رَأَيْتَهُ
بِسَكِينِهِ مِنْ حَوَّلِهَا يَتَلَهَّفُ

(١) انظر كتاب المذكر والمؤنث لابن الأتباري .

(٢) النص التالي في المذكر والمؤنث لابن الأتباري ، وانظر اللسان ٤٧٦/٢ ، ٣/١٨ .

(٣) عيث : أثر ؛ وموثقة النصاب : أي موقوف بها يعتمد عليها .

(٤) العناق : الأثني من أولاد المميز والقم من حين الولادة إلى تمام الحول ، وأعرضت : سنت .

يلوذُ بها عن عينها لا يروعهما
كأنه من حوابعه الموت يُصَفُّ^(١)

وحدثنا ابن الأثيري ، قال : حدثنا عبد الله بن الحسن الخزاعي ،
قال : حدثنا يعقوب ، قال ابن الأثيري : وحدثني أبي ، عن محمد بن
الحكم ، عن اللحياني ، قال : السكين تذكر وتؤث ، قال اللحياني : لم
يعرف الأصمعي في السكين إلا " تذكر السكين وتأث السراويل " ،
وأشددنا عن ثعلب :

ادنُ إلى الشاة من خيارها
واخرج السكين من قمحجارها^(٢)
القمحجار : الغلاف ، فهذا شاهد التأنيث .

(ذكاء عبد الملك وعلمه)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا العكيلي ، عن
الحرمازي قال : أنشد رجل من جلساء عبد الملك أبيات أحبحة بن
الجلاح^(٣) :

استغنِ أو مت ولا يغتررك ذو نسب
من ابن عم ولا عم ولا خال

(١) الحوياء : النفس ، والرواية في المذكر والمؤنث ، حوابعها بدل حوابعه .

(٢) البيت في اللسان (قمر) .

(٣) أحبحة بن الجلاح الأوسي ، كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب
ابن هاشم تحبه ، وكانت شريفة لا تتكح الرجال إلا وأمرها يبعها ، فتركه لئيم كرهته
منه ، فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب ، وكان أحبحة حازماً شديد العقول ، وقد
حاول بيع ملك اليمين قتله فلم يتمكن منه ، وإلى جانب هذا كان كثير المال شحيحاً عليه ،
يبيع بيع الربا حتى كاد أن يحيط بأموال المدينة ، انظر أخباره في الأغاني ١١٤/١٣ -
١٢٢ ، الخزائن ٣٣/٢ ، وانظر أبياته التالية أيضاً في المقدم ٣٠/٣ ، عيون الأخبار
٢٤٠/١ معجم البلدان مادة « زوراء » .

يَلْتَوُونَ مَا عَنْدهُمْ مِنْ حَقِّ جَارِهِمْ
 وَعَنْ عَشِيرَتِهِمِ وَالْمَالِ بِالْوَالِي ^(١)
 وَاجْتَمَعَ وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا تَجْمَعُهُ
 وَلَا تُضَيِّعُهُ يَوْمًا عَلَى حَالٍ
 إِنِّي مَقِيمٌ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا
 إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْأَقْوَامِ ذُو الْمَالِ ^(٢)
 لَهَا ثَلَاثُ بَشَائِرٍ فِي جَوَانِبِهَا
 وَكُلُّهَا عَقِيبٌ تُسْقَى بِإِقْبَالِ ^(٣)
 كُلِّ النَّدَاءِ إِذَا نَادَيْتُ يَخْدُلْنِي
 إِلَّا تَدَائِلِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي
 مَا إِنْ يَقُولُ لَشَيْءٍ جِئْتُ أَفْعَلُهُ
 لَا أَسْتَطِيعُ وَلَا يَنْتَوُ عَلَى حَالٍ

فقال رجل من جلساء عبد الملك ، وما الزوراء يا أمير المؤمنين ، والله
 لو أرسلت فيها الأشقر ^(٤) ما ترك حوضاً ، فقال له عبد الملك : إن
 أبا عمرو كان من رجال قومه وكان يرى أنه عتّى هذا ، فعجب الناس من
 ذكاء عبد الملك ومن معرفته بكُنْيَةِ أَحِيحة .

• • •

-
- (١) يلون أي يحملون ، وفي الأصل يكون وهي تحريف ، ورواية المراجع : أقرهم بدل جارههم .
 (٢) الزوراء : أرض سميت باسم بئر فيها ، كان فيها للسلالة ناصح وهو البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء .
 (٣) العقب : آخر كل شيء ونهايته .
 (٤) الأشقر : أي فرسه الأشقر ، وفي الأغاني : لو طولت لأشقرك بئال عليها .

(قصة غريبة مما كان يرد على القضاة)^(١)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، فقال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال حدثنا داود بن محمد بن يزيد ، عن أبي عبد الله النجاشي ، قال : دخل ابن أبي ليلى^(٢) على أبي جعفر المنصور وهو قاض فقال له أبو جعفر : إن القاضي قد يرد عليه من طرائف الناس ونواديرهم أمور ، فإن كان ورد عليك شيء فحدثني ، فقد طال عليّ يومي ، فقال : والله لقد ورد عليّ — منذ ثلاث — أمرٌ ما ورد عليّ مثله ، أتتني عجوز تكاد أن تنال الأرض بوجهها أو تسقط من الخنثاء ، فقالت : أنا بالله ثم بالقاضي أن يأخذ بي بحقيّ وأن يعيشتي على خصمي ، قلت : من خصمك ؟ قالت : ابنة أخ لي ، فدعوتُ بها فجاءت امرأة ضخمة ممثلة فجلست منبهرة^(٣) ، فقالت العجوز : أصلح الله القاضي ، إن هذه ابنة أخي وأوصى إليّ بها أبوها ، فربيتُها فأحسن التربة ، ووليتها فأحسن الولاية ، وأدبته فأحسن التأديب ، ثم زوجها ابن أخ لي ، ثم أفسدته عليّ بعد ذلك زوجي ، فقلت لها : ما تقولين ؟ قالت : يأذن لي القاضي أن أسفر فأخبر بحجتي ؟ فقالت : يا عدوة الله تريد أن تسفري فتفتني القاضي بجمالك ، فقال : فأطرقت خوفاً من مقاتلتها ، وقلت : تكلمي ، فقالت : صدقت أصلح الله القاضي ، هي عمّتي أوصى بي إليها أبي وربتي فأحسنت ووليستني فأحسن وأدبني فأحسن ، وزوجتني ابن عم لي وأنا كارهة ، فأم أزل حتى عطف الله بعضنا على بعض واغتبط

(١) انظر هذه القصة في أخبار الأذكياء لابن الجوزي .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بن بلال بن بليل من أحمية بن الجلاح الأنصاري الأوسي ، ولد لست بقين من خلافة علي رضي الله عنه ، وأدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصار ، ولي القضاء لبني أمية ثم لبني العباس ، وكان من أصحاب الرأي ، وتوفي ابن أبي ليلى سنة ١٤٨ هـ ، انظر المعارف ٤٩٦ ، تهذيب التهذيب .

(٣) منبهرة : متعبة .

كل واحد منا بصاحبه ، ثم نشأت لما بُنِيَتْ فلما أدركت حَسَدْتُني على زوجي ودأبت في فساد ما بيني وبينه ، وحَسَنْتُ ابنتها في عينه حتى عَظِمَتْها وخطبها إليها ، فقالت : لا أزوجه حتى يجعل أمر امرأتك يدي ففعل ، فأرسلت إليّ : أي بنية إن زوجك قد خطب إلى ابنتي فأبيت أن أزوجه حتى يجعل أمرك في يدي ففعل ، وقد طلقك ثلاثاً ، فقلت : صبراً لأمر الله وقضائه ، فما لبثت أن انقضت عدتي فبعث إلي زوجها : إني قد علمتُ ظلم عمتك لك وقد أخلف الله عليك زوجاً فهل لك فيه ؟ قلت : من هو ؟ قال : أنا ، وأقبل يخطبني فقلت : لا والله حتى يجعل أمر عمتي في يدي ففعل ، فأرسلت إليها : إن زوجك قد خطبني فأبيت عليه إلا أن يجعل أمرك في يدي ففعل ، وقد طلقك ثلاثاً ، فلم يزل حياً حتى توفي رحمة الله عليه ، ثم لم ألبث أن عطف الله قلب زوجي الأول فتذكر ما كان من موافقتي إياه فأرسل إليّ : هل لك في المراجعة ، قلت : قد أمكنك ذلك ، فخطبني فأبيت إلا أن يجعل أمر بنتها في يدي ففعل ، فطلقها ثلاثاً ، فوثبت العجز وقالت : أصلح الله القاضي ، فعلتُ هذا مرة وفعلته هي مرة بعد مرة ، فقلت : إن الله تبارك وتعالى لم يَبْقُوتْ لهذا وقتاً ، وقال ﴿ وَمَنْ بُغِيَّ عَلَيْهِ لَيْسَ نَصْرُهُ لِلَّهِ ﴾ (١) .

(التعليق على الخبر)

قال القاضي : إن زوج العمة لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهي في حياله ، وأرى أن إلجارية أرادت أن يتولى التفريق بينه وبينها ، استيفاء منها ومجازاة لها على فعلها ، وقد رُوِيَ لنا هذه القصة عن طريق آخر وفيها مخالفة لهذه الرواية في السند والمتن معاً ، وأنا ذاكرها ليستوفي الناظر في كتابنا هذا الأمرين جميعاً بمشيئة الله وعونه .

(١) سورة الحج الآية ٦٠ .

حدثنا محمد بن داود بن سليمان التيسابوري ، قال : حدثنا أحمد بن جعفر بن محمد بن سهل السّامري بفلسطين ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد الإمام ، قال : حدثني محمد بن الحليل ، قال : أخبرني رُوح بن حرب السمسار ، قال : كنت في دار الطيالة فإذا الهيثم به عديّ^(١) حاضر ، قال : سمعت محمد بن أبي ليلى يقول : كنت يوماً في مجلس القضاء فوردت على عجوز ومعهما جارية شابة ، قال : فذهبت العجوز تتكلم قال : فقالت الشابة : أصلح الله القاضي ، مرّها فلتسكّنتُ حتّى أتكلّمَ بحُجّتي وحُجّتها ، فإن لحنتُ بشيء فلتردّ عليّ ، فإن أذنت لي فسفّرت ، قال : فقلت : أسفري ، قال : فقالت العجوز : إن سفّرت قضيت لها عليّ ، قال : قلت : أسفري ، فأسفّرت والله عن وجهه ما ظننت أن يكون مثله إلا في الجنة ، فقالت : أصلح الله القاضي ، هذه عمّتي ، مات أبي وتركني يتيمة في حجرها فربّني فأحسنّت التربية ، حتّى إذا بلغت مبلغ النساء قالت : يا بنية ! هل لك في التزويج ؟ قلت : ما أكره ذلك يا عمّة ، هكذا كان ؟ قالت العجوز : نعم . قالت فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترض لي إلّا رجلاً صيرفيّاً فزوجتني ، فكنّا كأننا ريحانان ما يظن أن الله تعالى خلّصت غيري ، ولا أظن أن الله عز وجل خلق غيره ، يتعدّو إلى سوقه ويروح عليّ بما رزقه الله ، فلما رأيت ابنة موقعه مني وموقعي منه حسدتُنا على ذلك ، قالت : فكانت لها ابنة فسوّقتها^(٢) وهياؤها لدخول زوجي عليّ فوقعت عينه عليها ، فقال لها : يا عمّة ! هل لك أن تزوجيني ابتك ؟ قالت : نعم بشرط ، قال لها :

(١) هو الهيثم بن علي بن عبد الرحمن الثعلبي الهالبي التجدي الكوفي، مؤرخ عالم بالأدب والنسب اختص بمجالسة المنصور والمهدي والمهدي والرشيدي وروى أخبارهم ، وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ، وأورد في بعض كتبه معانيهم وأظهرها فكرهه الناس لذلك وطعنوا في نسبه ، له من الكتب : ييوتات العرب وييوتات قريش ، ونسب طيبي ، ونزول العرب غراسان وغير ذلك ، توفي سنة ٢٠٧ هـ ، انظر معجم الأدباء ، لسان الميزان ٢٠٩/٦ .

(٢) سوقتها : لغة في زوتتها ، أي زيتتها وحسنتها .

وما الشرط ؟ قالت : تُصَيِّرُ أمر ابنة أخي إليّ ، قال : قد صيرتُ أمرها إليك ، قالت : فلإني قد طلقْتُها ثلاثاً بَتَّةً ، وزوجتُ ابنتها من زوجي ، فكان يغدو عليها ويروح كما كان يغدو علي ويروح . فقلت لها : يا عمة ! تأذنين لي أن أنقل عنك ، قالت : نعم ، فانتقلت عنها ، قالت : وكان لعمتي زوجٌ غائب فقدم فلما توسط منزله ، قال : مالي لا أرى ربيبتنا ؟ قالت : تزوجتُ وطلقها زوجها فانتقلت عنا ، فقال لها : علينا من الحق ما نُعزِّبُها بمصيبتيها ، قالت : فلما بلغني عييته تهيأتُ له وتَسَوَّقْتُ ، قالت : فلما دخل عليّ سلم وعزَّاني بمصيبتي ثم قال لي : إن فيّ بقيةٌ من الشباب فهل لك أن أتزوجك ؟ قلت : ما أكره ذلك ولكن على شرط ، قال لي : وايش الشرط ؟ قلت : تُصَيِّرُ أمر عمّتي بيدي ، قال : فلإني قد صيرتُ أمرها بيدك ، قلت : فلإني قد طلقْتُها ثلاثاً بَتَّةً ، قالت : وقدم بشكّله عليّ^(١) من الغد ومعه ستة آلاف درهم ، فأقام عندي ما أقام ثم إنه اعتلّ فتُوفِي ، فلما انقضتُ عِدَّتِي جاء زوجي الأول يُعزِّبُني بمصيبتي فلما بلغني عييته تهيأتُ له وتَسَوَّقْتُ ، فلما دخل عليّ قال : يا فلانة ! إنك لتعلمين أنك كنت أحبّ الناس إليّ وأعزهم عليّ ، وقد حلّ لنا الرجعة فهل لك في ذلك ؟ قلت : ما أكره ذلك ولكن تُصَيِّرُ أمر ابنة عمّتي بيدي ، قال : فلإني قد فعلتُ صيرتُ أمر ابنة عمّتك بيدك ، قلت : فلإني قد طلقْتُها ثلاثاً بَتَّةً ، أصلح الله القاضي ، فرجعت إلى زوجي ، فما استعداؤُها عليّ ، فقال ابن أبي ليلى : واحدةٌ بواحدة والبادي أظلم ، قومي إلى منزلك . قال ابن أبي ليلى : فحدثتُ الهادي^(٢) بذلك ، فقال : ويحك يا محمد ! ما سمعتُ حديثاً أحسن من هذا ، أنا أحبّ أن أحدث به الخيزران ، يعني أمه .

(١) الثقل : متاع المسافر .

(٢) هذا يتعارض مع الحقيقة من ناحية أن ابن أبي توني كما سبق القول عام ١٤٨ هـ والهادي تول الخلافة عام ١٦٩ هـ ، وتوفي بعد سنة وشهر أي عام ١٧٠ عن خمسة وعشرين عاماً فيبعد أن يكون القاضي قد حدثه بهذا إذ توفي والهادي عمره نحو ستين .

قال القاضي : رقصه هذا الخبر كنصه المقدم له في أنه لا يحل الجمع بين المرأة وعمتها في النكاح ، وأن التماس هذه الجارية من خاطبها تملكها طلاق عمتها وبناتها من حباله لما وصفنا أنها أرادت أن تشفي غيظها وتتولى التفريق بينها وبين زوجها بنفسها مقابلة لها على ما ابتدأتها به من إساءتها .

(أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي)

حدثنا محمد بن القاسم الأتباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن حسان ، قال : قال لي عمي : قدم محمد بن قحطبة ^(١) الكوفة فقال : أحتاج إلى مؤدّب يؤدّب أولادي ، حافظ لكتاب الله عز وجل ، عالم بسنة رسول الله ﷺ وبالأخبار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس فقيل له : ما يجمع هذه الأشياء إلا داود الطائي ^(٢) وكان محمد بن قحطبة ابن عم داود ، فأرسل إليه يعرض ذلك عليه ويُسّتي له الأرزاق والفائدة ، فأبى داود ذلك ، فأرسل بدرة ^(٣) عشرة آلاف درهم ، وقال له : استعن بها على دهرك ، فردها ، فوجه إليه بيلرتين مع غلامين له مملوكين ، وقال : إن قَبِيلَ البدرتين فأنتما حُرَّان . فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما فقالا له : في قبولهما عتق رقابتنا ، فقال لهما : إني أخاف أن يكون في قَبُولهما وهق رقبتي

(١) لعله صحة هذا الاسم حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي وليس حميد ، فقد ذكر ابن حزم في الجوهرة ٤٠٤ أن أولاد قحطبة هم : الحسن وحديد وعبد الله وشبيب وليس من بينهم من اسمه حميد ، وكان حميد هذا من قواد الدولة العباسية وولاتها ، فقد ولّ إمرة مصر سنة ١٤٢ هـ ، ووجهه المنصور لغزو أرمينية سنة ١٤٨ هـ ، وكابل سنة ١٥٢ هـ وولّ إمرة خراسان في السنة نفسها ، انظر تاريخ الطبري حوادث ١٤٢ - ١٥٩ .

(٢) هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي ، من أكابر الزهاد ، وخيار التابعين كان قد سمع الحديث وثقفه وعرف النحو وأيام الناس ثم تميد فلم يتكلم في شيء من ذلك ، توفي سنة ١٦٥ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ ، الثمار ١٥٥ .

(٣) ساقطة من أ .

رَقِيتِي ^(١) فِي النَّارِ ، رُدَّاهَا إِلَيْهِ وَقَوْلَا لَهُ أَنْ يَرُدَّ هُمَا عَلَيَّ مِنْ أَعْدَتُهُمَا
مَنْهُ أَوَّلَى مِنْ أَنْ تُعْطِيَنِي لِإِيَّاهُمَا .

(لَوْ عَلِمَ السَّبَبُ)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ الْمُرْدِ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ
وَلَدِ ابْنِ الزُّبَايْتِ فَشَكَا إِلَيْهِ أَمْرَ ابْنِ لَهُ خُدْعٍ وَلَيْسَ يَدْرِي أَيْنَ هُوَ ، فَقَالَ لَهُ :
إِنَّهُ جَمِيلُ الْوَجْهِ ، وَشَاوَرَ أَبَا الْعَبَّاسِ فِي أَمْرِهِ ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ :
أَنْشَدْنَا الرِّيَاضِي ^(٢) :

وَلَوْ كَانَ هَذَا الضَّبُّ لَا ذَنْبٌ لَهُ
وَلَا كُشْيَةٌ مَا مَسَّهُ الدَّهْرُ لَا مِسْ
وَلَكِنَّهُ مِنْ أَجْلِ طَيْبِ ذَنْبِيهِ
وَكُشْيَتِهِ دَبَّتْ إِلَيْهِ الدَّهَارِسُ

قَالَ الْقَاضِي : الْكُشْيَةُ : الشَّحْمَةُ ، وَيُقَالُ : إِنْ عَلَى جَنْبَيْ ظَهْرِهِ مِنْ
جَهْتَيْ عُنُقِهِ إِلَى ذَنْبِهِ شَحْمَتَيْنِ مُمْتَدَّتَيْنِ إِلَيْهِ هُمَا كُشْيَتَاهُ ، وَجَمَعَ الْكُشْيَةَ
كُشْيًى مِثْلَ كَلْبَةٍ وَكَلَى ، قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّكَ لَوْ ذُقْتَ الْكُشْيُ بِالْأَكْبَادِ
لَمْ تُرْسَلِ الضَّبَّةُ لِإِعْدَاءِ الْوَادِ ^(٣)

وَالدَّهَارِسُ وَالِدَّهَارِيسُ : الدَّوَاهِي ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(٤) :

(١) وَهِيَ رَقِيتِي أَيَّ حَبِيبَتِي ، وَالْوَقْتُ يَفْتَحُ الْمَاءَ وَتَسْكِنُهَا : الْحَبْلُ فِي أَحَدِ طَرَفَيْهِ أَنْفُوعَةٌ يَطْرَحُهَا

الصَّائِدُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ وَالْإِنْسَانِ حَتَّى يُوْغِذَ .

(٢) هَذَا النَّصُّ الْقَنُوزِيُّ فِي اللِّسَانِ ٨٩/٢٠ .

(٣) رَوَايَةٌ هَذَا الْبَيْتِ فِي اللِّسَانِ :

إِنَّكَ لَوْ ذُقْتَ الْكُشْيُ بِالْأَكْبَادِ مَا تَرَكْتَ الضَّبَّ يَمْدُو بِالْوَادِ

(٤) مِمَّنْ لَمْ يَلْمَسْ الْقَبِيحَ ، وَقَدْ سَبَقَ بَيْتُهُ هَذَا .

حَتَّتْ إِلَى النَخْلَةِ الْقُصُورَى فَقُلْتُ لَهَا
حِجْرٌ حَرَامٌ إِلَّا تَكُلْ الدَّهَّارِيسَ

(بأي شيء استحقَّ سعيدُ بن عبد الرحمن توليه القضاء) ^(١)

حدثنا محمد بن زياد المقرئ ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق السراج بنيسابور ، قال : أخبرنا داود بن رشيد ، قال : قلت للهيم بن عدي : بأي شيء استحقَّ سعيدُ بن عبد الرحمن أن ولَّاهُ المهديُّ القضاءَ وأنزله منه تلكَ المتزلةَ الرفيعةَ ؟ قال : إن خبره في اتصاله بالمهدي طريف ، إن أحببتَ شَرَحْتُه لك ، قلت : قد والله أحببتُ ذلك ، قال : أعلم أنه وإلى الربيع الحاجب حين أنفضت الخلافةُ إلى المهدي ، فقال : استأذن لي على أمير المؤمنين ، فقال له الربيع : يا هذا ! وما حاجتك ؟ قال : أنا رجل رأيتُ لأمير المؤمنين أعزَّهُ اللهُ رؤياَ صالحةً ، وقد أحببتُ أن تذكّرني له ، قال له الربيع : يا هذا ! إن القوم لا يصدّقون ما يرونه لأنفسهم فكيف ما تراه لهم ، فاحتل بحيلة هي أَرَدَ عليك من هذه ، فقال له : إن لم تخبره بمكاني سألتُ من يوصلني إليه ، فأخبرته أنني سألتك الإذن لي عليه فلم تَفْعَلْ ، فدخل الربيع على المهدي فقال له : يا أمير المؤمنين إنكم قد أطعتم الناس في أنفسكم ، فقد احتالوا لكم بكل ضرب ، فقال له المهدي : هكذا تصنع الملوك فما ذلك ؟ قال : رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين أيده الله رؤيا حسنة ، وقد أحبَّ أن يَتَصَّهَّأَ عليه ، فقال له المهدي : ويحك يا ربيع ! إني والله أرى الرؤيا لنفسي فلا تصح لي ، فكيف إذا عاها لي من لعلها قد افعلها ؟ قال : قد والله قلتُ له مثل ذلك فلم يقبل ، قال : فهات الرجل ، قال : فأدخل عليه سعيد بن الرحمن وكان له رِوَاةٌ وجمالٌ ومروءةٌ ظاهرةٌ ولحية عظيمةٌ وعارضةٌ ولسان ، فقال

(١) انظر الخبر التالي في أخبار الأذكياء : ٩٦ .

له المهدي^١ : هات بارك الله عليك ، ماذا رأيت ؟ قال : رأيتُ يا أمير المؤمنين أتياً أثنائي في منامي فقال لي : إن أمير المؤمنين المهدي^٢ يعيش ثلاثين سنة في الخلافة ، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يُكَلَّبُ يواقيت^٣ ثم يَعدُّها فيجدها ثلاثين ياقوتة كأنها قد وُهِبت له ، فقال له المهدي^٤ : ما أحسن ما رأيت ! ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما خَيَّبرتنا ، فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك ما تريد ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما أخلفت ، قال له سعيد : يا أمير المؤمنين فماذا أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي وأخبرتهم أنني كنت عند أمير المؤمنين أكرمه الله ثم رجعت صفرأ^(١) ؟ قال له المهدي^٥ : فكيف نعمل ؟ قال : يُعَجَّلُ لي لي أمير المؤمنين أعزه الله ما أحب وأحلف له بالطلاق أنني قد صدقت ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يؤخذ منه كتيل ليحضر في غير ذلك اليوم ، فقبض المال وقيل : من يكفلُ بك ، فمد عينه إلى خادم له حسن الوجه والزي فقال : هذا يكفلُ بي ، فقال له المهدي^٦ : أتكفل به يا تَمَسُّكُ ، فاحمرّ وخجل وقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فكفل به وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بعشرة آلاف درهم ، فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي^٧ ما ذكر له سعيد حرفاً حرفاً ، وأصبح سعيد فوافي الباب واستأذن فأذن له ، فلما وقعت عين المهدي عليه قال : أين مصداق ما قلت لنا ؟ قال له سعيد : وما رأى أمير المؤمنين شيئاً ؟ فضجج في جوابه^(٨) ، فقال له سعيد : امرأتي طالق إن لم يكن رأيت شيئاً ، قال له المهدي^٩ : ويحك ! ما أجزأك على هذا الحلف بالطلاق ! قال : لأني أحلف على صدق ، قال له المهدي^{١٠} : فقد والله رأيت ذلك مبيئاً ، فقال له سعيد : الله أكبر ، فأبجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني ، قال له : حبباً وكرامة ،

(١) صفرأ : أي خالي البدين .

(٢) ضجج : كسل وترأس .

ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة نخوت ثياباً من كل صنف ، وثلاث
مراكب من أنفوس دوابه مُحلاة ، فأخذ ذلك وانصرف ، فلاحق به
الخادم الذي كفل به ، وقال له : سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي
ذكرتها من أصل ؟ قال له سعيد : لا والله ، قال الخادم : كيف وقد
رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له ؟ قال هذه من المخاريق ^(١) الكبار التي لا
بأبه لها أمثالكم ، وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله وحدّث
نفسه وأمر به قلبه وشغل به فكره ، فساعة نام خيّل له ما حلّ في قلبه
وما كان شغل به فكره في المنام ، فقال له الخادم : قد حلفت بالطلاق ،
قال : طلقت واحدة وبقيت معي على ثنتين فأزيدُ في مهرها عشرة دراهم
وأُتخلص وأحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة
نخوت من أصناف الثياب وثلاث مراكب فرهة ، فبهت الخادم في وجهه
وتعجب من ذلك ، فقال له سعيد : قد صدّقْتُك وجعلت صِدْقِي لك
مكافأَتك على كفالتك بي فاستر علي ، ففعل ثم طلبه المهدي للمأتمته ،
وحظّبي عنده وقتلده القضاء على عسكر المهدي فلم يزل على ذلك إلى أن
مات .

فهذا كان السبب في وُصلة سعيد بن عبد الرحمن بأمر المؤمنين المهدي ،
فهل سمعت بأعجب من ذلك يا داود ؟ قال : لا .

(التعليق على هذه القصة)

قال القاضي : قول سعيد في هذا الخبر أنه طلّق واحدة وبقيت معه
على الثنتين وأنه يزيد في مهرها عشرة دراهم ، من كلام الحِمَتي العامة
وجّهاتهم ، لأنّ مُطَلّق امرأته المدخول بها واحدة إن راجعها في
عِدَّتِها فلا مَهْرَ عليه لها ، وإن تزوّجها بعد بينوتها فعليه الصداق مبتدئاً

(١) للمخاريق : الأكاذيب والحيل الخادعة .

غير زائد على قدرٍ منه متقدم ، وفي حمل سعيد نفسه في هذه القصة على الكذب وخاصة في الرؤيا وإطلاع الخادم على قبيح ما أناه ، وكذبه فيما حكاه ، وجعله هذا مكافأة له على كفاله به ، واعتماده مسترسلاً إليه في ستر رذيلته عليه ، دليل على أنه كان بمحل من الغرق ، وأن عظمَ لحيته كان على شكل يدل على السفاهة والحمق . وقد حدثنا علي بن الفضل بن طاهر البلخي قال : حدثنا محمد بن أيوب بن يزيد ، قال : حدثنا أحمد بن يعقوب ، قال حدثنا مصعب بن خازجة ، عن أبيه ، من كانت لحيته طويلة فلا يلم في عقله شيء .

حدثنا الليث بن محمد بن الليث المروزي ، قال : سمعت عبد الله بن محمود ، يقال : نظر علي بن حجر إلى لحية أبي الدرداء ، قال : وهو طويل اللحية فأنشأ يقول :

ليس بطولٍ اللَّحَى يَسْتَوْجِبُونَ الْقَصَا
إن كان هذا كذا فالتَّيسُ عَدْلٌ رِضَا

قال : ومكتوب في التوراة : لا يَغُرُّكَ طول اللحى ، فإن التيس له لحية .

(حكاية عن القاضي العوفي ، وكان طويل اللحية)^(١)

حدثنا محمد بن الحسن المقرئ ، قال : أخبرني الساجي بالبصرة ، قال : اشترى رجل من أصحاب القاضي العوفي جارية فغاضبته ولم تطعه ، فشكا ذلك إلى العوفي فقال : أنفذها إليَّ حتى أكلمها فأنفذها إليه ، فقال لها : يا عَرُوبُ يا لَعُوبُ يا ذات الجلايب ، ما هذا التمتع المجانب للخيرات ، والاختيار للأخلاق المشنوءات ، فقالت له : أيد الله القاضي : ليس لي

(١) انظر التالي في تاريخ بغداد ٢٩/٨ - ٣٢ .

فيه حاجة فَمَرَهُ يَسْبِغْنِي ، فقال لها : يا مُنَيَّةَ كُلِّ حَلِيم ، وَبَحَاتِ
عن اللطائف عليم ، أما علمت أن فرط الاعتياصات من المومقات على
طالبي المودات والباذلين لكرائم المصنونات مؤديات إلى عدم المفهومات ؟
فقال الجارية : ليس في الدنيا أصلح لهذه العُشُنُونات على صدور أهل
الركاكات من المواصي الخالقات ، وضحكك وضحك أهل المجلس .
وكان العوفي عظيم اللحية .

قال القاضي ^(١) : العوفي هو الحسن بن الحسن بن عطية بن سعد بن
جنادة ، ويكنى أبا عبد الله من أهل الكوفة وقد سمع سماعاً كثيراً ،
غير أنه ضعيف في الحديث ، قدم بغداد وولي قضاء الشرقية بعد حفص بن
غياث ثم نقل من الشرقية فولى قضاء عسكر المهدي في خلافة هارون ثم
عزل ، فلم يزل ببغداد إلى أن توفي بها سنة إحدى أو اثنتين ومائتين ^(٢) ،
وكان من أعظم الناس لحية .

• • •

(١) في أ : قال أبو بكر ، وهي سهو من الناسخ .
(٢) أنضاف إلى ذلك الخطيب البغدادي بقوله : وكان ضعيفاً في الحديث ضعيفاً في القضاء ،
سليماً مفعلاً ، انظر تاريخ بغداد ٣١/٨ .

المجلس العشرون

(حديث : إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة) ^(١)

حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرجال الصالحى ، قال :
حدثنا أبو داود سليمان بن يوسف الحراني ، حدثنا سعيد بن يزيد ، قال :
فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن محمد بن الوليد بن
نوفيع ، عن كريب مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعث بنو
سعيد بن بكر ضمام بن ثعلبة وأفداً إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه فأناخ
بعيره على باب المسجد ثم عقّله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس
في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً ^(٢) أشعر ذا غديرتين ^(٣) فأقبل حتى
وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟

(١) الحديث التالي أخرجه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق ، انظر المسند ٢٥٠/١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وانظر سيرة ابن هشام ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ففيها النص كما هنا كاملاً .

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة الترجمة ٤١٧٣ ، وقال : فزل الكوفة وسكنها ، قال : وزعم الواقدي أن قدمه كان سنة خمس وفيه نظر ، وذكر ابن هشام عن أبي صبيدة أن قدمه كانت سنة تسع .

(٣) الجلد : القوي ، والذي يصبر على المكروه .

(٤) النديرة : النؤابة المصفورة من الشعر .

فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب ، قال : محمد ؟ قال : نعم ، قال : فيا ابن عبد المطلب فإني سائلك ومُخْلِطٌ في المسألة ، فلا تَجِدَنَّ (١) في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي قَسَلٌ عما بدا لك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، الله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فنشدهُ مثلها ، الله أمرك أن تعبد الله وحده لا شريك له وأن تخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فنشدهُ مثلها ، الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر شرائع الإسلام يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأؤدي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ولا أزيد ولا أنقص ، قال : ثم انصرف إلى بعيره ، قال : فقال رسول الله ﷺ حين ولى : إِنْ يَصْدُقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ (٢) يَدْخُلُ الجنة . قال : فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بثت اللات والعزى ، فقالوا : مه يا ضمام ، اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، قال : ويلكم ، والله ما يَضُرُّنَّ ولا ينفعان ، إن الله تعالى بعث رسولا وأنزل كتاباً ليتقذكُم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أسمى في ذلك اليوم وفي حاضره (٣) رجلاً ولا امرأة إلا مسلمة ، قال : يقول ابن عباس : ما سمعنا بوافد قوم (ذكر كلمة) من ضمام بن ثعلبة .

(١) لا تجد : لا تفضين .

(٢) العقيصتان : الفهريتان من الشعر .

(٣) الحاضر : الحي .

قال القاضي رحمه الله : لم يذكر لنا ما الكلمة ، ولعلها ذهبت عن حفظ بعض الرواة أو سقطت من كتابه ، وينبغي أن يكون معناه أعظم بركة^(١) أو ما أشبه هذا من الوجوه ، وفي هذا الخير : ما أبان عن حسن دعاء النبي ﷺ ووطاء كنفه ولين جانبه ، وإجابته إلى الخلف لما فيه من تسكين نفس مستأجله ، وتأمله زوال الريب عن قلبه ، وهو ﷺ أصدق الناس في قبيله ، وأوفاهم أمانة فيما هو بسيله .

(كتاب قيصر إلى عمر رضي الله عنه بشأن النخلة)

حدثنا محمد بن منصور بن أبي الجهم الشيعي ، قال : حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا أبو قتبية ، قال : حدثنا يونس بن الحارث الطاطفي ، عن الشيعي ، قال : كتب قيصر إلى عمر : أخبرك أن رُسُلِي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة لشيء من الخير ، تخرج مثل أذان الحُمر ثم تشقق عن مثل اللؤلؤ - أحسبه قال : الأبيض - ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون مثل الياقوت الأحمر ، ثم تبغ وتنفج فتكون كأطيب فالودج أكيل ، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزاد للمسافر ، فإن تكن رُسُلِي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة . فكتب إليه عمر ؟ « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم : إن رُسُلَكَ قد صدقتك ، هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبئها الله عز وجل على مريم حين نفست بعيسى ابنها عليه السلام فاتق الله ولا تتخذ عيسى الها من دون الله ، فإن مثلي عيسى عندنا كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين » .

(١) ذكرت المراجع التي أوردت الحديث أن هذه الكلمة هي : أفضل .

(بعض ما تلحن فيه العامة : الزُمُردُ والزَّبَرجد)

قال القاضي رحمه الله : قد رُوينا هذا الخبر من طرق شتى ، وفي بعضها ألفاظ ليست في بعض ، وقوله الزمرد العامة يخطئون فيه فيقولون زُمُرد بالبدال المهملة ، ويقولون الزبرجد بالذال المعجمة ، والذي حكاه أهل اللغة عن العرب أنه الزمرد بالإعجام والزبرجد بالإبهام على عكس ما يقوله من لا علم له به من العوام ، وذكر بعض أهل المعرفة أن من فضل النخل أن جميعه في بلاد الإسلام ، وأنه ليس في بلاد الشرك منه شيء .

(من شهداء الأهوى)^(١)

حدثنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : أخبرنا العباس بن الفرَج الرياشي ، قال : أخبرنا محمد بن سلام ، قال : كان بالمدينة قَتَّى من بني أمية من ولد سعيد بن عثمان بن عفَّان^(٢) وكان يَحْتَلِفُ إلى قَتِينَةَ لبعض قریش ، وكان طَرِيرًا^(٣) ظريفاً ، وكانت الجارية تُحِبُّهُ ولا يعلم بحبها ، فأراد يوماً أن يشكو ذلك ، فقال لبعض إخوانه : امض بنا إلى فلانة ، وانطلقا فدخلنا إليها وتوافى فتيان من قریش والأنصار ، فلما جلسنا جلسها واحتجرت بمزهرها ، قال الأمويُّ تغنين :

أَحِبُّكُمْ حُبًّا بِكُلِّ جَوَارِحِي فُهَلْ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا لَكُمْ عِنْدِي
وَتَجْزُونَ بِالْوَدِّ الْمُبَاعَفِ مِثْلَهُ فَإِنَّ الْكَرِيمَ مِنْ جَزَى الْوَدِّ بِالْوَدِّ

قالت : نعم ، وأحسن منه ، وغنت :

لِلدَّيِّ وَدَّنا المودة بِالضَّعْفِ سَفَ وَفَضِّلِ الْبَادِي بِهِ لَا يُجَاوِزِي

(١) القصة التالية في مصارع العشاق ٥٦ ، يستند آخر من مصعب الزبيري .

(٢) ذكر في المرجع السابق أنه من ولد سعيد بن العاص .

(٣) الطرير : ذو الرواء والجمال .

لو بدا ما بنا لكم ملاً الأرض ضراً وأقطاراً شامياً والحيجازاً
 فعجب القوم من سرعته مع شغل قلبه ، ومن ذهنها وحسن جوابها
 فازداد بها كلفاً ، وصرح عما في قلبه فقال :
 أنت عذُرُ الفتي إذا هتك السُّرَّ - وإن كان يُوسفَ المعصوما
 من يفسد في هوكٍ يقتصر عن اللو - وإما زال كان مَلُوما
 وبلغ عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة خبرها ، فاشتراها بعشر
 حدائق ووهبها له وما يصلحها ، فمكثت عنده حولاً ثم ماتت فرثاها ،
 فقال :

قد تَمَنَيْتُ جَنَّةَ الخُلدِ بالجَنَّةِ د. فأَدْخِلْتُهَا بلا اسْتِثْنَاءٍ
 ثم أَخْرَجْتُ لَإِذْ تَطَعَّتْ بالنَعْمِ حمة منها والموتُ أحمدُ حالي
 وكرر هذا الشعر مراراً وقصّي ، فدُفِنَا معا ، فقال أشعب : هذان
 شهيدَا الهوى انجروا على قبره سبعين نَحْرة كما كبر رسول الله ﷺ على
 قبر حمزة سبعين تكبيرة .
 قال : وبلغ أبا حازم ^(١) فقال : لو مُحِبٌّ في الله عز وجل يبلغ في
 الحب هذا المبلغ فهو وليي ^(٢) .

(من نראה حفص بن غياث في الحكم) ^(٣)

حدثنا محمد بن مخلد بن حفص حفص العطار : قال : حدثني يحيى

(١) هو مسلمة بن دينار ، أبو حازم الأعرج ، كان من التائبين الزهاد ، ومن القصاص
 الخطباء ، كان يقص في مسجد المدينة ، وكان له حمار ينقله إلى المسجد ، يمد ثقة مأمون
 الحديث ، توفي في خلافة المنصور بعد سنة ١٤٠ هـ ، انظر البرصان والرجان ١٢٥ ،
 تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ ، المارث ٤٧٩ .
 (٢) في أ : أول ، والتصحيح من مصارع المشاق .
 (٣) الخبر التالي ورد باختصار في أخبار الأذكياء ٧٢ ، وورد بتمامه كما هنا في تاريخ بغداد
 ١٩٠/٨ - ١٩٣ .

ابن الليث ، قال : باع رجل من أهل خراسان جملاً بثلاثين ألف درهم من مَرزُبَانِ المجوسي وكيّل أم جعفر ^(١) ، فمطله بثمنها وجبسه ، فطال ذلك على الرجل فأتى بعض أصحاب ابن غياث فشاوره ، فقال له : اذهب إليه فقل له : أعطني ألف درهم وأحيلُ عليكُ بالمال الباقي وأخرجُ إلى خراسان ، فإذا فعل هكذا فالقني حتى أثير عليك ، ففعل الرجل وأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم ، فرجع إلى الرجل فأخبره ، فقال : عدّ إليه فقل له : إذا ركبْتَ غداً فطريقكُ على القاضي تَحْضُرُ وأوكّل رجلاً يقبض المال وأخرج ، فإذا جلس إلى القاضي فادعُ عليه ما بقي لك من المال ، فإذا أقر حبسه حفص وأخذت مالك ، فرجع إلى مرزبان فسأله فقال : انتظرني بباب القاضي ، فلما ركب من الغد وثب إليه الرجل فقال : إن رأيت أن تنزل إلى القاضي حتى أوكّل يقبض المال وأخرج فتزل مرزبان فتقدّم إلى حفص بن غياث فقال الرجل : أصلح الله القاضي ، لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم ، قال حفص : ما تقول يا مجوسي ؟ قال : صدّق أصلح الله القاضي ، قال : ما تقول يا رجل فقد أقر لك ؟ قال : يعطيني مالي أصلح الله القاضي ، فأقبل حفص على المجوسي فقال : ما تقول ؟ قال : هذا المال على السيدة ، قال : أنت أحمق ، تقرّ ثم تقول : على السيدة ، ما تقول يا رجل ؟ قال : أصلح الله القاضي ، إن أعطاني مالي وإلاّ حبسته ، قال حفص : ما تقول يا مجوسي ؟ قال : المالُ على السيدة ، قال : خذوا بيده إلى الحبس ، فلما حبس بلغ أم جعفر الخبر فغضبت فبعثت إلى السندي : وجهْ إليّ مرزبان ، وكانت القضاة تحبس الغرماء في الحبس ، فعجّل السندي فأخرجه ، وبلغ حفصاً الخبر فقال : أحبسُ أنا ويخرج السندي ، لاجلست مجلسي هذا أو يردّ مرزبان إلى

(١) أم جعفر ، هي زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وهي زوج هارون الرشيد وأم الخليفة محمد الأمين .

الحبس ، فجاء السندي إلى أم جعفر فقال : اللهَ اللهُ فيَّ ، إنه حفص بن غياث وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول : بأمر من أخرجه ، رُدِّيهِ إلى الحبس وأنا أَكَلِمُ حفصاً في أمره ، فأجابته فرجع مرزبان إلى الحبس ، فقالت أم جعفر لهارون : قاضيك هذا أحق ، حبس وكيلى واستخف به فمره لا ينظر في الحكم وبولي أمره إلى أبي يوسف ، فأمر لها بكتاب ، وبلغ حفصاً الخبر ، فقال للرجل : أحضرنى شهوداً حتى أسجِّلَ لك على المجوسي بالمال ، فجلس حفص فسجِّلَ على المجوسي وورد كتاب هارون مع خادِم ، فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، قال : مكانك نحن في شيء حتى تفرغ منه ، فقال : كتاب أمير المؤمنين ، فقال : انظر ما يقال لك ، فلما فرغ حفص من السجِّل أخذ الكتاب من الخادِم فقرأه ، فقال : اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقد أنفذتُ الحكم ، فقال الخادِم : قد والله عرفتُ ما صنعت ، أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد ، والله لأخبرنَّ أمير المؤمنين بما فعلت ، فقال له حفص : قل له ما أحببت ، فجاء الخادِم فأخبر هارون فضحك ، وقال : مرُّ لحفص بن غياث بثلاثين ألف درهم ، فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصاً منصرفاً من مجلس القضاء ، فقال : أيُّها القاضي ! قد سررتُ أمير المؤمنين اليوم وأمر لك بثلاثين ألف درهم ، فما كان السبب في هذا ؟ قال : تَمَّ اللهُ سرُّور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلامه ، ما زدتُ على ما أفعل كلَّ يوم ، قال : عليّ ذلك ؟ قال : ما أعلم إلا أن يكون سجِّلْتُ على مرزبان المجوسي بما وجب عليه ، فقال يحيى بن خالد : بهذا سرُّ أمير المؤمنين ، فقال حفص : الحمد لله كثيراً ، فقالت أم جعفر لهارون : لا أنا ولا أنت إلا أن تنزل حفصاً ، فأبى عليها ، ثم ألحَّت عليه فعزله عن الشرقية وولاه القضاء على الكوفة فمكث عليها ثلاث عشرة سنة ، وكان أبو يوسف ^(١) لما ولي حفص قال لأصحابه : تَعَالَوْا نكتب نوادر

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب من بجليّة ، وكان يروى عن الأعمش وهشام-

حفص ، فلما وردت أحكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه :
 أين النواذر التي زعمت نكتبها ؟ فقال : ويحكم ! إن حفصاً أراد الله
 فوقته . قال ابن خلد : قال أبو علي : سمعت أبا (علي ^(١)) حسن بن حماد
 سجادة يقول : قال حفص بن غياث : والله ما وليت القضاء حتى حلت
 ليّ الميئة ، ومات يوم مات ولم يُخَلَّفْ درهماً وخلف عليه تسع مائة
 درهم ديناً ، قال سجادة : وكان يقال : خُتِمَ القضاء بحفص بن غياث .

(لا يَسْتَحْيِي أَحَدُكُمْ مِنَ التَّعَلُّمِ)

حدثنا محمد بن الفتح القلانسي ، قال : أخبرنا ابن أبي عمرو الشيباني ،
 عن أبيه ، عن أبي عبد الرحمن الطائي ، قال : قال لي عبد الله بن زيد
 القيسي : بينا أنا واقف على رأس ابن هبيرة ^(٢) وبين يديه سباطان من
 وجوه الناس إذ أقبل شاب لم أر في مثل جماله وكأله ، حتى دنا من ابن
 هبيرة فسلم عليه بالإمرة فقال : له : أصليح الله الأمير ، امرؤ قدحته كربة
 وأوحشته غربة ، وثأت به الدار ، وحل به عظيم ، خدّله أخلاقه ،
 وشمت به أعداؤه ، وأسلمه البعيد ، وجفاه القريب ، فقامت مقاماً لا
 أرى لي معولاً ولا حازباً إلا الرجاء لله تعالى وحسن عائدة الأمير ، وأنا

= ابن هروة وغيرهما . وكان صاحب حديث سافطاً ، ثم لزم أبا حنيفة فغلب عليه الرأي ،
 وتولي قضاء بغداد فلم يزل قاضياً بها إلى أن مات سنة ١٨٢ هـ في خلافة الرشيد ، انظر
 المعارف ٤٩٩ .

(١) زيادة يستقيم بها الكلام ، فاسمه الصحيح أبو علي الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمي ،
 المعروف بسجادة ، سمع أبا بكر بن عياش وعطاء بن سلم وأبا خالد الأحمر وغيرهم ،
 وكان ثقة صاحب سنة ، توفي سنة ٢٤٩ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٧/٢٩٥ .

(٢) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري أبو المنى ، ولي المراقين ليزيد بن عبد الملك
 ست سنين ، وفيه يقول الفرزدق ليزيد :

أوليت المراق ورافنديسه فزاريا أحد يد التميمس
 تفتق بالمراق أبو المنى وعلم قومه أكل الخبيص
 انظر المعارف ٤٠٨ .

أصلح الله الأمير ممن لا تُجهل أسرته ولا تضيع حرمة ، فإن رأى الأمير
— أصلحه الله — أن يسدّ خلتي ويغير خصاصتي يفعل ، فقال ابن هبيرة :
من الرجل ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فَرَكَرَةَ بَيْتَ الْعِزِّ وَالْعِزُّ فِيهِمْ
فَرَكَرَةَ قَيْسٍ حَسَبَ قَيْسٍ فَعَالُهَا
ها العزة القصوى مع الشرف الذي
بناه لقيس في القديم رجالها

وهل أحدٌ إن مدَّ يوماً بكفسه
إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها
طيهات ما أعيأ القرون التي مضت
مآثر قيس واعتلاها فعالها

فقال ابن هبيرة : إن هذا لأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك ،
فكم أتى لك من السن ؟ قال : تسع وعشرين سنة ، فلمن القى ، فأطرق
ابن هبيرة كالشامت به ، ثم قال : أو لحان أيضاً مع جليل ما أتى عليه
منطقك ؟ شئتَ والله بأفصح العيب ، قال : فأبصر القى ما وقع فيه ، فقال :
إن الأمير أصلحه الله عظم في عيني وملأت هيئته صدري ، فتطق لساني
بما لم يعرفه قلبي ، فوالله (١) ما أقالني الأمير عثرتي عندما كان من
زلي ، فقال ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوّده ،
ويحضر بها سلطانه ، ويؤزّن بها مشهده ، وينوء بها على خصمه ،
أو يترصّي أحدكم أن يكون لسانه مثل لسان عبده أو أكثاره (٢) ؟ وقد
أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، فإن كان سبقك لسانك وإلا فاستمن بيعض
ما أوصلناه إليك ، ولا يستحيي أحدكم من التعلم ، فإنه لولا هذا اللسان

(١) زيادة يستقيم بها السياق .

(٢) الأكلار : الأجير :

لكان الإنسان كالبهيمة الممثلة ، وفي رواية أخرى : أو كالصورة الممثلة^(١) ،
قتل الله الشاعر حيث يقول^(٢) :

ألم تر مفتاحَ الفؤاد لسانَه
إذا هو أبْدَى ما يَقُولُ من الفمِ
وكائِنْ تَرَى من صاحبٍ لك مُعْجَبٍ
زيادتهُ أو تَقْصُبهُ في التكليمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤادهُ
فلم يبق إلا صورة اللحم والسدمِ

قال القاضي : في هذا الخبر : فإن رأى الأمير يفعل ، فالأحسن : فإن
رأى فعل ، أو فإن ير يفعل ليتفق لفظ الشرط ولفظ الجزاء ، وفعل الجزاء
مستقبل في المعنى وإن أتى به بلفظ الماضي ، وعييته تختلط على ما في هذا الخبر
صواب ، وقال زهير^(٣) :

ومن هاب أسباب المنايا يَنْكُتْهُ
ولو نال أسباب السماء يَسْلَمُ

(١) ينسب هذا القول إلى خالد بن صفوان ، انظر البيان والتبيين ١٧٠/١ ، وهجته المجالس
٥٥/١ .

(٢) الأبيات الثلاثة الآتية دون نسبة في هجته المجالس ٥٦/١ ، وورد البيتان الثاني والثالث
في البيان والتبيين ١٧١/١ منسوبين للأعور الشني ، وعلق الأستاذ هارون على ذلك بأنهما
ليسا له بل لزهير في مملقته ، ولكنهما لم يردا بين أبيات معلقة زهير في شرح ديوانه
لعلب ط دار الكتب ، وفيه أصح روايات المعلقة ، بل موجودان ضمن أبياتها في جمهرة
أشعار العرب ٥١ ، وفي المملقات ط مطبعة الموسوعات ، وفي هذه الطبعة علق الأستاذ
الشنقيطي على البيتين بأنهما ليسا لزهير بل للشنقيطي جد جريز ، وفي حسانة البحري ورد
البيتان مرتين ، ونسبا في المرة الأولى ص ٢٠٥ إلى عبد الله بن معاوية الجعفري ، ونسبا
في الثانية ص ١٣٦٧ إلى زهير ، وفي فصل المقال ٤٨٢ تردد في نسبتها بين المهيم بن
الأسود الشنقي وبين الأعور الشني .

(٣) البيت ضمن مملقته ، انظر الديوان ١٤ .

(الْحَدَّثَانُ مِنَ الْخِصَاصَةِ)

حدثنا إسماعيل بن علي الخطّطي ، قال : أخبرنا أبو أحمد البربروني ، قال : قال أبو أيوب يعني سليمان بن أبي شيخ ^(١) ، وقال أبو الزناد ^(٢) : كان الوليد بن عبد الملك بن مروان لَحْنًا ^(٣) كَأَنِّي أَسْمَعُهُ عَلَى مَنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ وهو يقول : يَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ . قال : وقال عبد الملك بن مروان لرجل من قريش : إِنَّكَ لَرَجُلٌ لَوْلَا أَنَّكَ لَحْنٌ ، فَقَالَ : وَهَذَا ابْنُكَ الْوَلِيدُ يَلْحَنُ ، قال : لَكِنْ ابْنِي سُلَيْمَانٌ لَا يَلْحَنُ ، قال الرجل : وَأَخِي فَلَانٌ لَا يَلْحَنُ .

قال أبو أيوب : كان ربيعة الرأي ^(٤) لَحْنًا ، ومالك بن أنس لَحْنًا .

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عمر بن عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا المازني ، قال : سمع أبو عمرو ^(٥) أبا حنيفة يتكلم

(١) هو سليمان بن أبي شيخ ، واسم أبي شيخ منصور بن سليمان ، الواسطي سكن بغداد في بركة زلزل ، وحدث عن سفیان بن عبيد وعبد الله بن إدريس وغيرهما ، وكان عالمًا بالنسب والتواريخ وأيام الناس وأخبارهم ، توفي سنة ٢٤٦ هـ عن خمسة وتسعين عامًا ، انظر تاريخ بغداد ٥٠/٩ .

(٢) هو أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ، تابعي ثقة فقيه صالح الحديث ، وكان فصيحًا بصيرًا بالعربية ، توفي سنة ١٣٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب .

(٣) انظر بمض الأمثلة من لحنه في البيان والتبيين ٢/٢٠٤ - ٢٠٦ ، المقصد الفريد ٢/٤٨ ، وكان عبد الملك يقول في ذلك : أَمَرَ بِالْوَلِيدِ حِينَئِذٍ لَهُ ، فَلَمْ نُوْجِهِهُ إِلَى الْبَادِيَةِ .

(٤) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولد آل المنذر التميميين ، كان أبو العباس السفاح قد قدمه إلى القضاء فلم يقبل ، ويسمى ربيعة الرأي أو ربيعة صاحب الرأي ، وأصحاب الرأي هم الحنفية في عرف الخراسانيين ، انظر الحديث عنهم في المعارف ٤٩٤ - ٥٠٠ ، توفي ربيعة عام ١٣٦ هـ بالأندلس ، المعارف ٤٩٦ .

(٥) هو أبو عمرو التميمي إسحاق بن مرار بكسر الميم ، كان عالمًا بالغة حافظًا لما جاءه لأشعار العرب حتى إنه جمع شعر لنيف وثلاثين قبيلة ، وكان أحمد بن حنبل يحضر مجلسه ويكتب عنه ، توفي عن نحو مائة وعشرين عامًا ، سنة ست أو عشر ومائتين في خلافة المأمون ، ترجمته في إنباء الرواة ٢٢١/١ - ٢٢٩ ، وبغية الوعاة ٤٣٩/١ ، تاريخ بغداد ٣٢٩/٦ .

في الفقه ويلحن فأعجبه كلامه واستقبح لحنه ، فقال : إنه لخطّابٌ لو ساعده صواب ، ثم قال لأبي حنيفة : إنك أحوجُّ إلى إضلاح لسانك من جميع الناس .

(جاريثان تغلبان عيسى بن أبان)

حدثني طاهر بن مسلم العبدي ، قال : حدثني الغلابي ، قال : حدثني أحمد بن سليمان قال : سمعت عيسى بن أبان ^(١) ، يقول : كنت عند المأمون فاستأذنته في الخروج إلى البصرة إلى عيالي ، فقال : أمير المؤمنين أشوق إليك منك إلى عيالك ، ولكن وجه إليهم فيحملوا ، ثم قال لخادم على رأسه : قل لهم : يبحثوا ، قال : فإذا غلامٌ أمرد قد أقبل لم تر عيني أحسن منه مُعَلَّفٌ بالغالية يُخطر حتى جاء فسلم ، فقال له : مرجحاً ثم أجلسه على فخذة اليمنى ، ثم أقبل آخر مثله فأقعدته على فخذة اليسرى فجعلت أنظر إلى حسُنهما ، فقال لي : يا عيسى ! بأيّهما ترى أن أبدأ ، فقلت : أعيد أمير المؤمنين بالله ، لقد نَزَّهَهُ اللهُ عن هذا وصباه ، قال : يا عيسى ليس هو الذي ذهبت إليه ، لهما جاريثان اشتبهتُهما في زيّ الغلمان ، فقلت : أمير المؤمنين أعلى عيناً ، فقالت الأولى : والله يا عيسى ما تحسنُ الحكومة ، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل ^(٢) : (السَّابِقُونَ الأولون) قال : فبقيتُ والله متعجباً ومتمنّيتُ أني كنتُ اهتديت إلى ما قالت بجميع ملّكي ، ثم قالت الأخرى : لا والله يا عيسى ، ما تبصر من

(١) هو عيسى بن أبان بن صدقة ، أبو موسى ، قاض من كبار فقهاء الحنفية ، كان سريعاً بإفناء الحكم ، دقيقاً ، خديم المصنوع مدة ، وول التقياء بالبصرة عشر سنين وتوفي بها سنة ٢٢١ هـ ، له كتب منها : إثبات القياس ، واجتهاد الرأي ، والجامع في الفقه ، انظر الجوهر المنصية ٤٠١/١ ، تاريخ بغداد ١٥٧/١١ .

(٢) سورة التوبة .

الحكومة شيئاً ، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل : (وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) (١) فتركته معهما وخرجت .

(أبو نواس يأخذ معنى حديث شريف وينظمه شعراً)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن سعيد ، قال :
حدثني أبو ثمامة القيسي ، قال : فحدثنا محمد بن المهلب ، قال : حدثنا
يزيد بن زريع ، قال : رأيتُ أبا نواس عنده روح بن القاسم ، فتحدثتُ
روح عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال
رسول الله ﷺ : « القلوبُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارفَ منها ائتلفَ وما
تناكرَ منها اختلفَ » (٢) . قال أبو نواس : أنت لا تأنس بي وسأجعل هذا
الحديث منظوماً بشعر ، قلت : فإن قلتَ ذلك فجنيتُ به ، فجاءني فأشددني :

يا قلبُ رفقاً ، أجدُ منك ذا الكَلَفِ
ومنْ كَلِفَتْ به جَانٍ كما تَصِفُ
وكان في الحَقِّ أن يَهْوَكَ مُجْتَهِداً
بذاك خَبَرٌ منا الغابر السلفُ
إن القلوبَ لأجنَادٌ مُجَنَّدَةٌ
لله في الأرض بالأهواء تعرفُ
فما تناكر منها فهو مُخْتَلَفٌ
وما تعارفَ منها فهو مؤْتَلَفٌ (٣)

حدثنا الصولي : قال : حدثني محمد بن يزيد المهلب ، قال : حدثني

(١) سورة الفصى ٤ .

(٢) الحديث الشريف أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٩٥ ، ٥٢٧ ، من حديث سهيل .

(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ٩٠ ، والآخران في حجة المجالس ١/٦٤٨ ، وما عدا الثاني في العقد الفريد ١/٣٢٩ دون نسبة .

ابن مهدي^(١) ، قال : حدث أبو حفص عمر بن إبراهيم العدوي ، قال :
حدثنا محمد بن المنهال — إلا أنه قال الضريع — قال : حدثني يزيد بن
زريع : وساق الخبر ، إلا أنه زاد فيه قال يزيد بن زريع : وكان أبو
نواس صبيّاً .

(شرب نبيذاً ثم لا يدري أطلق امرأته أم لا ، وحكم ذلك)

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا عبد الله بن أيوب بن زاذان
القربي ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد التميمي ، قال : حدثنا عبد
الرحمن بن معري ، قال : جاء رجل إلى أبي حنيفة ، فقال : إني شربتُ
البارحة نبيذاً فلا أدري طَلَقْتُ امرأتِي أم لا ، قال : المرأة امرأتُك حتى
تستيقن أنك طَلَقْتَهَا ، ثم أتى سفيان الثوري فقال : يا أبا عبد الله ! إني
شربتُ البارحة نبيذاً فلا أدري طَلَقْتُ امرأتِي أم لا ، قال : اذهب فراجعها
فإن كنت قد طَلَقْتَهَا فقد راجعتها وإن لم تك طَلَقْتَهَا لم تَصْرُكْ المراجعة
شيئاً ، ثم أتى شريك بن ^(٢) عبد الله ، فقال : يا أبا عبد الله ! إني شربتُ
البارحة نبيذاً ولا أدري طَلَقْتُ امرأتِي أم لا ، قال : اذهب فطلّقها ثم
راجعها ، ثم أتى زُفَر بن الهذيل ^(٣) ، فقال : يا أبا الهذيل ! إني شربتُ
البارحة نبيذاً ولا أدري طَلَقْتُ امرأتِي أم لا ، قال : سألتُ غيري ؟ قال :
أبا حنيفة ، قال : فما قال لك ؟ قال : المرأة امرأتُك حتى تستيقن أنك قد
طلَقْتَهَا ، قال : الصواب قال ، قال : فهل سألتُ غيره ؟ قال : سفيان
الثوري ، قال : فما قال لك ؟ قال : اذهب فراجعها فإن كنت قد طَلَقْتَهَا

(١) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي الكوفي القاسمي ، ولد ببخارى سنة ٩٠ هـ ،
وولي القضاء بواسط سنة ١٥٥ هـ ، وها توفي سنة ١٧٧ هـ ، انظر المعارف ٥٠٨ ، تذكرة
الحفاظ ٢١٤/١ .

(٢) هو زفر بن الهذيل بن قيس ، من بني المنبر ، وكان قد سمع الحديث ، وغلب عليه الرأي ،
وتوفي بالبصرة ، انظر المعارف ٤٩٦ .

فقد راجعتها وإن لم تكن طَلَّقَتْهَا لم تضرِكَ المراجعة شيئاً ، قال : ما أحسن ما قال ! قال : فهل سألتَ غيره ؟ قال : شريك بن عبد الله ، قال : فما قال لك ؟ قال : اذهب فطلقها ثم راجعها ، فضحك زفر وقال : لأضربنَّ لك مثلاً ، رجل مرَّ بمشعب يسيل فأصاب ثوبه ، قال لك أبو حنيفة : ثوبك طاهر وصلاتك تامة حتى تستيقن أمر الماء ، وقال لك سفيان : اغسله فإن بك نجساً فقد طَهَّر ، وإن يك نظيفاً زاد نظافة ، وقال لك شريك : اذهب فبُلْ عليه ثم اغسله .

(حذف ألف الاستهزام)

قال القاضي : في هذا الخبر : ولا أدري طَلَّقت امرأتِي أم لا ، والنصيح ولا أدري أَطَلَّقت ، غير أنه قد جاء في مواضع بغير ألف اكتفاء بدلالة أم ، قال امرؤ القيس ^(١) :

تَرْوَحُ من الحَيِّ أم تَبْتَكِرُ وماذا يَضُرُّكَ لوَ تَنْتَظِرُ
وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما أدري وإن كنتُ دارياً
شُعَيْبُ بنُ سَهْمٍ أم شُعَيْبُ بنُ مِثْقَرٍ ^(٢)

وقال ابن أبي ربيعة ^(٣) :

(١) البيت التالي في ديوانه ١٥٤ برواية : وماذا يضرُّك أن تنتظر .
(٢) البيت للأسود بن يغير التميمي ، انظر كتاب سيبويه ٤٨٥/١ ، والشاهد فيه حذف ألف الاستهزام ضرورة لدلالة أم عليها ، ولا يكون هذا إلا على تقدير الألف لأن قوله : ما أدري يقتضي وقوع الألف وأم مساوية لها والمعنى : ما أدري أشعيب بن سهم أم شعيب بن منقر ، وروى شعيب بالياء كما هنا ، وهم من بني منقر ، وشعيب بن منقر ثم من بني منقر ، فسميهم أدياء ، وشك في كونهم منهم أو من بني سهم ، هذا وقد ورد البيت دون نسبة في معنى اللبيب ٥٥ ، شرح الأشموني ١٠١/٣ ، اللسان ٤٦٧/٢ .
(٣) البيت التالي في ديوانه ٣٩٩ .

فوالله ما أدري وإن كنت دارياً
 بسبع رَمَيْنَ الجَمْرَ أم بِثَمَانٍ
 وقد أجاز قوم حذف ألف الاستفهام وإن لم تكن أم في الكلام ،
 وتأولوا مثل هذا في القرآن ، كقوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(١) واستشهدوا بقول
 الحلبي^(٢) :

رَقَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لِمَ تُسَرِّعُ
 فقلت وأنكرت الوجوه : هُمُ هُمُ ؟

وقول ابن أبي ربيعة^(٣) :

ثم قالوا : تُحِيَّهَا ؟ قلت : بَهْرًا
 عددَ الرَّمْلِ والحصى والترابِ

وأنكر هذا بعض نُظَّارِ النحويين ، إذ فيه عنده التباس الخبر والاستخبار ،
 وقال : الأبيات على الخبر دون الاستفهام .

(١) سورة الأنعام الآية ٧٧ .

(٢) هو أبو خراش الحلبي خويلد بن مرة ، انظر بيته التالي في ديوان المذليين ١٤٤/٢ ،
 اللسان ٤٩٦/٩ ، والرواية فيهما : لا ترع بلد لم ترع .
 وفوني : أبي سبكوني ومطافوني ، ولا ترع : لا تخف ، وكان أبو خراش قد أمر بمصاحبة
 زوج أبيه لكي ينجح ، فأوصلها إلى مكة ثم انتظرها خارجها خشية قوم قد وترهم ،
 وسلورها بألا تذكر عنه حرفاً ، إلا أن أحدهم رآها فخدها بأنه جار لهم حتى عرف منها
 مكانه ، ولما عادت عرف أبو خراش منها ذلك وتيقن أنهم سيتيمونه ، فلم يكن له همة
 إلا أن ينسج زوج أبيه ، فأركبها بغيراً ناجياً وطلب منها الإنزاع ، ثم وقف على مقربة
 منهم حتى أطمعهم فيه وتركوا المرأة تلعب ، ثم أحاطوا به وأخلوا يسكنون من روجه ،
 ولما تأكد له أن المرأة قد فانتهم حاوهم ثم أصجزهم حرباً حتى عاد إلى مضارب قبيلته ،
 انظر القصة بالتفصيل في ديوان المذليين ١٤٢/٢ ، ١٤٤ ، والشاهد في البيت : حذف ألف
 الاستفهام ، والتقدير : أهم هم ؟
 (٣) ديوانه ٣٠ .

وقد أحسن زُفَر في فصله بين هؤلاء الثلاثة فيما أفتوا به في هذه المسألة وفيما ضربه لسايله من الأمثل ، وأما قول أبي حنيفة فهو محضُ النظر ومَرُّ الحق ، ولا يجوز أن يحكم على امرئ في زوجته بطلاقها بعد صحة زواجيتها ، ويقين العلم بثبوت النكاح بينه وبينها ، بظنٍ عَرَضَ له وحُسبان أنه أوقع الطلاق في حال يتغير فيها القهم ، ويزول معها التمييز ، وهو أبعد عند ذوي الأفهام ، من أضغاث الأحلام ، ورؤيا الرائد في المنام ، من حال الصحة التي تلزم فيها الأحكام ، ونجري فيها الأقلام ، فأما ما قال سفيانُ الثوري فإنه أشار بالاستظهار والتوقفة والأخذ بالحزم والحيطه وهذه طريقة أهل الورع المتقين ، وذوي الاستقصاء على أنفسهم من أهل الدين ، وفُتيا أبي حنيفة في هذا عين الحق وجُلُّ الفقه ، وأي هاتين المحجبتين سلك من نزلت به هذه النازلة ، وعرضت له هذه الحادثة فهو مُصِيبٌ محسن على ما بينا فيها من الفضل بين المتزلتين ، وأما ما أفتى به شريك وتعجب زُفر منه واقع في موقعه ، ولا وجه في الصحة لما أشار به ، وقد أصاب زُفرُ أيضاً في المثل الذي ضربه له ، وأرى أن شريكاً تَوَهَّم أن الرجعة لا تتحقق إلا مع تحقق الطلاق ، فأمر باستئناف تطليقة لتصح الرجعة بعدها ، وهذا ما لا يحيل فساد ، ولو كان كما نرى أنه توهمه لما أثرت الرجعة إلا في التطليقة التي أوقعها وتيقنها دون التي أشفق من تقدمها وهو على غير يقين منها ، ولو أن رجلاً وكَلَّ رجلاً في طلاق زوجته ، ثم غاب الوكيل فأشفق من تطليقه إياها عليه ، وأشهد على رجعتها وهو غير عالم بوقوعها ، ثم تبين أنها وقعت قبل مراجعته لصحت رجعتها ، وكذلك لو كتب إلى زوجته بطلاقها إذا وصل إليها كتابه ، ثم أشهد على الرجعة بعد انقضاء العدة ، وكانت الرجعة صحيحة لوقوعها بعد الطلاق الذي لم يكن عالمًا به .

المجلس الحاربي والعشرون

(حديث : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم)

حدثنا محمد بن علي بن إسماعيل الأبلبي ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن خلف الجليلاني ، قال : حدثنا أبي : قال : حدثنا محمد بن إبراهيم بن ذي حمام ، عن علي بن الفضل الحنفي ويكنى أبا الفضل ، عن زيد ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » (١) .

(التعليق على الحديث)

قال القاضي : هذا الذي ذكره رسول الله ﷺ من أحسن الكلام وألطفه ، وأبلغ بيان وأشرفه ، ولقد أرشد أمته إلى الحاضر المتيسر ، والموجود الذي ليس بمستصعب ولا متعذر ، وقد جاء عنه وعن السلف بعده في حسن الخلق ، وبسط الوجه ، وتوطئة الكتف ، وجعل المعاشرة ،

(١) الحديث الشريف في جميع الزوائد ٢٢/٨ : كتاب الأدب ، باب ما جاء في حسن الخلق ، والرواية فيه « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » . قال : رواه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب .

وكريم الصلبة ، ما يطول ذكره ويتعب جمعه ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْرِكُ بِحَسَنِ خَلْقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَإِنْ خَيْرَ مَا أُوتِيَ الْمَرْءُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقٌ حَسَنٌ » وجاء عنه ﷺ أيضاً في ذم سوء الخلق ما يطول ذكره ، وأمر هذين الخلقين في فضله وحسنه ، ونقص الآخر وقبحه ، بين عند خواص العاقلين وعوام المتميزين ، من أن يحتاج إلى الإطتاب فيه والإسهاب في الاستشهاد عليه ، وفقنا الله وإياكم من الأخلاق لكل ما يحمده ويستحسنه ، وأعاذنا مما يذمه ويستهجنه ، فلن ندرك خيراً إلا بفضله ومعونته ، ولن ندرأ شراً إلا بحوله وقوته .

(عيش الفقراء وحساب الأغنياء)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن العتيبي ، عن سعيد ، قال : سمعتُ أعرابياً ، يقول : عجيباً للبخیل المتعجل للفقير الذي منه هرب ، والمؤخر للسعة التي إياها طلب ، ولعله يموت بين هربه وطلبه ، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء ، مع أنك لم تر بخیلاً إلاً وغيره أسعد بماله منه ، لأنه في الدنيا مهمٌ بجمعه ، وفي الآخرة آثمٌ بمنعه ، وغيره آمنٌ في الدنيا من همه ، وناجٍ في الآخرة من لثمه .

قال القاضي : وفيما حكى لي من منثور كلام ابن المعتز : بشّر مال البخیل بحادث أو وارث^(١) ، ومن منظومه :

يا مَالَكُ كُلُّ جامعٍ ووارث
أُبشِّرُ بربِّ حادثٍ أو وارثٍ

(١) انظر هذه العبارة والبيت في الأوراق ، قسم أشعار أولاد الخلفاء ٢٩٦ وفيه : يش مال البخیل .. الخ وهي تصحيف ، وانظر ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان . ٤٨٨

(سبب نكبة أبي أيوب المورياتي وزير المنصور)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن الفضل الربيعي ، قال : حدثني أبي : قال : كان أبو جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوج امرأة من الأزد بالموصل عن ضر شديد أصابه حتى أكرى نفسه مع الملاحين يمد في الجبل ، حتى انتهى إلى الموصل أو فعَلَ ذلك لأمر خافه على نفسه ، فتنكر وأكرى نفسه في مدّادي السفن ، فخطب هذه المرأة ورغبها في نفسه ، ووعداها ومناها وأخبرنا أنه نأيه القدر ، وأنه من أهل بيت شرف ، وأنها إن تزوجته سددت به ، فلم يزل يُسَيِّئها بهذا وشبهه حتى أجابته وأقام معها ، وكان يختلف في أسبابه ويعمل طريقه عليها بما رزقه الله عز وجل ، ثم اشتملت على حمل ، فقال لها : أيتها المرأة ! هذه رُقعة مختومة عندك لا تفتحيها حتى تضعي ما في بطنك ، فإن ولدت ابناً فسميه جعفرأ وكسّيه أبا عبد الله ، وإن ولدت بنتاً فسميها فلاة ، وأنا عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فاستري أمري فكنّا قومَ مطلوبون ، والسلطان إلينا سريع ، وودّعها وخرج ، فقضي أنها ولدت ذكراً وأخرجت الرقعة وقرأت النسب فسمته جعفرأ وضرب الدهر على ذلك ما تسمع له خبرأ ، ونشأ الصبي مع أخواله وأهل بيت أمه ، وكان كَيْساً ذَهِناً لَقِناً^(١) واستخلف أبو العباس^(٢) فقيل للمرأة : إن كنت صادقة في رَقعتك وكان من كتبها صادقاً فإن زوجك الخليفة أمير المؤمنين ، قالت : ما أدري صفوا لي صفة هذا الخليفة ، قالوا : غلام حين اتصل وجهه ، قالت : ليس هو هو ، قيل : فاستري إذا أمرك ، ولم يلبث أبو العباس أن مات واستحق عندها اليأس ، وأقبل ابنها على

(١) لقناً : أي عاقلاً ذكياً .

(٢) أبو العباس : يعني أبا العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين .

الأدب فتأدب وظرفَ وكتب ونزعت به همته إلى بغداد ، فدخل ديوان أبي أيوب كاتب المنصور ، وانقطع إلى بعض أهله فأثى عليه زمان يمتوت الكتب ويتزيد في أدبه وفهمه وخطه ، حتى بلغ أن صار يكتب بين يدي أبي أيوب ، إلى أن سها أن خرج خادماً يوماً إلى الديوان يطلب كاتباً يكتب بين يدي المنصور ، فقال أبو أيوب للغلام : خذْ دَوَاتَكَ وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين ، فدخل الغلام فكتب وكانت تنهياً من أبي جعفر إليه النظرة بعد النظرة يتأمله ، وألقيت عليه محبته واستجاد خطه واسترشد فهمه ، فلبث زماناً لا يزال الخادم قد خرج فيقول : يا غلام خذ دواتك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين ، واستراح أبو أيوب إلى مكانه ، ورأى أنه قد حمل عنه ثقلاً ، وبرَّ الغلام وصله وكساه كسوةً تصلح أن يَدْخُلَ بها إلى أمير المؤمنين ، ثم إن أبا جعفر قال للغلام يوماً : ما اسمك ؟ قال : جعفر ، قال : ابن من ؟ فسكت متحيراً ، قال : ابن من ويحك ؟ قال : ابن عبد الله قال : فأين أبوك ؟ قال : لم أره ولم أعرفه ، ولكن أُمِّي أخبرتني أن أبي شريف ، وأن عندها رقعة بخطه فيها نسبه ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فساءة ذكر الرقعة تغير وجه المنصور ، فقال : وأين أمك ؟ قال : بالموصل ، قال : وأين تنزلون ؟ قال : في موضع كذا ، قال : فتعرف فلاناً ؟ قال : نعم هو إمام مسجد مَحَلَّتْنَا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم يَقَالُ في سَكَنَتَا ، فلما رأى الغلام أبا جعفر يتزع^(١) بأسماء قوم يعرفهم أدركته هيبةٌ له ، وجَزَعَ وتَدَمَّعَ ، فأدركت أبا جعفر الرقعة عليه فلم يتمالك أن قال : فلانة بنت فلان من هي منك ؟ قال : أُمِّي ، قال : فلانة ؟ قال : خالتي ، قال : ففلان ؟ قال : خالتي ، فضمه إليه وبكى ، وقال : يا غلام ! لا تعلمنْ أبو أيوب ولا أحد من خلق الله تعالى ما دار بيني وبينك ، انظر انظر إحذر إحذر ، فنهض الغلام فخرج ، فقال له أبو

(١) يزع : أي يضمب يذكر هذه الأسماء .

أيوب لقد احتبست عند أمير المؤمنين ، قال : كتبتُ كتباً كثيرة وأملتها علي ، قال : فأين هي ؟ قال : جعلتها نسخاً يتردّد فيها حتى يُحكمها ثم تخرج إلى الديوان ثم إن أبا جعفر جعل يقول في بعض الأيام لأبي أيوب : هذا الغلام الذي يكتب بين يدي كيس فاستوص به ، قال : فاتتهم أبو أيوب الغلام أنه يُلقيني إلى أبي جعفر الشيء بعد الشيء من خبره ، ثم لم يلبث أن سأله عنه مرة بعد مرة فقُدِفَ في قلب أبي أيوب بغضُ الغلام ، وأنه يقوم مقامه إن فقدته أبو جعفر ، وقُدِفَ في قلبه أنه يسعى عليه وأنه يخرج أخباره ، فجعل إذا خرج الخادم يطلب كاتباً بعث معه غيره وأبو جعفر يزدد وهماً إلى الغلام ويمن جنوناً وليس يمنعه من إدنائه وإظهار أمره إلاّ لأمر يريده ، فلما رأى أن أبا أيوب يحبس عنه عتاداً ، قال للخادم : اخرج إلى الديوان فجنّني بفلان الغلام الذي كان يكتب بين يدي ، فإن بعث معك أبو أيوب بغيره فقل : لا ، أمرني أمير المؤمنين ألا يدخل عليه غيره ، ففعل الخادم ذلك فاستحق في قلب أبي أيوب ما حلّره وحدّثته به نفسه ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين — جعلني الله فداك — قد تعرفت من أبي أيوب البغض والاستئفال بمكاني ، وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخافه على نفسي ، فقال له أبو جعفر : بارك الله عليك ، فما أخطأت الذي في نفسي وهذا كله يا بني قد جال في صدري ، فإذا كان غد فتعرض لأن يغلظ لك ، فإذا أغلظ فقم فانصرف كأنك مغضب ، ولا تعد إلى الديوان واجعل وجهك إلى أمك ، وأوصل إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا ، واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل موضع كذا ، فإني منقذ إليك خادماً يتفقد أمورك ويعرف خبرك ، ولا تطلعنّ أحداً من الخلق طلع ما معك ، وامض بهذا المال وبهذا العقد وأحرزه أولاً قبل رجوعك إلى الديوان ، ثم قال للخادم : أخرجه من باب كذا وكذا ، فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى الديوان ، وأبو أيوب في فكره من احتباسه عند المنصور ، ورجع الغلام

بوجه بهج مسرور لا يخفي ذلك عليه وظهور الفرح في وجهه وشماله ، فقال أبو أيوب : أحلفُ بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي مضى به ، ولقد دار بينه وبين أمير المؤمنين من ذكرى ما سره ، واستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه ، ثم لم يلبث أن أعْلَطَ له ، فقال الغلام : أنا إنسان غريب أطلب الرزق وأنت تستخِفُّني ، فكأنني قد ثقلت عليك فأنجي عنك قبل أن تطرُدني ، ثم قام فانصرف واقتده أبو أيوب أياماً ، ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره ، ثم إن نفس أبي أيوب نازعته إلى علم حقيقة خبره ، فأرسل من يسأل عنه في الموضع الذي كان نازلاً فيه ، فقيل له : إنه قد تبيأ للسفر ويجهز جهازاً حسناً وشخص إلى أهله بالموصل ، فقال أبو أيوب في نفسه : ومن أين له ما يتجهز به؟ وكم مبلغ ما ارتزق معي وارتفق به ^(١) ؟ لهذا الأمر نبأ ، وجعلت نفسه تزداد وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له : قد كان أبو جعفر وصله بمال ووهب له شيئاً ، فقال في نفسه : هذا الذي ظننت وقد ربحه لمكاني ^(٢) وينبغي أن يكون استأذنه في أن يخرج إلى أهله فيلم بهم ثم يرجع إليه فيقلده مكاني ، فقال لرجل من أصحابه : اخرج إلى طريق الموصل ثم أعط صفة الغلام متزلاً متزلاً حتى تأتي الموصل قرية قرية براً وبحراً ، فإذا عرفت موضعه فاقتله وجثني بما معه ، فشخص وتبيأ ، ثم إن الغلام لما خرج عن بغداد رأى أنه قد أمن فقصر في مسيره ، وكان يقيم في الموضع فيستطيه اليوم واليومين والأكثر والأقل ، فلحقه رسول أبي أيوب وعرفه ، فباتا بقرية فقام إليه الرسول فخنقه وطرحه في البئر وأخذ خُرْجَتَهُ وخزائطَ كانت معه ، وركب دابةً له ورجع إلى أبي أيوب وسكَّم ذلك إليه وشرح الخبر له ، ففتش متاعه أبو أيوب فإذا المال والعقد وفرقه ، وإذا كتاب المنصور بخطه إلى أمه فوجم أبو أيوب وندم وعلم أنه قد عمل وأخطأ ، وأن

(١) ارتفق به : اتفق واستعان .

(٢) ربحه مكاني : أي انتظر ما يحدث لي حتى يفسد مكاني .

الخبر لم يكن كما ظن ، وعزم على الحلف والمكابرة إن عثر على شيء من أمره ، وأبطأ خبر الغلام على أبي جعفر ، واستبطأه في الوقت الذي ضرب له ، فدعا خادماً من ثقافته ورجلاً من خاصته ، فقال لهما : استقرئنا المنازل إلى الموصل منزلاً منزلاً وقرية قرية ، وأعطيا صفة الغلام حتى تدخلا الموصل ، ثم اقصدا موضع كذا من الموصل فسلا عن فلاة ، ووصف لهما كل ما أراد ففعلا ، فلما انتهيا إلى الموضع الذي أصيب فيه الغلام أعلمنا خبره ، وذكروا الوقت الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه ، ثم مضيا إلى الموصل فسألا عن أمه فوجدناها أشد خلق الله تعالى وكلها إلى ابنها ، وحاجة إلى علم خبره ، فأطلعاها طلع حاله ، وأمرها أن تستر أمرها ، ثم رجعا إلى أبي جعفر بجملة خبره ، فكادت أمه أن تقتل نفسها ولم تُرد الدنيا بعده ، وكان المنصور يذكره فيكاد ذكره يصدع قلبه ، وأجمع أبو جعفر على الإيقاع بأبي أيوب عند ذلك ، فاستصفي ماله ومال أهل بيته ، ثم قتلهم جميعاً وأباد عصارهم ^(١) ، وكان إذا ذكر أبا أيوب لعنه وسبه ، وقال : ذاك قاتل حبيبي .

(جميل وقول أحدهم فيه : لن يفلح هذا أبداً)

حدثني أبو المنذر ، قال : حدثني شيخٌ من أهل وادي القرى ^(٢) ، قال : لما استعدي آل بشتنة مروان بن الحكم على جميل ^(٣) وطلبه رُبْعِي

(١) عصارهم : أي كل من التجشوا إليهم ولادوا بهم .

(٢) وادي القرى : هو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة ، كان رسول الله صل الله عليه وسلم قد فتحه عنوة سنة سبع من الهجرة وكان غالب أهل من اليهود فأجلاهم عمر رضي الله عنه وهو الآن تابع للمدينة ، انظر معجم البلدان ٨٧٨/٤ .

(٣) هو جميل بن عبد الله بن نمر العلوي ، شاعر فصيح مقدم جامع الشعر والرواية عشق بشتنة بنت حيا بن ثعلبة وكان ابن خالته إلا أن ابن صها وكان يسمى نبيها سبقة إلى غلبتها وساق في ذلك مهراً كثيراً فزوجوه منها ، فظل جميل بعد ذلك مولها يحبها يقول الشعر في ذلك حتى اشتهر بها فيقال جميل بشتنة ، انظر أخباره وأشعاره في الأغاني ٩٠/٨ ، مختار الأغاني ٢٢٣/٢ - ٢٧٥ .

ابن دجاجة العبدى ^(١) صاحب تيماء ^(٢) هرب إلى أفاصي بلادهم ، فأتى رجلاً من بني عذرة شريفاً وله بنات سبع كأنهن البذور جمالاً ، فقال : يا بني ! تحلين بيجد حليكن والبسن جيد ثيابكن ثم تعرضن لحميل فلاني أنفـس على مثل هذا من قومي ، فكان جميل إذا تزينَ وآهن أعرض بوجهه فلا ينظر إليهن ، ففعلن ذلك مراراً وفعله جميل ، فلما علم ما أريد بهن أنشأ يقول :

حَكَمْتُ لَكِي تَعَلَّمَنَّ أَنِّي صَادِقٌ
وَلِلصِّدْقِ خَيْرٌ فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
لِتَكَلِّمُ يَوْمَ مِنْ بَثْنَيْنَةٍ وَاحِدٍ
وَرَوَيْتَهَا عِنْدِي أَلَدُ وَأَصْلَحُ
مِنَ الدَّهْرِ أَوْ أُخْلُو بِكُنَّ وَإِنَّمَا
أَعَالِجُ قَلْبًا طَاعِمًا حَيْثُ يَطْمَحُ
قال : فقال لمن أبوهن : ارجعن ، فوالله لا يفلح هذا أبداً ^(٣) .

(أبو إسحاق الفزاري يردُّ على إتهام الرشيد له)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا يزيد بن محمد المهلبي ، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : كنت جالساً بين يدي هارون الرشيد أنشدته شعراً ، وأبو يوسف القاضي جالس

(١) اسمه في الأغاني : عامز بن ريمي بن دجاجة ، وورد اسمه في المختار : دجاجة بن ريمسي .

(٢) تيماء : بلدة في أطراف الشام بين الشام وادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق ، كان يسكنه اليهود ، وبه حصن تيماء الشهير الذي كان للسموأل بن عدياء ، وقد أجلاهم عنها عمر رضي الله عنه حين أجل اليهود من جزيرة العرب ، انظر معجم البلدان ٩٠٧/١ .

(٣) انظر هذا الخبر في مصارع المشاق ٢٨٠ .

على يساره ، فدخل الفضل بن الربيع ، فقال : بالباب أبو إسحاق الفزاري^(١) ، فقال : أدخله ، فلما دخل قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له الرشيد : لا سلم الله عليك ولا قرّب دارك ولا حبّاً مزارك ، قال : لم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنت الذي يحرم لبس السواد ، قال : يا أمير المؤمنين ، من أخبرك بهذا ؟ لعلّ ذا أخبرك ؟ وأشار إلى أبي يوسف - فعلى هذا لعنة الله وعلى أستاذه من قبله ، والله يا أمير المؤمنين لقد خرج إبراهيم^(٢) على جدّك المنصور فخرج أخيه معه ، وعزمت على الغزو فأتيت أبا حنيفة فذكرت ذلك له ، فقال لي : مخرج أخيك أحبّ إليّ مما عزمت عليه من الغزو ، والله ما حرّمت السواد . فقال الرشيد : فسلم الله عليك وقرّب دارك وحبّاً مزارك ، اجلس يا أبا إسحاق ، يا مسرور ! ثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق ، فأتى بها ووضعها في يده وخرج وانصرف ، فلقية ابن المبارك فقال : من أين أقبلت ؟ فقال من عند أمير المؤمنين ، وقد أعطاني هذه الدنانير ، وأنا عنها غنيّ ، قال : فإن كان في نفسك منها شيء فتصدق بها فما خرج من سوق الرافقة حتى تصدّق بها كلها .

(كاس أم حكيم)^(٣)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثني عون بن محمد الكندي ،

(١) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري ، صاحب السير ، وكان غيراً قاضياً ، إلا أنه كان يفلط في حديثه ، توفي بالمصيمة قرب طرسوس سنة ١٨٨ هـ ، انظر المعارف ٥١٤ .

(٢) يعني به إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان قد خرج هو وأخوه محمد علي أبي جعفر وغلبا على المدينة ومكة والبصرة ، فبعث إليهما عيسى بن موسى فقتل محمداً بالمدينة وقتل إبراهيم ببخارا على ستة عشر فرسماً من الكوفة ، انظر المعارف ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) هي أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس وأما زينب -

قال حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، أبو أحمد إبراهيم ، قال : ركب الرشيد يوماً بَكْرًا فنظر إلى محمد الأمين^(١) يميلُ به سرجه ، فقال : ما أشارك إلى هذا يا محمد ؟ قال : أشاركني إليه البارحة :

عَلَّلَني بعانقاتِ الكُرُومِ واستقيتاني بكأسِ أمِّ حَكِيمٍ^(٢)

قال : فانصرفنا يا محمد ، فلما رجع الرشيد وجّه إليه بخادم ومعه كأس أم حكيم ، وكان كأساً كبيراً فرعونياً ، قد جعل فيه طوقٌ ذهبٍ ومقبض من ذهب ، فإذا هو مملوء دنانير ، وقال له : يقول لك أمير المؤمنين بعث إليك بالذي أسهرك لتشرب فيه وتنتفع بما يصل معك ، قال : فأعطى الخادم قبضة من دنانير ، وفرق نصفه ما فيه على جلسائه وأعطى النصف خازنه وشرب في القدح ثلاثة أرباط رطلاً بعد رطل وردّة ، فكان مبلغ الدنانير عشرة آلاف دينار .

(متى يقال : الليلة الماضية ، ومتى يقال : البارحة)

قال القاضي : جاء في هذا الخبر أن الأمين قال : بَكْرًا أصابني

= بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، كانت هي وأمها من أجمل نساء قریش ، وكانت قریش تسمى أم حكيم : الواسلة ، لأنها وصلت الجمال بالكمال ، تزوجت عبد العزيز ابن الوليد بن عبد الملك في حياة جده ، ثم طلقها فتزوجها هشام بن عبد الملك ، وكانت أم حكيم منسنة على الشراب لا تكاد تفارقه ، ولها كأس خاص كانت تشرب فيه هو الذي سيذكره المؤلف ، انظر مختار الأغاني ٣٨٧/١ .

(١) الواقع أنه لم يكن محمداً الأمين الذي حدثت معه هذه القصة بل هو محمد بن الجعيد الخثلي ، وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ، ومن يقدم دابته ، انظر مختار الأغاني ٣٩١/١ ، ومن المستبعد أن يكون الأمين قد ظهر بظهر المخمور أمام أبيه ، وكلمه أبوه بهذا الكلام .

(٢) البيت ضمن ثلاثة أبيات للوليد بن يزيد ، وبعده :

إنها تشرب المدامة صرفاً في إثناء من الزجلاج عظيم
جنيوني أذاة كل لثم إنه ما علمت شر نديم
انظر المرجع السابق .

البارحة ، وهذا كلام مستفيض في العامة لإطلاقهم إياه في خطابهم وفيما يروونه عن غيرهم ، فأما أهل العلم بالعربية فيذهبون إلى أنه يقال في أول النهار إلى زوال الشمس الليلة الماضية كان كذا وكذا الليلة ، فإذا زالت الشمس قالوا حينئذ : البارحة ، وفي هذا الخبر ذكر الكأس ، وقد ذهب قوم إلى أنها اسم للخمر واسم للإناث ، قال الله تعالى ذكره : ﴿ يَظَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، بِيضَاءٍ لَمَدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ ^(١) وقيل إنها في قراءة عبد الله : صفراء ^(٢) ، وقال الفراء : الكأس : الإناث بما فيه ، فإذا أخذ ما عليه وبقي فارغاً رجع إلى اسمه إن كان طَبَقاً أو خُواناً أو غير ذلك ، وقال بعض أهل التأويل ^(٣) : الكأس الخمر ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾ ^(٤) وقال جلّ ذكره : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴾ ^(٥) وأنشد أبو عبيدة :

وَمَا زَاكَتِ الْكَأْسُ تَغْتَا لَنَا وَتَدَّهَبُ بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ ^(٦)
وقال الأعشى ^(٧) :

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَمَدَةٍ وَأُخْرَى تَدَّأَوَيْتُ مِنْهَا بَهَا

(١) سورة الصافات الآيةان ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) انظر تفسير القرطبي .

(٣) الفرق الثاني هو قول أبي حاتم السجستاني والأصمعي ، انظر اللسان ٧٢/٨ .

(٤) سورة الإنسان الآية ٥ .

(٥) سورة الإنسان الآية ١٧ .

(٦) البيت لأبي عبد النبي عبد الله بن أيوب ، انظره في الأغاني ٤٤/٢٠ ، واللسان ٢٣/١٤ ،

والنول : الصداق وقيل : السكر ، وفسر به قوله تعالى : « لَا فِيهَا غَوْلٌ » ، والنول أن

تقتك عقولكم ، وتوصل إليهم شراً ، انظر تفسير القرطبي ٥٥٢/٣ .

(٧) ديوانه ٢٤ .

وقال آخر^(١) :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا
الموت كَأْسٌ والمرءُ ذَائِقُهَا

العبطة : أن يموت الرجل من غير علة ، ومن هذا قولهم : دَمَّ عبط إذا كان طرياً قد خرج من جسم صحيح ، وقال أبو حاتم السجستاني : لا يقال للموت كأس ، قال القاضي : وهذا خطأ منه ، قد يضاف الكأس إلى المنية ، وقد توصف المنية بأنها كأس كما توصف بأنها رَحَى ، ويضاف إليها الرَّحَى فيقال : المنية رَحَى دائرة على الخلق ، وللمنية على الناس رَحَى دائرة ، وللموت كأس مرة ، والموت كأس كريمة ، ويقال شرب فلان كأس المنية ، فيضاف الكأس إليها ، قال مهلهل :

ما أَرَجَّيَ العيشَ بعدد نَدَامِي
قد أَرَاهُمُ مُقُوًّا بِكَأْسِ حَلَاقِي^(٢)

أي بكأس المنية ، لأن حلاق من أسماء المنية بمنزلة حَذَام وقطام ، ورواه بكأس خلاق بالخاء فقال : يعني بكأس تصيبهم من الموت وهذا أكثر وأشهر من أن يُخِيل على عالم بالعربية ، وأعجب بلذاهبه على أبي حاتم مع سعة معرفته ، ولكنهم بشر وأنى لإنسان يحيط بالعلم كله ولا يخفى عليه شيء من جَلِيلِهِ ففولاً عن غامضه وخَفِيَّهِ ، وقد قال الشاعر في هذا المعنى :

أين القرون التي عن حَظِّهَا غَمَلْتُ
حتى سَقَاها بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقِيهَا^(٣)

(١) البيت الثاني لأمية بن أبي الصلت كما ذكر الأصمعي في اللسان ٧٢/٨ ، وينسب أيضاً ليعلى الحرورية برواية : والمرء ذائقه ، اللسان ٧٢/٨ .

(٢) البيت في اللسان ٧٢/٨ ، ١١ ، ٣٥٢ .

(٣) البيت مع بيت آخر دون نسبة في البيان والتبيين ١٢٠/١ ، وذكر أنهما وردا في خطبة لعبد الله بن الحسن المنبري .

وقال السجستاني : في البيت الذي فيه الموت إنما هو الموتُ كَأْس ،
قال : وقطع ألف الوصل لأنها في مبتدأ النصف الثاني وهذا يحتمل ، وقال :
أنشدناه الأصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لأمية بن أبي الصلت ،
قال القاضي : وقد روت الرواة هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت وأما
المعنى الذي ذكره السجستاني من تجويز قطع ألف الوصل فقد جاء في الشعر
كثيراً كقول الشاعر :

بأيي امرؤ أَلشَّامَ بَيْتِي وَيَتَنَّهُ
أَتَقْنِي بَيْشِرُ بُرْدُهُ وَرَسَائِلُهُ

وقال آخر :

إذا جاوز الإثنين مِرٌّ فإنه يَبِثُّ وتكثير الوُشَاةِ قَمِينٌ^(١)

وقال آخر :

ألا لا أرى إثنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْمَةٍ
عَلَى حَدِثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْلٍ^(٢)

وأحسن هذا الباب ما كان في الأوائِل والأركان والأنصاف قال
حسان^(٣) :

لنُسَمِّعَنَّ وشيكاً في ديارِهِمُ الله أكبر يا ثارات عثماننا

(١) البيت لقيس بن الخطيم ، وهو في ديوانه ٥٥ ، أمالي الفاي ٢/٢٠٢ ، لباب الآداب
٢٣ ، حماسة البحري ٢٢٦ ، الكامل للمبرد ١١٧/٢ ونسبه فيه إلى جميل بن منير
الحدادي ، والبيث : الذبوح والانتشار ، وقين : حرى خليق ، والشاهد في البيت قطع
الهمزة من (الإثنيين) في الضرورة .

(٢) البيت في شرح الأعمشوني ٢٧٣/٤ ، وجميل : اسم امرأة ، والشاهد فيه كالشاهد في البيت
السابق وإثبات همزة الوصل للضرورة .

(٣) ديوانه ٦٠ .

(القضاة في نظر أبي يوسف)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ ، قال : حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، قال : سمعتُ أبا يوسف القاضي يقول : ما ولي القضاء أحدٌ أفقهُ في دين الله ولا أقرأ لكتاب الله ولا أعفُ عن الأموال من ابن أبي ليلى^(١) قال : فقلت : فابنُ شبرمة^(٢) ، قال : رجلٌ مكثرٌ ، قال عليٌّ : وولي حفصُ بن غياث^(٣) القضاء من غير مشورة أبي يوسف فاشتدَّ عليه فقال لبشر بن الوليد^(٤) والحسن اللؤلؤي^(٥) تتبعاً قضاياه ، فتبعناها فلما نظر إليها ، قال : هذه قضايا ابن أبي ليلى ، ثم قال لهما : تتبعنا الشروط والسجلات ففعلا ، فلما نظر فيها ، قال : حفصُ بنُ غياثٍ ونظرأوه يعانون قيام الليل .

(كم كان يصلي بهم لو أكلوا التوريسج)

حدثنا محمد بن مزيد البوشنجي ، قال : سمعتُ سفيان بن وكيع بن الجراح ، يقول : سمعتُ سفيان بن عيينة ، يقول : دعانا سفيانُ التوري^(٦) يوماً فقدم إلينا تسمراً ولبناً خائراً^(٧) فلما توسطنا الأكل قال : قوموا

(١) سبقت ترجمته .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان القيسي ، أبو شبرمة الكوفي القاضي ، ولاء أبرجمر المنصور قضاء الكوفة ، توفي سنة ١٤٤ هـ ، انظر تهذيب التهذيب .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) الكليني القاضي العلامة أبو الوليد ، تفقه عل أبي يوسف ، وسمع مالك وطبقته ، وولي قضاء مدينة المنصور ، وكان محمود الأحكام كثير العبادة ، توفي سنة ٢٣٨ هـ ، عن سبع وتسعين سنة ، انظر شذرات الذهب ٨٩/٢ .

(٥) هو أبو علي الحسن بن زياد اللؤلؤي ، مولد الأنصار ، وأحد أصحاب أبي حنيفة الذين روى عنه ، كوفي نزل بغداد ، وولي القضاء بعد حفص بن غياث سنة ١٩٤ هـ ، وكان يضعف في حديثه ، انظر لسان الميزان ٢٠٨/٢ .

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) اللبن الخائز : الشبن الغليظ .

بنا نُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى قَالَ سَفِيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ : لَوْ كَانَ قَدَمٌ
لَهُمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا التَّوَزِينِ (١) الْمُحَدَّثُ لَقَالَ لَهُمْ : قَوْمُوا بَنَّا نَصَلِّي
الْتَرَاوِجِحَ .

(إِغْثَابُ الزِّيَارَةِ)

أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ ، قَالَ : أَنَشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمَبْرَدُ :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا
تَكُونُ (٢) إِذَا دَامَتْ إِلَى الْمَجْرِمِ مَسْلَكًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْقَطَرَ يُسَلِّمُ دَائِمًا
وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ (٣)

قَالَ ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ : فَأَنشَدْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَبَا بَشَرٍ الْبُزْدَنِي بِمَسْكَانِ
بَنِي سَعِيدٍ فَقَالَ : هُمَا فِي شِعْرِ طَوِيلٍ ، وَأَنشَدَنِي الْقَصِيدَةَ وَهِيَ طَوِيلَةٌ ،
فَقُلْتُ لَهُ : أَنَشَدَنِي الْمَبْرَدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، قَالَ : قَدْ قُلْتُهُمَا
أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً ، قَالَ الْقَاضِي : فِي نَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ (٤) :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَقِّ مُخْلِقٌ
لِدَيَّاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ يَتَجَدَّدُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً
إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ

(١) التَّوَزِينُ : خَرْبٌ مِنَ الْحُلُوفِ شَبَّ الْقَطَافِ ، يُؤَدِمُ بَدَنَ الْوَرْدِ .

(٢) سَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ أ .

(٣) نَسَبَ الْبَيْتَانِ إِلَى نَاصِرِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَوَيْ فِي مَجْمَعِ الْأَدْبَاءِ ٢١١/١٩ ، وَلِإِبْنِ حَمُوشِ

الْقِسِيِّ الْمَقْرِيِّ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٣٦٤/٤ ، وَانْظُرْهُمَا دُونَ نِسْبَةٍ فِي بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ

٢٥٨/١ ، مُحَاضَرَاتِ الْأَدْبَاءِ ١٢١/١ ، التَّمْثِيلُ وَالْمُحَاضَرَةُ ٤٦٣ .

(٤) دِيوَانُهُ ٥٠ .

ومن البيان الحسن في هذا المعنى ، ما روي عن النبي ﷺ من قوله :
« زُرْ غَيْبًا تَزِدُّهُ حُبًّا » (١) .

أنشدنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، قال : أنشدني أبو
بكر القرشي ، قال : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

هل الدهرُ إلاَّ ساعةٌ ثم تنقضي
بما كان فيها من عتاءٍ ومن خفصٍ
فهوئك لا تحفل بمشقةٍ عارضٍ
ولا فرحةٍ سرت فكلتاها تمضي

• • •

(١) رواه البزار وأبو نعيم والمسكوي في الأمثال والبيهقي في الشعب راجع كشف الخفاء ج ١
صفحة ٤٣٨ .

المجلس الثاني والعشرون

(فضل العقل)

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي سعيد ، أبو بكر البزاز ، قال : حدثنا محمد بن عبد النور الحرّاني ، قال : حدثنا أحمد بن مفضل ، قال : حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي رضي الله عنه ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا تقرب النَّاسُ إلى خالقهم بأنواع البِرِّ فتقرب إليه بأنواع العقل ، تسبقهم بالدرجات والرتب عند النَّاسِ في الدنيا وعند الله في الآخرة » .

قال القاضي : وهذا ما يبين به شرف العقل وفضله ، وأن الأعمال الصالحة تزكو به ويتضاعف ثواب عاملها بحسب حفظهم منه ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الرجل ليكون من أهل الصلاة وأهل الصيام وأهل الجهاد - حتى عند سهام الخير - وما يجازي إلا على قدر عقله »^(١) وروى عنه ﷺ أنه قال : « ما استودع الله عز وجل عبداً عقلاً إلا استنقله به يوماً ما » .

(١) روى قريباً من هذا الحديث في جميع التروائد ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في العقل والمقلاء ، ٢٨/٨ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط .

وما روى عن العقل وفضله ، وشرف منزلته ، وعظيم نفعه ، أكثر من أن يحصى .

وقد حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة قال : حدثنا محمد بن حسين ، عن عمرو بن حمزة ، قال : حدثنا صالح المري ، عن حسن ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الحكمة تزيد الشريفة شرفاً ، وترفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك » . وإن في هذا ما يُرغب في اقتباس العلم واكتساب الحكمة ورفع المرء قدره عن طبقة العوام ، ومنزلة المهتج الطغام ، فكم ذي علم ومعرفة وحكمة وبصيرة ، قد تبه وسمّا وارتفع وعلا ، وصار متبوعاً معظماً وزعيماً مقدّماً ، وكم من ذي قدر وحسب ، ومنصب ونسب ، ومال ونسب ، وشرف في أصله ، ومنزلة في أهله ، قد هدم ما بناء له أهله وشيّدوه ، وخفض ما رفعوه ، وحطّ ما علّوه وعمّدوه ، وقد رويّا أن بعض ولد رُوح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وُجد في القبة التي بالبصرة ، وهي التي يُقال لها « خضراء روح » على سوءة ، فقيل له : ويحك أي محتلّ شرّك ؟ ! فقال :

ورثنا المجدّ عن آباءٍ صِدِّقٍ أساتنا في ديارهم الصّنيعا^(١)

ومما يُستحسن في هذا المعنى قول القائل :

إنّ القبي من يقول هأنذا ليس القتي من يقول كان أبي

ولله درّ القائل :

لستنا وإن أحسبنا كرمتم أبدأ على الأحساب تكمل

نبي كما كانت أوائلنا بني وفعل مثل ما فعلوا^(٢)

(١) البيت في حجة المجالس ٥٢٩/١ ، ويعد بيت آخر :

إذا الحسب الرفيع تماورته بناء السوء أولك أن يضيأ

(٢) ورد البيت في كامل المبرد ٩٤/١ منسويين لبيد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن -

وقد رُوينا أن زيد بن علي تَمَثَّلَ بهلدين البيتين ، ولقد كان رضوان الله عليه من أعلام الأبرار والأئمة الأخيار ، سلك سبيل سلفه ، واقتضى آثارهم فارْتَفَعَ واعتلى ، وأم أنوارهم فاستبصر واهتدى ، ورفع قواعد بنيانهم ، وشيد وثيق أركانهم ، واتَّبع سبيلهم في نصرة حزب الإسلام وأوليائه ، ومحاربة حرب الدين وأعدائه ، وغَضِبَ الله جل جلاله من طغيان المترفين وعدوان المُسْرِفين ، فجاهد في سبيل ربه بنفسه ومن أطاعه من أهله المتقين ، وأوليائه من أمثال المسلمين ، وإخوانه في الملة والدين ، وأبدى صفحته ، وبذل في ذات الله ماله وصحته ، ففَضَّى الله تعالى له بالتوفيق والسعادة ، وختم له بالفوز والشهادة ، ونقله إلى دار كرامته ، وجعل أعدائه بغرض الانقلاب إلى دار عذابه ونقمته .

حدثنا ابن دريد ، قال : أخبرنا أبو معاذ المؤدَّب خَلَفَ بن أحمد ، قال سمعت المازنيَّ ينشد :

وَلَرُبَّ ذِي مَالٍ تَرَاهُ مُبَاعِداً
كَالْكَلْبِ يَنْسَحُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ
وَتَرَى الْأَدِيبَ وَإِنْ دَهَتْهُ خِصَاصَةٌ
لَا يُسْتَحَقُّ بِهِ عَلَى الْأَبْوَابِ
ولقد أحسن ابنُ الرومي في قوله :
فلا تفتخر إلاَّ بما أنت فاعِلٌ
ولا تحسبن المتَّجِدُ يُورَثُ كالتَّسَبُّ
وليس يَسُودُ الْمَرْءُ إِلَّا بِفَعْلِهِ
وإنَّ عَدَّ آبَاءَ كَرَاماً ذَوِي حَسَبٍ

- أبي طالب ، ونسباً في حسابة أبي تمام ٢/٣٣٩ إلى المتوكل الليثي ، وانظرهما دون نسبة في هجته المجاليس ١/٥٣٠ ، زهر الآداب ١/٧٩ ، نوادر الثاقبي ١١٧ ، ورواية الشرطة الأولى : بسنا وإن كرمت أولئنا .

إذا العود لم يُشمر وإن كان شُعْبَةً
من الشُّمَرَات اعتدّه الناسُ في الحَطَبِ
وهذا باب يتسع ويكثر جمعه ، ولنا فيه رسالة تشتمل على جملة
كثيرة منه .

(خبر سعد العشيرة)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عمي ، عن أبيه ،
عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، قال : وَقَدْ سَعِدُ الْعَشِيرَةِ فِي مِائَةِ مِنْ وَلَدِهِ
إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ حِمَيرَ ، وَكَانَ سَعِدٌ قَدْ عُمِّرَ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ قَالَ لَهُ : مَا مَعَكَ يَا سَعِدُ ؟ قَالَ : عَشِيرَتِي ، قَالَ : أَنْتَ
سَعِدُ الْعَشِيرَةِ . فَسُمِّيَ سَعِدُ الْعَشِيرَةِ ^(١) ، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي
عَنْكَ رِجَاحَةُ لُبٍّ ، وَرِصَانَةُ حِلْمٍ ، وَأَصَالَةُ رَأْيٍ ، وَفَافَذُ فِي الْأُمُورِ ، مَعَ مَا
جَرَّبْتَ مِنْ تَصَرُّفِ الدُّهُورِ ، فَهَلْ أَنْتَ مَخْبِرِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ عَقَلِي وَقَلْبِي مَضْبُغَتَانِ مِنِّي ، حَرَّاهُمَا الدَّهْرُ كَمَا حَرَّيَ سَائِرَ
جَسْمِي ، وَلَكِنِّي أَبُو رُويَةٍ ثَاقِبَةٍ مَا خَذَلَنِي مِنْذُ أُبْدِئْتُ ، فَلْيَقِلْ الْمَلِكُ أَسْمِعْ ،
فَإِنْ أَوْفَقْتُ لِلصُّوَابِ فَيُصْنِرَ الْمَلِكُ ، وَإِنْ يَخُونَنِي الْجَوَابُ ، فَبِمَا تَلَمَّسْتُهُ
مِنْنِي الْأَحْقَابُ ، قَالَ لَهُ : يَا سَعِدُ ! مَا صَلَاحُ الْمَلِكِ ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ !
مَعْدَلَةٌ شَائِعَةٌ ، وَهَبِيَّةٌ وَازِعَةٌ ، وَرَعِيَّةٌ طَائِعَةٌ ، فَإِنْ فِي الْمَعْدَلَةِ حَيَاةُ
الْأَنَامِ ، وَفِي الْهَبِيَّةِ نَفْيُ الظَّلَامِ ، وَفِي طَاعَةِ الرِّعْيَةِ التَّكَلُّفُ وَالْإِلْتِمَامُ . قَالَ لَهُ
الْمَلِكُ : يَا سَعِدُ ! فَمَنْ أَحْمَدُ الْمُلُوكِ إِيمَالًا ، وَأَحْسَنُهُمْ عِنْدَ الرِّعْيَةِ حَالًا ؟
قَالَ : مَنْ كَثُرَتْ فِيهِ اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ رَغْبَتُهُ ، وَمَالَتْ إِلَى الْأَضْيَافِ
رَحْمَتُهُ ، وَتَحَوَّلَ بِالْمُرَاعَاةِ رَعِيَّتُهُ ، وَاعْتَدَلَتْ بِهَيْبَتِهِ رَأْفَتُهُ ، قَالَ : يَا سَعِدُ !

(١) وقال ابن قتيبة في حيون الأخبار ٩٥/٣ إنه إنما سعى بذلك لأنه كان يركب في عشرة من
ولده فكانهم عشيرة .

يَسْتَدْرِكُ عَنْهُ الْمُلُوكُ حُسْنُ الْمَكَانَةِ ؟ وَتُسْتَبَدَلُ مِنْهُ الْفُظَاظَةُ بِالْيَاثَةِ ؟
 قَالَ : بِالْبَالِغَةِ فِي طَاعَتِهِ ، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى مَشِيئَتِهِ ، وَحِجَابَةِ مَسْخَطَتِهِ ، وَالتَّقَرُّبِ
 إِلَيْهِ بِمُوافَقَتِهِ ، قَالَ : فِيمَ تُؤْمَنُ سَطْوَةُ الْمَلِكِ وَيُحْتَجَبُ مِنْ بَوَادِرِ عَقُوبَتِهِ ؟
 قَالَ : بِالنَّصِيحَةِ غَيْرِ الْمُنْدُوقَةِ^(١) ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ غَيْرِ الْمَشُوبَةِ بِالْحَيَاثَةِ ،
 وَقَطْعِ لِسَانِ الْعِتَابِ بِالْحَيِطَةِ بِالْغَيْبِ ، وَالتَّحْفِظِ عَنْ إِفْشَاءِ الْكَلِمَةِ فِي الطَّعْنِ
 عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا لَقِظَهُ^٢ اللِّسَانُ لَمْ تَمْلِكْ إِعَادَتَهُ إِلَى الْقَلْبِ ، وَلَمْ
 يُؤْمَنْ مِنْهُ عَشْرَةٌ غَيْرُ مُقَالَةٍ ، وَكِبُورَةٍ غَيْرُ مَغْفَرَةٍ ، قَالَ : فَأَيْنَ يُوْجَدُ
 الرَّأْيُ الْأَصِيلُ ، وَالصَّوَابُ الْأَلِيلُ ؟ قَالَ : عِنْدَ النَّاصِحِ اللَّيِّبِ ، الْحَازِمِ
 الْكَرِيمِ ، الَّذِي إِعْلَانُهُ كَكُمُونَتِهِ ، وَمُبْتَدَلُهُ كَمَصُونَتِهِ ، قَالَ : فِيمَ يَدْرِكُ
 عِلْمُ الْأَمْرِ فِي الْوَلَاجِ الْمَازُولِ وَالرَّأْيِ الْمُسْتَوْرِ فِي مُسْتَقَرِّ التَّامُورِ ؟ قَالَ :
 بِإِحْدَى خِلَتَيْنِ ، إِمَّا بِالْعَشِيرَةِ الْمَاطِلَةِ ، وَالتَّجَرُّبَةِ الْمَصَاوِلَةِ ، أَوْ بِالْحَبِيبَةِ
 الْبَالِغَةِ ، وَالبَصِيرَةِ الثَّاقِبَةِ ، قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَعَاوَةِ عَلَى دَهْرِهِ وَأَحْرَاهِمِ
 بِالْمُسَاعَدَةِ عَلَى أَمْرِهِ ؟ قَالَ : مَنْ جَعَلَكَ سِنْدًا لظَهْرِهِ ، وَأَلْقَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ
 أَمْرِهِ ، وَجَعَلَ رِجَاءَكَ عَامِرَ صَدْرِهِ ، قَالَ : بِمِ تَتَأَكَّدُ مَحَبَّةَ الْخَاصَةِ ،
 وَيَسْتَعِظُ رِضَا الْعَامَةِ ؟ قَالَ : بِبَسْطِ يَدِ الْعَدْلِ ، أَوْ إِطْلَاقِ عَقْلِ الْبِدْلِ ،
 وَالتَّجَافِيِ عَنِ الْعِتَارِ ، مَا لَمْ يُخْرِجْ ذَلِكَ إِلَى انْتِشَارِ ، قَالَ : فِيمَ تَحْمَسُ أَحْدُوْتَهُ
 الْمَلِكُ ؟ قَالَ : بِإِرْجَاءِ الْعُقُوبَةِ فِي سُلْطَانِ الْغَضَبِ ، وَتَعْجِيلِ مَكَاثِفَةِ الْمُحْسَنِ
 قَبْلَ الطَّلَبِ ، وَتَسْلِيْطِ الْحِلْمِ وَالْأَنَاسَةِ عَلَى الطَّيْشِ وَالتَّرْقِ ، وَاسْتِصْلَاحِ أَوَّلَى
 الْإِنْقِيَادِ لِمُسْتَجْلَابِ أَوَّلَى الرَّهَقِ .

(مَعْنَى الْأَلْفَاظِ اللَّغَوِيَّةِ)

قَالَ الْقَاضِي : قَوْلُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ فِي عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ : حَرَاهِمَا الدَّهْرُ كَمَا
 حَرَى سَائِرَ جَسَمِيْ مَعْنَاهُ نَقْصُهُمَا ، يُقَالُ : حَرَى الشَّيْءُ يَحْرَى أَيُّ نَقْصٍ ،
 كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

(١) غَيْرِ الْمَحْلُوقَةِ : غَيْرِ الْخَالِصَةِ ، وَالْمَدْلُوقِ : الْمُخْتَطَطِ بِغَيْرِهِ بِبَعْضٍ .

في جَسَدٍ يَنْسِي وعَقْلٍ يَحْرِي (١)

وفي قوله : فيما ثَلَمَتَهُ مِنِّي الأحقاب يعني السنين ، قال الله عز وجل : ﴿ لَا يَبْقَىٰ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ (٢) والواحد حَقَبٌ ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حَقْبًا ﴾ (٣) وقيل : إن الحقب ثمانون عاماً ، وقيل له : حقة من الدهر يُراد به المدة الطويلة ، قال متمم بن نويرة : يرثي أخاه مالكا :
وَكُنَّا كَنُذَمَّائِي جَدِيمة حَقِيبةٌ
من الدهر حَتَّى قِيلَ لَن يَتَصَدَّعَا (٤)

وقوله : أحمد الملوكة إيلالا : يعني الإصلاح والتدبير والسياسة ، ويقال فلان حسن الإيالة إذا وُصف بالإحسان في سياسة أمره ، وقوله : الولاَج المأزول يعني المدخل الضيق ، ويقال : أصاب القوم أزل أي شدة وضيق .
قال الشاعر :

وإن أفسَدَ المالُ الجماعاتِ والأزَل (٥)

(١) بيت من الرجز لأبي نغيلة السلمي ، وقيله :

ما زال مجنوناً حل است الدهر

والبيت وارد في اللسان ٣٩٠/٨ ، والرواية فيه : ذا حلق ينسى وعقل يحري ، ونفس البيت بقوله : است الدهر أول الدهر ويقال : كان ذلك حل است الدهر وحل أس الدهر أي حل قدم الدهر ، أي لم يزل مجنوناً دهره كله ، وينسي : يزيد ، ويحري : يقل .

(٢) سورة النبا الآية ٢٣ .

(٣) سورة الكهف الآية ٦٠ .

(٤) البيت في ديوانهما المجموع ١١١ ، وانظر المراجع أي أوردوا المصحق ، قال: ونسائي جديمة هما مالك وعقيل ابنا خارج بن كعب من بني التميمي ، نادى الملك جديمة الأبرش حين ردا عليه ابن أخته عمرو بن علي ، ومكثا معه دهرًا حتى قتلها يومًا وهو في حالة سكر شديد ، ثم ندم على مقتلها ، فكان إذا شرب كفاً لها كأسين ، فلا يزال كذلك حتى ينفورا ، ولم يتدبه غيرهما ، وقد ضرب بهما المثل في طول الملازمة والاجتماع ، وسارت . أبيات متمم في الاتفاق لهذا المعنى المشهور .

(٥) انظر هذا الشطر في اللسان ١٤/١٣ .

فأما الإزل بكسر الهمزة : فالكذب ، كما قال ابنُ دارة ^(١) :

يقولون إزلُّ حُبُّ ليلي وودُّها
وقد كدَّبوا ما في مودَّتِها إزلُّ

وقوله : التامور يريد القلب ، ويعبر بالتأمور عن النفس وهو الدم ،
يقال نفس سائلة أي دم ، والنفاس والنفاء من هذا .

(الوليد يوافق الحجاج على عسفه بآل المهلب)

حدثنا أبو إسحاق لإسماعيل بن يونس ، قال : حدثنا أبو توبة بن
دراج ، قال : قال الأصمعي : كتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك
يلدرك عَسْفَهُ آل المهلب ومطالبته إياهم بما اختانوا من الأموال ، فوقع
في كتابه بخطه : ليس للخائن حرمة تبعت الأحرار عن ترفيهم ، فإياك
وتضييع حق قد وجب ، وأمانة مال خطير يزين الدولة ويحصن الخلافة ،
ويؤخذ من خائن لم يشكر عليه ، ويدفع إلى ناصح يحتاج إليه ، فلما قرأ
الحجاج كتابه أنشأ يقول متمثلاً بشعر رجل من بني كلاب :

ولاني لَصَوَّانٌ لنفسي وإنسي على الهول أحياناً بها لرحومُ
ولاني لأزري في خلال كثيرة على المرء أن يختال وهو لثيم

(أنا أشعر أم أنت ؟) ^(٢)

حدثنا محمد بن يزيد البوشنجي ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال :
أخبرني ثابت بن الزبير بن هشام ، قال : قدم المأمون من خراسان ومعه

(١) هو عبد الرحمن بن دارة ، انظر بيته في اللسان ١٤/١٣ . .
(٢) أنظر النهر الثاني في الأغاني ، وختار الأغاني ١٧٩/٧ ، وقد ذكر أن الشاعر الذي
حدثت بيته وبين أبي التمامية هذه المحاورة كان محمد بن منذر ، وروى الخبر برواية
أخرى فيهما .

شاعر ، فلقبه أبو العتاهية فقال له : من أشعر أنا أم أنت ؟ قال : أنت أشعر وأولى بالتقدمة ووقره ، فقال أبو العتاهية : كم تقول في الليلة من بيت شعر ؟ قال : ربما أقمت على القصيدة لا تكون ثلاثين بيتاً شهراً ، قال : فأنا أشعر منك ، ربما دعوت الجارية فأمليتُ عليها خمس مائة بيت ، قال : فحبي الخراساني فقال : لو كنت أرضى مثل شعرك لقلتُ في الليلة خمسة آلاف بيت ، قال : مثل أي شعر ؟ قال : مثل قولك :

ألا يا عُبَّةَ السَّاعَةِ " أموت الساعة - الساعة "

قال : فاستضحك القوم منه .

وحدثنا ابن دريد ^(١) قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : قيل لأبي مَهْدِيَّة : يعجبك قول الشاعر :

ألا يا عُبَّةَ السَّاعَةِ " أموت الساعة - الساعة "

قال : لا ، ولكنه يَغْمِي ، قال : فقل له : فما يعجبك ؟ قال : يعجبي :

جاء زهيرٌ عارضاً رُمَحَه إن بني عَمَّكَ فيهم رِمَاحُ
هل أحدثَ الدهر لنا نكبةً أو قُلَّ يوماً لزهيرٍ سلاحُ ^(٢)

(بدء أمر أبي العتاهية)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أحمد بن صدقة ، قال : أخبرني محمد بن عبد الله الأسدي ، قال : أخبرني إبراهيم بن سلام ،

(١) وهذا الخبر ورد في الموشح للمزباني ٣٩٦ ، دون ورود اسم الأعرابي فيه ، وأبو مَهْدِيَّة الذي ذكره المؤلف هو أحد الأعراب الفصحاء الذي روى عنهم البصريون ، واختار له الأصبغي قصيدة في الأصبغيات ، وانظر الفهرست ٦٩ .

(٢) الرواية الشهيرة في كلا البيتين : شقيق بدل زهير .

قال : كان أبو العتاهية يعمل الفخار ، وكان أبو العتاهية معتوهاً ، وكان يعرف إبراهيم المجنون ^(١) ، قال : فجاء إنسانٌ يوماً فصاح : أين إبراهيم المجنون ؟ فقال أبو العتاهية :

لا ذنبَ إن كان ذا جُنُونَا كذا أراد الله أن أكونا
وانطلق يقول الشعر واشتهر به وبإحسانه فيه .

(يقول شعراً وهو لا يدري) ^(٢)

حدثنا محمد بن محمود الكاتب ، قال : حدثني عبدوس بن مهدي بالكرخ ، قال : نزلتُ على ابن أبي البخل ^(٣) عند تقلده الإشراف على أعمال الجبل ، فزارته مغنيةٌ كان بها لهجاً على قلة إعجابه بالنساء ، فإِنَّا لَكَلِيلَةٌ ونحن قعود بالبستان نشرب وقد طلع القمر ، فهبت ريح عظيمة فقلبت صوانينا التي كان فيها شرابنا فشيلت وأقبل الغلمان يسقُونَا ، فسكر ابن أبي البخل على ضَعْفِ شُرْبِهِ ، وقام إلى مرقده وأخذَنَا معه والمغنية ، فلما حصلنا فيه استدعى قدحاً ولنا مثله ، وأنشأ يقول :

مغموسةٌ في الحسن معشوقةٌ تقتلُ ذا الصبِّ وتُحييه
باتت يُرينيها هلالُ الدجى حتى إذا غاب أرتنيه
وطرح الشعر على المغنية فلقتته وغنتنا به ، وشربنا القُدح وانصرفنا ،

(١) هذا الاسم مما لم تذكره الأخبار عن أبي العتاهية ، فمن المعروف أن اسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، وكنيته أبو إسحاق ، وأبو العتاهية لقب غلب عليه ، انظر الأغاني ١/٤ .

(٢) انظر القصة التالية في مصارع المشاق ١٤١ .

(٣) هو محمد بن يحيى بن أبي البخل ، أبو الحسين ، كاتب من وزراء المقتدر العباسي ، توفي مسجوناً في حدود سنة ٢٩٩ هـ ، له من الكتب : ديوان الزمائل ، ورسائله في فتح البصرة ، انظر هدية المارثين ٢٢/٢ .

فلما كان من غد وحضرنا المائدة وهي معنا فاتحنا بما كان منه ، فحلف أنه لم يعقل بما جرى ولا بالشعر ، واستدعى دفره فأثبت البيت فيه .

(طرأ الواغل يرغم هروبهم إلى الصحراء)

حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بحرمي ^(١) ، قال : حدثني أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن البصري ويعرف بالمخضوب ، بمكة سنة خمسين ومائتين ، قال : حدثني ابن عائشة : أن ثلاثة فتيان من فتيان أهل البصرة وكانوا يتنادمون ، فتطربوا يوماً إلى الصحراء والخلوة فيها بمن يتغل عليهم في شرابهم ويتبذ عليهم ^(٢) ، فخرجوا في غيب مطر إلى ظهر البصرة فأخذوا في شرابهم ولهم يتناشدون حتى كبرت الشمس أن تغيب ، فإذا بأعرابي كالنجم المنقش بهوى حتى جلس بينهم ، فقال بعضهم لبعض : قد علمنا أن مثل هذا اليوم لا يتم لنا ثم قال له أحدهم :

أيها الواغل الثقيل علينا حين طاب الحديث لي ولصحبتي
ثم قال الآخر :

خلل عنا فأنت أثقل واللعلينا من فرسخي دير كعب
ثم قال الثالث :

ومين الناس من يتخيف ومنهم
كتر حبي البرز ركبت فوق قلبي

(١) هو أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي عبيدة ، أبو عبد الله المكي ، المعروف بحرمي بن أبي العلاء ، سكن بغداد ، وكان كاتب أبي عمر محمد بن يوسف القاضي ، وحدث عن الزبير بن بكار بكتاب النسب وغيره ، كما حدث عن محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ ويحيى بن المبردة اللبني وكان ثقة ، توفي عام ٣١٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد . ٣٩٠/٤ .

(٢) يذبل عليهم ، أي يطرح نفسه عليهم .

فقال الأعرابي :

لَسْتُ بِالْبَارِحِ الْعَشِيَّةِ وَاللَّهِ — هُ لَشَجٌّ وَلَا لَشِدَّةٌ ضَرَبَ
أَوْ تَرَوُّونَ بِالْكِبَارِ مُشَاشِي وَتُعَلِّونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَعْبٍ^(١)
وطرح قِعْبًا^(٢) كان معلقًا فضحكوا من ظرفه وحملوه معهم
إلى البصرة فلم يَزَلْ نَدِيمًا لَهُمْ .

(الواغل والوارش)

قال القاضي : الواغل الذي يَغْلُ على الشَّرْب من غير أن يَدْعُوهُ
الناس ، قال امرؤ القيس :
فاليوم أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ^(٣)
ويقال للذي يفعل مثل هذا في الطعام وارش .

(احتكم يا أبا السَّمُط)

حدثنا يزداد بن عبد الرحمن الكاتب ، قال : حدثنا أبو موسى يعني
عيسى بن إسماعيل البصري ، قال : حدثني القُتَيْبِيُّ ، قال : قَدِمَ مَعْنُ
ابن زائدة بغداد فأثاه الناس وأثاه ابنُ أَبِي حَفْصَةَ ، فإذا المجلس غَاصَّ
بأهله ، فأخذ بَعْضُ أَهْلِ الْبَابِ ثُمَّ قَالَ :

وَمَا أَحْتَجِمُ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ ثَقِيَّةً
عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا
له راحتان الجود والحنفُ فيهما
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

(١) المشاش : المظم لا يخ فيه ، وتعلون : أي تستقوني مره بعد الأول لأن الأول تسمى تها .

(٢) القعب : القلح الضخم الكبير .

(٣) سبق البيت .

· فقال معن : احتكم يا أبا السمط ؟ فقال : عشرة آلاف ، فقال معن : ربحت والله عليك تسعين ألفاً .

(مكافأة بغا على شجاعته)

حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبد الأعلى الكاتب ، قال :
حدثنا جدِّي علي بن الحسين بن عبد الأعلى ، قال : كان عبد الله بن طاهر
قد أهدى للمعتصم شهرَّين مكسَّعين ذكر أن خراسان لم تُخرج مثلهما ،
فسأله بغا ^(١) أن يحمله على أحدهما فأبى وقال : تَخَيَّرْ غيرهما ما شئت
فخذْه ، قال : فخرجنا ولم يأخذ شيئاً فلما كنا بطبرستان عرض له قوم من
أهلها ، فقالوا : أعز الله الأمير ! إن في بعض الغياض سبباً قد استكلب
على الناس وأقتاهم ، فقال : إذا أردت الرحيل غداً فكونوا معي حتى
تَقِفُونِي على موضعه ، قال : فلما رحلنا من غد حضر جماعة منهم فأنفرد
معهم في عشرين فارساً من غلماناه ، ومعهم قوسه ونشابان في منطقتة ، قال :
فصاروا به إلى الغيضة فثار السبع في وجهه من بينهم ، قال : فحرك فرسه
من بين يديه وأخذ تَشَابَةً من النشابين فرماه في استه ، فمر السهم فيها إلى
الريش ، وركب السبع رأسه ، قال : وعاد بغا إليه فما اجترأ أحد على
التزول إليه حتى نزل بغا فوجده ميتاً ، قال : فشبرناه فكان من رأسه إلى
رأس ذنبه ستة عشر شبراً ، ووجدناه أَحَصَّ الشعر إلا مَعْرِفَتَهُ ، قال :
فَكُنِينَا بخبره إلى المعتصم ، فلحقنا جوابُ كتابنا بِمَحْلُوانِ يذكر فيه أنه قد
تفاءلت بقتل السبع ، ورجا أن يكون من علامات الظفر ببابك ^(٢) ، وأنه

(١) هو بغا الكبير أبى موسى ، أحد قواد المتوكل والمعتصم ، كان مملوكاً للذي الرياشين
الحسن بن سهل وكان شجاعاً فاتكاً فضلاً عن أنه كان من ذوي الرواية وقد نلوا المستين

ديوان البريد ، انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧٢/٣ ، ٢٧٣ وفي الخبر متقولاً صاعداً .
(٢) هو بابك الخرمي ، مجوسي الأصل دخل الإسلام وتسمى الحسن أو الحسين وكان شديد
البطش خبيث النفس ، اعتصم بالجليل المعروف بالبدلين بتاحية أذربيجان وكثر بها أتباعه =

قد وجّه إلى بُغْتَا بالشَّهْرَيْنِ اللّذين كان طلب أحدهما فمَنعه، وبسَّع خلع من خاصّة خلعه وثيابه ، وخمس مائة ألف درهم صلة له وجزاء على قتله السبع ، قال : ولَمَّا أَرَادَ الْمُعْتَصِمُ بِذلِكَ لِإِضرَاؤِهِ عَلي طَاعَتِهِ وَمُجَاهَدَةِ عَدُوهِ . قال القاضي : قوله في السبع وجدناه أَحَصَّ : لا شعر عليه ، كما قال الشاعر (١) :

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْيِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تِهْنَجَاعٍ

(أول ما ظهر من فهم سليمان عليه السلام)

حدثنا محمد بن الحسين بن زياد المقرئ ، قال : أخبرنا الحسن بن سفيان ، قال : حدثنا صفوان بن صالح ، قال : أخبرنا الوليد ، قال : أخبرنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما تزوج داود عليه السلام بتلك المرأة ، وولدت له سليمان بن داود بعدما تاب الله عز وجل عليه ، غلاماً طاهراً نقياً فهِمَا عَاقِلَانِ عالِمَانِ ، وكان من أجمل الناس وأعظمه وأطولهُ ، فبلغ مع أبيه حتّى كان يشاوره في أمره ويدخله في حكمه ، فكان أول ما عرف داود من حكمته وتفكره فيهِ النُبُوّةُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ كُسِيتَ جَمَالاً ، فجاءت إلى القاضي تَخَاصُمُ عِنْدَهُ ، فأعجبته فأرسل إليها يخطبها ، فقالت : ما أريد النكاح فراودها على القبيح ، فقالت : أنا عن القبيح أبعد ، فانقلبت منه إلى صاحب الشرطة فأصابها منه مثل الذي أصابها من القاضي ، فانقلبت إلى صاحب السوق فكان منه مثل ذلك ، فانقلبت منه إلى حاجب داود فأصابها منه ما أصابها من

= واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين ، حتى هزمه الأنشين قائد المعتصم وأسرهُ فأمر المعتصم بقطع أطرافه وصلبه ، انظر الفرق بين الفرق ٢٦٦ ، البرصان والبرجان . ٢٥٥ .

(١) البيت لأبي فليس بن الأست ، انظره في خزانة الأدب ٤٨/٢ ، ٤١/٣ ، واللسان (أحص) ، والجوهر ٣٨٢ .

القوم ، فرفضت حقّها ولزمت بيتها فبينما القاضي وصاحب الشرطة وصاحب السوق والحاجب جلوس يتحدثون فوق ذكرها ، فتصادق القوم بينهم وشكّا كل واحد منهم إلى صاحبه ما أصابه من العجب بها ، قال بعضهم : وما يمنعكم وأنتم ولادة الأمر أن تتلففوا بها حتى تستريحوا منها فاجتمع رأي القوم على أن يشهدوا أن لما كتبّا وأنها تضطجع فترسله على نفسها حتى ينال منها ما ينال الرجل من المرأة ، فدخلوا على داود عليه السلام ، فذكروا له أن امرأة لما كلب تُسمّنه وترسله على نفسها حتى يفعل بها ما يفعل الرجل بالمرأة فكرهنا أن نرفع أمرها إليك حتى تتحقّق ، فمشينا حتى دخلنا منزلاً قريباً منها في الساعة التي بلغنا أنها تفعل ذلك ، فنظرنا إليها كيف حلّت من رباطه ثم اضطجعت له حتى نال منها ما ينال الرجل من المرأة ، ونظرنا إلى المبلد يدخل في المكحلة ويخرج منها ، فبعث داود عليه السلام فأتى بها فرجّسها ، فخرج سليمان يومئذ وهو غلام حين ترعرع ومعه الغلمان ومعه حصانه يلعب ، فجعل منهم صبيّاً قاضياً وآخر على الشرطة وآخر على السوق وآخر حاجباً وآخر كالمراة ، ثم جاءوا يشهدون عند سليمان مثل ما شهد أولئك عند داود عليه السلام يريدون رجّم ذلك الصبي كما رجّمت المرأة ، قال سليمان عند شهادتهم : قرّئوا بينهم ، ثم دعا بالصبي الذي جعله قاضياً ، فقال : أيقنت الشهادة ؟ قال : نعم . قال : فما كان لون الكلب ؟ قال : أسود ، قال : تحوّه ، ونادى بالذي جعل على الشرطة ، فقال له : أيقنت الشهادة ؟ قال : نعم . قال : فما كان لون الكلب ؟ قال : أحمر ، قال : تحوّه ، ثم دعا بصاحب السوق فقال : أيقنت الشهادة ؟ قال : نعم ، قال : فما كان لون الكلب ؟ قال : أبيض قال : تحوّه ، ثم دعا بالذي جعله حاجباً ، فقال : أيقنت الشهادة ؟ قال : نعم . قال : فما كان لون الكلب ؟ قال : أغيش ، قال : أردتم أن تغشوني حتى أرجّم امرأة من المسلمين ، فقال للصبيان : أرجمواهم ، وخلّتي سبيل الصبي الذي جعله امرأة ورجع إلى حصانه ، فدخلوا

على داود عليه السلام فأخبروه الخبر ، فقال داود : عليّ بالشهود الساعة
واحداً واحداً فأتى بهم فسأل القاضي : ما كان لونُ الكلب ؟ قال : أسود ،
ثم أتى بصاحب الشرطة فسأله فقال : أبيض ، ثم أتى بصاحب السوق فسأله
فقال : كان أحمر ، ثم أتى بالحاجب فسأله فقال : كان أغيش ، فأمر بهم
داود عليه السلام فقتلوا مكان المرأة ، فكان هذا أول ما استبان لداود عليه
السلام من فهم سليمان عليه السلام .

وقد حدث في أيام الدولة العباسية في وديعة أودعها بعض الشهود
بواسطة ، فأبدلها واختار صاحبها فيها ما يضارع هذه القصة من بعض
جهاتها ، نحن نأتي بها فيما نستأنفه من مجالس كتابنا هذا إن شاء الله .

• • •

المجلس الثالث والعشرون

(من مكارم الأخلاق)

حدثنا محمد بن القاسم بن زكريا بن يحيى المحاربي ، قال : حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي ، قال : حدثنا داهر بن نوح ، قال : حدثنا أبو زيد الأنصاري ، قال : حدثني عبد الصمد بن سليمان ، عن سكين بن أبي سراج ، قال : حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، « أن رجلاً أتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : أنفعهم للناس ، وإن من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى سروراً يتدخلُ على مسلم ، أو يكشفُ عن كثرٍه أو يسدُّ عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخٍ لي في حاجة أحبُّ إلي من أن اعتكف شهرين في المسجد ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً ، ومن مشى مع أخٍ له في حاجة حتى يشتهها ثبت الله قدمه يوم تَزُولُ الأقدام ، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلُ العسل » ^(١) .

(١) الحديث روى قريباً منه في جميع الزوائد ، كتاب البر والصلة ، باب فضل قضاء الحاجات ١٩١/٨ ، وورد بنحوه في لباب الآداب ٣١٣ ، ٣١٤ ، وعلق الشيخ أحمد شاكر عليه -

قال القاضي : قال أبو العباس بن سعيد في سكين ، يقال سَكِينٌ بن أبي سراج وسكين بن سراج ، قال القاضي : وفي هذا الخبر ترغيبٌ في أنواع من أفعال الخير وأبواب البر ومكارم الأخلاق ، وذمٌ لسوء الخلق وتكريره له ، وكلّ فصل من فصول هذا الخبر قد أتى في معناه أخبار ، ورويت في مجانسه آثار عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين ، ومن تقدمنا من الأئمة الماضين والسلف الصالحين ، والخاصة من علماء المسلمين وحكام أهل الدين ، وكتابنا هذا متضمن لكثير منه متفرقاً في المجالس المرسومة فيه ، وحقيق على من كرّمت نفسه عليه، وحُببتْ منافعها إليه، أن يسعى في اكتساب ما يزينها ويصلحها، ويهذب أخلاقه ويُتقنها ، ويهجر مذموم الخلاق ويطرعها، نسأل الله المعونة على ذلك بفضله وطوله، وقوته وحولته .

(خبر عمرو بن المسيح أرمى عربي)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا السكّن بن سعيد ، عن العباس بن هشام ، قال : حدثني جميل بن مراد الطائي من بني معن ، عن أشياخه ، قال : كان عمرو بن المسيح ^(١) أرمى عربي على وجه الأرض فأدرك امرأ القيس وله يقول امرؤ القيس :

رُبَّ رامٍ من بَنِي ثَعْلٍ ^(٢)

وعاش حتى أدرك النبي ﷺ وهو ابنُ خمسين ومائة سنة فسأله عن

— بقوله : نقله المنذري في الترغيب ٢٥٣/٣ ، ونسبه للأصبهاني عن ابن عمر ، ولابن أبي الدنيا عن صحابي غير مسمى ، ونقله المجلوني في كشف الخفا رقم (١٢٦) ونسبه للبربراني وابن أبي الدنيا ، عن ابن عمر وهو حديث أشار المنذري إلى تضعيفه .
(١) ذكره أبو حاتم السجستاني في كتابه المعمرين ٩٧ ، وأورد ما ذكر هنا مع بيتين من شعره .

(٢) صدر بيت ، وعجزه :

الصيد ، فقال « كل ما أَصْمَيْتَ ودَعْ ما أَنْمَيْتَ » وفيه يقول رجلٌ
من طَبِيعٍ :

نَعَبَ الْغُرَابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَنْعَبِ
بِالْبَيْنِ مِنْ سَلَمَى وَأُمِّ الْحَوْشَبِ

ويروي زعب الغراب وهي لغة ، قال القاضي : وكان زَعِب في هذه
اللغة من رفع الشيء وأخذَه ومنه قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو :
« وَأَرْعَبْ لَكَ مِنَ الْمَالِ » ^(١) قال الشاعر :

لَيْتَ الْغُرَابَ رَمَى حِمَاطَةً قَلْبِهِ
عَمَرُو بِأَسْمِهِ الْيَ لَمْ تُلْغَسِبِ

ويروي تغلب ، واللغاب عيب في السهام ، وهو اختلاف في الريش
التي يراش بها واللؤام خلافه وهو محمود ، وذكر ابن الكلبي أن عمرأ
هذا كان يمر به السَّرْبُ من القطا يطير في السماء ، فيقول : أيتها تريدون ؟
فيشار له إلى واحدة فيصرعها ، قوله : كُلُّ ما أَصْمَيْتَ ودع ما أَنْمَيْتَ ،
يقال : أصمى الرجل الصيد إذا أصابه فمات بحضرته ، وأنماه إذا أصابه
فتحامل فغاب عنه ثم مات ، وأشواه إذا أخطاه ويقال : هذا شَوَّى إذا
لم يصب المقتل ، قال الشاعر :

وَكُنْتُ إِذَا الْأَيَّامُ أَحْدَثْنَ نَكِيَةً
أَقُولُ شَوَّى مَا لَمْ يُصَيِّنْ صَمِيمِي ^(٢)

ملح كفيه من قتره

وملح كفيه : أي يندخل كفيه في القتر ، وهي بيوت الصائد التي يكمن فيها لتلا يفلن له
الصيد فيفر منه ، انظر الديوان ١٢٣ .

(١) الحديث في النهاية ٣٠٢/٢ .

(٢) البيت في اللسان ٢٣٩/٢ .

(٣) البيت دون نسبة في الحيوان ٨٣/٣ ، هجعة المجالس ٣٥٧/٢ ، الأغاني ٢٤٢/١٧ .

ويقال : أشوي إذا أخطأ الصميم وأصاب الأطراف كاليدين والرجلين ،
قال امرؤ القيس (١) :

سَلِيمُ الشَّظَى عَيْلُ الشَّوَى شَنِجَ النَّسَا
لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِقَاتٌ عَلَى الْفَسَا

وقد يقال بخلدة الرأس شواة وتجمع شوا ، وقال بعض أهل التأويل
في قوله عز ذكره ﴿ تَرَاغَى لِلشَّوَى ﴾ (٢) أن معناه الأطراف ، وقيل :
فروة الرأس ، وقيل الهام ، وقيل المصب والعقب ، وقد اختلف الفقهاء
في أكل الصيد إذا أناه راميهِ وغاب عن عينه فأحلّه بعضهم ، وحرمه
بعضهم على ظاهر الخبر الذي ذكرناه ، وقدر آخرون لغيبته مدة على
اختلاف منهم في قدرها ، قال القاضي : وأرى أنه قيل للرامي في الموضع
الذي وصفنا لإصابته الصميم ، وأصمى أصله عندي أصمم فاستثقل
التضعيف فقليل أصمى ، وأشيعت فتحة الميم الأولى فصارت ألفاً مكان
الميم الثانية وبدلاً منها ، والعرب تقول : تمطى فلان من المطا وهو الظهور
وأصله تمطط ، ويقولون تقضى من القضية وأصله تقضض ، قال الراجز :

دَانِي جَنَاحِيهِ مَنِ الطُّورِ قَمَرٌ
تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرُ (٣)

وهذا الباب كثير جداً ، وما وجدت أحداً سبقني إلى ما قلتُ في الصميم

(١) البيت التالي في ديوانه ٣٦ من مملكته المشهورة ، وسلم الشطي : الشطي : عظم صغير في
يد الفرس ، فإذا تحرك قيل : شطي الفرس : والشوى : القوائم ، والنسا : عرق ، ووصفه
بالشج لأنه أصلب له ، والحجبات : رموس الأوراك . وقوله : على الفال : يريد على
الفاصل : وهو عرق عن يمين أصل الذنب ويساره والمني أنه مشرف الكفل فحجباته مشرفة
لاتصالها بالكفل .

(٢) سورة الماعج الآية ١٦ ، وانظر النص جيمه في مجالس تلمب ٣٦٩/٢ .

(٣) هو السجاء ، انظر ديوانه ٤٢/١ .

وهو بَيِّن ، ومن الشوى بمعنى فروة الرأس ، قول الشاعر :

إذا هي قامت تقشعر شَوَاتِهَا
ويُشْرِقُ بَيْنَ اللَّيْلِ مِنْهَا إِلَى الصُّبْحِ

وقال الأعشى ^(١) :

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لَهُ قَدْ جُلَّتْ شَيْبًا شَوَاتُهُ

وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : من رواه هكذا فقد صحّف ، وزعم أنه سرّأته بالسّين والراء يعني أعلاه ، وما ذكره أبو عمرو أولى بالتصحيف ، ورواية البيت بالشّين والواو ، وقد ثبتت وصحت في تأويلها وعُرفت ، وقول أبي عمرو في السّراة صحيح لو أتى به الشاعر ، ومن السّراة قول امرئ القيس :

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجِدَةً مَتْنَهُ

مَدْلَكُهُ عُرُوسٍ أَوْ صَرَائِيَةَ حَنْظَلٍ ^(٢)

وقد روى أن أبا عمرو لما تبين صحة الرواية بالشّين رجع إليها ، وقد

(١) لم أشر على البيت التالي في ديوانه ، وانظره دون نسبة في اللسان (شوى) ، وانظره مع ما ورد هنا في التنبيه على حدوث التصحيف ٧٨ .

(٢) هذا البيت ملفق من البيتين أولها في الديوان ١٨١ ، وهو :

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجِدَةً ظَهَرَهُ كَنَائِنٍ يَجْرِي بَيْنَهُنَّ دَلِيسٌ

والثاني من قصيدة أخرى في الديوان ٢١ وهو :

كَأَنَّ عَلَى الْكَتِفَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدْلَكُ عُرُوسٍ أَوْ صَرَائِيَةَ حَنْظَلٍ

وهو يصف فرساً فيقول : إن ظهره يرق كما يرق الحجر الذي يسحق عليه الطيب ، وعص العروس لأنها قرية المهدي بسحق الطيب ، فمداكها يراق ، والصراية : الحنظلة الصفراء البراقة وإذا لم تصفر فهي مغيرة ، وفي أ : صلاية وهي تحريف . وهو يشبه ظهر الفرس إذا أعترض ونظرت إليه من جانب يصفره الطيب أو صراية الحنظل في ملاستها وبريقها .

ذكرنا كلاماً في هذا الفصل أشجع من هذا في كتابنا الذي أملناه في شرح
مختصر الجرمي في النحو .

(لم يُسمع بأسرة دخلت الإسلام كهؤلاء)^(١)

وحدثنا ابن دريد ، قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن العباس بن
هشام ، عن أبيه ، قال : حدثني الوليد بن عبد الله الجعفي ، عن أبيه ،
عن أشياخ قومه قالوا : كانت عند أبي سبرة وهو يزيد بن مالك بن
عبد الله بن الدؤيب^(٢) بن سلمة بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفي
امرأة منهم فولدت له سبرة وعزيراً ثم ماتت فوئدت ابناهما إيللاً ، ثم
تزوج أبو سبرة أخرى فجفا ابنه ونحاهما فكانا في إيلهما التي ورثاها عن
أُمهما ، فلما بلغهما مهاجرة النبي ﷺ قال سبرة لمولى لأمه كان يرعى
عليه : ابغني ناقةً كيتاراً ذات لبن ، فقال القاضي : هي الكثيرة اللحم
المجتمعة الجسم ، فأتاه بها فركبها وهو يقول لأبيه :

ألا أبلغنا عني يزيد بن مالك
ألا بأن للشيخ أن يتدكراً
رأيت أبتاناً صدقاً عنا بوجهه
وأمسك عنا ماله وتتمراً

ثم توجه إلى النبي ﷺ فأسلم وأقبل أخوه عزير ، فقال للمولى :
أين أخي ؟ قال : نددت له ناقة فذهب في طلبها ، فنظر في الإبل فلم يرَ
شيئاً ، فقال للمولى : لتخخيرني ، فأخبره وأنشده البيت ، فدعا بناقته
فركبها وهو يقول :

ألا أبلغنا عني معاشر ملحق
فهل لي من بعد ابن أُمي ميعر

(١) انظر الموجز التالي في الإصابة الترجمة ٩٣٠٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٠٩ ، ٤١٠ .
(٢) في أ : الذهب وهو تحريف صحت ما أثبتنا نقلًا عن الجمهرة .

ولحق بالنبي ﷺ فأسلم ، ثم أقبل أبو سبرة فقال للمولى : أين ابنائي ؟
فأخبره خبرهما وأنشده شعرهما ، فركب وهو يقول :

وسبرة كان النفس لو أنَّ حاجةً تُردُّ ولكن كان أمراً تيسراً
وكان عزيزٌ خلتي فرأيتُه تولى ولم يقبل عليَّ وأدبراً
ثم لحق بهما وخلف عند المولى غلاماً له يقال له شَنْفَر ، فمكث المولى
أياماً ثم لحق بهم وأنشد يقول :

بدئت أنياباً حيالاً وشَنْفراً

بأهلي لا أرضى بهم من أولئك

قال القاضي : الأنياب جمع ناب وهي الناقة المسنة ، والحيال : جمع
حائل وهي التي حالت عن أن تشتمل على حمل ، فأتى أبو سبرة النبي ﷺ
ومعه ابنه فأسلموا ، فقال النبي ﷺ لعزير : ما اسمك ؟ قال : عزير ،
قال : لا عزير إلا الله ، أنت عبد الرحمن ، وقال أبو سبرة للنبي ﷺ :
إن يظهر كتمِّي سلعة ^(١) قد منعتني من خطام راحلي ، فدعا النبي
ﷺ بقدح فجعل يضرب به على السلعة ويمسحها فذهبت ، ودعا له
ولأبيه وأقطعه جروان ^(٢) وأدياً في بلاد قومه ، قال ابن الكلبي : فلم يسمع
بأهل بيت أجابوا إلى الإسلام طوعاً بمثل هؤلاء .

(خير مقتل عمرو ذي الكلب) ^(٣)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا

(١) السلعة : ورد غليظ غير ملزق بالدم يتحرك عند تحريكه وله غلاف

(٢) يطلق على هذا الوادي أيضاً وادي جيفي باليمن ، كما ورد في الجمهرة ، ولم يرد في معجم البلدان .

(٣) هو عمرو بن العجلان بن عامر الهذلي ، ويذكر ابن الأعرابي أنه سمى ذا الكلب لأنه كان
له كلب لا يفارقه ، وقال أبو عبيدة : إنما خرج غازياً ومعه كلبه يصطاد به فقال له =

أحمد بن عبيد ، عن الدماري ، قال : دخل عمرو بن معدني كرب الزبيدي على عمر رضي الله عنه يوماً ، فقال له : يا أبا ثور ! أخبرني بأعجب ما رأيت ، فقال : إني أخبرك يا أمير المؤمنين أني خرجت يوماً أريد حياً من أحياء العرب حتى إذا ما كنت بواد يقال له بطن شريان^(١) إذا أنا برجل مفترس أسداً قد أدخل رأسه في جوفه ، وهو يبلغ في دمه كما يفترس الأسد الناس والبهائم ويبلغ في دماهم ، فهالني ذلك وراعني وظننته شيطاناً ثم عاتيت نفسي ، فصحت بالرجل فوالله ما نهته صياحي به حتى صحت به صبيحة أخرى فلم يبل ، فصحت الثالثة فرفع رأسه ونظر إليّ وعيناه كالجمرتين ، ثم أعاد رأسه في جوف الأسد احتقاراً لي ، فوقفت أنظر إليه تعجباً منه ، فأقبلت حية كان على طريقها تكون شبراً أو نحوه فتعثرت به فلدغته لدغة في منكبها كما كان باركاً على الأسد ، فصاح منها صبيحة ثم أطرق فلم أره يتحرك كما كان قبل ذلك ، فدنوت منه فإذا سيف له وقوس موضوعان ، وفرس مشدود فأخذت سلاحه ، فلم يتحرك فأمسكته ودنوت منه وضربت بيدي إلى ذراعيه فتبعني والله يده من الكف فوقعت ، فقلت : إن هذا للعجب ، لا أبرح حتى أعلم علمه عند بعض من يمر فأسأله فإذا كلب رابض ناحية ، فأقبلت السباع والنسور فحمأه الكلب فلما جئني الليل انصرفت وتركته على هيئته فمضى لذلك زمن ، فبينما أنا بسوق عكاظ في أيام الموسم في أجمع ما كان الناس ، إذا امرأة تنشد الرجل فعرفت النعت والصفة ، فقلت : أنا صاحب الرجل ، وهذا سيفه

= أصحابه : يا ذا الكلب ، فثبت عليه ، وكان يغزو بني فهم متصلاً ، فنام في بعض غزواته فوثب عليه تمران ففتكا به ، فادعت فهم قتله ، وورثته أخته : انظر الأغانى ٢٠/٢٢ ، ٢٣ ، ديوان المهلهلين ١٢٠ ، ١٢٤ على حين يورد المؤلف قصة طريقة أخرى في مقتله كما ترى .

(١) شريان بكسر أوله وسكون ثانيه : موضع بعينه أو واد ، انظر معجم البلدان ٢/٢٨٤ ، وفيه الأبيات التالية لجنوب عمرو ، وضبطت شريان بفتح أوله في ديوان المهلهلين .

وقوسه ، قال : فقالت : يا عمرو ! إنه لا يحمل بمثلك الكذب وأنت فارس قومك ، فأسألك باللائم والعزى إلا صدقتني ، فخيرتها الخير ، فقالت : صدقت ، وإنما كان يفعل ذلك لأن أسداً مرة عدا على أخ كان له يقال له صخر فأكله ، فألقى على نفسه ألا يلقي أسداً إلا أقرسه وولغ في دمه ، وقال : إنما هو كلب ، فسمى عمرأ ذا الكلب ، وأنا أخته الجنوب ، وبكته في شعر تقول فيه :

وكلُّ حَيٍّ وإن طالَتْ سَلَامَتُهُمْ
يوماً طَرِيقُهُمْ فِي الشَّرِّ مَرْكُوبٌ ^(١)
أبلغ هُدًى لَّا وَخَصَّصَ فِي سَرَائِهِمْ
عَنِّي مَقَالاً وَبَعْضُ الْقَوْلِ تَكْذِيبٌ ^(٢)
بأن ذا الكلب عمرأ خيرهم نسباً
ببطن شريان يعوي عنده الذئب
تمشي النور إليه وهي لاهية
مَشَى العَدَايَ عَلَيْهِنَ الْجَلَاتِيبُ
الطَاعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ يَتْبَعُهَا
مُشْعَنْجِرٌ مِنْ نَجِيمِ الْخَوْفِ أَتَغُوبُ ^(٣)

(أيهما أجود؟)

حدثنا الحسن بن أحمد الكلبي ، قال حدثنا محمد بن زكريا ، قال :
حدثنا العباس بن بكار ، قال : حدثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن

(١) الرواية في ديوان المهديين : دعيوب بدل مركوب ، والحبوب : الطريق الموطوء .

(٢) الرواية لهذا البيت في الديوان :

أبلغ حليلاً وأبلغ من يلفها
في وسولاً وبعض القول تكذيب

(٣) المتنجر : السائل ، والتجيج : البين الواسع ، وأثيوب : ما يجثقب أي يسيل ، ويروى

أسكوب أي منسكب ، انظر اللسان ٤٥٢/١ .

كيسان ، وحدثني الحسن بن أحمد ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال :
 وحدثنا عبد الله بن ضحاك ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن عوانة ،
 قال : وفد عبيد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان ، فلما كان ببعض
 الطريق عارضته سحابة فأمّ أبنائاً من الشعر ، فإذا هو بأعرابي قد قام إليه
 فلما رأى هيئته وبهائه ، وكان من أحسن الناس شارة وأحسنهم هيئة ، قام إلى
 عنيزة له ليذبحها فجادبته امرأته وامانته ، وقالت : أكل الدهر ممالكك
 ولم يبق لك ولبناتك إلا هذه العنيزة يتمتعون منها ثم تريد أن تفجعهم
 بها ، فقال : والله لأذبحنها ، فليضحها أحسن من اللؤم ، قالت : إذن
 والله لا تبقي لبناتك شيئاً فأخذ العنيزة — وأضجعها ، وقال :

قَرَيْتَنِي لَا تُوقِظِي بُنَيَّهِ إِنْ تُوقِظِيهَا تَتَحِبُّ عَلَيَّهِ
 وَتَنْزِعُ الشَّفْرَةَ مِنْ يَدَيْهِ أُنْغِصُ بِهِذَا وَبِذَا إِلَيْهِ

ثم ذبح الشاة وأضرم ناراً وجعل يقطع من أطايبها ويلقيه على النار ثم
 يناوله عبيد الله ويحدثه في خلال ذلك بما يُلْهِيه ويضحكه ، حتى إذا
 أصبح عبيد الله وانجلت السحابة وهَمَّ بالرحيل قال لقيمه : ما مَعَكَ ؟
 قال : خمس مائة دينار ، قال : ألقها إلى الشيخ ، قال : القِيمَ جعلتُ
 فذلك ، إن هذا يُرضيه عَشْرَ ما سميت وأنت تأتي معاوية ولا تدري على
 ما توافقته على ظاهره أم على باطنه ، قال : ويحك إنا نزلنا بهذا وما يملك
 من الدنيا إلا هذه الشاة فخرج لنا من دنياه كلها ، وإنما جَدُّنا له ببعض
 دنيانا فهو أجود منا ، ثم ارتحل فأتى معاوية فقصى حوائجه ، فلما انصرف
 وقرب من رحل الأعرابي قال لوكيله : انظر ما حال صاحبنا ، فعول إلى
 فلذا إيل وحال حسنة وشاء كثير ، فلما بصر الأعرابي بعبيد الله قام إليه
 فأكب على أطرافه يقبلها ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، قد مدحتك وما
 أدري من أي خلق الله أنت ثم أنشده :

تَوَسَّعَتْهُ لَمَّا رَأَيْتُ مَهَابَةً عَلَيْهِ وَقَلْتُ : الْمَرْءُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

ولا فمين آل المُرَار فإِنَّهُمْ
فَقَمْتُ إِلَى عَتْرُ بَقِيَّةِ أَعْنَزِ
فَعَوَّضَنِي مِنْهَا غِنَايَ وَإِنَّمَا
أَفْدَتُ بِهَا أَلْفًا مِنَ الشَّاءِ حُلْبَا
مِبَارَكَةٌ مِنْ هَاشِمِي مِبَارَكِ
فَلَهُ عَيْنًا مِنْ رَأْيٍ. لَعْنُزَةٌ
فَقَلْتُ لِعَرِيسِي فِي الْخِلَاءِ وَصِيْبَتِي

ملوك وأبناء الملوك الأكارم
فأذبحها فعل امرئ غير نادم
يُساوي لحيم العتْر خمس دراهم
وعبدًا وأثنى بعد عبد وخادم
خيار بني حواء من نسل آدم
أفادت وراشت بعد عشر قوادم
أحق ترى هذا أم أحلام نائم

قال عبيد الله : قد أصيبتُ وأنا من ولد العباس وأنا من آل المَرَار (١) ،
فبلغت معاوية ، فقال : لله درُّ عبيد الله ، من أي بيضة خرج ، وفي أي
عشٍ درج ، عبيد الله معلَّم الجود ، وهو والله كما قال الخطيب (٢) :

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أَحْسَنُوا لِنَا
وإن عَاهَدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا
وإن كانت النُّعْمَى عَلَيْهِمْ جَزَّوْا بِهَا
وإن أَنْعَمُوا لَأَكْثَرُوهَا وَلَا كَدَّوْا

(مطايب الجزور وأطايب الفاكة)

قال القاضي : في هذا الخبر : وجعل يقطع من أطايبها ، والصواب
من مطايبها هكذا يقال في اللحم ، والعرب تقول : مطايب الجزور
وأطايب الفاكة ، والمطايب من الجَمْع الذي لا واحد له على منهاج
لفظه ، وقياسه مثل ملامح ومشابه وهذا كثير . وقد حكى الفراء أنه سأل

(١) لعله يعني بآل المَرَار بني آكل المَرَار وهو حجر بن عمرو أبو امرئ القيس فقد كان هو
وأخوته ملوك كندة في اليمن ، لكن نسب عبيد الله من جهة والده معروف ، أما أمه
فهي لبابة الصغرى من بني عبد بن هلال بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وليست
لهم صلة بملوك كندة ، انظر الجهمرة ٩٠٤ .

(٢) البيهقي التالين في ديوانه ١٤٠ .

بعض العرب عن الواحد في مطايب الجزور ، فحكى عنه ما معناه أنه لم يكن عنده فيه شيء يحفظه ، وأنه أخذ يتكلف فيه قولاً يستخرجه وجعل يقول : مطيبة وأنه ضحك من هذا من قوله مطيبة ، وقول الخطيئة أحسنوا البنا هكذا رأيته بضم الباء . وقد حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل ، قال : حدثنا عبيد الله بن محمد القرشي ، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : أتيت شعبة ^(١) يوماً وعنده حماد بن سلمة ^(٢) وهما يتكلمان في حديث ، فقال له شعبة : يا أبا سلمة ! هذا الفتي الذي ذكرته لك ، فقال لي حماد بن سلمة كيف تنشده قول الخطيئة : أولئك قوم ... ، فابتدأت القصيدة من أولها ^(٣) :

ألا طرقتنا بعدما هجعت هند
وقد سرن خمساً واتلأب بنا نجد ^(٤)

إلى أن بلغت البيت :

أولئك قومٌ إن بئوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

فقال لي حماد بن سلمة : يا بني ! إن العرب تقول : بئى يبنى بئاء في العمران ، ويقولون في الشرف : بئنا يبنو بئاء فأنشدها :

-
- (١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد المتكفي الأزدي الواسطي البصري ، محدث كثير الرواية ، كان الشعبي يقول فيه : شعبة أمير المؤمنين في الحديث ويقولون : إنه أول من تكلم في علم الرجال ، ولد سنة ٨٢ وقوفي سنة ١٦٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب .
(٢) كان من متقدي التحوين البصريين ، أخذ عنه يونس بن حبيب ، قال أبو عمر الجرمي : ما رأيت نقبها أفصح من عبد الوارث بن سعيد التميمي وكان حماد أنصح ، توفي سنة ١٦٧ هـ ، انظر نزهة الألباء ٤٠-٤٢ ، وإنباء الرواة ٣٢٩/١ ، وبغية الوعاة ٤٤٨/١ .
(٣) القصيدة في ديوانه ١٤٠ .
(٤) رواية الديوان : هجروا بدل هجمت ، وغورا بدل خمساً ، واسميان بدل اتلأب .

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا إلينا ، قال : فعرفت قدر حماد بن سلمة من ذلك اليوم ، فما كنت أنشده إلا ما كنت أتقنه .

قال القاضي : والبناء في الرباع والمساكن ممدود مكسور الباء في لغات عامة العرب ، وبهذه اللغة جساء القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ بِنَاءٌ ﴾^(١) ، وذكر الفراء أن من العرب من يقصر البناء ها هنا .

(أعرابي يشرب بجزّة صوف فتعابه امرأته)^(٢)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد ، قال : حدثنا أبو نصر ، عن الأصمعي ، قال : شرب أعرابي بجزّة صوف ، فلامته امرأته وعتبت عليه ، فأنشأ يقول :

عَتَبْتُ عَلَيَّ لَأَنْ شَرِبْتُ بِصُوفٍ
فَلَنْ عَتَبْتَ لِأَشْرَيْنَ بِخُرُوفٍ
وَلَنْ عَتَبْتَ لِأَشْرَيْنَ بِنَعْمَجَةٍ
ذَرُهُمْ وَمَنْ بَعْدَ الْخُرُوفِ سَحُوفٍ

الذرة : التي في رأسها بياض ، والسحوف : سمينة .

وَلَنْ عَتَبْتَ لِأَشْرَيْنَ بِلَقْحَةٍ صَهْبَاءَ مَالِئَةِ الْإِنَاءِ صُفُوفٍ^(٣)
وَلَنْ عَتَبْتَ لِأَشْرَيْنَ بِصَاهِلٍ مَا فِيهِ مِنْ هَجْنٍ وَلَا تَقْرِيفٍ
المهجين : الذي أمه من غير جنس أبيه ، والمقرف مثله .

وَلَنْ عَتَبْتَ لِأَشْرَيْنَ بِوَاحِدِي وَيَكُونُ صَبْرِي بَعْدَ ذَلِكَ حَلِيفِي

(١) سورة البقرة الآية ٢٢ .

(٢) الخبر التالي في أمالي القالي ١/١٥٠ ، شرح شواهد المنى ٢٠٧ ، البيان ٣/٣٤٤ مع اختلاف بين هذه المراجع وما هنا في ألفاظ الرواية لقصر خاصة .

(٣) الصغوف : التي تصف رجلها عند الحلب .

فلقد شربتُ الخمر في حَائِثُوتِهَا صفراءَ صافيةً بأرض الرِّيفِ
ولقد شهدت الخيل تُقَرِّعُ بالقَنَا وأجبتُ صَوْتَ الصَّارِخِ المَلْهُوفِ

قال أبو بكر بن الأنباري : إني وجدت بغير هذا الإسناد أن امرأته
أجابته فقالت :

ما إن عتبتُ لأن شربتُ بصُوفٍ أو أن تَلَدَّ بِلَقْحَةٍ وِخْرُوفِ
فاشربُ بكل نفيسة أو تَيْتَهَا ومَلَكْتَهَا من تَالِدٍ وطَريفِ
وارفع بطرفك عن بَيْتِي فَإِنَّهُ مِنْ دُونِهِ شَقَبٌ وَجَدَّعُ أَنْوَفِ

(لُطْفَةُ قَاضٍ)^(١)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ ، قال : أخبرنا إدريس الحداد ،
قال : حدثنا هارون الجمال ، عن يزيد بن هارون ، قال : تقلد القضاء
بواسطة رجل ثقة كثير الحديث ما أظنه إلا أَكْبَرُهُ على القضاء والله أعلم —
فجاء رجل فاستدع بعض الشهود كيساً محتوماً ذكر أن فيه ألف دينار ،
فلما حصل الكيس عند الشاهد ، وطالت غيبة الرجل ، قَدَّرَ أنه قد هلك ،
فَهَمَّ بِإِنْفَاقِ المَالِ ، ثم دَبَّرَ ففتق الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل
مكأنها دراهم وأعاد الحياطة كما كانت ، وقَدَّرَ أن الرجل وافي وطالب
الشاهد بوديعة فأعطاه الكيس بختمه ، فلما حصل في منزله فضَّ خَتَمَهُ
فصادف في الكيس دراهم فرجع إلى الشاهد ، وقال له : عافاك الله ، ارددْ
عليَّ مالي فلإني استودعتك دنانير والذي وجدت دراهم مكانها ، فأنكر ذلك
واستعدي عليه القاضي المقدم ذكره ، فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه ،
فلما حضرا سأل الحاكم : مُدَّ كم أودعته هذا الكيس ؟ قال : مد خمس
عشرة سنة ، فأقبل على الشاهد ، فقال : ما تقول ؟ قال : صدق هو عندي

(١) الخبر التالي في أخبار الأذكىء : ١٠٢ .

منذ خمس عشرة سنة ، فأخذ القاضي الدراهم وقرأ شكلها فإذا هي دراهم منها ما قد ضُرب منذ ستين وثلاثة ونحو ذلك فأمره أن يدفع الدنانير إليه فدفعها إليه أو مكانها وأسقطه ، فقال له : يا خائن ونادى مناديه : ألا إن فلان بن فلان القاضي قد أسقط فلان بن فلان الشاهد ، فاعلموا ذلك ولا يفتَرز به أحد بعد اليوم ، فباع الشاهد أملاكه بواسطة ، وخرج منها هارباً فلا يعلم عنه خبر ، ولا أحسن منه أثر .

(رأي أبي يوسف القاضي فيمن يشهدون عنده)

حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي ، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن قال : حدثني بعض أصحابنا ، قال : قال الرشيد لأبي يوسف القاضي : بلغني أنك تقول إن هؤلاء الذين يشهدون عنده وتقبل أقوالهم متصعة ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ، ومن ظهر أمره وانكشف ستره لم يأتنا ولم نقبله ، وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصعة الذين أظهروا السر وأبطنوا غيره ، فتبسم الرشيد وقال : صدقت .

(نوع الشهود الذين اختارهم إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة)

حدثنا إسماعيل بن علي أبو محمد الخطابي ، قال : لما ولي إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة القضاء ، قال : يجب أن يكون بين أيدينا قوم نتمسك بهم ويتمسكون هم بالعامّة ، ولا يجب أن يكونوا من أكابر الناس ومن أعاليمهم ، ولا سوقتهم وسفلتهم ، فاختار متوسطي التجار فجعلهم شهوداً .

(معنى السوقة الصحيح)

قال القاضي : قول ابن حماد من سوقتهم وسفلتهم ، يدل على أنه كان

يظن أن السوق أهل الأسواق ، ولم يعلم أن السوق هم الذين يسوقهم الملوكة
بسبب استهم وأن الناس ملوك وسوق أي رعية ، كما قال زهير ^(١) :

يا حار لا أُرْمَيْنُ منكم بداهية
لم يَلْتَقِهَا سُوقَةٌ قبلي ولا مَلِكُ
وقالت حُرقة بنت النعمان بن المنذر :

فبينما نسوسُ الناس والأمر أمرنا
إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نَنْصِفُ

(ما قيل في تقلد نوح بن دراج القضاء)

حدثنا الحسن بن علي العدوي ، قال : أخبرنا الحسن بن علي بن راشد ،
قال : قيل لشريك بن عبد الله : قد تقلد القضاء نوح بن دراج ^(٢) ، قال :
ذهبت العربُ الذين كانوا إذا غضبوا كَفَرُوا .

(النسب القصير)

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الصواف ، قال : حدثني أحمد بن
الصلت الحماني ، قال : حدثنا النضر بن علي ، قال : حدثنا خالد بن

(١) البيت التالي في ديوانه ٤٧ ، وهو يناط به الحارث بن ورقاء الصيداوي ، وكان قد أغار
على إبل زهير وأخذ عبده يساراً ، ويعد البيت قوله :

أردد يساراً ولا تمنع عليهِ ولا تمك بمرضك إن القادر الملك
وتمك : أي تمعل .

(٢) هو نوح بن دراج المتكفي مولاهم ، أحد أصحاب أبي حنيفة ، تولى القضاء بالكوفة وكان
أبوه حاكماً من النبط ، وله أربعة أبناء تولوا القضاء ، وأصبحت عيناه وكان يقضي وهو
أعمى ولا يلم أحداً يسماء ، وتوفي وهو قاض على الجانب الشرقي لبعثاد سنة ١٨٢ هـ ،
انظر تاريخ بغداد ٣١٥/١٣ ، نكت المنيان ٣٠١ ، تهذيب التهذيب ٤٨٢/١ .

الحارث، عن أبيه ، قال : قال الفرزدق بن غالب : خرجت من البصرة أريد العمرة ، فرأيت عسكرياً في البرية ، فقلت : عسكري من هذا ؟ قالوا : عسكري الحسين بن علي رضي الله عنهما ، قال : فقلت : لأقضي حق رسول الله ﷺ فيه ، فأتيته فسلمت ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : الفرزدق بن غالب ، فقال : هذا نسب قصير ، فقلت : أنت أقصر مني نسباً ، أنت ابن رسول الله ﷺ فقال لي : أبو من ؟ فقلت : أبو فراس ، قال : يا أبا فراس كيف خلقت الناس ومن أين وإلى أين ؟ قال : قلت : من البصرة أريد العمرة ، وما سألت عنه من أمر الناس فقلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء ^(١) قال : فاغور رقت عيناه ، وقال : هكذا الناس في كل زمان ، أتباع لذي الدينار والدرهم ، والدين لثغو على ألسنتهم فإذا فُحصوا بالابتلاء قلّ الدّيانون .

قال القاضي : معنى ما ذكر من قصر النسب في هذا الخبر ، أن النبي الذي بغير نظير له يشاركه في نسبه وما يعرف به فلا يحتاج إلى زيادة في انتسابه وإطالته ، وهو مستغن بقصير ما يعرف به عن كثيره ، كما قال الشاعر ^(٢) :

أحبُّ من النّسوانِ كلّ قصيرة
لها نَسَبٌ في العالمين قصيرُ

ومن هذا النسب.نسب الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء ، وقد قال النسابة البكري لرؤية بن العجاج لما انتسب له: مه قصّرت وعزّفت . وحكى لي بعض أصحابنا، أنه وجد بخط صاحبنا محمد بن جعفر بن جمهور :

(١) انظر هذه العبارة في البيان والتبيين ١٨٩/٢ .

(٢) هو كثير ، انظر بيته التالي في ديوانه ١١٠/١ وانظره مع الوارد هنا في اللسان ٤١١/٦ .

سألتُ أبا جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري أن يزيدني في نسبه ، فقال
متمثلاً قول رؤبة :

قد يرفعُ العجاجُ بيتاً فادْعني
بِاسْمِ إِذَا الْأَسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي^(١)

• • •

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان رؤبة .

المجلس الرابع والعشرون

من يكن في حاجة أخيه

حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الجمال ، قال : حدثنا عمي ، قال :
ابن نافع ، قال : حدثنا ابن المنكدر ، عن أبيه ، عن الحسين بن أبي الحسن ،
عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ ، قال : « من يكن في حاجة
أخيه يكن الله عز وجل في حاجته » .

قال القاضي : في هذا الخبر ما يرغب في قضاء حاجات الإخوان ، إذ
سعيهم فيها يعود عليهم بمعونة الله عز وجل لهم في حاجتهم ، ويرجى به
إدراكهم منها ما لا يبلغونه بسعيهم ، دون معونة الله لهم عليه وتيسيره إياه ،
وقد جاء في هذا المعنى ونحوه أخبار كثيرة ، وقد مضى بعض ذلك فيما
مضى في كتابنا ، فلعلنا نأتي فيما بعد بما يحضرننا منه إن شاء الله .

(إسلام سادن الصم)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا السكن ، عن العباس
ابن هشام ، عن أبيه ، قال : حدثني أبو كبران المرادي ، عن يحيى بن
هاني بن عروة ، عن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي ، قال : كان لسعد

العشيرة صنم يقال له فراس وكانوا يعظمونه ، وكان سادنه رجلاً من بني أنس الله بن سعد العشيرة ، يقال له ابن دقشة ، قال عبد الرحمن : فحدثني رجل من بني أنس الله يقال له ذباب ، قال : كان لابن وقشة رثي من الجن يغيره بما يكون ، قال : فأتاه ذات يوم وأنا عنده فأخبره بشيء فنظر إلي وقال لي : يا ذباب ، اسمع العجب العجيب ، بعث الله أحمد بالكتاب ، يدعو بمكة فلا يجاب ، قال : فقلت ما تقول ؟ فقال : ما أدري هكذا قال لي ، فلم يكن إلا قليل حتى سمعنا بظهور النبي ﷺ فترت إلى الصنم فحطمته ، ثم أتيت النبي ﷺ ، فقلت :

تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَخَلَعْتُ قَرَأْسًا بِدَارِ هَوَانٍ
شَدَدْتُ عَلَيْهِ شِدَّةً فَرَكْنَهُ كَأَن لَّمْ يَكُنِ وَالِدُهُ ذُو حَدَثَانٍ
فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي
فَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَا عَشْتُ نَاصِرًا وَأَلْقَيْتُ فِيهِ كَلْكَلِي وَجِرَانِي
فَمَنْ مَبْلُغٍ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ أَتْنِي شَرِيتُ الَّذِي يَبْقَى بِأَخْرَ قَانٍ

(مناظرة ابن عباس للحُرورية)^(١)

حدثنا علي بن محمد بن الجهم ، أبو طالب الكاتب ، قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن يوسف بن الضحاك الفقيه ، قال : حدثنا عمر بن علي الفلاس ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سُدِّي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، قال : حدثني أبو رميل ، قال : حدثني عبد الله بن عباس ، قال : لما خَرَجْتُ الحُرورية اعتزلوا في دار ، وكانوا ستة آلاف ، فقلتُ لعلِّي : يا أمير المؤمنين ! أَبْرُدُ بالصلاة لعلِّي أَكَلِّمُ هؤلاء القوم ، فقال : إني أخافهم عليك ، قلت : كلا ، فلبست أحسن ما يكون من اليمنة

(١) انظر هذه المناظرة في الكامل للبهرد ١١٧/١ ، والحُرورية : فرقة من الخوارج سميت باسم البلية التي خرجوا بها وهي بظاهر الكوفة ، انظر منجم البلدان ٢/٢٤٣ .

وترجلتُ ودخلت عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون ، فقال :
مرحباً بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟ فقلت لهم : أتيتكم من عند أصحاب
النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار ، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ
وصهره ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم
منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون ، فقال بعضهم : لا
تخاصموا قريشاً فإن الله عز وجل قال : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (١)
فالتحى لي نفرٌ منهم فقالوا : لنكلمنه ، فقلت : هاتوا ما تقسم على
أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه ، قالوا : ثلاثاً ، قلت : ما هن ؟
قالوا : أما إحداهن فإنه حكّم الرجال في أمر الله تعالى ، وقد قال الله عز
وجل : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (٢) ما شأن الرجال والحكم ؟ قلت :
هذه واحدة ، قالوا : وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغم ، فإن كانوا
كفاراً فقد حلّ سبهم وقتلهم ، ولئن كانوا مؤمنين فما حلّ قتالهم ولا
سبهم ، قلت : هذه ثنتان فما الثالثة ؟ قالوا : إنه عا نفسه من إمرأة
المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ، قال : قلت : هل
عندكم من غير هذا ؟ قالوا : حسبتنا هذا ، قلت : أرايتم إن قرأت عليكم
من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما يردّ قولكم هذا ترجعون ؟ قالوا :
نعم ، قلت : أما قولكم حكّم الرجال في أمر الله تعالى ، فأنأ أقرأ عليكم
من كتاب الله عز وجل أن قد صير الله عز وجل حكمه إلى الرجال في
ثمن ربيع درهم ، وأمر الله عز وجل الرجال أن يحكموا في أرب ،
قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ
حُرْمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ
النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ (٣) وكان من حكم الله عز

(١) سورة الزخرف الآية ٥٨ .

(٢) سورة يوسف الآية ٦٧ .

(٣) سورة المائدة الآية ٩٥ .

وجل انه صيره إلى الرجال يحكمون فيه ولو شاء لحكم فيه فجاز حكم الرجال ، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين وحقق دمائهم أفضل أم حكمهم في أرب ؟ وفي المرأة وزوجها : ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (١) ، نشدتكم الله فحكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وحقق دمائهم أفضل أم حكمهم في بضع امرأة ؟ أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم . وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغتصب أفتسبون أمكم عائشة فتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم ، فإن قلتم : إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها لقد كفرتم ، ولئن قلتم ليست بأمنا لقد كفرتم لقوله تعالى : ﴿الَّتِي أُوتِيَ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (٢) فأنتم بين ضلالتين فأتوا منهما مخرجاً ، أخرجت من هذا ؟ قالوا : نعم . وأما قولكم عا نفسه من إمرأة المؤمنين فأننا أتاكم بما ترصون به ، إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي : « اكتب يا علي : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله قالوا : لا نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقال رسول الله ﷺ : امح يا علي ، اللهم إنك تعلم أني رسول الله ، امح يا علي واكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله (٣) ، ووالله لرسول الله خير من علي لقد عا نفسه ، ولم يكن مَحْجُوهً ذلك بِمَحْجُوهٍ من النبوة ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم ، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالة ، قتلهم المهاجرون والأنصار .

(١) سورة النساء الآية ٣٥ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦ .

(٣) انظر صلح الحديبية في سيرة ابن هشام ٩٤/٢ .

(خبر الأصدقاء الثلاثة) ^(١)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أصحابنا أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج : أنفذ مع عبد الله بن كعب أربعة آلاف إلى خراسان ففعل ، فشخص في المعسكر ثلاثة كانوا متواخين متصاحبين على اللذات ومعاقرة الشراب ، يقال لهم : أوس بن حارثة وأنيس بن خالد وبشر بن غالب ، وكانوا إذا نزلوا منزلاً انفردوا دون الناس فَحَكَلُوا بشراهم ولذاتهم ، فلم يزالوا على ذلك حتى دخلوا سجستان ونزلوا رزداق راوند ^(٢) وخزازی .. قال أحمد بن يحيى : الصواب ما ذكره وهو رزداق ، ورستاق خطأ — فمات أوس — قال القاضي : أصل هذا الكلام بالفارسية وعُرب فقيل : رزداق ورستاق ، وهو أكثر في كلام من تقدم ومن تأخر فيما وردت الاختيار عنهم به — فعظم حزنهما عليه وجزعهما له ، وقال أنيس يرثيه :

تَخَطَّى لِي الْمَوْتَ مِنْ بَيْنِ مَنْ أَرَى فَأَتَلَفْتُ دُمَانِي لِقَدَجَارٍ وَعَتَدْتُ
أَتَلَبَّسَنِي فِي كَانَ التَّدِيمَ حَيَاتِهِ لَنَا دُونَ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ أَبَا الرُّضَا
حَلِيمًا أَدِيبًا مَجْدًا ذَا سَمَاحَةٍ بَعِيدًا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالشَّرِّ وَالْحَسَا
أَمِينًا جَوَادًا غَيْرَ كَزْ غُخَالَفٍ وَلَا جَاعِلًا رَبًّا مِنْ الْمَالِ مَا حَوَى

(١) الخبر التالي في خزائن الأدب ٢٦٤/١ ، والمجزء الأخير منه مع أبياته في حسانة أبي تمام ٩٨ ، ومجموع البلدان ٤٧١/٢ ، وقد أورد فيه ما قيل من أقوال مختلفة فيمن حدثت معه هذه القصة ، وأحد هذه الأقوال ما أورده المؤلف ، والثاني يذكر أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فأتيا دهقاناً بها في موضع يقال له راوند ونداءه ، فمات أحدهما وبقي الأسدي الآخر والدهقان ، فكانا يتنادمان قبره فيشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً ، ثم مات الدهقان فكان الأسدي النابري يتنادم قبرهما ، والقول الأخير — وسيدكره المؤلف — أن الشعر لنفس بن ساعدة الإيادي في خليلين كانا له وماتا .

(٢) راوند : بلدة قرب قاشان وأصبهان ، وقال حمزة : وأصلها أمارند ، ومنه : الخمر المفضضة ، انظر للمعجم ٧٤١/١ ، أما خزازي فهو جبل بين منبج وعاقل يزاؤه حتى شربة ، المعجم ٣٤٤/٢ ، ولا أظنه مقصوداً هنا .

بِرَبْحَتِهِ الدَّهْرُ الْخَتُونُ بِرَبِيَّةٍ
أَنَادِيهِ يَا أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ الَّذِي
أَجِينِي لَقَدْ أَتَقَدْتُ بِالْجِدِّ عِبْرَتِي
وَقَدْ كُنْتُ ذَا رَأْيٍ وَسَمْعٍ وَفُطْنَةٍ
فَلَيْسَ لَنَا إِذَا مَاتَ أَوْسٌ مُنَادِمٌ

وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً :

فَأَصْبَحَ رَهْناً لِلصَّفَاحِ وَالصَّبَا
بِهِ كُنْتُ أَنْفِيهِ الْهَمَّ عَنِّي وَالْأَذَى
عَلَيْكَ أَمَا تَرْتِي لَبَاكَ إِذَا بَكَى
سَرِيعاً إِلَى الدَّاعِي مُجِيباً إِلَى النَّدَا
سَوَى قَبْرِهِ حَتَّى يَحِلَّ بَنَا الرَّدَى

وَرَدْنَا خُزَازِي إِذْ وَرَدْنَا ثَلَاثَةَ
أُنَيْسٍ وَأَوْسُ الْخَارِثِيُّ بْنُ خَالِدٍ
فَكُنَّا وَلَا نَبْغِي مِنَ النَّاسِ رَابِعاً
فَلَمَّا رَمَانَا النَّاسُ بِالْأَعْيُنِ الَّتِي
رَمَعْتِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنَّا بِأَسْهُمٍ
فَارْدَيْنَ أَوْساً لَهْفَ تَنَفُّسِي لِفَقْدِهِ

كَأَنَّا جَمِيعاً أَيُّهَا النَّاسُ وَاحِدٌ
وَتَصَرَّ أَخُوهُمْ وَالْمَنَابِي رَوَاصِدُ
كَأَنَّا أَثَافُ لَا تَرِيمُ رَوَاكِدُ
مَتَى يَرْمُقُوا شَيْئاً بِهَا فَهَوَّ بَائِدُ
وَنَبِلَ الْمَنَابِي لِلرِّجَالِ قَوَاصِدُ
سَتِي قَبْرَهُ صَوَّبُ الْغَمَامِ الرُّوَاعِدُ

فَمَاتَ أُنَيْسٌ فَعَظُمَ حُزْنُ نَصْرَعِلِي ، وَاتَّصَلَ بِكَأُوهٍ وَجَزَعَهُ لَهُ ،

وَقَالَ يَرِثِيهِ :

أُنَيْسٌ " فَدَنَتْهُ النَّفْسُ مَيِّتاً فَقَدْتُهُ
أُنَيْسٌ فَدَنَتْكَ النَّفْسُ أَصْبَحْتُ مُفْرَداً
أُنَيْسٌ فَدَنَتْكَ النَّفْسُ تَحَلَّفْتُ حَسْرَةً
أُنَيْسٌ فَدَنَتْكَ النَّفْسُ مَاذَا رَزَيْتَهُ
فَكَيْفَ بَقَائِي بَعْدَ أَوْسٍ إِخِي الْقَدَى

فَنَفْسِي لَهُ حَرَّيْ عَلَيْهِ تَقَطَّطُوعُ
وَحِيداً فَمَا أَدْرِي أَخِي كَيْفَ أَصْنَعُ
عَلَيَّ فَعِينِي الدَّهْرَ مَا عَشْتُ تُدْمَعُ
لَقَدْ خَفْتُ أَنْ أَقْضِيَ وَشَيْكاً فَاسْتَرْعُ
وَبَعْدَ أُنَيْسٍ لَسْتُ فِي الْعَيْشِ أَطْمَعُ

ثُمَّ جَعَلَ يَجْلِسُ بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا فَيَشْرَبُ قَدْحاً وَيَصُبُّ فِي كُلِّ قَبْرِ قَدْحاً ،

وَيَقُولُ :

خَطِيلِي هَبَّا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا إِنْ رَاوَدَ كَلَّتُهُمَا

أَجَدَّكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا
وَلَا يَخْزَايَ لِي صَدِيقُ سَوَاكُمَا

أصبَّ على قبريكما من مداممة
مقيم على قَبْرِكِما لستُ بارحاً
أجدكما ما تَريان لموجع
جرى النوم بين اللحم والعظم منكما
ألم ترحماني أني صيرت مُفَرِّداً
أناديكما بالظهر مني صَبَابَةً
فإن كنتما لا تسمعاني فما الذي
سأبكيكما حتى الممات فما الذي
يَرُدُّ عَلى ذِي عَوَلَةٍ إن بكَاكُما

فلم يزل يشرب ويردد هذا الشعر حتى مات ، فدفن إلى جانبهما ،
فقبورهما هناك تسمى قبور الإخوة .

(تعليق لغوي)

قال القاضي : قول أنيس في شعره : كأننا أثاف لا تريم رواكد ،
الأثافي أثافي القدر ، وهي ما تنصب عليه من حجارة أو غيرها ، والواحدة
أثنية ، ومثله أمنية وأماني وأوقية وأواق ، وقد يخفف هذا فيقال أماني
وأواقي ، وروى عن بعض المتقدمين أنه قرأ ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا ﴾
أمانيي^(١) بالتخفيف ، وقيل : هو في تخفيفه وتشديده بمنزلة قراقر
وقراقرير في جمع قرقر^(٢) ، والعرب تقول في دعائها على الرجل : رماه
الله بثلاثة الأثافي يريدون الجبل ، لأنهم يجعلون للقدر أثنتين ويسندونهما إلى
الجبل فيغنيهم عن أثنية أخرى ، وقيل : لهم ينفقون الأثافي من هذا الباب
أكثر من تخفيفهم غيره لكثرة استعماله ، ومن قال هذا ونحوه : الأخفش

(١) سورة البقرة الآية ٧٨ .

(٢) القرقور : السفينة الطويلة المظلمة .

وقوله : لا تريم ، أي لا تبرح ، يقال : لا أريم وما أريم ، ولا يستعمل إلا في
النفي لا يقال : مارمت كما يقال ما زلت ، ولا يقال زلت في الأبيات ،
قال الشاعر :

لَمِينٌ طَلَلٌ بِرَامَةٍ مَا يَسْرِمُ عَقًا وَخَلَا لَهُ حُقُبٌ ^(١) قَدِيمٌ
وَقَالَ الْأَعَشَى ^(٢) :

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنِّ عِنْدَنَا فَإِنَّا بِمَجِيرٍ إِذَا لَمْ تَسْرِمِ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَفِي الطَّرْفِ خِفْتُ عَلَيَّ الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍّ أَهْلَهُ لَمْ يَسْرِمِ
وقول نصر بن غالب في أنيس أيضًا : لقد خفت أن أقضي وشيكًا
أسكن الياء في أقضى وحكمها أن تنصب بأن ليسلم بيته من الانكسار ،
وقد يجعل هذا على لغة من يقرأ الفعل المضارع على الرفع بعد أن ولا ينصبه
وقد جاءت في الشعر أبيات على هذا في الصحيح غير المعتل ، من ذلك قول
الشاعر :

وَإِنِّي لِأَجْتَازَ الْقَيْرَى طَاوِيَّ الْحَشَا
مُحَاذَرَةً مِنْ أَنْ يُقْتَالَ لَيْسِمُ

وروى بعضهم عن مجاهد أنه قرأ : ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾ ^(٣)
والأشهر عنه : من أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى توجيه الفعل إليها وقراءة
الجمهور من السلف والخلف التي لا نستجيز تعدُّبها ﴿مَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرضاعة﴾ لوجوب الحجة بنقلها لصحتها في العربية ومقاييسها ، وبما

(١) الحُبب يسكنين القاف وضمتها ، المدة الطويلة من البحر .

(٢) البيت التالي في ديوانه ٢٠٠ ، من قصيدة يمتح بها قيس بن مفلح كرب .

(٣) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

أسكنت ياؤه من معتل هذا الباب قول الأعشى ^(١) :

فَتَى لَوْ يُنَادِي الشَّمْسُ أَلْقَتْ قَنَاعَهَا
أَوْ الْقَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى الْمُتَعَالِدَا

وجاء مثله في الواو ، وذلك قول الفرزدق ^(٢) :

فَإِنْ حَرَاماً أَنْ أَسْبَ مُتَعَاً
بَابَايَ الشَّمْسُ الْكَرَامِ الْخَصَائِرِ ^(٣)
وَلَكِنْ نَصَافاً لَوْ سَبَبْتُ وَسَبَبِي
بَنُو عَيْدِ شَمْسٍ مِنْ مَنَافٍ وَهَاشِمٍ
أُولَئِكَ أَكْفَأِي فَجَعَلِي بِمَثَلِهِمْ
وَأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كُتَيْباً يَدَارِمِ ^(٤)

ومثل هذا كثير وشواهدة وذكر الله من جهة النحو والإعراب واسع جداً ، وله موضع هو أولى به ، وقد أضيفت جملة هذا الشعر والخبر الذي تضمنته في رواية أخرى إلى قُوس بن ساعدة وأنه أنشد هذا في نديمه ، وقد رويناه في أخبار قُوس ^٥ وأقاصيصه .

(١) البيت في ديوانه ٤٢ من قصيدة يلح بها هودبة بن علي الحنفي ، والشاهد في البيت قوله : الساري حيث أسكن الباء وكان حقها النصب لأنها صفة لمنسوب .

(٢) الأبيات التالية في ديوانه ٤١٤ ، وانظرها في فصل المقال ٣٠٣ ، ومعاد التنصيص ١٧/١ ، والبيت الثالث في اللسان ٢٦٥/٤ ، الإحصاف في مسائل الخلاف ، تفسير القرطبي

٥٩٤٠ .

(٣) الخضارم بفتح الخاء مفردة بنفسها ، وهو السيد الحمول الجواد الكثير العطاء والمعروف .

(٤) أعيد بفتح الياء مضارع عيد بكسرهما ومعناه آنت وأقصب ، وهو أحد التفسيرين في قوله تعالى : (قل إن كان الرحمن ولد فانا أول العابدين) بمعنى الآتئين من ذلك ، انظر اللسان وتفسير القرطبي .

(الصمصامة سيف عمرو بن معدى كرب)^(١)

حدثنا أبو النضر العقيلي أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن الحارث ، قال :
حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني
أحمد بن أبي محمد اليزيدي^(٢) ، قال : كان أبي ربى الرشيد وموسى
ابني المهدي وأدبهما قال : فدخلت على موسى وقد استخلف وكان يجلي
ويكرمني ، فسلمت فرد علي السلام واستعدني فعدت ، وإذا بين يديه
سيف عريض كأنه بقلة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! ما هذا ؟ قال : هذا
سيف عمرو بن معدى كرب الصمصامة^(٣) ، فاستحسنه ، فقال لي أمير
المؤمنين : قد كنت سألت أمير المؤمنين المهدي رضي الله عنه أن يهب لي
هذا السيف فضنّ به عني ومنعني ، فآليت إن بلغني الله تعالى أملي أن
أمتحنه ، وقد عزمت على أن أدعو غلامي طرخان الخريزي وهو جيد
الذراع ، وأن يحضر لي صخرة سوداء طولانية من حجارة القصارين^(٤) ،
وأقدم إليه أن يجمع يديه في السيف ثم يضرب به الرأس الدقيق من
الصخرة ، فإن سلم سلم وإن يقطع يقطع ، قال : فلم نزل نطلب إليه
ونسأله إعفاء السيف من المحنة ونقول : شرف من شرف العرب وسيف لا
يوجد مثله ، فأبى ودعا غلامه طرخان وأحضر الصخرة ، قال أحمد ،

(١) الخبر التالي في العقد الفريد ٣٤٠/٢ ، حلية الفرسان ١٨٩ ، طراز المجالس ١٣٦ ،
الحيوان ٨٧/٥ ، مروج الذهب ٢٨٦/٤ .

(٢) هو أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي المرقري ، صاحب أبي عمرو بن العلاء وهو مول
لبي علي بن حيد مائة ، وإنما قيل له اليزيدي لأنه صاحب يزيد بن منصور خال المهدي
يؤدب ولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدب المأمون ، توفي سنة ٢٠٢ هـ ،
انظر نزهة الألباء ٨١ - ٨٤ ، بنية الوعاة ٣٤٠/٢ ، تاريخ بغداد ١٤٦/١٤ ، ١٤٨ .

(٣) في العقد أن عمراً كان قد وهب للصمصامة لسعيد بن الناصر الأموي فتوارثه ولده إلى أن
اشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل ، وهو يخالف ما ذكره المؤلف فيما يلي .

(٤) القصار : المبيض للثياب ، وكان يجيء التسيج بعد تسجيه بيله ودهه بالمقصرة وهي قطعة من
الخشب على قطعة من الحجر .

قال أبي : فقلت له : يا أمير المؤمنين ! فإذا لم تطعني فاعمل له حديثاً يبقى على الدهر ، يدخل من الباب من الشعراء حتى يحضروا السيف ومحتته ، فإن سلم وصفوه وإن يقطع ركّوه ، فأمر بإحضار الشعراء ، وكان بالباب منهم أبو الهول وأبو الغول التميمي وسلم الخاسر ، فقبل لهم : إن أمير المؤمنين أحضركم لمحنة هذا السيف فمن أحسن الوصف له والقول فيه فصلته عشرة آلاف درهم وخلمة وحملان^(١) ، ثم أحضر طرخان والسيف بين يدي موسى ، فحسر عن ذراعيه وهزه وجمع يديه في قائمه ثم ضرب به الصخرة فمضى فيها باتراً لها ولم يصبه شيء ، فأما أبو الهول فلم يصف شيئاً ، وأما سلم فلم يرض ما قال ، وأما أبو الغول فوصف فأحسن وأخذ الصلة عشرة آلاف درهم والحملان والخلع وانصرف ، وأمر لأبي الهول وسلم الخاسر بخمسة آلاف خمسة آلاف وانصرفا ، فكان الشعر لأبي الغول^(٢) حيث يقول :

حازَ صمصامة الزبيدي من بيتٍ من جميع الأنام^(٣) موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما علمنا خيرٌ ما أعمدت عليه الخفون
أخضر اللون بين حدّيه بردٌ من رياح تميمٍ فيه المنون^(٤)
أوقدت فوقه الصواعق نارا ثم شابت بالزحاف القيون^(٥)
فإذا ما سلّته بهر الشمم سن ضياء فلم تكد تستبين^(٦)

(١) الحملان : ما تحمل عليه الهدايا من الدواب .
(٢) في وفيات الأعيان ومروج الذهب والمقد أن قاتل الشعر هو ابن ياسين ، وفي الحيوان أنه أبو الهول .

(٣) في المقد : الزبيدي عمرو ... من جميع ... الخ ...

(٤) في المقد : من فرند تمتد فيه القيون .

(٥) القيون : جمع قين وهو الخداد .

(٦) بد هذا في المقد بيتان آخران هما :

وكان المنون نبطت لإليه فهو من كل جانيه منون

ما يبالي إذا الضريبة حانت ^(١) أشمال سَطَّتْ به أم يَمِينُ

(نتيجةُ الرفق ونتيجةُ التعذيب) ^(٢)

حدثنا الحسين بن المرزبان النحوي ، قال : حدثني علي بن جعفر بن بنان المخزومي ، قال : حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد المدائني ، عن أبي المضرحي ، قال : أمر الحجاجُ محمد بن المنتشر ^(٣) بن أخي مسروق بن الأجدع ^(٤) أن يعدَّ بَازُدادَ مَرَّذَ بن الهريز ، فقال أزداد مرذ: يا محمد! إن لك شرفاً قديماً، وإن مثلي لا يعطى على الذلُّ شيئاً، فاستأد ^(٥) وارفق بي ، فاستأدى في جمعة ثلاثمائة ألف ، فغضب الحجاج وأمر معبداً ^(٦) صاحب العذاب أن يعذبه فدنق يديه ورجليه فلم يعطهم شيئاً، قال محمد: فإني لأسير بعد ثلاثة أيام إذ أنا بأزداد مرذ معترضاً على بغل ^(٧) قد دُمِّتَ يداه ورجلاه ، فقال : يا محمد ! فكرهت أن آتبه فيبلغ الحجاج ، وتذممت ^(٨) من تركه إذ دعاني ، فدنوتُ منه فقلت : حاجتك ؟ فقال : إنك قد وليت مني مثل هذا فأحسنْتُ إليَّ ، ولي عند فلان مائة

== نعم غراب ذي الحفيظة في الحبس سجا يحويه ونعم القرين

(١) في العقد : ما يبالي من انتضاء لقرب .

(٢) الخبر التالي كما هنا في نشوار المحاضرة ١٣٦/١ ، وورد مختصراً في الكامل لمبرد ١٧٨/١ .

(٣) هو محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك المدائني الكوفي ، روى عن عمه مسروق وابن عمر وعائشة ، وكان من ثقات المحدثين ، انظر تهذيب التهذيب .

(٤) كان مسروق من عباد أهل الكوفة وكبار محدثيهم ، 'رواه زياد عن السلسلة ، ومات بها سنة ٦٣ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ١١/٣ .

(٥) استأده مالا : صادره وأخذ منه .

(٦) في نشوار المحاضرة أن اسمه معد .

(٧) مترجماً : أي مريضاً بالمرض على البغل .

(٨) تلممت منه : غشي أن يفعل فعلاً يلم به .

ألف درهم ، فانطلق فخذها ، قلت : لا والله لا آخذ درهماً وأنت على هذه الحال ، قال : فلإني أحدثك حديثاً سمعته من أهل دينك ، يقولون : « إذا أراد الله بالعباد خيراً أمطرهم في أوامه ، واستعمل عليهم خيارهم ، وجعل المال عند سمحاتهم ، وإذا أراد بهم شراً أمطروا في غير إبانة ، واستعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال في أشحائهم » . ومضى وأتيت منزلي فما وضعت ثيابي حتى جاءني رسول الحجاج ، فأتيته وقد اختلط سيفه ^(١) فهو في حجره ، فقال : أدنُ ، فدنوت قليلاً ، ثم قال : ادن ، فقلت : ليس بي دُنُو ، وفي حجر الأمير ما أرى ، فأضحكه الله تعالى لي وأغمد السيف فقال : ما قال لك الخبيث ، فقلت : والله ما غششتك منذ استنصحتني ، ولا كذبتك منذ صدقتني ، ولا غششتك منذ ائتمنتني ، وأخبرته بما قال ، فلما أردتُ ذكر الرجل الذي عنده المال صرف وجهه ، وقال : لا تسمه ، ثم قال : لقد سمع عبدو الله الأحاديث .

(كيف يكون بارداً وله هذا الشعر) ^(٢)

حدثنا إبراهيم بن الفضل بن حبان الحلواني ، قال : حدثني أبو بكر بن ضباب ، قال : سمعتُ بعض أصحابنا بالرقعة يقول : كبير خالده الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده فوسوس ، فرأيتُه يبغداد والصبيان يتبعونه ويصيحون به : يا بارد يا بارد ! فأسند ظهره إلى قصر المعتصم ، وقال : كيف أكون بارداً وأنا الذي أقول :

بكي عاذلي من رَحْمَتِي فَرَحِمْتُهُ وكم من مُبْعِدٍ من مثله ومُعِينٍ
ورَقَّتْ دموعُ العين حتى كأنها دموعُ دُمُوعي لا دموعُ جفوني

(١) الخبر التالي في تاريخ بغداد ٣١٠/٨ ، وثمرات الأوقاف ٨٦/١ ، نقلنا هنا .
(٢) هو خالده بن يزيد البغدادي ، أبو المهتم المعروف بالكاتب ، شاعر غزل من الكتاب كان أحد كتابه الجيش في أيام المعتصم العباسي ، وكان يجاسي أبا تمام ، شعره رقيق ، أكثره في الغزل ، توفي في بغداد سنة ٢٦٢ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣٠٨/٨ .

(السيد الحميري يستكمل هدية)

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ ، قال : أخبرنا الصائغ بمكة ،
قال : أخبرنا يحيى بن معين ، قال : أخبرني محمد بن كنانة : أن والياً
كان بالكوفة أهدى إلى السيد بن محمد الحميري ^(١) رداءً عَدَنِيًّا ،
فكتب إليه السيد في شعر وجه به إليه :

وقد آتانا رداءً من هَدَيْتِكُمْ
فلا عَدَمُناكَ طُولَ الدهر من والٍ
نعم الرداءُ جزاك الله صالحاً
لو أنه كان مُوصِلاً بِسُرْبِالٍ
فلما قرأ الشعر أهدى إليه خلعة تامة ^(٢) .

(معاتبات في عدم قضاء الحاجة)

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : حدثنا أحمد بن
أبي خيثمة ، قال : أنشدت لسعيد بن سليمان المساحقي القاضي في هارون بن
زكريا كاتب العباس بن محمد :
أزورك رفهاً كُلَّ يَوْمٍ وَليلةٍ ودركَ مَخْزُونٌ عليَّ قصير

(١) هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، الملقب بالسيد ، حرف بشيعة
واعتقاده ملهب الكيسانية الذين يقولون بإمامة محمد بن الحنفية ، وكانت تلقى له رسالته في
مسجد الكوفة يجلس عليها ، وكان من أكثر الناس شمرأ ، ولد سنة ١٠٥ هـ وتوفي سنة
١٧٣ هـ ، انظر الأغانى ٢٧٨/٢٢٩/٧ المقدم الفريد ٤٠٦/٣ .
(٢) انظر هذا الخبر في الأغانى ٢٧٠/٧ ، وفيه أنه بعث إليه بخلة تامة وقرس جواد ، وقال :
يقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيانا .
(٣) ولي قضاء المدينة في خلافة المهدي ، وكان جيد المذهب حسن الطريقة ومن رجال قريش
جلداً وجمالاً وشمرأ ، انظر تاريخ بغداد ٦٥/٩ .

لأَيِّ زَمَانٍ أُرْتَجِيكَ وَخَلَّةٌ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْتَفِعْ وَأَنْتَ وَزَيْرُ
فَإِنَّ الْفَتَى ذَا اللَّبِّ يَطْلُبُ مَالَهُ وَفِي وَجْهِهِ لِلطَّالِبِينَ بِشِيرُ

حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْخُتَلَبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ
النَّسَائِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى يَحْيَى
ابْنِ خَالِدٍ بْنِ بَرْمَكٍ فِي حَاجَةٍ وَكَانَ وَعْدُهُ فَمَطَّلَهُ لِإِيَّاهَا فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ
الْأَبْيَاتِ :

لَوْلَا الْمَمَاتُ وَأَنْ الْعَمْرُ مُنْتَقِصٌ
لَمَا أَكْثَرْتُ بِمَا تَأْتِي مِنَ الْعَالِ
إِنَّمَا اعْتَرَمْتَ عَلَى تَنْفِيدِ وَعْدِكَ لِي
فَامْنَعْ حَيَاتِي مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَجْلِ
وَمَا تَذَكَّرَ قَوْمٌ مَا فَعَلْتُ بِهِمْ
عِنْدَ الْوُرُودِ عَلَى مَعْرُوفِكَ الْخَصِصِ
إِلَّا اسْتَعْنَتْ بِوَجْهِ الْأَرْضِ أَنْكُهُ
وَأَضْمُ بَعْضِي إِلَى بَعْضٍ مِنَ الْحَبْلِ
قَالَ : فَقَضَى حَاجَتَهُ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَوَقَعَ مَا قَالَهُ بِالطَّلَفِ الْمَوْقِعِ
عِنْدَهُ :

(عَمِيدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ يَهَبُ ثِيَابَهُ لِبَعْضِ الْفَتَيَانِ)^(١)

حَدَّثَنَا عَمِيدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرٍ الْأَزْدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ
أَبِي الدُّنْيَا ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الشَّيْبَانِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ
عَمِيدِ اللَّهِ الْغَنَوِيُّ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ كَانَ فِي سَفَرٍ لَهُ ، فَمَرَّ بِفَتَيَانٍ
يُوقِدُونَ تَحْتَ قِدْرٍ لَهُمْ ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ ، فَقَالَ :

(١) سبق هذا الخبر .

أقول له حين ألفيتُـه عليك السلامُ أبا جعفرٍ
فوقف وقال : وعليك السلام ورحمة الله ، فقال :
وهذي ثيابي فقد أُخْلِقْتُ وقد عَصَيْتِي زَمَنٌ منكُـرُ
قال : فهذه ثيابي مكانها — وعليه جبة خزٌ وعمامة خزٌ ومُطَرَفُ خَزَـةٍ —
ونُعَيْنِكَ على زَمَنِكَ ، فقال :

فأنت كريمُ بني هاشم وفي البيت منها الذي يُدْكَرُ
قال : يا ابن أخي ، ذاك رسول الله ﷺ .
قال القاضي : وهذي ثيابي ، ويقال : هاتا أيضاً ، قال الشاعر :
فهذي سيوفُ يا صَدَيُّ بن مالك
كثيرٌ ولكن أين بالسيف ضاربُ ^(١)

وقال آخر في هاتا :

إن كنتِ كارهةً لِعِيشَتِنَا هاتا فحُلِّي في بني بدر ^(٢)
وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ﴿ ولا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ ﴾ ^(٣) ، وأما هذا ففيه ثلاث لغات . هذا وهي أفصحهن وأشهرهن ،
وهذا بمدةٍ بعدها همزة مكسورة ، وهذا بـ *هَـ* بعدها همزة ثم هاء
مكسورتان وكسرة الهاء مشبعة ، قال الشاعر في هذه اللغة :
هذائِه الدَّقَّةُ خَيْرٌ دَفْئِـرٍ في كفٍّ خيرٍ عَالِمٍ مُصَوِّرٍ
وآخرون يروون هذه القصة عن المنصور .

(١) البيت في المذكر والمؤنث لابن الأنباري .

(٢) البيت لحاتم الطائي ، انظره في ديوانه ٢٠ ، والسان ٧٠/٧ ، والأغاني ١٧/٣٩٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٣٥ .

حدثنا أبو بكر بن دريد ، قال : أخبرنا الحسن بن خضر ، عن أبيه ،
قال : دخل رجل على المنصور ، فقال :
أقولُ له حين واجهتهُ عليك السلام أبا جعفر
فقال له المنصور : وعليك السلام ، فقال :
فأنت المهديُّ من هاشم وفي الفزعِ منها الذي يذكرُ
فقال له المنصور : ذاك رسول الله ﷺ ، فقال :
فهذه ثيابي قد أنخلت وقد عصّيتي زمن منكر
فألقى إليه المنصور ثيابه وقال : هذه بدلها .

• • •

المجلد الخامس والعشرون

(الرزق على قدر النفقة)

حدثني محمد بن عمر بن نصير الحربي الجمال ، قال : حدثني محمد بن سعد كاتب الواقدي ، قال : حدثنا محمد بن عمر الواقدي ، قال : أوصلتُ إلى أمير المؤمنين رقةً أشكو فيها غلبة الدين وحالا قد دُفعت إليها ، فَوَقَّعَ على ظهر رقعتي : فيك يا شيخ خلتان : الحياء والسخاء ، أما السخاءُ فهو الذي أخرج ما في يدك ، وأما الحياء فهو الذي قطعك عن إطلاعنا على حالك ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كانت فيها بُلُغَةٌ فذاك ، وإن يكن غير ذلك فهذه ثمرة ما جئيت على نفسك ، فأنت حدثني وأنت قاضٍ لأبي الرشيد ، عن محمد بن إسحاق الزهري ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن مقاتيح الرِّزْقِ متوجهة نحو العرش فينزل الله عز وجل على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثر كثر له ، ومن قَلَّ قَلَّ له » . قال الواقدي : فكنتُ أنسيتُ هذا الحديث حتى حدثني به المأمون فكان أحظى عندي من الصلة .

(ابن هرومة يرثي الحكم بن المطلب)

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو عثمان ، قال :

أخبرني رجل من قریش بمكة ، أحسبه قال : من ولد عبد الرحمن بن عوف ، قال : حدثني حميد بن مغوث الحمصي عن أبيه ، قال : كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنظل بن الحارث ابن عبد بن عمر بن مخزوم وهو يجود بنفسه بمنى ، قال : ولقي من الموت شدة ، فقال رجلٌ ممن حضر وهو في غشية له : اللهم هون عليه فإنه كان وكان ، فلما أفاق قال : من المتكلم ؟ قال : المتكلم أنا . فقال : إن ملك الموت يقول لك : إني بكل سخي رفيق ، قال : وكأنما كانت فتيلة أطفئت ، فلما بلغ موته ابن هرة قال :

سألا عن الجود والمعروف أين هما

فقلت لهنّ ما مآل الحكيم

مآل مع الرجل الموفى بدمته

يوم الحفاظ إذا لم يؤف بالدم

ماذا بمنى لو تُنشر مقابرها

من التهدم بالمعروف والكريم

قال ابن دريد : فسألت أبا حاتم عن قوله : لو تنشر مقابرها لم جزم ؟ فقال : قال قوم من النحويين : كراهة لكثرة الحركات ، كما قال الراجز :^(١)

إذا عوججن قلت صاحب قوم

بالدو أمثال السفين العوم

وقال : لو قال : لو نبشت مقابرها لاستراح من اللبس وكان كلاماً فصيحاً .

قال القاضي : وقد بينا فيما مضى من هذه المجالس هذا النحو مما

(١) الرجز التالي في الكتاب لسيبويه ٢/٢٩٧ ، واللسان ١٥/٣٢٧ وتفسير القرطبي ٤٤٣ ، والسفين العوم : العائمة .

سُكِّنَ في الشعر مع استحقاقه التحريك ، وذكرنا ما أنشده سيبويه ^(١) في هذا المعنى والاختلاف في روايته واستجازته ، ما يغني عن إعادته ، فأما قول أبي حاتم في معنى نبشت في لفظ الفعل الماضي وإسكان عينه ^(٢) ، فهو كما قال : وهو مطرد في القياس وقد جاء منه شيء كثير ، ومن ذلك قول أبي النجم :

لو عَصِرَ منه المسك والبانُ انْعَصَرَ

ومثله :

رُجِمَ به الشيطانُ في ظلماتِهِ

(وفود جرير على عبد الملك بن مروان) ^(٣)

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا عبد الله بن عمرو الوراق ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن طهمان قال : حدثنا عمرو بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي عمرو الشيباني ، قال : حدثني مروان بن أبي حفصة ، قال : جلس عبد الملك بن مروان يوماً للناس على سرير ، وعند رجل السرير محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف ^(٤) ، وجعل الوفود يدخلون عليه ومحمد بن يوسف يقول : يا أمير المؤمنين ! هذا فلان ، هذا فلان ، إلى أن دخل جرير بن الحطاطي فقال : يا أمير

(١) انظر الكتاب ٢٥٧/٢ - ٢٥٨ ، باب ما يسكن استخفاً وهو في الأصل عندهم متحرك .

(٢) قال في الموشح : جاء في الشعر تسكين الحروف التي عليها الضمات ، والكسرات نحو عَصِدَ وعَصَدَ ، فَعِلَ وعَصَدَ ، وفي كيه وعلم ، وفي كرم ، وفي رجل ، وفي ضرب وعصر ، وانظر ضرائر الشعر ٦٦ ، وإصلاح المنطق ٤٢ .

(٣) الخبر التالي في ذيل أمالي القالي ٤٣ ، وانظر الأغاني ٦٦/٨ - ٦٨ ، ٣٠٦ ، والموشح ٣٧٦ .

(٤) الذي ذكر في المراجع أنه أرسل ابنه محمد بن الحجاج لا أخاه في وفد من عشرة أشخاص كان أحدهم جريراً .

المؤمنين ! هذا جرير بن الخطفي ، قال : فلا حيّاه الله ، القاذف للمُحصّنات والعاضيه لأعراض الناس — قال أبو بكر بن الأنباري : العاضيه : المُغتَاب ، ويقال : العاضيه : النّمام ، ويقال : الساحر ، قال القاضي : ومنه الخبر عن النبي ﷺ : أنه لعن العاضيه والمستعضيه ، يعني الساحرة والمستسحرة ، قال الراجز :

الماءُ مِنْ عِضَاهِمِينَ زَمَزَمَهُ

وقيل في قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ أقوال منها : هذا ، وهو أن المشركين قالوا : هو سحر ، وقيل : لهم عَضْوُهُ بأن آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وقيل ، بل اقتسموه بينهم استهزاء فقالوا : لفلان هذه السورة ولفلان هذه السورة ، فعضوه كما تعضى الشاة وكما تجزأ أعضاء الجزور فتقسم وتوزع بين مقتسميها وهذا فيما يتضمن عنه بمشيئة الله وعونه كتابنا المسمى « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » ونأني على ما جاء فيه عن أهل العلم، وأصحاب التأويل والمفسرين، وعن أصحاب المعاني التحويين ، ومن العضه السحر ، ما أنشدني عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : أنشدنا أحمد بن يحيى :

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ النَّافِثَا تِ فِي عُقَدِ الْعَاضِيَةِ الْمُعْضِيَةِ^(١)

وقال : يعني بهما الساحر ، وقال أبو موسى الحنّامض : المعضه الذي يأتي بالأمر العظيم ثم يَبْهَت — فقال جرير : يا أمير المؤمنين دخلت فاشترأب الناس نحوي ، ودخل قومٌ بعدي فلم يشرب الناس إليهم ، فقدرت أن ذلك لذكر جميل ذكرني به أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : لما ذُكرت لي قلت : لا حيّاهُ الله القاذفُ للمحصّنات العاضيه لأعراض الناس ، فقال جرير : والله يا أمير المؤمنين ما هجوتُ أحداً حتى أجزه عِرْضي

(١) البيت في تفسير القرطبي ٣١٧٥ .

سَنَّةٌ ، فإن أَمْسَكَ أَمْسَكَ ، وإن أقَامَ اسْتَعْنَتْ عليه وهجرتُهُ ، فقال له :
 هذا صديقك أبو مالك سَلَّمَ عليه — يعني الأخطل — فاعتنقه وقال : والله
 يا أمير المؤمنين ما هجائي أحدٌ كان هجاءُهُ عليَّ أشدَّ من هجائه ، إلا أني
 كنتُ أظن أنه يرشني على هجائي ، فقال له الأخطل : كذبتَ وأتُرتُ
 أَمْلَكَ ، قال له جرير : صدقتَ وخنازير أَمْلِكَ ، فقال عبد الملك : أحضروا
 جامعة ^(١) فأحضرت وغمز الوليد الغلام أن ناجز بها ، فقال عبد الملك
 للأخطل : أنشد ، فأنشد :

تأبَّدَ الرِّيحُ من سَلَمي بأجفَّار
 وأقفرْتُ من سُلَيْمي دِمْنَةَ الدَّارِ

حتى ختمها ، فقال له عبد الملك : قضينا لك أنك أشعر من مضى
 ومن بقي . واستأذنت قيس عبد الملك في أن ينشد جريراً فأبى ، ولم يزل
 جرير مقيماً دهرًا يلتمس لإنشاد عبد الملك وقيس تشفع له ، وعبد الملك
 يأبى إلى أن أذن له يوماً ، فأنشده :

أتصحبو بل فؤادك غير صاح عَشِيَّةَ هَمٍّ صَحْبُكَ بالرواح
 فقال عبد الملك : بل فؤادك يابن اللخناء — قال أبو بكر : اللخناء :
 المننة الريح ، فلما انتهى إلى قوله :

تَعَزَّتْ أم حَزْرَةَ ثم قالست رأيتُ الموردين ذوي اللقاح ^(٢)

(١) الجامعة : هي الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق ، هذا وقد ذكروا أن عبد الملك كان غامباً
 من جرير وكان يقول: إنما أنت الحجاج ، فلما حضر مجلسه طلب منه أن ينشد فأنشده
 قصائده في الحجاج فغضب ، وأمر الأخطل أن ينشد فأنشده مدائحه فيه ، فأمره أن يركب
 جريراً فركبه ، حتى قال جرير : إن التصراعي لا يملو ولا يظهر على المسلم ولا يركبه ،
 فقال أهل المجلس : صدق يا أمير المؤمنين ، قال : دعه ، وانتفض المجلس ، ولم يزل
 عبد الملك غير راضٍ عن جرير حتى تشفعت له قيس قرضي عنه ، انظر المراجع السابقة .
 (٢) أم حزره : امرأة جرير ، والموردين : الحاضرين الماء وهو يعني العطاء، واللقاح =

تُكَمَّلُ وهي سَاعِيَةٌ بَنِيهَا بأَنْفاس من الشَّيْم القَرَّاحِ

قال أبو بكر : الشَّيْم : البارد ، والقَرَّاح : الماء الذي ليس معه لبن ،
والسَّاعِيَةُ الجائعة ، قال القاضي : ومن دعاء العرب : حلبتَ قاعداً وشربتَ
بارداً ، يريدون كنتَ ذا غَنَمٍ تحلبها وأنتَ قاعد ولا إبل لك تحلبها قائماً ،
وشربتَ بارداً أي ماء محضاً ، قال عبد الملك : لا أروى الله عَيْمَتَهَا ، قال
القاضي : العَيْمَةُ : شهوة اللبن ، يقال : عمت إلى اللبن أعيم عيمة ، ومن
دعاء العرب : ما له عام وغام وآم ، فغام : قرم إلى اللبن ولم يقدر عليه ،
وآم : ماتت امرأته ، كما قال الشاعر :

وَأُبْنَا وَقَدْ آمَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ

وَتَسَوَّانُ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمٌ^(١)

معنى آمت نساء مات أزواجهن ، وغام : عطش فلم يقدر على الماء ،
فلما انتهى إلى قوله :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ
قال عبد الملك : من مدحنا فليمدحنا هكذا . فلما ختمها أمره بإعادتها ،
فلما أنشد :

أَتَصَبَّحُوا أَمْ فَوَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ

لم يقل له ما قال في المرة الأولى ، ولما ختمها أمر له بمائة ناقة بأدائها
ورعاتها ، فقال جرير : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اجْعَلْهَا مِنْ إِبِلِ كَلْبٍ ، وإبل
كلب إبل كرام .

= جميع لقمة وهي الناقة المألوبة للزينة اللبن ، ورواية هذه الشطرة في الديوان : رأيت
الواردين ذوي أشتاح .

(١) البيت يقوله شاعر لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، انظره في المذكر والمؤثر لابن
الأثير .

قال القاضي : وقد كتبنا هذا الخبر عن أبي بكر بن الأنباري في مجلس آخر : فأتى به زيادة في هذه القصيدة وأنشد فيه كلمة جرير كلها وفسر غريبها ، وإذا عثرنا عليه رسمناه فيما نستقبله من مجالسنا هذه إن شاء الله .

(الرشيد يحبس محمد بن الليث ثم يطلقه ويكرمه)

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا الحسن بن زيسد أبو علي الكاتب المعروف بالحكيمي ، قال : سمعتُ أحمد بن يوسف الكاتب يقول : حدثني ثمامة بن أشرس ، قال : أول ما أنكر يحيى بن خالد من أمره ، أن محمد بن الليث أبي الربيع الكاتب كتب إلى الرشيد رسالة يَعِظُهُ فيها ويدكر فيها يحيى بن خالد ويقول : يا أمير المؤمنين إن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً ، وقد جعلته فيما بينك وبين الله عز وجل ، فكيف أنت إذا وقفت بين يديه فسألك عما عملت في عبادته وبلاده ، فقلت : أي رب ! استكفيت يحيى بن خالد أمور عبادك ، أترك تحج بحجة يرضاه؟ مع كلام فيه توبيخ وتقريع ، فلما قرأها الرشيد دعا يحيى بن خالد وقد تقدم إلى يحيى خبر هذه الرسالة ، فقال له : أتعرف محمداً بن الليث ؟ قال : نعم ، قال : فأأيُّ الرجال هو ؟ قال : مُتَّهَمٌ على الإسلام . فأمر الرشيد بمحمد بن الليث فوضع في المظنق فأقام دهرأ ، فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه فأحضر ، فقال له بعد مخاطبة طويلة : يا محمد ! أتحبني ، قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : أو تقول هذا ؟ قال : نعم ، وضعت في رجلي الأكبسالَ وحلت بيني وبين العيال بلا ذنب ولا حدث أحدثتُ سوى قول حاسد يكيدُ الإسلامَ وأهله ، ويحب الإلحاد وأهله ، فكيف أحببك ؟ قال : صدقت ، وأمر بإطلاقه ، ثم قال له : يا محمد بن الليث أتحبني ، قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن قد ذهب بعض ما كان في قلبي ، فأمر أن يُدفع إليه من ساعته مائة ألف درهم فأحضرت ، فقال : يا محمد أتحبني ؟ قال : أما الآن فتعم ، قد أنعمت

وأحسنه ، فقال : انتقم الله لك ممن ظلمك وأخذ بحقك من بنى عليك ، فكان هذا أول ما ظهر من الرشيد في أمر يحيى بن خالد ثم تَزَيَّد الأمر بعد ذلك .

(خبرُ وضَّاحِ اليمن)^(١)

حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبو أحمد الخطي ، قال : أخبرنا أبو حفص النسائي ، قال : حدثني محمد بن حَبَّان بن صدقة ، عن محمد بن أبي السري ، عن هشام بن محمد بن السائب ، قال : كانت عند يزيد بن عبد الملك بن مروان أم البنين بنت فلان^(٢) ، وكان لها من قلبه موضع قال : فقدم عليه من ناحية مصر بجوهر له قيمة وقدر ، قال : فدعا خَصِيصاً له فقال : اذهب بهذا إلى أم البنين وقل لها : أتيتُ به الساعة فبعثُ به إليك ، قال : فأثَّرها الخادم فوجد عندها وضَّاح اليمن وكان من أجمل العرب وأحسنها وجهاً ، فعشقه أم البنين فأدخلته عليها ، فكان يكون عندها فإذا أحست بدخول يزيد بن عبد الملك عليها أدخلته في صندوق من صناديقها ، فلما رأت الغلام قد أقبل أدخلته في الصندوق فرآه الغلام ورأى الصندوق

(١) وضاح اليمن لقب غلب على هذا الشاعر لجماله وبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داؤد بن أبي حمدة ، شاعر يمني مجيد ، انظر القصة التي وردت هنا له في أسماء المغتالين من الأشراف ٢٧٣ ، والأغاني ٢٢٥/٦ ، على أن أبا الفرج يذكر أن وضاح اليمن شبيب بها فحبس ، وأن الوليد غضب لذلك وهم يقتله ، إلا أن بعض خاصته نصحوه بالتغاضي عن ذلك كما فعل معاوية بأبي دهل الجسعي حين شبيب بابنته ويرد ووصله فكف عن تشبيهه وكذب نفسه ، إلا أن الوليد لم يقبل هذه الفكرة وأحضره ودفنه حياً لمجرد تشبيهه بزوجته ، أما قصة تحميمها له في صندوق من صناديقها فهي قصة موضوعة من الخيال في العصر العباسي ، انظر الأغاني ٢٢٤/٦ .

(٢) المعروف أن الذي حدثت معه هذه القصة هو الوليد بن عبد الملك لا يزيد ، وأن امرأته هي أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وذلك كما ورد في المراجع السابقة لكن المؤلف لم يذكر اسم أبيها تحريماً .

الذي دخل فيه ، فوضع الجوهر بين يديها وأبلغها الرسالة ، ثم قال : يا سيدتي هبِّي لي منه لؤلؤة ، قالت : لا ، ولا كرامة ، فغضب وجاء إلى مولاه فقال : يا أمير المؤمنين ! إني دخلت عليها وعندها رجل ، فلما رأيته أدخلته صندوقاً فهو في الصندوق الذي من صفته كذا وكذا وهو الثالث أو الرابع ، فقال له يزيد : كذبت يا عدو الله ، جئوا في عنقه فوجأوا عنقه ونحوه عنه ، قال : فأمهل قليلاً ثم قام فلبس نعله ودخل على أم البنين وهي تمتشط في خزانها ، فجاء حتى جلس على الصندوق الذي وصف له الخادم ، فقال : يا أم البنين ! ما أحب إليك هذا البيت ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ! أدخله لحاجتي وفيه خزانتي فما أردت من شيء أخذته من قُرب ، قال : فما في هذه الصناديق التي أراها ؟ قالت : حُلِيِّي وأُثْأُثِي ، قال : فهي لي منه صندوقاً ، قالت : كلها يا أمير المؤمنين ، قال : لا أريد إلا واحداً ولك عليّ أعطيك زنته وزنة ما فيه ذهباً ، قالت : فخذ ما شئت ، قال : هذا الذي تحتي ، قالت : يا أمير المؤمنين ! عُدَّ عن هذا وخذ غيره ، فإن لي فيه شيئاً يقع بمحبي ، قال : ما أريد غيره ، قالت : هو لك ، قال : فأخذه ودعا الفراشين فحملوا الصندوق فمضى به إلى مجلسه فجلس ولم يفتحه ولم ينظر ما فيه ، فلما جتّه الليل دعا غلاماً له أعجمياً ، فقال له : استأجر أجراً غريباً لئيسوا من أهل مصر ، قال : فجاء بهم فأمرهم فحَقَرُوا له حُفْرَةً في مجلسه حتى بلغ الماء ، ثم قال : قد مَوَّأ لي الصندوق فألقي في الحفرة ثم وضع فيه على شَفْرَةٍ فقال : يا هذا ! قد بلغنا عنك الخير ، فإن يكن حقاً فقد قطعنا أثره وإن يكن باطلاً فإنما دفننا خشباً ، ثم أهالوا عليه التراب حتى استوى ، قال : فلم ير وضاح اليمن حتّى الساعة ، قال : فلا والله ما بان لها في وجهه ولا في خلّقه ولا في شيء حتى فرق الموت بينهما .

(جَنَّةُ وَجَنِّ عَلَيْهِ)

قال القاضي : في هذا الخبر : فلما جتّه الليل ، والفصح من كلام

العرب : جَنَّ عليه الليل وأجنته الليل ، قال الله جلَّ اسمه ﴿ فلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ ^(١) وفيه لغة أخرى وهو جَنَّتْ كما جاء في الخبر ، وقد روى عن بعض الماضين من القراء ﴿ جَنَّتْهُ الْمَأْوَى ﴾ ^(٢) وهذا وجه شاذ في القراءة ، واللغة ، وفي هذا الخبر أيضاً وجه من اللغة ليس بالظاهر السائر وهو قوله : ثُمَّ أَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ ، واللغة الفاشية الصحيحة العالية : هَلَّتْ عليه التُّرَابُ أَهْيَلَهُ ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ ^(٣) .

(من أدب آل البيت)

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان أبو الحسن البزاز ، قال : حدثنا أبو غسان ، عن عبد الله بن محمد بن يوسف بالقززم ^(١) ، قال : حدثني عبد الله بن محمد اليماني ، عن علي بن يوسف المدائني ، قال : سمعت سفيان الثوري ، يقول : دخلتُ على أبي عبد الله جعفر بن علي رضي الله عنهم ، فقلت : يا ابن رسول الله أوصني ، فقال : يا سفيان ! لا مروءة لكذب ، ولا راحة لحسود ، ولا خلة لبخيل ، ولا أخت للملوك ، ولا سؤدد لسيء الخلق ، قلت : يا ابن رسول الله ، زدني ، قال : يا سفيان ! كُفَّ عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله لك تكن مسلماً ، واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمناً ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ، وشاور في أمورك الذين يَخْشَوْنَ الله تعالى ، فقلت : يا ابن رسول الله ، زدني ، قال : يا سفيان ! من أراد عزّاً بلا عسيرة وهيبةً بلا سلطان ، فليخرج من ذل معصية الله تعالى إلى طاعة الله

(١) سورة الأنعام الآية ٧٦ .

(٢) سورة النجم الآية ١٥ .

(٣) سورة المزمل الآية ١٤ .

(٤) القززم : مدينة بينها وبين مصر ثلاثة أيام مينة على شفير البحر وبها فرقة مصر والشام ، ومنها تحمل حمولاتهما إلى الحجاز واليمن ، معجم البلدان ٤/ ٣٨٨ .

عز وجل ، قلت : يا ابن رسول الله زدني قال : يا سفيان أدبني أبي بثلاث وأتبعني بثلاث ، قلت : يا ابن رسول الله ! ما الثلاث التي أدبك بهن أبوك ؟ قال : قال لي أبي : من يصحب صاحب سوء لا يسلم ، ومن يتدخل مداخل سوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم . ثم أنشدني :

عَوْدٌ لِسَانِكَ قَوْلُ الْخَيْرِ تَحْظُهُ بِهِ

إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَدَتْ مُعْتَادُ^(١)

مُوكَّلٌ^(٢) بِتَقَاضِي مَا سَتَتْ لَهُ

فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ

قال : فقلت : فما الثلاث الأخر ؟ قال : قال أبي : إنما يتقى حاسدٌ نعمة ، أو شامتٌ بمصيبة ، أو حاملٌ نعمة .

(وفود كثير عزة على عبد الملك وحديثه معه)^(٢)

حدثنا الحسين بن علي بن المزيان النحوي ، قال : حدثنا عبد الله بن هارون النحوي ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي يعقوب الدينوري ، قال : أخبرني نصر بن منصور ، عن العتيبي ، قال : كان عبد الملك بن مروان يحب النظر إلى كثير إذا دخل عليه آذنه يوماً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا كثير بالباب ، فاستبشر عبد الملك ، وقال : أذخيله يا غلام ، فدخل كثير وكان دميماً حقيراً ترذّره العين فسلم بالخلافة ، فقال عبد الملك : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فقال كثير : مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنما الرجل بأصغريه — قال القاضي : العرب تقول : تسمع بالمعيدي لا أن تراه ، وأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، وهو

(١) هذا البيت وحده دون نسبة في مجلة المجالس ٨٧/١ ، ولباب الآداب ٣٢٦ .
(٢) انظر هذا الخبر في أمالي الثعالب ٤٦/١ ، والجزء الخامس بخروج عبد الملك إلى النزوى في الأمالي ١٣/١ ، والأغاني ٢١/٩ ، مع اختلاف في ألفاظ الرواية .

مَثَلٌ سائر^(١) — بلسانه وقلبه ، فإن تَطَلَّى تَطَلَّى ببيان ، وإن قاتل قاتل
بمِثَال^(٢) ، وأنا الذي أقول يا أمير المؤمنين^(٣) :

وَجَرَّبْتُ الْأُمُورَ وَجَرَّبْتَنِي فَقَدْ أَبَدْتُ عَرِيكَتِي الْأُمُورَ^(٤)
وما يَخْفَ الرِّجَالُ عَلَيَّ إِنِّي بِهِمْ لِأَخُو مُثَاقِبَةً خَيْرُ^(٥)
تَرَى الرَّجُلَ التَّحِيْفَ فَتَزْدْرِيه وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ يَزِيرُ^(٦)
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَيُتَبَلِّيه

فِيُخْلِفُ ظَنَنَكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ^(٧)
وما عَظَّمُ الرِّجَالُ لِمَنْ يَزِينُ وَلَكِنْ زَيْنُهَا كَرَمٌ وَخَيْرُ^(٨)
بُعْثَاتِ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا وَلَمْ تَطِيلِ الْبُرْءَةُ وَلَا الصُّقُورُ

وروى :

بُعْثَاتِ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأَمُ الصُّقْرِ مِقْلَاتٌ تَزُورُ

(١) انظر مجمع الأمثال ١/١٢٩ ، والرواية الثانية هي المختارة ، وثمة رواية ثالثة ، هي :
« لأن تسع بالمعدي خير » ، وهو يضرب فيمن خيره خير من مرآه ، وانظر حديثه
وأول من قاله في مجمع الأمثال .

(٢) في الأمالي أنه قال : يا أمير المؤمنين ، كل عند محله رحب الفناء ، شامخ البناء ، عالي
السناء .

(٣) الأبيات التالية في ديوان كثير : ٨٢/١ ، هذا وقد وردت منسوبة للعباس بن مرداس في
حماسة أبي تمام ١٣٤ ، وممجم الشعراء ٢٦٣ ، وورد الرابع منسوبة له في اللسان
١٧٠/٦ ، ثم قال : وقيل : إنه للمتلمس الصفي ، كما نسب لمعاوية بن مالك معود الحكماء
في الجور العين ٩ .

(٤) أبدت : أظهرت وكشفت ، والبريكة : الطيعة والنفس .

(٥) المثاقبة : الفهم الثاقب المصيب .

(٦) يزير : أي يزار فخففت الهزلة ، والرواية في الحساسة : مزير ، وفي الأمالي
حصور .

(٧) الطرير : ذو الرواء والجمل .

وفي بغاث الطير لغتان : بَغَاثٌ وبِغَاثٌ بالفتح والكسر ، فأما الضم
فخطأ عند أهل العلم باللغة ، فقد أجاز بعضهم الضم ، والمقلات التي لا
يعيش لها ولد ، والقلت بفتح اللام : الهلاك ، ومن ذلك ما روى عن
النبي ﷺ أنه قال : « المُسَاكِرُ وما معه على قَلَتٍ إلا ما وكى الله عزَّ
وجلَّ »^(١) ومنه قول الشاعر :

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنَظَرَ نَاطِلٍ
ولا ككَلْبَالِي الْحَجِّ أَفْلَتَنَ ذَا هَوًى^(٢)

ويروى : أفَلَتَنَ بالفاء ، فأما قلت بسكون اللام : فالنقرة في الجبل
أو الحجر يجتمع فيها الماء ، تجمع قلات ، قال الشاعر :^(٣)

كَأَنَّ عَيْنِهِ مِنَ الثُّمُورِ قَلَتَانِ فِي جَوْفٍ صَفَا مَنُفُورٍ
ثم رجعنا إلى شعر كثير :

لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُوبٍ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
فِيرَكِبُ ثُمَّ يَضْرِبُ بِالْمُرَاوِي فَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا تَكْيِيرُ

قال القاضي فيروى :

يُجَرِّدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ سَهْبٍ وَيَحْيِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ

(١) انظر النهاية في غريب الحديث ، وقد نسبت هذه العبارة لأعرابي في البيان والتبيين ١٠٥/٢
وانظر اللسان « قلت » .

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة ، والرواية كما هنا في اللسان « قلت » ، والرواية الثانية التي
ذكرها المؤلف بالفاء في ديوانه ١٨ ، وتفسير القرطبي ٤٨٦٥ ، وثمة رواية ثالثة هي
« أفتن » ، وهي واردة في الأغاني ٢٧٠/١ ، ٢٧٢ ، والحيوان ١٢/٥ ، واللسان
١٩٤/١٧ مادة قن .

(٣) هو الميجاج ، انظر ديوانه ٣٤٦/١ ، واللسان ١٣/١٥٥ ، وصور العين ١١ ، والرواية
البيت الثاني فيها كلها :

قلتان أو حوجلتا قارور

قال القاضي : الجربيرُ : الجبل ، وبه سمي الرجل : قال الشاعر :
يرى في كف صاحبه حَلَاءَ فيُفْزِعُهُ وَيُجِينُهُ الجَرِيرُ
رجعنا إلى شعر كثير :

وعودُ النَّبْعِ يَنْبَتُ مُسْتَمِرًّا ^(١)
وليس يَطُولُ والقَصَبَاءُ خُور

قال القاضي : النبع من كرم الشجر وتتخذ منه القسي ، قال الشاعر :
ألم تر أن النَّبْعَ يَصْلُبُ عودُهُ
ولا يَسْتَوِي والخِرْوَعُ المتَقَصِّفُ

وقال الأعشى :
وتَحْنُ أَنْاسٌ عودُنَا عودُ نَبْعَةٍ
إذا افْتَحَرَ الحَيَّانُ بِكُرٍّ وتَغْلِبُ ^(٢)

قال : فاعتذر إليه عبد الملك ورفع مجلسه ، ثم قال : يا كثير ! أنشدني
في إخوان دهرك هذا ، فأنشده :

خَيْرُ إخوانِكَ المُشَارِكُ في المُسَرِّ
رُ وإِنَّ الشَّرِيكَ في المُرْ أَيْتَا
الذي إِنْ حَضَرْتَ مَرَّكَ في الحَدِّ
يَ وَإِنْ غَبْتَ كَانَ أَدْنَا وَعَيْنَا
ذاك مثل الحسام أخلصه القَسَمُ
يُنُّ وجَلَاءُ الجَلَاءُ فازداد رَيْنَا

(١) المستمر : القوي ، من المرة بكسر الميم أي القوة .
(٢) البيت من قصيدة له يجر بها الحارث بن وعلة ، الديوان ١٢ .

قال القاضي : ويروى : جلاه التلام يريد التلامذة والتلاميذ وهم الصياقلة ما هنا ، ويقال : التلام المدوس وهو حجر يُجلى به ، رجع الشعر : أنت في معشر إذا غبت عنهم بدّلوا كل ما يزينك شَيْئاً فإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم الرجال علينا فقال له عبد الملك : يغفر الله لك يا كَثْبِير ، فأين الإخوان ؟ قال : غير أنا الذي أقول :

صَدِيقُكَ حِينَ تَسْتَغْنِي كَثِيرٌ
وَمَالُكَ عِنْدَ فَقْرِكَ مِنْ صَدِيقٍ
فَلَا تُنْكِرْ عَلَى أَحَدٍ إِذَا مَآ
طَوَى عَنْكَ الزَّيَّارَةُ عِنْدَ ضَيْقٍ
وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِي
عَلَى حَتَّى وَأَشْرَفَنِي بِرَيْقِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ
خَافَةَ أَنْ أَكُونَ بِلَا صَدِيقٍ

(خروج عبد الملك بنفسه إلى حرب مصعب وتخلله بشعر لكثير)

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن يزيد ، قال : أخبرني محمد بن عبد الله بن طاهر ، عن أبيه ، عن جده ، قال : وقد كَثُرَ على عبد الملك وهو يريد الخروج إلى مُصْعَب ، فقال له لما خرج : يا ابن أبي جمعة ! ذكرك بشيء من شعرك الساعة ، فإن أصبته فلك حُكْمُكَ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين أردت الخروج فبكت عاتكة بنت يزيد ^(١) وحشمتها - يعني امرأته - فذكرت قولي :

(١) في أ : عاتكة بنت زيد والصحيح أنها عاتكة بنت يزيد بن معاوية كما ورد في الأمالي والأغاني .

إذا ما أراد الغزو لم تثنِ همته
 - حصانٌ عليها نظمٌ درٌ يزينا
 نهته فلما لم ترّ التهي عاقته
 بكت فبكى مِمّا عراها قطينها^(١)

فقال : أصبت والله ، احتكمت ، قال : مائة ناقة من ثورك المختارة ، قال : هي لك ، فلما كان الغد نظر عبد الملك إلى كثير يسير في عرض الناس ضارباً بذهنه على صدره يفكر ، فقال : عليّ بكثير فجيء به ، قال : فإن أصبت ما كنت تفكر فيه فلي حُكْمِي ؟ قال : نعم ، قال : الله ، قال : الله ، قال : قلت في نفسك : ما أصنع بالمسير مع هذا الرجل ، ليس عليّ نِحْلَتِي ولا على مذهبي^(٢) يسير إلى رجل كذلك وكلاهما عندي ظالمٌ من أهل النار ، ويلتقي الحيان فيصيبني سهمٌ غريبٌ فأكون قد خسرت الدنيا والآخرة ، قال : والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت حرفاً فاحتكمت ، قال : حُكْمِي أن أحسن صلتك وأصرفك إلى أهلِكَ ، ففعل ذلك .

(معنى الغرب)

قال القاضي : يقال : أصابه سهم غريبٌ وغربٌ والتجربك أعلاهما ، وهو أن يصيبه السهم على حين غفلة منه ، والغرب أيضاً علة تعرض للعين^(٣) ، والغرب دلو عظيمة ، ومنه الخبر : « ما سقيي بالغرب فقيه

(١) القطين : الخدم والحشم والأتباع .

(٢) كان كثير غالباً في التشيع يذهب لمذهب الكيسانية (والكيسانية فرقة من الشيعة الإمامية تنسب إلى كيسان . دول علي رضي الله عنه) وكان يقول بالرجعة والتناسخ ، انظر الأغاني ٤/٩ .

(٣) الغرب : علة تصيب العين فلا يرقأ دمعها .

نصف العُشْر » ويجمع غروباً ، كما قال الأعشى ^(١) :

من ديارٍ بالمَهْضَبِ هَضْبِ القَلْبِيبِ
قَاضِ مَاءِ الشُّؤْنِ قَيْضَ الغُرُوبِ

والغرب مقابل الشرق ، والغرب بالتحريك ضرب من الشجر معروف ^(٢) ، والغرب بالفتح أيضاً من أسماء الفِضَةِ ، قال الأعشى ^(٣) :

إذا انكب أزهَر بين السَّقَاةِ
وَلِعُوا بِهِ غَرَبًا أَوْ نُضَارًا ^(٤)

قال أبو عبيدة : الغرب : الفِضَةُ ، والنُّضَارُ : الذهب ، وقال الأصمعي : الغرب : الخشب ، والنُّضَارُ : الأثل ^(٥) ، وكل ناعم فهو نضار ، وقيل للأصمعي : أنهم لم يكونوا يشربون في آنية الخشب يعني الأكاسرة ، ويقال للفِضَةِ : اللُّجَيْنُ ، والقطعة منه سبيكة ودبلة ، والذهب : فُضْر وعقيان ^(٦) ، وعسجد ، ويقال له : الزخرف ، والغرب أيضاً : ما سأل من الخوض والبئر من الماء ، كما قال ذو الرمة :

(١) البيت مطلع قصيدة له في ملح قيس بن معدي كرب ، الديوان ٢٦ ، وهضب القلبيب : جبل في ديار بني عامر ، والشؤون : ماء العين ، والغروب جمع غرب وهي الدلو العظيمة .

(٢) الغرب : ضرب من شجر تسوى منه السهام ، ويطلق في الشام حل الحور ، وهو جنس شجر من الفصيلة الصفصافية يزروع حول الجداول ، وفي مصر نوع منه يسمى شجر البنت أو أم الشمور .

(٣) البيت من قصيدة له في ملح قيس بن معدي كرب ، الديوان ٨١ .

(٤) الأزهَر : الإناث الأبيض للتلاله ، والرواية في الديوان : تراموا به بدل ولعوا به .

(٥) في أ : الإبل ، وهي تحريف ، والصحيح أن النضار يطلق على أثل ورسى اللون بنور الحجاز ، يقال : أهدها قدساً من نضار ، أي من أثل ، والأثل شجر طويل مستقيم يعمر ، جيد الخشب .

(٦) العقيان : الذهب المتكاثف في مناجمه ، الخالص مما يختلط به من الرمال والحجارة .

فأدرك المتبقي من تميلته
ومن تمائلها واستثنىء الغرب^(١)

قوله : واستثنىء الغرب معناه أنه شم من قولهم : شممت منه نشوة
طيبة أي ريحاً طيبة ، يقول : شمن الماء من شدة العطش ، يعني حمر
الوحش .

• • •

تم الجزء الأول
ويليه الجزء الثاني إن شاء الله

(١) البيت في ديوانه ١٧ ، وهو يصف فيه حمر وسخن معها قائدها وقد أتى عليها حر الصيف
حين صبح الثبت وجف الماء ، وأدرك منها ما : فرغ ، والتبيلة : بقية كل شيء ، وهو
يقول : إن قائدها فرغ من جوفه الطعام وهي كذلك ، وقد عز الماء حتى شمت رائحة الماء
من شدة العطش .

الفهرس

القسم الأول

الدراسة

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
الفصل الأول :	
عصر المعافى	١٩
نبذة عن الحالة السياسية	١٩
الحالة العلمية في الدولة الإسلامية بصفة عامة ، وفي بغداد بصفة خاصة	٢٠
الحالة العلمية في بغداد وأشهر العلماء فيها	٢٣
الفصل الثاني :	
المعافى في عصره	٣١
نسبه	٣٢

الموضوع	الصفحة
نسبته	٣١
نشأته وشيوخه	٣٣
ثقافته ومكانته العلمية	٤٠
شهرته بالجريري	٤٢
مؤلفاته	٤٥
تلامذته	٤٨
القضاء باب الطاق	٥٢
حياته الخاصة	٥٣

الفصل الثالث :

المعاني الأديب ودراسة كتابه	٥٨
جوانب المعاني المتعددة واهتمامه بالأدب	٥٨
أدب السمر وكتب الثقافة العامة	٦٢
منهج المعاني في تأليف الكتاب	٧٠
نقد المؤلف لكتاب الكامل	٧٢
ونقده للصولي في كتابين له	٧٣
دراسة الكتاب	
السند وقيمه فيه	٧٥
المواد التي أسندها المعاني إلى شيوخه	٧٨
ابو بكر محمد بن يحيى الصولي	٨٠
ابو بكر محمد بن القاسم الأنباري	٨٢
ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد	٨٥
أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي	٨٧
أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد المقرئ	٨٨

٨٨	أبو النضر العقيلي
٨٩	محمد بن مزيد الخزامي
٨٩	زكريا بن يحيى النهرواني (والد المؤلف)
٩١	أحمد بن العباس العسكري
٩٢	عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي
٩٣	محمد بن مخلد بن حفص العطار
٩٤	الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي
٩٥	إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي (نقطويه)
٩٦	عبد الباقي بن قانع
٩٧	يزداد بن عبد الرحمن بن يزداد المرزوي
٩٨	عمر بن الحسن الشيباني
٩٩	محمد بن أحمد الحكيمي
٩٩	عبد الله بن منصور الحارثي
١٠٠	إسماعيل بن يونس أبي اليسع
١٠١	أحمد بن كامل بن خلف الشجري
١٠٢	علي بن محمد بن الجهم
١٠٢	أحمد بن جعفر بن موسى (جحلة البرمكي)
١٠٣	المواد التي أضافها المعافي إلى مرويته
١١٣	التحور
١١٦	اللغة
١١٩	الصرف والعروض
١٢١	البلاغة
١٢١	العلوم الدينية والشرعية
١٢٦	الحديث النبوي
١٣٢	التفسير والقراءات

الموضوع	الصفحة
الفقه والقراءات	١٣٣
تسجيل بعض مظاهر المجتمع في عصره	١٣٥
أسلوب الكتاب ومميزاته	١٣٩
الكتب التي نقلت عنه	١٤٤
تحقيق الكتاب	١٤٦
عملنا في التحقيق	١٥٤

القسم الثاني

التحقيق

مقدمة المؤلف	١٥٩
------------------------	-----

المجلس الأول :

حديث : بلغوا عني ولو آية	١٧٠
الآية وما فيها من طريق اللغة والنحو	١٧١
قوله عليه السلام : وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج	١٧٤
قولهم : لا حول ولا قوة إلا بالله وما فيها من أوجه الأعراب	١٧٩
قول رسول الله ﷺ من كذب على متعمدا	١٨١
ذكر بعض نوادر الأخبار (مجنون بني سعد)	١٨٥

المجلس الثاني :

حديث جريج	١٨٩
حكم التشميت في الصلاة	١٩٢
حروف المقاربة وحكم اقترانها بأن	١٩٢

الموضوع	الصفحة
تصريف الفعل من الفتنة على تشعب معانيها	١٩٨
قوله تعالى (وائل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا) ومن نزلت فيه .	٢٠٢
أقوال حكيمة عن بعض العلماء والأعراب	٢٠٤

المجلس الثالث :

حديث : هذا سبيل الله	٢٠٦
السبيل : تذكر وتؤثث	٢٠٧
عزل الحجاج بن يوسف عن الحرمين الشريفين	٢١٠
عمر رضي الله عنه يتمثل بشعر	٢١٣
كلمات مأثورة	٢١٤
من زهد رجال الحديث	٢١٤
من الشعر الحكيم	٢١٦

المجلس الرابع :

حديث : ان من الشعر حكماً	٢١٧
مذهب المؤلف في التصغير	٢١٧
المحارب الشجاع	٢٢٧
حسن الظن بالله	٢٢٨
الخليص الصالح	٢٢٩
من أين لك هذه الجبة	٢٣١
يستعيز بالله من السبع	٢٣٢

المجلس الخامس :

حديث : صنائع المعروف تقي مصارع السوء	٢٣٣
--	-----

الموضوع	الصفحة
حديث الحية	٢٣٧
الجار اذا أراد شين جاره	٢٣٩
نادرة بين الحجاج وخارجي	٢٣٩
وأخرى بينه وبين أعراقي	٢٤٠
لو كانت الجنة يسده	٢٤٠
جزاء الاحسان	٢٤٠
كرم أبي أيوب المورياني	٢٤١
مثل يضربه الأعمش وتعليق المؤلف عليه	٢٤٢

المجلس السادس :

حديث : خبأت لك هذا	٢٤٧
الشعراء على باب عمر بن عبد العزيز	٢٥١
المؤنث المعنوي	٢٥٧
اقطع عني لسانه	٢٦٠
أعطيك بما مدحت الله	٢٦٠
إلى أي شيء أفضى بهم الزهد	٢٦٠
من الشعر الحكيم	٢٦١

المجلس السابع :

حديث : الروح والفرج في الرضا واليقين	٢٦٢
(ما) حجازية وتميمية	٢٦٤
ابن أبي عبيدة يعزل والي البصرة	٢٦٥
تعليق لفنوي	٢٦٩
نجابة الفتاح بن خاقان	٢٦٩

الموضوع	الصفحة
رضا المتجنّي :	٢٧٠
شعر الشاعر بمنزله ولده	٢٧١
علو همة ابن أبي دؤاد	٢٧١
الخليفة المنصور يخلع ثيابه على شاعر	٢٧٢

المجلس الثامن :

حديث خرافة	٢٧٣
رواية أخرى للحديث	٢٧٣
تعليق لغوي عليه	٢٧٤
حديث الشعبي مع الحجاج	٢٨٠
لو حدثت أحداً لحدثتك	٢٨٩
وصية الحجاج بأهل البصرة	٢٩١

المجلس التاسع :

حديث / مؤرق وفضيلة كتمان السر	٢٩٢
بدء أمر الخضر عليه السلام	٢٩٤
التعليق على الخبر	٢٩٦
عقبى الحسن	٢٩٨
الوشاية منزلة بين الخيانة والاثم	٣٠١
هذا سيوار ساقه الله اليك	٣٠٢
أبيات في التوديع	٣٠٤
حذف ألف أنا في الوصل	٣٠٥
أبيات لسوار يغني بها	٣٠٦
من مآثور الحكم	٣٠٧

المجلس العاشر :

حديث : رجل أحب قوماً	٣٠٨
امرأتكم أكرمكم	٣١٢
خبر الواقدي مع يحيى بن خالد	٣١٣
مما يروى عن حاتم طي في الكرم	٣١٤
العباس بن الاخنف يميز بيتاً للشهيد	٣٢١
في وجهه شافع	٣٢٣
الأصمعي يعادي ابن الأخنف	٣٢٥

المجلس الحادي عشر :

حديث : نعم الابل الثلاثة	٣٢٨
من جود معن بن زائدة	٣٢٩
ومن سخاء يزيد بن المهلب	٣٣٠
ليلى الاخيالية ووفودها على الحجاج	٣٣١
ذكر السبب في وفاتها	٣٣٧
التعليق على الخبر	٣٤٠
أعطنا حقنا الذي لنا في هذا المصحف	٣٤١
حكمة على محبرة	٣٤٧

المجلس الثاني عشر :

امرؤ القيس يحمل لواء الشعر إلى النار	٣٤٨
من مصارع العشاق	٣٥٥
أعطه لكل بيت ألف دينار	٣٥٨
الأمور كلها أمران	٣٥٩
المكارم أحب من المنافع	٣٥٩

الموضوع	الصفحة
ضعف قلبي عن الرد	٣٦٠
نصيحة اعرابي	٣٦٢
قريش أسخى أم أمية	٣٦٢
سمى الله المستهزئ جاهلاً	٣٦٣
أخبار أصحاب الغلمان	٣٦٤
التوحيي وزرر المغني	٣٦٤
المعتر ويونس بن بغا	٣٦٥
وناسك يقتله الوجد	٣٦٦
لو أمر الله العباد بالجزع	٣٦٧
الأمين يتوجع لإصابة خادمه كوثر	٣٦٧
المأمون يعاتب التيمي	٣٦٨
خمسة آلاف في تفسير كلمة	٣٦٩
أبيات غزلية	٣٧٠

المجلس الثالث عشر :

حديث الغار	٣٧١
كثير من اصحاب الحديث لا يضبط اللغة	٣٧٣
إعراب المفعول له	٣٧٣
غار ينطبق على تسعة أخوة	٣٧٤
الأعضب وما قيل فيه من اللغة والفقه	٣٧٥
شعر لا يستنكر إنشاده في المسجد	٣٧٦
أكله كله	٣٧٧
أبشر بطول سلامة يا مريع	٣٧٩
دع لله إحداهما تمل الأخرى	٣٨٢

الصفحة

الموضوع

٣٨٢	عبد الله بن طاهر يحيز العتافي ثلاث مرات
٣٨٣	قصة أبيات من الشعر لعبد الله بن طاهر
٣٨٥	أبيات ثلاثة لأبي نواس تساوي شعر أبي العتاهية
٣٨٦	شعر يعزل قاضياً عن القضاء
٣٨٨	تعليق نحوي : مد المقصور وقصر الممدود
٣٨٩	عمر رضي الله عنه يعزل والياً بسبب شعره
٣٩١	من الشعر العفيف
٣٩٢	أبيات تمثل بها ابن الزبير منصرفه يوم الجمل

المجلس الرابع عشر :

٣٩٥	حديث : الصاحب مسئول عن صاحبه
٣٩٧	خبر جد أعشى همدان وصاحبه
٤٠٤	خبر مقتل أبي مسلم صاحب الدولة
٤٠٥	خبر للمؤلف مع بعض الرؤساء في شأن أبيات لأبي تمام
٤٠٦	الحسين رضي الله عنه يرفض تزويج زينب بنت جعفر من يزيد
٤٠٨	عمرو بن حريث يتزوج ابنة عدي بن حاتم على حكمه
٤٠٩	بين حفص بن غيات وأبي الديك المعتوه

المجلس الخامس عشر :

٤١١	قول الرسول في مخاطبة قتل بدر
٤١٢	جارية ظريفة ترد علي أبي الشعثاء
٤١٣	ابن الزبير بغضب من أبي العباس بن عبد المطلب
٤١٤	زواج شرحبيل الغساني من مية بنت عمرو ثم تطليقه لها بأمر أبيه
٤١٧	من مخارج أبي يوسف الفقهية

الصفحة

الموضوع

٤١٩	عمة محمد بن أحمد بن عيسى تستشفع له لدى المعتضد . . .
٤٢١	اعراب ما يلي لولا من الضمير المتصل
٤٢٣	عظة واعتبار
٤٢٣	خبر مقدم وكيع وابن ادريس وحفص على الرشيد
٤٢٥	المأمون يترك جاريته إلى بلاد الروم :

المجلس السادس عشر :

٤٥٨	حديث / ماذبيان جاثمان في حظيرة
٤٥٩	أمر الحجاج بن علاط السلمي وجمعه ما له من مكة
٤٣٤	الحجاج وفراشة التي تجهز الخوارج
٤٣٦	حمدان البرقي يهيم بالمرأة ططلق الكوفي
٤٣٧	لط وألط وأيهما أصح
٤٣٧	بينما يبول من فزعه إذ يبول على قبره
٤٣٨	إلا يكن أختا بالنسب فإنه أخ بالأدب
٤٣٨	أبيات متفاضلة في المدح لبعض الشعراء
٤٤٠	زيارة حرقه بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص
٤٤١	الغيرة بن شعبة يعرض عليها الزواج فترفض
٤٤١	أم جعفر البرمكي وما وصلت إليها حالتها من عظة وعبرة
٤٤٢	زيري يفت بهاشم
٤٤٣	رجاء يرجى ما أمر به

المجلس السابع عشر :

٤٤٤	حديث : فليقل خيراً أو لينصت
٤٤٥	خالد بن الوليد وعبد المسيح بن عمرو القسائي

الموضوع	الصفحة
خبر الغضبان بن القبعثري مع الحجاج	٤٤٨
معنى الوشل في اللغة	٤٥٢
جعفر بن محمد يزوج حسين بن زيد ويوصله إلى الثراء	٤٥٣
مصعب بن الزبير يتمثل عند هزيمة بنيي شعر	٤٥٦
جمع القلعة قلاع خلافاً لابن الأعرابي	٤٥٧
نديم ينتقم من صاحب بيت المال	٤٥٧
حكم من كلام الخليل بن أحمد	٤٥٨
ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٤٥٨
صحبة لطيفة	٤٥٩

المجلس الثامن عشر :

حديث : جالس الكبراء	٤٦٠
عبد الملك يوجه نظر الحجاج إلى إسرافه ورد الحجاج عليه	٤٦١
الحجاج يؤمن الناس إلا أربعة	٤٦٢
خبر الحجاج بن عبد الله التلعلي مع عبد الملك	٤٦٥
من جود خالد بن عبد الله القسري	٤٦٧
شعر لبشار بن برد في قبنة	٤٦٨
عبيد الله بن يحيى بن خاقان يتنبأ بالأحداث	٤٧١
وتنبؤ آخر للإمام الطبري	٤٧٢
صدقه حين كذب وكذبه حين صدق	٤٧٢

المجلس التاسع عشر :

حديث : اثتوني بسكين أشقه بينكما	٤٧٥
تذكير السكين وتأنيته	٤٧٦

الموضوع	الصفحة
ذكاء عبد الملك وعلمه	٤٧٨
قصة غريبة مما كان يرد على القضاة	٤٨٠
أخاف أن يكون في قبولهما وهن رقبي	٤٨٤
لو علم السبب	٤٨٥
بأي شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن توليه القضاء	٤٨٦
حكاية عن القاضي العوفي وكان طويل اللحية	٤٨٩

المجلس العشرون :

حديث : إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة	٤٩١
كتاب قيصر إلى عمر رضي الله عنه بشأن النخلة	٤٩٣
بعض ما تلحن فيه العامة : الزمرد والزمرد	٤٩٤
من شهداء الهوى	٤٩٤
من نزاهة حفص بن غياث في الحكم	٤٩٥
لا يستحي أحدكم من التعلم	٤٩٨
اللاحئون من الخاصة	٥٠١
جاريثان تغليان عيسى بن أبيان	٥٠٢
أبو نواس يأخذ معنى حديث شريف وينظمه شعراً	٥٠٣
شرب نبيذاً ثم لا يدري أطلق امرأته أم لا	٥٠٤
عيش الفقراء وحساب الأغنياء	٥٠٩

المجلس الحادي والعشرون :

حديث : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم	٥٠٩
سبب نكبة أبي أيوب المورياني وزير المنصور	٥١٠
جميل وقول أحدهم فيه : لن يقلع هذا أبداً	٥١٤

الموضوع	الصفحة
أبو اسحاق الفزاري يرد على اتهام الرشيد له	٥١٥
كأس ام حكيم	٥١٦
متمى يقال : الليلة الماضية ، ومتى يقال : البارحة	٥١٧
القضاة في نظر أبي يوسف	٥٢١
كم كان يصلي بهم لو أكلوا اللوزينج	٥٢١
إغياب الزيارة	٥٢٣
كلتاها تحضي	٥٢٣

المجلس الثاني والعشرون :

حديث : فضل العقل	٥٢٤
خبر سعد العشيرة ، وتفسير غريبه	٥٢٧
الوليد بن عبد الملك يوافق الحجاج على عسفه بآل المهلب	٥٣٠
أنا أشعر أم أنت	٥٣٠
بدء أمر أبي العتاهية	٥٣١
يقول شعراً وهو لا يدري	٥٣٢
طراً الواغل رغم هروبهم إلى الصحراء	٥٣٣
احتكم يا أبا السمط	٥٣٤
مكافأة بغا على شجاعته	٥٣٥
أول ما ظهر من فهم سليمان عليه السلام	٥٣٦

المجلس الثالث والعشرون :

من مكارم الأخلاق	٥٣٩
خبر عمرو بن المسيح أرمي عربي	٥٤٠
لم يسمع بأسرة دخلت الإسلام كهؤلاء	٥٤٤

الصفحة

الموضوع

٥٤٥	خير مقتل عمرو ذي الكلب
٥٤٧	أيهما أجود ؟
٥٤٩	مطايب الجزور وأطايب الفاكهة
٥٥١	أعرابي يشرب بجزرة صوف فتعاتبه امرأته
٥٥٢	فطنة قاض
٥٥٣	رأي ابن يوسف فيمن يشهدون عنده
٥٥٤	نوع الشهود الذين اختارهم لإسماعيل بن حماد
٥٥٤	معنى السوقة الصحيح
٥٥٤	ما قيل في تقلد نوح بن دراج القضاء
٥٥٤	النسب القصير

المجلس الرابع والعشرون :

٥٥٧	حديث : من يكن في حاجة أخيه
٥٥٧	إسلام سادن الصم
٥٥٨	مناظرة ابن عباس للحورية
٥٦١	خير الأصدقاء الثلاثة
٥٦٣	تعليق لغوي على ما ورد فيه
٥٦٦	الصمصامة سيف عمرو بن معدى كرب
٥٦٨	نتيجة الرفق ونتيجة التعذيب
٥٦٩	كيف يكون بارداً وله هذا الشعر
٥٧٠	السيد الحميري يستكمل هدية
٥٧٠	معاتبات في عدم قضاء الحاجة

المجلس الخامس والعشرون :

٥٧١	حديث : الرزق على قدر الحاجة
-----	---------------------------------------

الموضوع	الصفحة
ابن هرمة يرثي الحكم بن المطلب	٥٧٤
وفود جرير على عبد الملك بن مروان	٥٧٦
الرشيد يحبس محمد بن الليث ثم يطلقه ويكرمه	٥٨٠
خبر وضاح اليمن	٥٨١
من أدب آل البيت	٥٨٣
وفود كثير عزة على عبد الملك وحديثه معه	٥٨٤
خرج عبد الملك بنفسه إلى حرب مصعب وتمثله بشعر لكثير	٥٨٨
معنى الغرب	٥٨٩

